جمال الأقوال

في

ضرب القصص والأمثال

بقلم

الشيخ /محمد علي محمد إمام

راجعه وقدم له

أ.د/ أحمد بن محمد مفلح القضاة(حفظه الله)

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

وقدم له كل من

د. عبد الغني القاسمي

د. وسام محمود جبر الطيطي

دار الكتب والوثائق المصرية بالقاهرة	
كتاب جمال الأقوال في ضرب القصص والأمثال	الطبعة الأولي ٢٠٢٠ عدد الصفحات (٥٠٠ صفحة) مقاس ١٧× ٢٤
بقلم الشيخ/ محمد على محمد إمام كفر ميت العز ـ ميت غمر ـ دقهلية ـ جمهورية مصر العربية	
راجعه فضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد بن محمد مفلح القضاة أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة	
قدم له أصحاب الفضيلة العلماء	
أ.د/ أحمد بن محمد مفلح القضاة	د/ عبد الغني القاسمي الجزائري
د/ وسام محمود جبر الطيطي	

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـداء

♠ أهدي كتابي جمال الأقوال في ضرب القصص والأمثال إلى :

- إلى مشايخنا وعلمائنا في مصر وجميع بلدان العالم جزاهم الله عنا كل خير.
- إلى كل الخارجين في سبيل الله على وجه المعمورة.
- إلى كل الدعاة إلى الله من خطباء ووعاظ ومعلمين.
- إلى المدرسين وطلاب العلم العاملين.
- إلى الآباء والأمهات المهتمين بإحياء الدين ونشره في العالم كله.
- إلى الشباب المسلم الحريص على نشر دينه، وإحياء سنة نبيه.
- إلى كل من يحب الله ورسوله.
- إلى كل مسلم يهمه أمر دينه ودنياه وآخرته.
- إلى كل مؤمن بالله واليوم الآخر.
- إلى كل طالبي الحق.

(المؤلف)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

فضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد بن محمد مفلح القضاة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الدعاة، وسيد المرسلين؛ نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد تعودنا من أساليب القرآن الكريم في الدعوة إلى الله أنه يكثر من إيراد القصص والأمثال، تقريباً للأمور، وتوضيحاً لما يريد الدعوة إليه، والحث عليه، أو التحذير منه، والنهي عنه.

ولا شك أن الاستفادة من هذه الأساليب والأخذ بها نافع جدًا في إيصال رسالة الإسلام للناس، وتبليغ القيم والفضائل، والتنفير من المنكرات والرذائل ، فكل قصة في القرآن خلاصتها أمرٌ بخير، أو تحذير من شر؛ هذه قصة قارون مثلاً تجلت خلاصتها في النهي عن البطر والفساد والبغي: { إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ }(١)، وفي الدعوة إلى التواضع والإحسان وطلب الدار الآخرة:{ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا

(١) سورة القصص _ الآية ٧٦.

وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}(١)، ويقال مثل هذا في سائر القصص والأمثال.

وهذا الكتاب الذي أقدمه اليوم (جمال الأقوال في ضرب القصص والأمثال) جمع كثيراً من القصص والأمثال، بدأها بنماذج مما في القرآن الكريم، ثم أتبع بنماذج مما ورد في السنة الشريفة، ثم ساق طائفة من القصص والأمثال؛ بعضها من التاريخ وسير السلف، وبعضها من تجارب رجال الدعوة والحوادث التي وقعت لهم، وبعضها على سبيل التمثيل والتقريب دون أن تكون قد وقعت فعلاً.

والعبرة أن هذه القصص والأمثال والحوادث والحكايات يراد منها توضيح الصورة، وتقريب الأمر، ليسهل على المدعوين أن يربطوا بين ما جرى في القصة وبين ما يعيشونه من واقع، لعلهم يهتدون إلى نور الإيمان.

اتبع الكاتب جزاه الله خيراً أسلوباً سهلا ميسراً، ومال في بعض الأحيان إلى الأسلوب العامي الذي يتبعه كثير من الدعاة في إيصال فكرتهم، ونقل نقولاً عديدة عن مشايخ الدعوة وعلمائها، فجاء كتابه هذا مزيجاً من كل هذه القصص والأمثال والحكايات، فيه فوائد وعوائد، عسى الله أن ينفع به وبمؤلفه ، وأن يكون سبباً في هداية كثير من الناس إلى سبيل الإسلام وحظيرة الإيمان.

---

(١) سورة القصص _ الآية ٧٧.

في الكتاب لمسات دالة على روح الدعوة، ونفَس الداعية المحب للناس من حوله، الراغب في تبصيرهم ولفت انتباههم إلى عظمة هذا الدين وجماله، فجزى الله الشيخ الكريم (محمد علي محمد إمام) خير الجزاء على هذا الجهد المبارك، ونفع الله به وزاده من فضله.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، والحمد لله رب العالمين.

أ. د. أحمد بن محمد مفلح القضاة

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

١٥ محرم ١٤٤٢هـ = ٣ أيلول ٢٠٢٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

فضيلة الدكتور/ عبد الغني القاسمي

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ونصلي ونسلم على المبعوث رحمة للعالمين و على أله وصحبه أجمعين وبعد:

إن مما تميز به كتاب الله تعالى ضرب الأمثال وهذا لغايات منها إصابة المعنى حتى تنصب صورها في العقول كما قال ابن المقفع (رحمه الله): إذا جعل الكلام مثلا كان أوضح للمنطق وأنق للسمع وأوسع لشعوب الحديث.

وعليه شمر المشمرون لبيان هذا المسلك الرباني البلاغي الذي عجز أرباب لغة الضاد أن يأتوا بمثله، وممن شمر لهذا الباب أخونا الشيخ محمد علي محمد إمام (حفظه الله) فقد أبدع في هذا السفر المبارك (جمال الأقوال في ضرب القصص والأمثال) وقولنا قد أبدع ليس مجاملة منا، بل حقيقة يدركها كل من قرأ هذا السفر قراءة متأنية، فالمؤلف حفظه الله كعادته نهج في كتابه هذا المنهج العلمي في السرد والتبويب والتدليل، فتراه يربط الأبواب بالمناسبة، كما يستشهد بنصوص الوحيين مع تعريف الألفاظ بالحد اللغوي والاصطلاحي مع

الاستئناس بكلام الأعلام من أهل اللغة وعلوم الشرع مما أعطى لهذا الكتاب حلة شرعية من كل جوانبها، فنسأل من الله العلي الكبير أن يبارك في الكتاب وصاحبه وأن ينفع به الأمة آمين.

" والحمد لله رب العالمين "

د. عبد الغني القاسمي
دكتوراه في الحديث الشريف وعلومه
المشرف المؤقت لرابطة علماء المغرب فرع الجزائر
وعضو في اللجنة العلمية لرابطة علماء المغرب

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

فضيلة الدكتور/ وسام الطيطي (حفظه الله تعالى)

إن الحمد لله نحمده وتستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، حبيبنا وشفيعنا وقائدنا محمد بن عبد الله، وعلى آلة وأصحابه جميعاً ومن والاه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

المؤلف الشيخ محمد علي محمد إمام (حفظه الله) تحية طيبة وبعد:-

عن مُعَاوِيَةَ بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:(مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)(١) والفقه في اللغة: هو الفهم، ثم غلب إطلاقه على فهم الدين والشرع .

وقال العيني: (رحمه الله): قَوْله: (يفقهه) أَي: يفهمهُ، إِذْ الْفِقْه فِي اللُّغَة الْفَهم. قَالَ تَعَالَى: (يَفْقَهُوا قَوْلِي)(٢)، أَي: يفهموا قولي، من فقه يفقه، ثمَّ

---

(١) صحيح البخاري » كتاب العلم » بَاب مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ(٧١).
(٢) سورة طه » الآية ٢٨.

خُص بِهِ علم الشَّرِيعَة، والعالم بِهِ يُسمى فَقِيها (١) فكل الخير لكل من عمل بالعلم الشرعي وطلب العلم فهذه علامة من علامات محبة الله للإنسان أن يجعل شغله الشاغل العلم وطلب العلم والتفقه في الدين.

لم يعتمد القرآن الكريم أسلوباً واحداً لإيصال رسالته إلى الناس، بل تعددت أساليبه وتنوعت، فهو حيناً يعتمد أسلوب الحوار، وحيناً آخر يعتمد أسلوب ضرب المثل، وتارة يعتمد أسلوب التربية النفسية والتوجيه الخلقي، إلى غير ذلك من الأساليب التي لا تخفى على من تأمل وتدبر كتاب الله العزيز.

وأسلوب القصة من الأساليب التي اعتنى القرآن الكريم بها والسنة النبوية عناية خاصة؛ لما فيها من عنصر التشويق، وجوانب الاتعاظ والاعتبار.

وقد ألمح القرآن إلى هذا في أكثر من آية من ذلك قوله تعالى: { فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }(٢)، والقصص القرآني هو أحسن القصص، قال سبحانه: { نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ }(٣).

---

(١)عمدة القاري شرح صحيح البخاري » كتاب العلم » باب العلم قبل القول والعمل لقوله تعالى فاعلم أنه لا إله إلا الله " فبدأ بالعلم _ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ . (٤٢/٢).

(٢) سورة الأعراف » الآية ١٧٦.

(٣) سورة يوسف » الآية ٣.

والقصص القرآني هو أنفع القصص، قال عز وجل: { لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ }(١)؛ وذلك لقوة تأثيرها في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق.

إلى غير ذلك من الآيات التي تبين اعتماد القرآن أسلوب القصص.

وكذلك جاءت القصة في الاحاديث النبوية الشريفة فقد سلك النبي (صلى الله عليه وسلم) هذا المنهج واستخدم هذا الأسلوب في مواطن متعددة، ومواقف كثيرة، فمنها: أن شابًا من أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو خباب بن الأرت رضي الله عنه بلغ به الأذى من المشركين والشدة كل مبلغ، فأتى النبي (صلى الله عليه وسلم) شاكيًا له ما أصابه فقال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً وَهُوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَقَدْ لَقِينَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَلَا تَدْعُو اللهَ، فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ، فَقَالَ:" لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ، زَادَ بَيَانٌ:

---

(١) سورة يوسف » الآية ١١١.

وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ » (١)؛ فشجعهم وصبرهم ورباهم بهذه القصة العظيمة التي تصور حال صبر الأولين، وشدة بلائهم في سبيل الله، ولأجل دينه.

فقد عمل المؤلف في كتابه "جمال الأقوال في ضرب القصص والأمثال". فبين لنا معنى الأمثال وجمع لنا الشيخ محمد إمام مجموعة من الأمثال والقصص القرآنية كنموذج للمثل والقصة التي يؤخذ منها العبرة والعظة وكيف ولا وهو كتاب هداية ورشاد للأمة، ثم أتبع بنماذج من السنة النبوية وكيف ولا وما هو إلا وحيا يوحى إليه(صلى الله عليه وسلم)، ثم جاء لنا بمجموعة من القصص والأمثال في سير السلف الصالح ومن التاريخ الإسلامي المشرق، ومن ثم ضرب لنا قصص وأمثلة من خبرات وتجارب رجال الدعوة والتجارب والقصص التي حدثت مع بعضهم.

فكان أسلوب المؤلف الشيخ محمد علي محمد إمام في تأليف كتابه "جمال الأقوال في ضرب القصص والأمثال "شيّقا وأنصح كل من يعمل بالدعوة إلى الله أن يقرأ الكتاب ليكون له سِرجا ينير له ظلمة الطريق والعالم الموحش فما أحوجنا بالرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه ومن عمل بهديهم، حفظ الله الشيخ المؤلف محمد علي محمد إمام وأعانه على نشر العلم

---

(١) صحيح البخاري» كتاب مناقب الأنصار» بَاب مَا لَقِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ مِنْ الْمُشْرِكِينَ بِمكَّةَ(٣٦٣٩).

والعمل بما ألَف وأن ينفع به وبعلمه الإسلام والمسلمين ونسأل الله له التوفيق والسداد وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسناته.

قدم له العبد الفقير والطامع برحمة ربه

الدكتور وسام محمود جبر الطيطي

أستاذ أصول الفقه والدراسات الإسلامية

ورئيس قسم الفقه وأصوله

في جامعة منيسوتا- الولايات المتحدة الأمريكية

الثلاثاء ٣٠/ ٣/ ٢٠٢١م-١٧ شعبان/ ١٤٤٢هـ

د. وسام محمود الطيطي
رئيس قسم الفقه وأصوله
بالجامعة الإسلامية بمنيسوتا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

إنَّ الحمدُ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفِرُهُ، ونعوذُ بالله مِنْ شرورِ أنفسِنَا وسيئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهدِ اللهُ فلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ.

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شريكَ لَهُ، تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ.

وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبدُهُ ورسُولُهُ، وَخَلِيلُهُ صَلَّى اللهُ عليهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كثيرًا.

أَمَّا بَعْدُ: فإن اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- عَنَتِ الْوُجُوهُ لِنُورِ وَجْهِهِ، وَعَجَزَتِ الْعُقُولُ عَنْ إِدْرَاكِ صُنْعِهِ، وَدَلَّتِ الْفِطَرَةُ وَالْأَدِلَّةُ عَلَى امْتِنَاعِ مِثْلِهِ وَشِبْهِهِ، مَوْصُوفٌ رَبُّنَا بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ الْجَلَالِ، مُنَزَّهٌ عَنِ الشَّبِيهِ وَالنَّقَائِصِ وَالْمِثَالِ، لَا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ -سُبْحَانَهُ-، وَلَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ، وَلَا يُشْبِهُ الْأَنَامَ، حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَقَيُّومٌ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، لَوْ كَشَفَ الْحُجُبَ عَنْ وَجْهِهِ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا امْتَدَّ إِلَيْهِ بَصَرُهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ مَنْ تَأَمَّلَ فِي هَذَا الْكَوْنِ، وَتَأَمَّلَ فِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ، وَخَلْقِ الْحَيَوَانِ، وَتَأَمَّلَ فِي تَقَلُّبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ دَلَّهُ ذَلِكَ دَلَالَةً أَكِيدَةً عَلَى عَظَمَتِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وَكُلَّمَا ازْدَادَ الْعَبْدُ تَأَمُّلًا وَتَدَبُّرًا فِي خَلْقِ اللهِ زَادَ تَعْظِيمُهُ للهِ

-تَعَالَى-، فَتَزْدَادُ بِذَلِكَ عُبُودِيَّتُهُ، وَكُلَّمَا ضَعُفَ تَوْحِيدُهُ، وَضَعُفَ تَأَمُّلُهُ فِي خَلْقِ اللهِ قَلَّتْ عُبُودِيَّتُهُ، أَوِ انْحَسَرَتْ؛ وَلِذَا نَدَبَ اللهُ الْعِبَادَ لِلْتَدَبُّرِ فِي كِتَابِهِ، وَالتَّدَبُّرِ فِي عِظَمِ خَلْقِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى:{ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا }(١).

أحبتي الكرام! كما لا يخفى عليكم أن توضيح الأفكار، بضرب القصص والأمثال، شيء يقرر الفكرة ويثبتها في الذهن، بل وفي القلب، وهي أقرب طريق للإقناع.

وكما لا يخفى على أحد فإن القرآن الكريم، قد امتلأ بضرب الأمثال، فقد قال الله تعالى في كتابه: { إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ}(٢)، وقال تعالى:{ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ }(٣). وقال تعالى:{وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} (٤).

---

(١) سورة النساء _ الآية ٨٢.
(٢) سورة البقرة _ الآية ٢٦.
(٣) سورة إبراهيم _ الآية ٢٥.
(٤) سورة العنكبوت _ الآية ٤٣.

ومن نظر في قَصص القرآن، قراءةً وتدبُّرًا، وتأمُّلاً وتفكُّرًا، ووقوفًا عند عجائبه ولطائفه، سيجد العجائب؛ فهو أحسن القصص، وأتمُّه وأفيْدُه؛ قال الله - عز وجل -: { نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ } (١)، وقال تعالى:{ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (٢).

وكذلك السنة المطهرة، فقد جاء عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: عَقَلْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِّ صلى الله عليه وسلم أَلْفَ مَثَلٍ(٣).

ومن نظر في السيرة العطرة للنبي (ﷺ)؛ يجده قد قصَّ على أمَّته ما فيه أعظم العِبَر والعظات، بأفصح الألفاظ، وأبين العبارات، ولا جَرمَ؛ فقد أُوتِيَ جوامعَ الكلم، ولا ينطق عن الهوى، ولا يخرج مِن فيه إلاَّ حقٌّ - صلَّى الله عليه وسلَّم.

ومن نظر في سِير السلف الصالحين من هذه الأمَّة الكريمة على الله (ﷻ) من الصحابة الكرام، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدِّين، يجد في سيرهم ما ينور دربه.

---

(١) سورة يوسف _ الآية ٣.

(٢) سورة الأعراف _ الآية ١٧٦.

(٣) مسند أحمد ابن حنبل مُسْنَدُ الشَّامِيِّينَ _ بَقِيَّةُ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١٧٥٤٧).

فمن اغترف من هذا المعين الصافي وهو في طريق الدعوة إلى الله (عز وجل) اهتدى ورشد، ومن حاد عنه ضل وغوى .

وقديما سلك الشعراء هذا المسلك، كما قال الشافعي :

لا تأسَـفَنَّ على غَدرِ الزمانِ لطالما رَقَصَتْ على جُثَثِ الأسودِ كلابُ

لا تَحْسَبَنَّ بَرقْصِها تَعلُو على أسيادِها تبقى الأسودُ أسوداً والكلابُ كلابُ(١)

ولذا أحببت أن أشرع في جمع ما أستطيع جمعه من الأمثال التي تقرب الفكرة للأذهان، وذلك بعد أن طلب مني بعض أحبابي في الله، أن أكتب ما قُدر لي من أمثلة المبلغين عن رب العالمين.

ولكن بصراحة قلت في نفسي صحيح سمعنا كثيرا من القصص والأمثال، ولكنها في الميدان الدعوي تأتي عند الحاجة إليها، فاستحضارها وجمعها يحتاج إلى وقت، فاستعنت بالله تعالى، وبدأت الكتابة فبدأت بفضل الله تعالى الأفكار تتوارد وكل يوم أستحضر بعض القصص والأمثال التي نسمعها من أحبابنا ومشايخنا في ميدان الدعوة إلى الله، وكذلك ما كنت سطرته متفرقا في كتبي، لتكون هذه الأمثال في وعاء واحد ليسهل على القارئ مطالعتها.

---

(١) على الرجح للإمام الشافعي.

فبدأت الكتاب ببعض الأمثلة التي سطرها ربنا في كتابه العزيز، وكذلك بعض الأمثلة والقصص التي وردت على لسان حبيبنا ومصطفانا محمد صلى الله عليه وسلم.

وكذلك بعض القصص الهادفة التي وردت في بعض الكتب أو التي نشرت على صفحات مواقع التواصل الاجتماعي.

مع وضع لكل مثل أو قصة ما يناسب لتوضيح فكرتها وما ترشد إليه من الحكم والمواعظ.

واسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، نحظى به رضا مولانا الكريم، وأن يسعدنا به يوم الدين، وأن ينفعنا به وجميع المسلمين.

المؤلف

الراجي عفو ربه المنان

محمد بن علي محمد إمام

الباب الأول

الأمثال

لغةً واصطلاحا

الباب الأول

معنى الأمثال

الأصل في المثل إعطاء شيء منزلة شيء عن طريق التشبيه وبيان وجه الشبه، ولا يلزم في الشبيه المطابقة من كل الوجوه، بل يكفي فيه أن يُلمح منه جانبٌ فيه شبهٌ ما يحقق الغرض من التشبيه.

والمَثَلُ الشيء الذي يُضرَب لشيء مثلاً فيجعل مِثْلَه.

والمَثَل مأْخوذ من المِثال والحَذْوِ والصفةُ تَحْلِية ونعتٌ ويقال تمثَّل فلانٌ ضرب مَثَلاً، وتَمَثَّلَ بالشيء ضربه مَثَلاً، وفي التنزيل العزيز:(يا أَيُّها الناسُ ضُرِب مَثَل فاستَمِعوا له) وذلك أَنهم عَبَدُوا من دون الله ما لا يَسْمَع ولا يُبْصِر وما لم ينزِل به حُجَّة فأَعْلَم اللهُ الجوَاب ممَّا جعلوه له مَثَلاً ونِدًّا فقال:(إِنَّ الذين تَعْبُدون من دون الله لن يخلُقوا ذُباباً) يقول كيف تكونُ هذه الأَصنامُ أَنْدادا وأَمثالاً لله وهي لا تخلُق أَضعف شيء مما خلق اللهُ ولو اجتمعوا كلُّهم له:(وإِن يَسْلُبْهُم الذُّبابُ شيئاً) لم يخلِّصوا المَسْلوبَ منه، ثم قال:(ضَعُفَ الطالِبُ والمَطْلوبُ) .

وقد يكون المَثَلُ بمعنى العِبْرةِ ومنه قوله عز وجل فجعلناهم سَلَفاً ومَثَلاً للآخرين فمعنى السَّلَفِ أَنا جعلناهم متقدِّمين يَتَّعِظُ بهم الغابِرُون ومعنى قوله ومَثلاً أَي عِبْرة يعتبِر بها المتأَخرون ويكون المَثَلُ بمعنى الآية، قال الله عز وجل في صفة عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام (وجعلناه مَثَلاً لبني إِسرائيل) أَي

آيةً تدلُّ على نُبُوّتِه وأَما قوله عز وجل، (ولَمَّا ضُرِب ابنُ مريم مثلاً إِذا قومُك منه يَصُدُّون) جاء في التفسير أَن كفَّارَ قريشٍ خاصَمَتِ النبيَّ (ﷺ) فلما قيل:(إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِّ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) (١) قالوا قد رَضِينا أَن تكون آلهتنا بمنزلة عيسى والملائكةِ الذين عُبِدوا من دون الله فهذا معنى ضَرْبِ المَثَل بعيسى والمِثالُ المقدارُ وهو من الشِّبْه والمثل ما جُعل مِثالاً أَي مقداراً لغيره يُحْذَى عليه والجمع المُثُل (٢).

فوائد الأمثال

الأمثال تقرب الصورة وتجلب الانتباه وتسخر الوهم للعقل وترفع الحجاب عن القلوب الغافلة وتؤلف المطلوب وتقربه ومن هنا يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني إمام البلاغة والإعجاز – رحمه الله-: اعلم أنّ مما اتّفق العقلاء عليه انّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو أُبرزت هي باختصار في معرضه، ونُقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أُبّهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشبّ من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفاً، وقسر الطّباع على أن تُعطيها محبة وشغفاً.

---

(١) سورة الأنبياء _ الآية ٩٨.

(٢) لسان العرب لابن منظور.

واستعان بها الدعاة إلى الله في كل عصر لنصرة الحق وإقامة الحجة، ويستعين بها المربون ويتخذونها من وسائل الإيضاح والتشويق، ووسائل التربية في الترغيب أو التنفير، وفي المدح أو الذم. (١).

ويقول ابن القيم (رحمه الله): قَالُوا: قَدْ ضَرَبَ اللهُ سُبْحَانَهُ الْأَمْثَالَ وَصَرَّفَهَا قَدْرًا وَشَرْعًا وَيَقَظَةً وَمَنَامًا، وَدَلَّ عِبَادَهُ عَلَى الِاعْتِبَارِ بِذَلِكَ، وَعُبُورِهِمْ مِنْ الشَّيْءِ إلَى نَظِيرِهِ، وَاسْتِدْلَالِهِمْ بِالنَّظِيرِ عَلَى النَّظِيرِ، بَلْ هَذَا أَهْلُ عِبَارَةِ الرُّؤْيَا الَّتِي هِيَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ النُّبُوَّةِ وَنَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْوَحْيِ؛ فَإِنَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْقِيَاسِ وَالتَّمْثِيلِ، وَاعْتِبَارِ الْمَعْقُولِ بِالْمَحْسُوسِ، أَلَا تَرَى أَنَّ الثِّيَابَ فِي التَّأْوِيلِ كَالْقُمُصِ تَدُلُّ عَلَى الدِّينِ، فَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ طُولٍ أَوْ قِصَرٍ أَوْ نَظَافَةٍ أَوْ دَنَسٍ فَهُوَ فِي الدِّينِ كَمَا أَوَّلَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْقَمِيصَ بِالدِّينِ وَالْعِلْمِ، وَالْقَدْرُ الْمُشْتَرَكُ بَيْنَهُمَا أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا يَسْتُرُ صَاحِبَهُ وَيُجَمِّلُهُ بَيْنَ النَّاسِ؛ فَالْقَمِيصُ يَسْتُرُ بَدَنَهُ وَالْعِلْمُ وَالدِّينُ يَسْتُرُ رُوحَهُ وَقَلْبَهُ وَيُجَمِّلُهُ بَيْنَ النَّاسِ.

[الرُّؤْيَا الْحُلْمِيَّةُ وَتَأْوِيلُهَا] وَمِنْ هَذَا تَأْوِيلُ اللَّبَنِ بِالْفِطْرَةِ لِمَا فِي كُلٍّ مِنْهُمَا مِنْ التَّغْذِيَةِ الْمُوجِبَةِ لِلْحَيَاةِ وَكَمَالِ النَّشْأَةِ، وَأَنَّ الطِّفْلَ إذَا خُلِّيَ وَفِطْرَتَهُ لَمْ يَعْدِلْ عَنْ اللَّبَنِ؛ فَهُوَ مَفْطُورٌ عَلَى إيثَارِهِ عَلَى مَا سِوَاهُ، وَكَذَلِكَ فِطْرَةُ الْإِسْلَامِ الَّتِي فَطَرَ اللهُ عَلَيْهَا النَّاسَ.

---

(١) لسان العرب لابن منظور.

وَمِنْ هَذَا تَأْوِيلُ الْبَقَرِ بِأَهْلِ الدِّينِ وَالْخَيْرِ الَّذِينَ بِهِمْ عِمَارَةُ الْأَرْضِ كَمَا أَنَّ الْبَقَرَ كَذَلِكَ، مَعَ عَدَمِ شَرِّهَا وَكَثْرَةِ خَيْرِهَا وَحَاجَةِ الْأَرْضِ وَأَهْلِهَا إِلَيْهَا؛ وَلِهَذَا لَمَّا «رَأَى النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَقَرًا تُنْحَرُ» كَانَ ذَلِكَ نَحْرًا فِي أَصْحَابِهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ تَأْوِيلُ الزَّرْعِ وَالْحَرْثِ بِالْعَمَلِ؛ لِأَنَّ الْعَامِلَ زَارِعٌ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَخْرُجَ لَهُ مَا بَذَرَهُ كَمَا يَخْرُجُ لِلْبَاذِرِ زَرْعُ مَا بَذَرَهُ؛ فَالدُّنْيَا مَزْرَعَةٌ، وَالْأَعْمَالُ الْبَذْرُ، وَيَوْمُ الْقِيَامَةِ يَوْمُ طُلُوعِ الزَّرْعِ لِلْبَاذِرِ وَحَصَادِهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ تَأْوِيلُ الْخَشَبِ الْمَقْطُوعِ الْمُتَسَانَدِ بِالْمُنَافِقِينَ، وَالْجَامِعُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْمُنَافِقَ لَا رُوحَ فِيهِ وَلَا ظِلَّ وَلَا ثَمَرَ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْخَشَبِ الَّذِي هُوَ كَذَلِكَ؛ وَلِهَذَا شَبَّهَ اللهُ - تَعَالَى - الْمُنَافِقِينَ بِالْخُشُبِ الْمُسَنَّدَةِ؛ لِأَنَّهُمْ أَجْسَامٌ خَالِيَةٌ عَنْ الْإِيمَانِ وَالْخَيْرِ، وَفِي كَوْنِهَا مُسَنَّدَةً نُكْتَةٌ أُخْرَى، وَهِيَ أَنَّ الْخَشَبَ إذَا انْتُفِعَ بِهِ جُعِلَ فِي سَقْفٍ أَوْ جِدَارٍ أَوْ غَيْرِهِمَا مِنْ مَظَانِّ الِانْتِفَاعِ، وَمَا دَامَ مَتْرُوكًا فَارِغًا غَيْرَ مُنْتَفَعٍ بِهِ جُعِلَ مُسْنَدًا بَعْضُهُ إلَى بَعْضٍ، فَشَبَّهَ الْمُنَافِقِينَ بِالْخُشُبِ فِي الْحَالَةِ الَّتِي لَا يُنْتَفَعُ فِيهَا بِهَا. (١).

وقال الأصبهاني: لضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء النظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خفيات الدقائق ورفع الأستار عن الحقائق، تريك المتخيل في صورة المتحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد، وفي ضرب الأمثال تبكيت للخصم الشديد الخصومة، وقمع لسورة الجامح الأبي؛

---

(١) كتاب إعلام الموقعين عن رب العالمين - السر في ضرب الأمثال صـ١٤٦.

فإنه يؤثر في القلوب ما لا يؤثر في وصف الشيء في نفسه؛ ولذلك أكثر الله تعالى في كتابه وفي سائر كتبه الأمثال، وفشت في كلام النبي وكلام الأنبياء والحكماء(١) .

وقال البيضاوي: « يضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير، فإنه أوقع في القلب، وأقمع للخصم الألد، ولأنه يريك المتخيل محققًا والمعقول محسوسًا، وَلِأَمْرٍ ما أكثر الله في كتبه الأمثال، وفشت في كلام الأنبياء والحكماء»(٢).

وضرب المثل له مقاصد علمية وتربوية كثيرة، ومن ذلك: إبراز المعاني الذهنية في صورة الواقع المشاهد، وترسيخ المعاني السامية في نفوس المتلقين، ولما كان المثل بهذه المثابة فقد استعمل كثيرا في السنة النبوية؛ إذ هو أقرب طريق لإيصال الحق للنفوس، وتعليم العلم لمن يجهله.

ويحتاج الداعية إلى استخدام أسلوب ضرب الأمثال والتشبيه لتقريب المعاني للناس ولإيقاظ حسهم، حيث يربط بين الطبيعة الحية الماثلة أمامهم وبين الأحكام الشرعية التي يوجهها لهم، وقد أخبر سبحانه أنه ضرب الأمثال لعباده في غير موضع من كتابه، وأمر باستماع أمثاله، ودعا عباده إلى تعقلها والتفكير فيها والاعتبار بها؛ وهذا هو المقصود بها(٣)، قال تعالى: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}(٤).

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (٢/ ٣٤٤).
(٢) تفسير البيضاوي (١/ ١٨٦).
(٣)إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١٩٥).
(٤) سورة العنكبوت _ الآية ٤٣.

والمتأمل يجد بين الأمثال والقصص فارقا كبيرا، وإن كان يجمعهما قدر مشترك من تنبيه الذهن إلى أخذ العبرة وقياس الحال على الحال.

وهذا الفارق هو: أن الأمثال لا يشترط في صحتها أن تكون واقعة تاريخية ثابتة، وإنما يشترط فقط إمكان وقوعها، حتى يتسنى للذهن تصورها كما لو أنها وقعت فعلا.. وليس معنى هذا أننا نشترط في الأمثال عدم صحتها في نطاق الواقع التاريخي، إذ ربما ضرب المثل بقصة واقعة، وتسمى القصة عندئذ تمثيلا، لأنها وردت للتمثيل لا للإخبار عنها(١).

❁❁❁❁❁❁

(١) الواضح في علوم القرآن للدكتور مصطفى ديب البغا الميداني الدمشقي الشافعي، عالم سنى سوري، ومن أبرز فقهاء الشافعية فيها، ولد في دمشق في حي الميدان عام ١٩٣٨م ، والدكتور محيي الدين ديب مستو.

الباب الثاني

ضرب الأمثال في القرآن

الأمثال في القرآن

قال تعالى:{وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} (١).

أَيْ وَمَا يَفْهَمهَا وَيَتَدَبَّرهَا إِلَّا الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْم الْمُتَضَلِّعُونَ مِنْهُ، فَعَنْ عَمْرو بْن الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :" عَقَلْت عَنْ رَسُول اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْف مَثَل " (٢).

وَهَذِهِ مَنْقَبَة عَظِيمَة لِعَمْرِو بْن الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَيْثُ يَقُول اللَّهُ تَعَالَى :(وَتِلْكَ الْأَمْثَال نَضْرِبهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ).

وَعَنْ عَمْرو بْن مُرَّة قَالَ: مَا مَرَرْت بِآيَةٍ مِنْ كِتَاب اللَّهُ لَا أَعْرِفهَا إِلَّا أَحْزَنَنِي لِأَنِّي سَمِعْت اللَّهُ تَعَالَى يَقُول" وَتِلْكَ الْأَمْثَال نَضْرِبهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٣)(٤).

وفي الآية دلالة على أن الأمثال شواهد للمعنى المراد وهي خاصية العقل ولبّه وثمرته من عقلها وفهمها يكون من العلماء الربانيين والأتقياء الأنقياء .

---

(١) سورة العنكبوت _ الآية ٤٣ .

(٢) مسند أحمد ابن حنبل مُسْنَدُ الشَّامِيِّينَ بَقِيَّةُ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١٧٥٤٧).

(٣) سورة العنكبوت _ الآية ٤٣ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير لسورة العنكبوت _ الآية ٤٣.

الأول

وصف حال المنافقين

قال تعالى:{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا * وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ * مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ* صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ *أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }(١).

---

(١) سورة البقرة _ الآيات من ٨ : ٢٠.

فَضَرَبَ لِلْمُنَافِقِينَ بِحَسْبِ حَالِهِمْ مَثَلَيْنِ: مَثَلًا نَارِيًّا، وَمَثَلًا مَائِيًّا، لِمَا فِي النَّارِ وَالْمَاءِ مِنْ الْإِضَاءَةِ وَالْإِشْرَاقِ وَالْحَيَاةِ؛ فَإِنَّ النَّارَ مَادَّةُ النُّورِ، وَالْمَاءَ مَادَّةُ الْحَيَاةِ، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ الْوَحْيَ الَّذِي أَنْزَلَهُ مِنْ السَّمَاءِ مُتَضَمِّنًا لِحَيَاةِ الْقُلُوبِ وَاسْتِنَارَتِهَا، وَلِهَذَا سَمَّاهُ رُوحًا وَنُورًا، وَجَعَلَ قَابِلِيهِ أَحْيَاءَ فِي النُّورِ، وَمَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِهِ رَأْسًا أَمْوَاتًا فِي الظُّلُمَاتِ، وَأَخْبَرَ عَنْ حَالِ الْمُنَافِقِينَ بِالنِّسْبَةِ إلَى حَظِّهِمْ مِنْ الْوَحْيِ وَأَنَّهُمْ بِمَنْزِلَةِ مَنْ اسْتَوْقَدَ نَارًا لِتُضِيءَ لَهُ وَيَنْتَفِعَ بِهَا، وَهَذَا لِأَنَّهُمْ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ فَاسْتَضَاءُوا بِهِ، وَانْتَفَعُوا بِهِ، وَآمَنُوا بِهِ، وَخَالَطُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَكِنْ لَمَّا لَمْ يَكُنْ لِصُحْبَتِهِمْ مَادَّةٌ مِنْ قُلُوبِهِمْ مِنْ نُورِ الْإِسْلَامِ طَفِئَ عَنْهُمْ، وَذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ، وَلَمْ يَقُلْ بِنَارِهِمْ؛ فَإِنَّ النَّارَ فِيهَا الْإِضَاءَةُ وَالْإِحْرَاقُ، فَذَهَبَ اللهُ بِمَا فِيهَا مِنْ الْإِضَاءَةِ، وَأَبْقَى عَلَيْهِمْ مَا فِيهَا مِنْ الْإِحْرَاقِ، وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ، فَهَذَا حَالُ مَنْ أَبْصَرَ ثُمَّ عَمِيَ، وَعَرَفَ ثُمَّ أَنْكَرَ، وَدَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ ثُمَّ فَارَقَهُ بِقَلْبِهِ، فَهُوَ لَا يَرْجِعُ إلَيْهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: { فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ } ثُمَّ ذَكَرَ حَالَهُمْ بِالنِّسْبَةِ إلَى الْمَثَلِ الْمَائِيِّ، فَشَبَّهَهُمْ بِأَصْحَابِ صَيِّبٍ - وَهُوَ الْمَطَرُ الَّذِي يُصَوَّبُ أَيْ يَنْزِلُ مِنْ السَّمَاءِ - فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ، فَلِضَعْفِ بَصَائِرِهِمْ وَعُقُولِهِمْ اشْتَدَّتْ عَلَيْهِمْ زَوَاجِرُ الْقُرْآنِ وَوَعِيدُهُ وَتَهْدِيدُهُ وَأَوَامِرُهُ وَنَوَاهِيهِ وَخِطَابُهُ الَّذِي يُشْبِهُ الصَّوَاعِقَ، فَحَالُهُمْ كَحَالِ مَنْ أَصَابَهُ مَطَرٌ فِيهِ ظُلْمَةٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ، فَلِضَعْفِهِ وَخَوْرِهِ جَعَلَ أُصْبُعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ، وَغَمَضَ عَيْنَيْهِ خَشْيَةً مِنْ صَاعِقَةٍ تُصِيبُهُ (١).

---

(١) إعلام الموقعين لابن القيم.

الثاني

ثواب النفقة

قال تعالى:{ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (١).

شَبَّهَ سُبْحَانَهُ نَفَقَةَ الْمُنْفِقِ فِي سَبِيلِهِ، سَوَاءٌ كَانَ الْمُرَادُ بِهِ الْجِهَادُ أَوْ جَمِيعُ سُبُلِ الْخَيْرِ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، بِمَنْ بَذَرَ بَذْرًا فَأَنْبَتَتْ كُلُّ حَبَّةٍ مِنْهُ سَبْعَ سَنَابِلَ اشْتَمَلَتْ كُلُّ سُنْبُلَةٍ عَلَى مِائَةِ حَبَّةٍ، وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ فَوْقَ ذَلِكَ بِحَسْبِ حَالِ الْمُنْفِقِ وَإِيمَانِهِ وَإِخْلَاصِهِ وَإِحْسَانِهِ وَنَفْعِ نَفَقَتِهِ وَقَدْرِهَا وَوُقُوعِهَا مَوْقِعَهَا؛ فَإِنَّ ثَوَابَ الْإِنْفَاقِ يَتَفَاوَتُ بِحَسَبِ مَا يَقُومُ بِالْقَلْبِ مِنْ الْإِيمَانِ وَالْإِخْلَاصِ وَالتَّثْبِيتِ عِنْدَ النَّفَقَةِ، وَهُوَ إخْرَاجُ الْمَالِ بِقَلْبٍ ثَابِتٍ قَدْ انْشَرَحَ صَدْرُهُ بِإِخْرَاجِهِ، وَسَمَحَتْ بِهِ نَفْسُهُ، وَخَرَجَ مِنْ قَلْبِهِ خُرُوجَهُ مِنْ يَدِهِ، فَهُوَ ثَابِتُ الْقَلْبِ عِنْدَ إخْرَاجِهِ، غَيْرُ جَزِعٍ وَلَا هَلِعٍ وَلَا مُتْبِعِهِ نَفْسَهُ تَرْجُفُ يَدُهُ وَفُؤَادُهُ، وَيَتَفَاوَتُ بِحَسْبِ نَفْعِ الْإِنْفَاقِ وَمَصَارِفِهِ بِمَوَاقِعِهِ، وَبِحَسْبِ طِيبِ الْمُنْفِقِ وَزَكَاتِهِ وَتَحْتَ هَذَا الْمَثَلِ مِنْ الْفِقْهِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ شَبَّهَ الْإِنْفَاقَ بِالْبَذْرِ.

فَالْمُنْفِقُ مَالَهُ الطَّيِّبَ لِلَّهِ لَا لِغَيْرِهِ بَاذِرٌ مَالَهُ فِي أَرْضٍ زَكِيَّةٍ، فَمُغِلُّهُ بِحَسْبِ بَذْرِهِ وَطِيبِ أَرْضِهِ وَتَعَاهُدِ الْبَذْرِ بِالسَّقْيِ وَنَفْيِ الدَّغَلِ وَالنَّبَاتِ الْغَرِيبِ عَنْهُ، فَإِذَا

---

(١) سورة البقرة _ الآية ٣٦١.

اجْتَمَعَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ وَلَمْ تُحْرِقْ الزَّرْعَ نَارٌ وَلَا لَحِقَتْهُ جَائِحَةٌ جَاءَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، وَكَانَ مَثَلُهُ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ وَهِيَ الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ الَّذِي تَكُونُ الْجَنَّةُ فِيهِ نُصْبَ الشَّمْسِ وَالرِّيَاحِ فَتَتَرَبَّى الْأَشْجَارُ هُنَاكَ أَتَمَّ تَرْبِيَةٍ فَنَزَلَ عَلَيْهَا مِنْ السَّمَاءِ مَطَرٌ عَظِيمُ الْقَطْرِ مُتَتَابِعٌ فَرَوَاهَا وَتَمَّاهَا فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْ مَا يُؤْتِيهِ غَيْرُهَا بِسَبَبِ ذَلِكَ الْوَابِلِ، فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ: مَطَرٌ صَغِيرُ الْقَطْرِ، يَكْفِيهَا لِكَرَمِ مَنْبَتِهَا؛ يَزْكُو عَلَى الظَّلِّ وَيَنْمِي عَلَيْهِ، مَعَ أَنَّ فِي ذِكْرِ نَوْعَيْ الْوَابِلِ وَالطَّلِّ إِشَارَةً إِلَى نَوْعَيْ الْإِنْفَاقِ الْكَثِيرِ وَالْقَلِيلِ.

فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ إِنْفَاقُهُ وَابِلًا وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِنْفَاقُهُ طَلًّا، وَاللَّهُ لَا يُضِيعُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، فَإِنْ عَرَضَ لِهَذَا الْعَامِلِ مَا يُغْرِقُ أَعْمَالَهُ وَيُبْطِلُ حَسَنَاتِهِ كَانَ بِمَنْزِلَةِ رَجُلٍ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ اسْتِيفَاءِ الْأَعْمَالِ وَإِحْرَازِ الْأُجُورِ وَجَدَ هَذَا الْعَامِلُ عَمَلَهُ قَدْ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ صَاحِبَ هَذِهِ الْجَنَّةِ، فَحَسْرَتُهُ حِينَئِذٍ أَشَدُّ مِنْ حَسْرَةِ هَذَا عَلَى جَنَّتِهِ.

فَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي الْحَسْرَةِ لِسَلْبِ النِّعْمَةِ عِنْدَ شِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا مَعَ عِظَمِ قَدْرِهَا وَمَنْفَعَتِهَا، وَالَّذِي ذَهَبَتْ عَنْهُ قَدْ أَصَابَهُ الْكِبَرُ وَالضَّعْفُ فَهُوَ أَحْوَجُ مَا كَانَ إِلَى نِعْمَتِهِ، وَمَعَ هَذَا فَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى نَفْعِهِ وَالْقِيَامِ بِمَصَالِحِهِ، بَلْ هُمْ فِي عِيَالِهِ فَحَاجَتُهُ إِلَى نِعْمَتِهِ حِينَئِذٍ أَشَدُّ مَا كَانَتْ لِضَعْفِهِ وَضَعْفِ ذُرِّيَّتِهِ، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ هَذَا إِذَا كَانَ لَهُ بُسْتَانٌ عَظِيمٌ فِيهِ مِنْ جَمِيعِ

الْفَوَاكِهِ وَالثَّمَرِ، وَسُلْطَانُ ثَمَرِهِ أَجَلُّ الْفَوَاكِهِ وَأَنْفَعُهَا، وَهُوَ ثَمَرُ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ، فَمُغَلَّهُ يَقُومُ بِكِفَايَتِهِ وَكِفَايَةِ ذُرِّيَّتِهِ، فَأَصْبَحَ يَوْمًا وَقَدْ وَجَدَهُ مُحْتَرِقًا كُلَّهُ كَالصَّرِيمِ، فَأَيُّ حَسْرَةٍ أَعْظَمُ مِنْ حَسْرَتِهِ؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَذَا مَثَلُ الَّذِي يُخْتَمُ لَهُ بِالْفَسَادِ فِي آخِرِ عُمْرِهِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هَذَا مَثَلُ الْمُفَرِّطِ فِي طَاعَةِ اللهِ حَتَّى يَمُوتَ، وَقَالَ السُّدِّيُّ: هَذَا مَثَلُ الْمُرَائِي فِي نَفَقَتِهِ الَّذِي يُنْفِقُ لِغَيْرِ اللهِ، يَنْقَطِعُ عَنْهُ نَفْعُهَا أَحْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَيْهِ، وَسَأَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الصَّحَابَةَ يَوْمًا عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالُوا: اللهُ أَعْلَمُ، فَغَضِبَ عُمَرُ، وَقَالَ: قُولُوا نَعْلَمُ أَوْ لَا نَعْلَمُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فِي نَفْسِي مِنْهَا شَيْءٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: قُلْ يَا ابْنَ أَخِي وَلَا تُحَقِّرْ نَفْسَك، قَالَ: ضَرَبَ مَثَلًا لِعَمَلٍ، قَالَ: لِأَيِّ عَمَلٍ؟ لِرَجُلٍ غَنِيٍّ يَعْمَلُ بِالْحَسَنَاتِ ثُمَّ بَعَثَ اللهُ لَهُ الشَّيْطَانَ فَعَمِلَ بِالْمَعَاصِي حَتَّى أَغْرَقَ أَعْمَالَهُ كُلَّهَا؛ قَالَ الْحَسَنُ: هَذَا مَثَلٌ قَلَّ وَاللهِ مَنْ يَعْقِلُهُ مِنَ النَّاسِ، شَيْخٌ كَبِيرٌ ضَعُفَ جِسْمُهُ وَكَثُرَ صِبْيَانُهُ أَفْقَرُ مَا كَانَ إِلَى جَنَّتِهِ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ وَاللهِ أَفْقَرُ مَا يَكُونُ إِلَى عَمَلِهِ إِذَا انْقَطَعَتْ عَنْهُ الدُّنْيَا.

الثالث

شبه العالم التارك للعمل بعلمه بالكلب

قال تَعَالَى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ

فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}(١) .

فَشَبَّهَ سُبْحَانَهُ مَنْ آتَاهُ كِتَابَهُ وَعَلَّمَهُ الْعِلْمَ الَّذِي مَنَعَهُ غَيْرَهُ، فَتَرَكَ الْعَمَلَ بِهِ، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَآثَرَ سَخَطَ اللهِ عَلَى رِضَاهُ، وَدُنْيَاهُ عَلَى آخِرَتِهِ، وَالْمَخْلُوقَ عَلَى الْخَالِقِ؛ بِالْكَلْبِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَخْبَثِ الْحَيَوَانَاتِ، وَأَوْضَعِهَا قَدْرًا، وَأَخَسِّهَا نَفْسًا، وَهِمَّتُهُ لَا تَتَعَدَّى بَطْنُهُ، وَأَشَدُّهَا شَرُّهَا وَحِرْصًا، وَمِنْ حِرْصِهِ أَنَّهُ لَا يَمْشِي إِلَّا وَخَطْمُهُ فِي الْأَرْضِ يَتَشَمَّمُ وَيَسْتَرْوِحُ حِرْصًا وَشَرَهًا، وَلَا يَزَالُ يَشُمُّ دُبُرَهُ دُونَ سَائِرِ أَجْزَائِهِ، وَإِذَا رَمَيْت إِلَيْهِ بِحَجَرٍ رَجَعَ إِلَيْهِ لِيَعَضَّهُ مِنْ فَرَطِ نَهْمَتِهِ، وَهُوَ مِنْ أَمْهَنِ الْحَيَوَانَاتِ، وَأَحْمَلِهَا لِلْهَوَانِ، وَأَرْضَاهَا بِالدَّنَايَا، وَالْجِيَفُ الْقَذِرَةُ الْمُرَوِّحَةُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ اللَّحْمِ الطَّرِيِّ، وَالْعُذْرَةُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ الْحَلْوَى، وَإِذَا ظَفِرَ بِمَيْتَةٍ تَكْفِي مِائَةَ كَلْبٍ لَمْ يَدَعْ كَلْبًا وَاحِدًا يَتَنَاوَلُ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا هَرَّ عَلَيْهِ وَقَهَرَهُ لِحِرْصِهِ وَبُخْلِهِ وَشَرَهِهِ، وَمِنْ عَجِيبِ أَمْرِهِ وَحِرْصِهِ أَنَّهُ إِذَا رَأَى ذَا هَيْئَةٍ رَثَّةٍ وَثِيَابٍ دَنِيَّةٍ وَحَالٍ زَرِيَّةٍ نَبَحَهُ وَحَمَلَ عَلَيْهِ، كَأَنَّهُ يَتَصَوَّرُ مُشَارَكَتَهُ لَهُ وَمُنَازَعَتَهُ فِي قَوْلَتِهِ، وَإِذَا رَأَى ذَا هَيْئَةٍ حَسَنَةٍ وَثِيَابٍ جَمِيلَةٍ وَرِيَاسَةٍ وَضَعَ لَهُ خَطْمَهُ بِالْأَرْضِ، وَخَضَعَ لَهُ، وَلَمْ يَرْفَعْ إِلَيْهِ رَأْسَهُ.

وَفِي تَشْبِيهِ مَنْ آثَرَ الدُّنْيَا وَعَاجِلَهَا عَلَى اللهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ مَعَ وُفُورِ عِلْمِهِ بِالْكَلْبِ فِي حَالِ لَهَثِهِ سِرٌّ بَدِيعٌ، وَهُوَ أَنَّ هَذَا الَّذِي حَالُهُ مَا ذَكَرَهُ اللهُ مِنْ انْسِلَاخِهِ

---

(١) سورة الأعراف _ الآيتان ١٧٥ ، ١٧٦.

مِنْ آيَاتِهِ وَاتِّبَاعِهِ هَوَاهُ إِنَّمَا كَانَ لِشِدَّةِ لَهَفِهِ عَلَى الدُّنْيَا لِانْقِطَاعِ قَلْبِهِ عَنْ اللهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ فَهُوَ شَدِيدُ اللَّهَفِ عَلَيْهَا، وَلَهَفُهُ نَظِيرُ لَهَفِ الْكَلْبِ الدَّائِمِ فِي حَالِ إِزْعَاجِهِ وَتَرْكِهِ، وَاللَّهَفُ وَاللَّهَثُ شَقِيقَانِ وَأَخَوَانِ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى، قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: الْكَلْبُ مُنْقَطِعُ الْفُؤَادِ، لَا فُؤَادَ لَهُ، إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ، فَهُوَ مَثَلُ الَّذِي يَتْرُكُ الْهُدَى، لَا فُؤَادَ لَهُ، إِنَّمَا فُؤَادُهُ مُنْقَطِعٌ؛ قُلْت: مُرَادُهُ بِانْقِطَاعِ فُؤَادِهِ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ فُؤَادٌ يَحْمِلُهُ عَلَى الصَّبْرِ وَتَرْكِ اللَّهَثِ؛ وَهَكَذَا الَّذِي انْسَلَخَ مِنْ آيَاتِ اللهِ، لَمْ يَبْقَ مَعَهُ فُؤَادٌ يَحْمِلُهُ عَلَى الصَّبْرِ عَنْ الدُّنْيَا وَتَرْكِ اللَّهَفِ عَلَيْهَا، فَهَذَا يَلْهَفُ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ قِلَّةِ صَبْرِهِ عَنْهَا، وَهَذَا يَلْهَثُ مِنْ قِلَّةِ صَبْرِهِ عَنْ الْمَاءِ، فَالْكَلْبُ مِنْ أَقَلِّ الْحَيَوَانَاتِ صَبْرًا عَنْ الْمَاءِ، وَإِذَا عَطِشَ أَكَلَ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ صَبْرٌ عَلَى الْجُوعِ؛ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَهُوَ مِنْ أَشَدِّ الْحَيَوَانَاتِ لَهَثًا، يَلْهَثُ قَائِمًا وَقَاعِدًا وَمَاشِيًا وَوَاقِفًا، وَذَلِكَ لِشِدَّةِ حِرْصِهِ؛ فَحَرَارَةُ الْحِرْصِ فِي كَبِدِهِ تُوجِبُ لَهُ دَوَامَ اللَّهَثِ، فَهَكَذَا مُشْبِهُهُ شِدَّةُ الْحِرْصِ وَحَرَارَةُ الشَّهْوَةِ فِي قَلْبِهِ تُوجِبُ لَهُ دَوَامَ اللَّهَفِ، فَإِنْ حَمَلْت عَلَيْهِ الْمَوْعِظَةَ وَالنَّصِيحَةَ فَهُوَ يَلْهَفُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ وَلَمْ تَعِظْهُ فَهُوَ يَلْهَفُ، قَالَ مُجَاهِدٌ: وَذَلِكَ مَثَلُ الَّذِي أُوتِيَ الْكِتَابَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ الْحِكْمَةَ لَمْ يَحْمِلْهَا، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَهْتَدِ إِلَى خَيْرٍ، كَالْكَلْبِ إِنْ كَانَ رَابِضًا لَهَثَ وَإِنْ طُرِدَ لَهَثَ، وَقَالَ الْحَسَنُ: هُوَ الْمُنَافِقُ لَا يَثْبُتُ عَلَى الْحَقِّ، دُعِيَ أَوْ لَمْ يُدْعَ، وُعِظَ أَوْ لَمْ يُوعَظْ، كَالْكَلْبِ يَلْهَثُ طُرِدَ أَوْ تُرِكَ.

وَقَالَ عَطَاءٌ: يَنْبَحُ إنْ حَمَلْت عَلَيْهِ أَوْ لَمْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ، وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ قُتَيْبَةَ: كُلُّ شَيْءٍ يَلْهَثُ فَإِنَّمَا يَلْهَثُ مِنْ إعْيَاءٍ أَوْ عَطَشٍ إلَّا الْكَلْبَ فَإِنَّهُ يَلْهَثُ فِي حَالِ الْكَلَالِ وَحَالِ الرَّاحَةِ وَحَالِ الصِّحَّةِ وَحَالِ الْمَرَضِ وَالْعَطَشِ، فَضَرَبَهُ اللهُ مَثَلًا لِمَنْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ، وَقَالَ: إنْ وَعَظْتَهُ فَهُوَ ضَالٌّ وَإِنْ تَرَكْتَهُ فَهُوَ ضَالٌّ كَالْكَلْبِ إنْ طَرَدْتَهُ لَهَثَ وَإِنْ تَرَكْتَهُ عَلَى حَالِهِ لَهَثَ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: {وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ}(١).

وَتَأَمَّلْ مَا فِي هَذَا الْمَثَلِ مِنْ الْحُكْمِ وَالْمَعْنَى: فَمِنْهَا قَوْلُهُ: {آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا} فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاهُ آيَاتِهِ، فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ، وَاللهُ هُوَ الَّذِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِ، فَأَضَافَهَا إلَى نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: {فَانْسَلَخَ مِنْهَا} أَيْ خَرَجَ مِنْهَا كَمَا تَنْسَلِخُ الْحَيَّةُ مِنْ جِلْدِهَا، وَفَارَقَهَا فِرَاقَ الْجِلْدِ يُسْلَخُ عَنْ اللَّحْمِ، وَلَمْ يَقُلْ فَسَلَخْنَاهُ مِنْهَا لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي تَسَبَّبَ إلَى انْسِلَاخِهِ مِنْهَا بِاتِّبَاعِ هَوَاهُ.

وَمِنْهَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: {فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ} أَيْ لَحِقَهُ وَأَدْرَكَهُ كَمَا قَالَ فِي قَوْمِ فِرْعَوْنَ: {فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ}(٢)وَكَانَ مَحْفُوظًا مَحْرُوسًا بِآيَاتِ اللهِ، مَحْمِيَّ الْجَانِبِ بِهَا مِنْ الشَّيْطَانِ، لَا يَنَالُ مِنْهُ شَيْئًا إلَّا عَلَى غِرَّةٍ وَخَطْفَةٍ، فَلَمَّا انْسَلَخَ مِنْ آيَاتِ اللهِ ظَفِرَ بِهِ الشَّيْطَانُ ظَفَرَ الْأَسَدِ بِفَرِيسَتِهِ، فَكَانَ مِنْ الْغَاوِينَ الْعَامِلِينَ بِخِلَافِ عَمَلِهِمْ، الَّذِينَ يَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَيَعْمَلُونَ بِخِلَافِهِ، كَعُلَمَاءِ السُّوءِ، وَمِنْهَا

---

(١) سورة الأعراف _ الآية ١٩٣.

(٢) سورة الشعراء _ الآية ٦٠.

أَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَالَ: {وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا} فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الرِّفْعَةَ عِنْدَهُ لَيْسَتْ بِمُجَرَّدِ الْعِلْمِ، فَإِنَّ هَذَا كَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَإِنَّمَا هِيَ بِاتِّبَاعِ الْحَقِّ وَإِيثَارِهِ وَقَصْدِ مَرْضَاةِ اللهِ.

فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ مِنْ أَعْلَمِ أَهْلِ زَمَانِهِ، وَلَمْ يَرْفَعْهُ اللهُ بِعِلْمِهِ وَلَمْ يَنْفَعْهُ بِهِ فَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَرْفَعُ عَبْدَهُ إِذَا شَاءَ بِمَا آتَاهُ مِنَ الْعِلْمِ، وَإِنْ لَمْ يَرْفَعْهُ اللهُ فَهُوَ مَوْضُوعٌ لَا يَرْفَعُ أَحَدٌ بِهِ رَأْسًا، فَإِنَّ الْخَافِضَ الرَّافِعَ سُبْحَانَهُ خَفَضَهُ وَلَمْ يَرْفَعْهُ، وَالْمَعْنَى لَوْ شِئْنَا فَضَّلْنَاهُ وَشَرَّفْنَاهُ وَرَفَعْنَا قَدْرَهُ وَمَنْزِلَتَهُ بِالْآيَاتِ الَّتِي آتَيْنَاهُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِعَمَلِهِ بِهَا، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: {لَرَفَعْنَاهُ} عَائِدٌ عَلَى الْكُفْرِ، وَالْمَعْنَى لَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَا عَنْهُ الْكُفْرَ بِمَا مَعَهُ مِنْ آيَاتِنَا، قَالَ مُجَاهِدٌ وَعَطَاءٌ: لَرَفَعْنَا عَنْهُ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ وَعَصَمْنَاهُ؛ وَهَذَا الْمَعْنَى حَقٌّ، وَالْأَوَّلُ هُوَ مُرَادُ الْآيَةِ، وَهَذَا مِنْ لَوَازِمِ الْمُرَادِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ السَّلَفَ كَثِيرًا مَا يُنَبِّهُونَ عَلَى لَازِمِ مَعْنَى الْآيَةِ فَيَظُنُّ الظَّانُّ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمُرَادُ مِنْهَا: وَقَوْلُهُ: {وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ} قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: رَكَنَ إِلَى الْأَرْضِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: سَكَنَ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: رَضِيَ بِالدُّنْيَا، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: لَزِمَهَا وَأَبْطَأَ، وَالْمُخْلِدُ مِنَ الرِّجَالِ: هُوَ الَّذِي يُبْطِئُ مِشْيَتَهُ، وَمِنَ الدَّوَابِّ: الَّتِي تَبْقَى ثَنَايَاهُ إِلَى أَنْ تَخْرُجَ رُبَاعِيَّتُهُ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: خَلَدَ وَأَخْلَدَ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْخُلُودِ وَهُوَ الدَّوَامُ وَالْبَقَاءُ، وَيُقَالُ: أَخْلَدَ فُلَانٌ بِالْمَكَانِ، إِذَا أَقَامَ بِهِ، قَالَ مَالِكُ بْنُ نُوَيْرَةَ:

بِأَبْنَاءِ حَيٍّ مِنْ قَبَائِلِ مَالِكٍ ... وَعَمْرِو بْنِ يَرْبُوعٍ أَقَامُوا فَأَخْلَدُوا

قُلْت: وَمِنْهُ قَوْله تَعَالَى: {يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ}(١) أَيْ قَدْ خُلِقُوا لِلْبَقَاءِ؛ لِذَلِكَ لَا يَتَغَيَّرُونَ وَلَا يَكْبَرُونَ، وَهُمْ عَلَى سِنٍّ وَاحِدٍ أَبَدًا؛ وَقِيلَ: هُمْ الْمُقَرَّطُونَ فِي آذَانِهِمْ وَالْمُسَوَّرُونَ فِي أَيْدِيهِمْ.

الرابع

الحياة الدنيا

قال تعالى:{ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }(٢).

شَبَّهَ سُبْحَانَهُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي أَنَّهَا تَتَزَيَّنُ فِي عَيْنِ النَّاظِرِ فَتَرُوقُهُ بِزِينَتِهَا وَتُعْجِبُهُ فَيَمِيلُ إِلَيْهَا وَيَهْوَاهَا اغْتِرَارًا مِنْهُ بِهَا، حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ مَالِكٌ لَهَا قَادِرٌ عَلَيْهَا سُلِبَهَا بَغْتَةً أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَيْهَا، وَحِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا، فَشَبَّهَهَا بِالْأَرْضِ الَّتِي يَنْزِلُ الْغَيْثُ عَلَيْهَا فَتُعْشِبُ وَيَحْسُنُ نَبَاتُهَا وَيَرُوقُ مَنْظَرُهَا لِلنَّاظِرِ، فَيَغْتَرَّ بِهِ، وَيَظُنَّ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَيْهَا، مَالِكٌ لَهَا، فَيَأْتِيهَا أَمْرُ اللهِ فَتُدْرِكُ نَبَاتَهَا الْآفَةُ بَغْتَةً، فَتُصْبِحُ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ قَبْلُ، فَيَخِيبُ ظَنُّهُ، وَتُصْبِحُ يَدَاهُ صِفْرًا مِنْهَا: فَكَذَا حَالُ الدُّنْيَا وَالْوَاثِقُ بِهَا سَوَاءٌ؛

---

(١) سورة الواقعة _ الآية ١٧.

(٢) سورة يونس _ الآية ٢٤.

وَهَذَا مِنْ أَبْلَغِ التَّشْبِيهِ وَالْقِيَاسِ، وَلَمَّا كَانَتْ الدُّنْيَا عُرْضَةً لِهَذِهِ الْآفَاتِ، وَالْجَنَّةُ سَلِيمَةً مِنْهَا قَالَ:{ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }(١) فَسَمَّاهَا هُنَا دَارَ السَّلَامِ لِسَلَامَتِهَا مِنْ هَذِهِ الْآفَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي الدُّنْيَا، فَعَمَّ بِالدَّعْوَةِ إِلَيْهَا، وَخَصَّ بِالْهِدَايَةِ مَنْ يَشَاءُ، فَذَاكَ عَدْلُهُ وَهَذَا فَضْلُهُ (٢).

لماذا شبه الدنيا بالماء؟

١. قِيَل: لِأَن الْمَاء لَيْس لَه قَرَار، وَكَذَلِك الدُّنْيَا.

٢. وَقِيْل: لِأَن الْمَاء إِن أَمْسَكْتَه تَغَيَّر وَنَتْن.. وَكَذَلِك الدُّنْيَا لِمَن أَمْسَكَهَا بَلِيَّة.

٣. وَقِيْل: لِأَن الْمَاء يَأْتِي قَطْرَة قَطْرَة.. وَيُذْهِب دُفْعَة وَاحِدَة وَكَذَلِك الدُّنْيَا.

٤. وَالْمَاء طَبْعُه النُّقْصَان..كَذَلِك الدُّنْيَا.

٥. الْمَاء يَكُوْن فِي مَوْضِع كَثِيْر.. وَفِي مَوْضِع قَلِيْل كَذَلِك الدُّنْيَا.

٦. لَا يَقْدِر أَحَد أَن يَرُد الْمَطَر.. كَذَلِك لَا يَقْدِر أَحَد أَن يَرُد الرِّزْق.

٧. الْمَاء قَلِيْلُه رَي لِلْعَطْشَان وَكَثِيْرِه دَاء.. كَذَلِك الدُّنْيَا.

٨. الزَّرْع يُفْسِد بِالْمَاء الْكَثِيْر.. كَذَلِك الْقَلْب يُفْسِد بِالْمَال الْكَثِيْر.. كَذَلِك الْمَال فِيْه الْحَلَال وَالْحَرَام وَالشُّبْهَة.

٩. الْمَاء يُطَهِّر النَّجَاسَات.. كَذَلِك الْمَال الطَّيِّب الْحَلَال يُطَهِّر دَنَس الْآثَام .

---

(١) سورة يونس _ الآية ٢٥.

(٢) المرجع السابق.

وَعَلَى الجُمْلَة فَإِن هَذَا التَّشْبِيْه يُفِيْد أَن: كَلًّا مِن المُشَبَّه وَالمُشَبَّه بِه (الْدُّنْيَا وَالْمَاء) إِذَا نَزَل وَأَثْمَر ثَمَرَتُه يَمْكُث مَا شَاء اللهُ وَهُو فِي إِقْبَال وَبَرَكَة ثُم عَمَّا قَلِيْل يَضْمَحِل وَيَزُوْل وَالْعِلْم عِنْد اللهِ تَعَالَى .

وقال تعالى:{ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا }(١).

يَقُول تَعَالَى " وَاضْرِبْ " يَا مُحَمَّد لِلنَّاسِ مَثَل الْحَيَاة الدُّنْيَا فِي زَوَالهَا وَفَنَائِهَا وَانْقِضَائِهَا " كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَات الْأَرْض " أَيْ مَا فِيهَا مِنْ الْحُبّ فَشَبَّ وَحَسُنَ وَعَلَاهُ الزَّهْر وَالنَّوْر وَالنَّضْرَة ثُمَّ بَعْد هَذَا كُلّه " أَصْبَحَ هَشِيمًا " يَابِسًا " تَذْرُوهُ الرِّيَاح " أَيْ تُفَرِّقهُ وَتَطْرَحهُ ذَات الْيَمِين وَذَات الشِّمَال " وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلّ شَيْء مُقْتَدِرًا " أَيْ هُوَ قَادِر عَلَى هَذِهِ الْحَال وَهَذِهِ الْحَال وَكَثِيرًا مَا يَضْرِب اللهُ مَثَل الْحَيَاة الدُّنْيَا بِهَذَا الْمَثَل كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَة يُونُس: " إِنَّمَا مَثَل الْحَيَاة الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَات الْأَرْض مِمَّا يَأْكُل النَّاس وَالْأَنْعَام " الْآيَة وَقَالَ فِي الزُّمَر " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنْ السَّمَاء مَاء فَسَلَكَهُ يَنَابِيع فِي الْأَرْض ثُمَّ يُخْرِج بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانه " الْآيَة وَقَالَ فِي سُورَة الْحَدِيد " اِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاة الدُّنْيَا لَعِب وَلَهْو وَزِينَة وَتَفَاخُر بَيْنكُمْ وَتَكَاثُر فِي الْأَمْوَال وَالْأَوْلَاد كَمَثَلِ غَيْث أَعْجَبَ الْكُفَّار نَبَاته " وَفِي الْحَدِيث الصَّحِيح " الدُّنْيَا خَضِرَة حُلْوَة "(٢).

---

(١) سورة الكهف _ الآية ٤٥.

(٢) تفسير ابن كثير.

الخامس

وصف الكفار

قال تعالى:{ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ }(١).

فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ ذَكَرَ الْكُفَّارَ، وَوَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ، ثُمَّ ذَكَرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَصَفَهُمْ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْإِخْبَاتِ إِلَى رَبِّهِمْ، فَوَصَفَهُمْ بِعُبُودِيَّةِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، وَجَعَلَ أَحَدَ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ مِنْ حَيْثُ كَانَ قَلْبُهُ أَعْمَى عَنْ رُؤْيَةِ الْحَقِّ أَصَمَّ عَنْ سَمَاعِهِ؛ فَشَبَّهَهُ بِمَنْ بَصَرُهُ أَعْمَى عَنْ رُؤْيَةِ الْأَشْيَاءِ وَسَمْعُهُ أَصَمُّ عَنْ سَمَاعِ الْأَصْوَاتِ، وَالْفَرِيقُ الْآخَرُ بَصِيرُ الْقَلْبِ سَمِيعُهُ، كَبَصِيرِ الْعَيْنِ وَسَمِيعِ الْأُذُنِ؛ فَتَضَمَّنَتْ الْآيَةُ قِيَاسَيْنِ وَتَمْثِيلَيْنِ لِلْفَرِيقَيْنِ، ثُمَّ نَفَى التَّسْوِيَةَ عَنْ الْفَرِيقَيْنِ بِقَوْلِهِ:{هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا}(٢).

---

(١) سورة هود _ الآية ٢٤.

(٢) إعلام الموقعين لابن القيم.

السادس

حياة القلوب

قال تعالى:{ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ }(١).

شَبَّهَ الْوَحْيَ الَّذِي أَنْزَلَهُ لِحَيَاةِ الْقُلُوبِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ بِالْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلَهُ لِحَيَاةِ الْأَرْضِ بِالنَّبَاتِ، وَشَبَّهَ الْقُلُوبَ بِالْأَوْدِيَةِ، فَقَلْبٌ كَبِيرٌ يَسَعُ عِلْمًا عَظِيمًا كَوَادٍ كَبِيرٍ يَسَعُ مَاءً كَثِيرًا وَقَلْبٌ صَغِيرٌ إِنَّمَا يَسَعُ يَحْسِبُهُ كَالْوَادِي الصَّغِيرِ، فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا، وَاحْتَمَلَتْ قُلُوبٌ مِنْ الْهُدَى وَالْعَمَلِ بِقَدَرِهَا؛ وَكَمَا أَنَّ السَّيْلَ إذَا خَالَطَ الْأَرْضَ وَمَرَّ عَلَيْهَا احْتَمَلَ غُثَاءً وَزَبَدًا فَكَذَلِكَ الْهُدَى وَالْعِلْمُ إذَا خَالَطَ الْقُلُوبَ أَثَارَ مَا فِيهَا مِنْ الشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ لِيُقْلِعَهَا وَيُذْهِبَهَا كَمَا يُثِيرُ الدَّوَاءُ وَقْتَ شُرْبِهِ مِنْ الْبَدَنِ أَخْلَاطَهُ فَيَتَكَدَّرُ بِهَا شَارِبُهُ، وَهِيَ مِنْ تَمَامِ نَفْعِ الدَّوَاءِ، فَإِنَّهُ أَثَارَهَا لِيُذْهِبَ بِهَا، فَإِنَّهُ لَا يُجَامِعُهَا وَلَا يُشَارِكُهَا؛ وَهَكَذَا يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ، ثُمَّ ذَكَرَ الْمَثَلَ النَّارِيَّ فَقَالَ: {وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ}وَهُوَ الْخَبَثُ الَّذِي يَخْرُجُ عِنْدَ سَبْكِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ

---

(١) سورة الرعد _ الآية ١٧ .

وَالْحَدِيدِ فَتُخْرِجُهُ النَّارُ وَتُمَيِّزُهُ وَتَفْصِلُهُ عَنْ الْجَوْهَرِ الَّذِي يُنْتَفَعُ بِهِ فَيُرْمَى وَيُطْرَحُ وَيَذْهَبُ جُفَاءً؛ فَكَذَلِكَ الشَّهَوَاتُ وَالشُّبُهَاتُ يَرْمِيهَا قَلْبُ الْمُؤْمِنِ وَيَطْرَحُهَا وَيَجْفُوهَا كَمَا يَطْرَحُ السَّيْلُ وَالنَّارُ ذَلِكَ الزَّبَدَ وَالْغُثَاءَ وَالْخَبَثَ، وَيَسْتَقِرُّ فِي قَرَارِ الْوَادِي الْمَاءُ الصَّافِي الَّذِي يَسْتَقِي مِنْهُ النَّاسُ وَيَزْرَعُونَ وَيَسْقُونَ أَنْعَامَهُمْ، كَذَلِكَ يَسْتَقِرُّ فِي قَرَارِ الْقَلْبِ وَجَذْرِهِ الْإِيمَانُ الْخَالِصُ الصَّافِي الَّذِي يَنْفَعُ صَاحِبَهُ وَيَنْتَفِعُ بِهِ غَيْرُهُ؛ وَمَنْ لَمْ يَفْقَهْ هَذَيْنِ الْمَثَلَيْنِ وَلَمْ يَتَدَبَّرْهُمَا وَيَعْرِفْ مَا يُرَادُ مِنْهُمَا فَلَيْسَ مِنْ أَهْلِهِمَا(١).

السابع

مثل الكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة

قَال تَعَالَى: { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ* تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} (٢).

فَشَبَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ بِالشَّجَرَةِ الطَّيِّبَةِ؛ لِأَنَّ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ تُثْمِرُ الْعَمَلَ الصَّالِحَ، وَالشَّجَرَةَ الطَّيِّبَةَ تُثْمِرُ الثَّمَرَ النَّافِعَ.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) سورة إبراهيم _ الآيتين ٢٤، ٢٥.

والْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ هِيَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، فَإِنَّهَا تُثْمِرُ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، فَكُلُّ عَمَلٍ صَالِحٍ مَرْضِيٍّ للهِ ثَمَرَةُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ وَهُوَ الْمُؤْمِنُ، أَصْلُهَا ثَابِتٌ قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ، وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ يَقُولُ يُرْفَعُ بِهَا عَمَلُ الْمُؤْمِنِ إِلَى السَّمَاءِ .

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ هَذَا مَثَلُ الْإِيمَانِ؛ فَالْإِيمَانُ الشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ. وَأَصْلُهَا الثَّابِتُ الَّذِي لَا يَزُولُ الْإِخْلَاصُ فِيهِ، وَفَرْعُهُ فِي السَّمَاءِ خَشْيَةُ اللهِ " وَالتَّشْبِيهُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ أَصَحُّ وَأَظْهَرُ وَأَحْسَنُ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ شَبَّهَ شَجَرَةَ التَّوْحِيدِ فِي الْقَلْبِ بِالشَّجَرَةِ الطَّيِّبَةِ الثَّابِتَةِ الْأَصْلِ الْبَاسِقَةِ الْفَرْعِ فِي السَّمَاءِ عُلُوًّا، الَّتِي لَا تَزَالُ تُؤْتِي ثَمَرَتَهَا كُلَّ حِينٍ، وَإِذَا تَأَمَّلْت هَذَا التَّشْبِيهَ رَأَيْتَهُ مُطَابِقًا لِشَجَرَةِ التَّوْحِيدِ الثَّابِتَةِ الرَّاسِخَةِ فِي الْقَلْبِ، الَّتِي فُرُوعُهَا مِنْ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ صَاعِدَةٌ إِلَى السَّمَاءِ، وَلَا تُزَال هَذِهِ الشَّجَرَةُ تُثْمِرُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ كُلَّ وَقْتٍ؛ بِحَسْبِ ثَبَاتِهَا فِي الْقَلْبِ، وَمَحَبَّةِ الْقَلْبِ لَهَا، وَإِخْلَاصِهِ فِيهَا، وَمَعْرِفَتِهِ بِحَقِيقَتِهَا،

وَقِيَامِهِ بِحُقُوقِهَا، وَمُرَاعَاتِهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا، فَمَنْ رَسَخَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي قَلْبِهِ بِحَقِيقَتِهَا الَّتِي هِيَ حَقِيقَتُهَا وَاتَّصَفَ قَلْبُهُ بِهَا وَانْصَبَغَ بِهَا بِصِبْغَةِ اللهِ الَّتِي لَا أَحْسَنَ صِبْغَةً مِنْهَا فَعَرَفَ حَقِيقَةَ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي يُثْبِتُهَا قَلْبُهُ للهِ وَيَشْهَدُ بِهَا لِسَانُهُ وَتُصَدِّقُهَا جَوَارِحُهُ، وَنَفَى تِلْكَ الْحَقِيقَةِ وَلَوَازِمَهَا عَنْ كُلِّ مَا سِوَى اللهِ، وَوَاطَأَ قَلْبُهُ لِسَانَهُ فِي هَذَا النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، وَانْقَادَتْ جَوَارِحُهُ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ

طَائِعَةً سَالِكَةً سُبُلَ رَبِّهِ ذُلُلًا غَيْرَ نَاكِبَةٍ عَنْهَا وَلَا بَاغِيَةٍ سِوَاهَا بَدَلًا كَمَا لَا يَبْتَغِي الْقَلْبُ سِوَى مَعْبُودِهِ الْحَقِّ بَدَلًا.

فَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ مِنْ هَذَا الْقَلْبِ عَلَى هَذَا اللِّسَانِ لَا تَزَالُ تُؤْتِي ثَمَرَتَهَا مِنْ الْعَمَلِ الصَّالِحِ الصَّاعِدِ إِلَى اللهِ كُلَّ وَقْتٍ؛ فَهَذِهِ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ هِيَ الَّتِي رَفَعَتْ هَذَا الْعَمَلَ الصَّالِحَ إِلَى الرَّبِّ تَعَالَى، وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ تُثْمِرُ كَلِمًا كَثِيرًا طَيِّبًا يُقَارِنُهُ عَمَلٌ صَالِحٌ فَيَرْفَعُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}(١) فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ يَرْفَعُ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ، وَأَخْبَرَ أَنَّ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ تُثْمِرُ لِقَائِلِهَا عَمَلًا صَالِحًا كُلَّ وَقْتٍ.

والشَّجَرَةَ لَا تَبْقَى حَيَّةً إِلَّا بِمَادَّةٍ تُسْقِيهَا وَتُنَمِّيهَا، فَإِذَا قُطِعَ عَنْهَا السَّقْيُ أَوْشَكَ أَنْ تَيْبَسَ، فَهَكَذَا شَجَرَةُ الْإِسْلَامِ فِي الْقَلْبِ إِنْ لَمْ يَتَعَاهَدْهَا صَاحِبُهَا بِسَقْيِهَا كُلَّ وَقْتٍ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْعَوْدِ بِالتَّذَكُّرِ عَلَى التَّفْكِيرِ وَالتَّفَكُّرِ عَلَى التَّذَكُّرِ، وَإِلَّا أَوْشَكَ أَنْ تَيْبَسَ، وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنَّ الْإِيمَانَ يَخْلَقُ فِي الْقَلْبِ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ فَجَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ»(٢)(١) وَبِالْجُمْلَةِ فَالْغَرْسُ إِنْ لَمْ

---

(١) سورة فاطر _ الآية ١٠.

(٢) صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٤/ ١١٣ح١٥٨٥)، وفي صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٣٣٠ ح١٥٩٠).

يَتَعَاهَدُهُ صَاحِبُهُ أَوْشَكَ أَنْ يَهْلَكَ، وَمِنْ هُنَا تَعْلَمُ شِدَّةَ حَاجَةِ الْعِبَادِ إِلَى مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ مِنْ الْعِبَادَاتِ عَلَى تَعَاقُبِ الْأَوْقَاتِ وَعَظِيمِ رَحْمَتِهِ وَتَمَامِ نِعْمَتِهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَى عِبَادِهِ بِأَنْ وَظَّفَهَا عَلَيْهَا وَجَعَلَهَا مَادَّةً لِسَقْيِ غِرَاسِ التَّوْحِيدِ الَّذِي غَرَسَهُ فِي قُلُوبِهِمْ.

وَالْغَرْسَ وَالزَّرْعَ النَّافِعَ قَدْ أَجْرَى اللهُ سُبْحَانَهُ الْعَادَةَ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُخَالِطَهُ دَغَلٌ وَنَبْتٌ غَرِيبٌ لَيْسَ مِنْ جِنْسِهِ، فَإِنْ تَعَاهَدَهُ رَبُّهُ وَنَقَّاهُ وَقَلَعَهُ كَمُلَ الْغَرْسُ وَالزَّرْعُ، وَاسْتَوَى، وَتَمَّ نَبَاتُهُ، وَكَانَ أَوْفَرَ لِثَمَرَتِهِ، وَأَطْيَبَ وَأَزْكَى، وَإِنْ تَرَكَهُ أَوْشَكَ أَنْ يَغْلِبَ عَلَى الْغَرْسِ وَالزَّرْعِ، وَيَكُونُ الْحُكْمُ لَهُ، أَوْ يُضْعِفَ الْأَصْلَ وَيَجْعَلَ الثَّمَرَةَ ذَمِيمَةً نَاقِصَةً بِحَسْبِ كَثْرَتِهِ وَقِلَّتِهِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِقْهُ نَفْسٍ فِي هَذَا وَمَعْرِفَةٌ بِهِ فَإِنَّهُ يَفُوتُهُ رِبْحٌ كَبِيرٌ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ؛ فَالْمُؤْمِنُ دَائِمًا سَعْيُهُ فِي شَيْئَيْنِ: سَقْيِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، وَتَنْقِيَةِ مَا حَوْلَهَا، فَبِسَقْيِهَا تَبْقَى وَتَدُومُ وَبِتَنْقِيَةِ مَا حَوْلَهَا تَكْمُلُ وَتَتِمُّ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ.

---

(١)(إن الإيمان ليخلق) أي يكاد أن يبلى (في جوف أحدكم) أيها المؤمنون (كما يخلق الثوب) وصفه على طريق الاستعارة شبه الإيمان بالشيء الذي لا يستمر على هيئته والعبد يتكلم بكلمة الإيمان ثم يدنسها بسوء أفعاله فإذا عاد واعتذر فقد جدد ما أخلق وطهر ما دنس (فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم) حتى لا يكون لقلوبكم وجهة لغيره ولا رغبة لسواه ولهذا قال معاذ لبعض صحبه اجلس بنا نؤمن أي نذكره ذكرا يملأ قلوبنا وكان الصديق يقول كان كذا لا إله إلا الله فقلت كذا لا إله إلا الله فلا يتكلم بكلمة إلا ختمها به (فيض القدير شرح الجامع الصغير).

الثامن

مثل الكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة

قال تعالى: { وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ } (١).

ذَكَرَ سُبْحَانَهُ مَثَلَ الْكَلِمَةِ الْخَبِيثَةِ فَشَبَّهَهَا بِالشَّجَرَةِ الْخَبِيثَةِ الَّتِي اُجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ، فَلَا عِرْقَ ثَابِتٌ، وَلَا فَرْعَ عَالٍ، وَلَا ثَمَرَةَ زَاكِيَةٌ، فَلَا ظِلَّ، وَلَا جَنًى، وَلَا سَاقَ قَائِمٌ، وَلَا عِرْقَ فِي الْأَرْضِ ثَابِتٌ، فَلَا أَسْفَلَهَا مُغْدِقٌ وَلَا أَعْلَاهَا مُونِقٌ، وَلَا جَنَى لَهَا، وَلَا تَعْلُو بَلْ تُعْلَى.

وَإِذَا تَأَمَّلَ اللَّبِيبُ أَكْثَرَ كَلَامِ هَذَا الْخَلْقِ فِي خِطَابِهِمْ وَكَسْبِهِمْ وَجَدَهُ كَذَلِكَ؛ فَالْخُسْرَانُ الْوُقُوفُ مَعَهُ وَالِاشْتِغَالُ بِهِ عَنْ أَفْضَلِ الْكَلَامِ وَأَنْفَعِهِ.

قَالَ الضَّحَّاكُ: ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلْكَافِرِ بِشَجَرَةٍ اُجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ، يَقُولُ: لَيْسَ لَهَا أَصْلٌ وَلَا فَرْعٌ، وَلَيْسَ لَهَا ثَمَرَةٌ، وَلَا فِيهَا مَنْفَعَةٌ، كَذَلِكَ الْكَافِرُ لَا يَعْمَلُ خَيْرًا وَلَا يَقُولُهُ، وَلَا يَجْعَلُ اللهُ فِيهِ بَرَكَةً وَلَا مَنْفَعَةً.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ} وَهِيَ الشِّرْكُ - {كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ} يَعْنِي الْكَافِرَ، {اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ}، يَقُولُ: الشِّرْكُ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ يَأْخُذُ بِهِ الْكَافِرُ وَلَا بُرْهَانٌ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ مَعَ الشِّرْكِ عَمَلًا، فَلَا يُقْبَلُ عَمَلُ

---

(١) سورة إبراهيم _ الآية٢٦.

الْمُشْرِكِ، وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللهِ، فَلَيْسَ لَهُ أَصْلٌ ثَابِتٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فَرْعٌ فِي السَّمَاءِ؛ يَقُولُ: لَيْسَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ فِي السَّمَاءِ وَلَا فِي الْأَرْضِ.

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: مَثَلُ الشَّجَرَةِ الْخَبِيثَةِ مَثَلُ الْكَافِرِ، لَيْسَ لِقَوْلِهِ وَلَا لِعَمَلِهِ أَصْلٌ وَلَا فَرْعٌ، وَلَا يَسْتَقِرُّ قَوْلُهُ وَلَا عَمَلُهُ عَلَى الْأَرْضِ، وَلَا يَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ.

وَقَالَ سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّ رَجُلًا لَقِيَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فَقَالَ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي الْكَلِمَةِ الْخَبِيثَةِ؟ قَالَ: مَا أَعْلَمُ لَهَا فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرًّا وَلَا فِي السَّمَاءِ مِصْعَدًا، إِلَّا أَنْ تَلْزَمَ عُنُقَ صَاحِبِهَا حَتَّى يُوَافَى بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَقَوْلُهُ: {اجْتُثَّتْ} أَيْ اُسْتُؤْصِلَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ، ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنْ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ فِي الْفَرِيقَيْنِ أَصْحَابِ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْكَلِمِ الْخَبِيثِ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ يُثَبِّتُ الَّذِينَ آمَنُوا بِإِيمَانِهِمْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ أَحْوَجَ مَا يَكُونُونَ إِلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنَّهُ يُضِلُّ الظَّالِمِينَ وَهُمْ الْمُشْرِكُونَ عَنْ الْقَوْلِ الثَّابِتِ، فَأَضَلَّ هَؤُلَاءِ بِعَدْلِهِ لِظُلْمِهِمْ، وَثَبَّتَ الْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِهِ لِإِيمَانِهِمْ.

التاسع

الدليل القاطع على بطلان الشرك

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ} (١).

---

(١) سورة الحج ـ الآية ٧٣.

حَقِيقٌ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَنْ يَسْتَمِعَ قَلْبُهُ لِهَذَا الْمَثَلِ، وَيَتَدَبَّرَهُ حَقَّ تَدَبُّرِهِ، فَإِنَّهُ يَقْطَعُ مَوَادَّ الشِّرْكِ مِنْ قَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَعْبُودَ أَقَلُّ دَرَجَاتِهِ أَنْ يَقْدِرَ عَلَى إِيجَادِ مَا يَنْفَعُ عَابِدُهُ وَإِعْدَامِ مَا يَضُرُّهُ، وَالْآلِهَةُ الَّتِي يَعْبُدُهَا الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ تَقْدِرَ عَلَى خَلْقِ الذُّبَابِ وَلَوْ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ لِخَلْقِهِ، فَكَيْفَ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ؟ وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى الِانْتِصَارِ مِنَ الذُّبَابِ إِذَا سَلَبَهُمْ شَيْئًا مِمَّا عَلَيْهِمْ مِنْ طِيبٍ وَنَحْوِهِ فَيَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ، فَلَا هُمْ قَادِرُونَ عَلَى خَلْقِ الذُّبَابِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَضْعَفِ الْحَيَوَانَاتِ وَلَا عَلَى الِانْتِصَارِ مِنْهُ وَاسْتِرْجَاعِ مَا سَلَبَهُمْ إِيَّاهُ، فَلَا أَعْجَزَ مِنْ هَذِهِ الْآلِهَةِ، وَلَا أَضْعَفَ مِنْهَا، فَكَيْفَ يَسْتَحْسِنُ عَاقِلٌ عِبَادَتَهَا مِنْ دُونِ اللهِ؟

وَهَذَا الْمَثَلُ مِنْ أَبْلَغِ مَا أَنْزَلَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي بُطْلَانِ الشِّرْكِ، وَتَجْهِيلِ أَهْلِهِ، وَتَقْبِيحِ عُقُولِهِمْ، وَالشَّهَادَةِ عَلَى أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ تَلَاعَبَ بِهِمْ أَعْظَمَ مِنْ تَلَاعُبِ الصِّبْيَانِ بِالْكُرَةِ حَيْثُ أَعْطَوْا الْإِلَهِيَّةَ الَّتِي مِنْ بَعْضِ لَوَازِمِهَا الْقُدْرَةُ عَلَى جَمِيعِ الْمَقْدُورَاتِ وَالْإِحَاطَةُ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ وَالْغِنَى عَنْ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ وَأَنْ يُصْعَدَ إِلَى الرَّبِّ فِي جَمِيعِ الْحَاجَاتِ وَتَفْرِيجِ الْكُرُبَاتِ وَإِغَاثَةِ اللَّهَفَاتِ وَإِجَابَةِ الدَّعَوَاتِ، فَأَعْطَوْهَا صُوَرًا وَتَمَاثِيلَ يَمْتَنِعُ عَلَيْهَا الْقُدْرَةُ عَلَى أَقَلِّ مَخْلُوقَاتٍ لِآلِهَةِ الْحَقِّ وَأَذَلِّهَا وَأَصْغَرِهَا وَأَحْقَرِهَا، وَلَوْ اجْتَمَعُوا لِذَلِكَ وَتَعَاوَنُوا عَلَيْهِ.

وَأَدَلُّ مِنْ ذَلِكَ عَلَى عَجْزِهِمْ وَانْتِفَاءِ إِلَهِيَّتِهِمْ أَنَّ هَذَا الْخَلْقَ الْأَقَلَّ الْأَذَلَّ الْعَاجِزَ الضَّعِيفَ لَوْ اخْتَطَفَ مِنْهُمْ شَيْئًا وَاسْتَلَبَهُ فَاجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ لَعَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ، وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، ثُمَّ سَوَّى بَيْنَ الْعَابِدِ وَالْمَعْبُودِ فِي الضَّعْفِ وَالْعَجْزِ بِقَوْلِهِ:{ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ}قِيلَ: الطَّالِبُ الْعَابِدُ وَالْمَطْلُوبُ

الْمَعْبُودُ، فَهُوَ عَاجِزٌ مُتَعَلِّقٌ بِعَاجِزٍ، وَقِيلَ: هُوَ تَسْوِيَةٌ بَيْنَ السَّالِبِ وَالْمَسْلُوبِ، وَهُوَ تَسْوِيَةٌ بَيْنَ الْإِلَهِ وَالذُّبَابِ فِي الضَّعْفِ وَالْعَجْزِ؛ وَعَلَى هَذَا فَقِيلَ: الطَّالِبُ الْإِلَهُ الْبَاطِلُ، وَالْمَطْلُوبُ الذُّبَابُ يَطْلُبُ مِنْهُ مَا اسْتَلَبَهُ مِنْهُ، وَقِيلَ: الطَّالِبُ الذُّبَابُ، وَالْمَطْلُوبُ الْإِلَهُ، فَالذُّبَابُ يَطْلُبُ مِنْهُ مَا يَأْخُذُهُ مِمَّا عَلَيْهِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّ اللَّفْظَ يَتَنَاوَلُ الْجَمِيعَ، فَضَعْفُ الْعَابِدِ وَالْمَعْبُودِ وَالْمُسْتَلِبِ وَالْمُسْتَلَبِ؛ فَمَنْ جَعَلَ هَذَا إِلَهًا مَعَ الْقَوِيِّ الْعَزِيزِ فَمَا قَدَرَهُ حَقَّ قَدْرِهِ، وَلَا عَرَفَهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، وَلَا عَظَّمَهُ حَقَّ تَعْظِيمِهِ.

العاشر

مثل الكافر كالناعق

قال تعالى:{ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ } (١).

فَتَضَمَّنَ هَذَا الْمَثَلَ نَاعِقًا أَيْ مُصَوِّتًا بِالْغَنَمِ وَغَيْرِهَا، وَمَنْعُوقًا بِهِ وَهُوَ الدَّوَابُّ، فَقِيلَ: النَّاعِقُ الْعَابِدُ وَهُوَ الدَّاعِي لِلصَّنَمِ، وَالصَّنَمُ هُوَ الْمَنْعُوقُ بِهِ الْمَدْعُوُّ، وَإِنَّ حَالَ الْكَافِرِ فِي دُعَائِهِ كَحَالِ مَنْ يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُهُ، هَذَا قَوْلُ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ وَغَيْرُهُ.

---

(١) سورة الحج _ الآية٧٣.

الحادي عشر

أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ

قال تعالى:{ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ }(١).

ذَكَرَ سُبْحَانَهُ لِلْكَافِرِينَ مَثَلَيْنِ: مَثَلًا بِالسَّرَابِ، وَمَثَلًا بِالظُّلُمَاتِ الْمُتَرَاكِمَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُعْرِضِينَ عَنْ الْهُدَى وَالْحَقِّ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ عَلَى شَيْءٍ فَيَتَبَيَّنُ لَهُ عِنْدَ انْكِشَافِ الْحَقَائِقِ خِلَافَ مَا كَانَ يَظُنُّهُ، وَهَذِهِ حَالُ أَهْلِ الْجَهْلِ وَأَهْلِ الْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ عَلَى هُدًى وَعِلْمٍ، فَإِذَا انْكَشَفَتْ الْحَقَائِقُ تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا عَلَى شَيْءٍ، وَأَنَّ عَقَائِدَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ الَّتِي تَرَتَّبَتْ عَلَيْهَا كَانَتْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يُرَى فِي عَيْنِ النَّاظِرِ مَاءً وَلَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَهَكَذَا الْأَعْمَالُ الَّتِي لِغَيْرِ اللَّهِ وَعَلَى غَيْرِ أَمْرِهِ، يَحْسَبُهَا الْعَامِلُ نَافِعَةً لَهُ وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ، وَهَذِهِ هِيَ الْأَعْمَالُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا:{ وَقَدِمْنَا

---

(١) سورة النور _ الآيتان ٣٩ ، ٤٠ .

إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا }(١)، وَتَأَمَّلْ جَعْلَ اللهِ سُبْحَانَهُ السَّرَابَ بِالْقِيعَةِ - وَهِيَ الْأَرْضُ الْقَفْرُ الْخَالِيَةُ مِنْ الْبِنَاءِ وَالشَّجَرِ وَالنَّبَاتِ وَالْعَالَمِ - فَمَحَلُّ السَّرَابِ أَرْضُ قَفْرٍ لَا شَيْءَ بِهَا، وَالسَّرَابُ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَذَلِكَ مُطَابِقٌ لِأَعْمَالِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ الَّتِي أَقْفَرَتْ مِنْ الْإِيمَانِ وَالْهُدَى.

وَتَأَمَّلْ مَا تَحْتَ قَوْلِهِ: {يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً} وَالظَّمْآنُ الَّذِي قَدْ اشْتَدَّ عَطَشُهُ فَرَأَى السَّرَابَ فَظَنَّهُ مَاءً فَتَبِعَهُ فَلَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا، بَلْ خَانَهُ أَحْوَجُ مَا كَانَ إِلَيْهِ، فَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ، لَمَّا كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ عَلَى غَيْرِ طَاعَةِ الرَّسُولِ، وَلِغَيْرِ اللهِ جُعِلَتْ كَالسَّرَابِ، فَرَفَعَتْ لَهُمْ أَظْمَأَ مَا كَانُوا وَأَحْوَجَ مَا كَانُوا إِلَيْهَا، فَلَمْ يَجِدُوا شَيْئًا، وَوَجَدُوا اللهَ سُبْحَانَهُ ثَمَّ؛ فَجَازَاهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ وَوَفَّاهُمْ حِسَابَهُمْ وَفِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي حَدِيثِ التَّجَلِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ «ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ: ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قالوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ للهِ صَاحِبَةٌ ولَا ولَدٌ، فَما تُرِيدُونَ؟ قالوا: نُرِيدُ أنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ في جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فيَقولونَ: كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ للهِ صَاحِبَةٌ، ولَا ولَدٌ، فَما تُرِيدُونَ؟ فيَقولونَ: نُرِيدُ أنْ تَسْقِيَنَا، فيُقَالُ: اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ في جَهَنَّمَ، حتَّى يَبْقَى مَن كانَ يَعْبُدُ اللهَ مِن بَرٍّ أوْ فَاجِرٍ، فيُقَالُ لهمْ: ما يَحْبِسُكُمْ وقدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فيَقولونَ: فَارَقْنَاهُمْ، ونَحْنُ أحْوَجُ مِنَّا

(١) سورة الفرقان _ الآية ٢٣.

إِلَيْهِ اليَومَ،....» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ(١)، وَهَذِهِ حَالُ كُلِّ صَاحِبِ بَاطِلٍ، فَإِنَّهُ يَخُونُهُ بَاطِلُهُ أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْبَاطِلَ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَهُوَ كَاسْمِهِ بَاطِلٌ؛ فَإِذَا كَانَ الِاعْتِقَادُ غَيْرَ مُطَابِقٍ وَلَا حَقٍّ كَانَ مُتَعَلَّقُهُ بَاطِلًا؛ وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَتْ غَايَةُ الْعَمَلِ بَاطِلَةً - كَالْعَمَلِ لِغَيْرِ اللهِ، أَوْ عَلَى غَيْرِ أَمْرِهِ - بَطَلَ الْعَمَلُ بِبُطْلَانِ غَايَتِهِ، وَتَضَرَّرَ عَامِلُهُ بِبُطْلَانِهِ، وَبِحُصُولِ ضِدِّ مَا كَانَ يُؤَمِّلُهُ، فَلَمْ يَذْهَبْ عَلَيْهِ عَمَلُهُ وَاعْتِقَادُهُ، لَا لَهُ وَلَا عَلَيْهِ، بَلْ صَارَ مُعَذَّبًا بِفَوَاتِ نَفْعِهِ، وَبِحُصُولِ ضِدِّ النَّفْعِ؛ فَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ}(٢) فَهَذَا مَثَلُ الضَّالِّ الَّذِي يَحْسَبُ أَنَّهُ عَلَى هُدًى.

وَالنَّوْعُ الثَّانِي: أَصْحَابُ مَثَلُ الظُّلُمَاتِ الْمُتَرَاكِمَةِ، وَهُمْ الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقَّ وَالْهُدَى، وَآثَرُوا عَلَيْهِ ظُلُمَاتِ الْبَاطِلِ وَالضَّلَالِ، فَتَرَاكَمَتْ عَلَيْهِمْ ظُلْمَةُ الطَّبْعِ وَظُلْمَةُ النُّفُوسِ وَظُلْمَةُ الْجَهْلِ حَيْثُ لَمْ يَعْمَلُوا بِعِلْمِهِمْ فَصَارُوا جَاهِلِينَ، وَظُلْمَةُ اتِّبَاعِ الْغَيِّ وَالْهَوَى، فَحَالُهُمْ كَحَالِ مَنْ كَانَ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ لَا سَاحِلَ لَهُ وَقَدْ غَشِيَهُ مَوْجٌ وَمِنْ فَوْقِ ذَلِكَ الْمَوْجِ مَوْجٌ، وَمِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ مُظْلِمٌ، فَهُوَ فِي ظُلْمَةِ الْبَحْرِ وَظُلْمَةِ الْمَوْجِ وَظُلْمَةِ السَّحَابِ، وَهَذَا نَظِيرُ مَا هُوَ فِيهِ مِنْ الظُّلُمَاتِ الَّتِي لَمْ يُخْرِجْهُ اللهُ مِنْهَا إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ، وَهَذَانِ الْمَثَلَانِ بِالسَّرَابِ الَّذِي ظَنَّهُ مَادَّةَ الْحَيَاةِ وَهُوَ الْمَاءُ وَالظُّلُمَاتُ الْمُضَادَّةُ لِلنُّورِ نَظِيرُ الْمَثَلَيْنِ اللَّذَيْنِ ضَرَبَهُمَا اللهُ لِلْمُنَافِقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ الْمَثَلُ الْمَائِيُّ وَالْمَثَلُ النَّارِيُّ، وَجَعَلَ حَظَّ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمَا الْحَيَاةَ وَالْإِشْرَاقَ وَحَظَّ

---

(١) صحيح البخاري.

(٢) سورة النور _ الآية ٣٩.

الْمُنَافِقِينَ مِنْهُمَا الظُّلْمَةَ الْمُضَادَّةَ لِلنُّورِ وَالْمَوْتَ الْمُضَادَّ لِلْحَيَاةِ؛ فَكَذَلِكَ الْكُفَّارُ فِي هَذَيْنِ الْمَثَلَيْنِ، حَظُّهُمْ مِنَ الْمَاءِ السَّرَابُ الَّذِي يَغُرُّ النَّاظِرَ وَلَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَحَظُّهُمْ الظُّلُمَاتُ الْمُتَرَاكِمَةُ، وَهَذَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ حَالُ كُلِّ طَائِفَةٍ مِنْ طَوَائِفِ الْكُفَّارِ، وَأَنَّهُمْ عَدِمُوا مَادَّةَ الْحَيَاةِ وَالْإِضَاءَةِ بِإِعْرَاضِهِمْ عَنْ الْوَحْيِ؛ فَيَكُونُ الْمَثَلَانِ صِفَتَيْنِ لِمَوْصُوفٍ وَاحِدٍ؛ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ تَنْوِيعُ أَحْوَالِ الْكُفَّارِ، وَأَنَّ أَصْحَابَ الْمَثَلِ الْأَوَّلِ هُمْ الَّذِينَ عَمِلُوا عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ وَلَا بَصِيرَةٍ، بَلْ عَلَى جَهْلٍ وَحُسْنِ ظَنٍّ بِالْأَسْلَافِ، فَكَانُوا يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا، وَأَصْحَابُ الْمَثَلِ الثَّانِي هُمْ الَّذِينَ اسْتَحَبُّوا الضَّلَالَةَ عَلَى الْهُدَى، وَآثَرُوا الْبَاطِلَ عَلَى الْحَقِّ، وَعَمُوا عَنْهُ بَعْدَ أَنْ أَبْصَرُوهُ، وَجَحَدُوهُ بَعْدَ أَنْ عَرَفُوهُ، فَهَذَا حَالُ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ، وَالْأَوَّلُ حَالُ الضَّالِّينَ؛ وَحَالُ الطَّائِفَتَيْنِ مُخَالِفٌ لِحَالِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ الْمَذْكُورِينَ فِي قَوْله تَعَالَى:{اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ. رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ

فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ. لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} (١).

فَتَضَمَّنَتْ الْآيَاتُ أَوْصَافَ الْفِرَقِ الثَّلَاثَةِ: الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ وَهُمْ أَهْلُ النُّورِ، وَالضَّالِّينَ وَهُمْ أَصْحَابُ السَّرَابِ، وَالْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَهُمْ أَهْلُ الظُّلُمَاتِ الْمُتَرَاكِمَةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

فَالْمَثَلُ الْأَوَّلُ مِنْ الْمَثَلَيْنِ لِأَصْحَابِ الْعَمَلِ الْبَاطِلِ الَّذِي لَا يَنْفَعُ، وَالْمَثَلُ الثَّانِي لِأَصْحَابِ الْعِلْمِ الَّذِي لَا يَنْفَعُ وَالِاعْتِقَادَاتِ الْبَاطِلَةِ، وَكِلَاهُمَا مُضَادٌّ لِلْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، وَلِهَذَا مَثَّلَ حَالَ الْفَرِيقِ الثَّانِي فِي تَلَاطُمِ أَمْوَاجِ الشُّكُوكِ وَالشُّبُهَاتِ وَالْعُلُومِ الْفَاسِدَةِ فِي قُلُوبِهِمْ بِتَلَاطُمِ أَمْوَاجِ الْبَحْرِ فِيهِ، وَأَنَّهَا أَمْوَاجٌ مُتَرَاكِمَةٌ مِنْ فَوْقِهَا سَحَابٌ مُظْلِمٌ، وَهَكَذَا أَمْوَاجُ الشُّكُوكِ وَالشُّبَهِ فِي قُلُوبِهِمْ الْمُظْلِمَةِ الَّتِي قَدْ تَرَاكَمَتْ عَلَيْهَا سُحُبُ الْغَيِّ وَالْهَوَى وَالْبَاطِلِ، فَلْيَتَدَبَّرْ اللَّبِيبُ أَحْوَالَ الْفَرِيقَيْنِ، وَلْيُطَابِقْ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْمَثَلَيْنِ، يَعْرِفْ عَظَمَةَ الْقُرْآنِ وَجَلَالَتَهُ، وَأَنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ.

وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْمُوجِبَ لِذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ نُورًا، بَلْ تَرَكَهُمْ عَلَى الظُّلْمَةِ الَّتِي خُلِقُوا فِيهَا فَلَمْ يُخْرِجْهُمْ مِنْهَا إلَى النُّورِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إلَى النُّورِ وَفِي الْمُسْنَدِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ ، ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ يَوْمَئِذٍ ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ نُورِهِ يَوْمَئِذٍ اهْتَدَى ، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ » فَلِذَلِكَ أَقُولُ – في رواية أن القائل هو عبد الله بن عمرو –: جَفَّ الْقَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللهِ عَزَّ

---

(١) سورة النور _ الآيات من ٣٥ : ٣٨ .

وَجَلَّ (١).فَلِذَلِكَ أَقُولُ: جَفَّ الْقَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللهِ، فَاللهُ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الْخَلْقَ فِي ظُلْمَةٍ، فَمَنْ أَرَادَ هِدَايَتَهُ جَعَلَ لَهُ نُورًا وُجُودِيًّا يُحْيِي بِهِ قَلْبَهُ وَرُوحَهُ كَمَا يُحْيِي بَدَنَهُ بِالرُّوحِ الَّتِي يَنْفُخُهَا فِيهِ، فَهُمَا حَيَاتَانِ: حَيَاةُ الْبَدَنِ بِالرُّوحِ، وَحَيَاةُ الرُّوحِ وَالْقَلْبِ بِالنُّورِ، وَلِهَذَا سَمَّى سُبْحَانَهُ الْوَحْيَ رُوحًا لِتَوَقُّفِ الْحَيَاةِ الْحَقِيقِيَّةِ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:{ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ } (٢)، وقال: { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } (٣).

فَجَعَلَ وَحَيَّهُ رُوحًا وَنُورًا، فَمَنْ لَمْ يُحْيِهِ بِهَذَا الرُّوحِ فَهُوَ مَيِّتٌ، وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ نُورًا مِنْهُ فَهُوَ فِي الظُّلُمَاتِ مَا لَهُ مِنْ نُورٍ. (٤).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في " المسند " (٢١٩/١١)، وابن أبي عاصم في " السنة " (٢٤٤)، وابن حبان (٤٣/١٤)، والحاكم في " المستدرك " (٨٤/١) من طريق ربيعة بن يزيد، وأخرجه الإمام أحمد في " المسند " (٤٤١/١١) والنسائي في " السنن " من طريق عروة بن رويم.وأخرجه الترمذي (٢٦٤٢) والحاكم في " المستدرك " (٨٤/١) من طريق يحيى بن أبي عمرو السيباني.

(٢) سورة غافر _ الآية ١٥.

(٣) سورة الشورى _ الآية ٥٢.

(٤) إعلام الموقعين لابن القيم.

الثاني عشر

إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ

قال تعالى: { أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا } (١).

فَشَبَّهَ أَكْثَرَ النَّاسِ بِالْأَنْعَامِ، وَالْجَامِعُ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ التَّسَاوِي فِي عَدَمِ قَبُولِ الْهُدَى وَالِانْقِيَادِ لَهُ، وَجَعَلَ الْأَكْثَرِينَ أَضَلَّ سَبِيلًا مِنْ الْأَنْعَامِ؛ لِأَنَّ الْبَهِيمَةَ يَهْدِيهَا سَائِقُهَا فَتَهْتَدِي وَتَتْبَعُ الطَّرِيقَ، فَلَا تَحِيدُ عَنْهَا يَمِينًا وَلَا شِمَالًا، وَالْأَكْثَرُونَ يَدْعُوهُمْ الرُّسُلُ وَيُهْدُونَهُمْ السَّبِيلَ فَلَا يَسْتَجِيبُونَ وَلَا يَهْتَدُونَ وَلَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ مَا يَضُرُّهُمْ وَبَيْنَ مَا يَنْفَعُهُمْ، وَالْأَنْعَامُ تُفَرِّقُ بَيْنَ مَا يَضُرُّهَا مِنْ النَّبَاتِ وَالطَّرِيقِ فَتَجْتَنِبُهُ وَمَا يَنْفَعُهَا فَتُؤْثِرُهُ، وَاَللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقْ لِلْأَنْعَامِ قُلُوبًا تَعْقِلُ بِهَا، وَلَا أَلْسِنَةً تَنْطِقُ بِهَا، وَأَعْطَى ذَلِكَ لِهَؤُلَاءِ ثُمَّ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا جَعَلَ لَهُمْ مِنْ الْعُقُولِ وَالْقُلُوبِ وَالْأَلْسِنَةِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ، فَهُمْ أَضَلُّ مِنْ الْبَهَائِمِ، فَإِنَّ مَنْ لَا يَهْتَدِي إلَى الرُّشْدِ وَإِلَى الطَّرِيقِ مَعَ الدَّلِيلِ إلَيْهِ أَضَلُّ وَأَسْوَأُ حَالًا مِمَّنْ لَا يَهْتَدِي حَيْثُ لَا دَلِيلَ مَعَهُ(٢).

---

(١) سورة الفرقان _ الآية ٤٤.

(٢) إعلام الموقعين لابن القيم.

الثالث عشر

هشاشة الشرك وأهله

قال تعالى:{ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِّ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}(١).

فَذَكَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُمْ ضُعَفَاءُ، وَأَنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَهُمْ أَضْعَفُ مِنْهُمْ، فَهُمْ فِي ضَعْفِهِمْ وَمَا قَصَدُوهُ مِنْ اتِّخَاذِ الْأَوْلِيَاءِ كَالْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا، وَهُوَ أَوْهَنُ الْبُيُوتِ وَأَضْعَفُهَا؛ وَتَحْتَ هَذَا الْمَثَلِ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ أَضْعَفُ مَا كَانُوا حِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِّ أَوْلِيَاءَ فَلَمْ يَسْتَفِيدُوا بِمَنْ اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ إِلَّا ضَعْفًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَاتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللهِّ آلِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزّاً * كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً }(٢)، قال تعالى:{ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِّ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ * لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ }(٣). وَقَالَ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ إِهْلَاكَ الْأُمَمِ الْمُشْرِكِينَ:{ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِّ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ }(٤).

---

(١) سورة العنكبوت _ الآية ٤١.

(٢) سورة مريم _ الآيتان ٨١ ، ٨٢.

(٣) سورة يس _ الآيتان ٧٤ ، ٧٥ .

(٤) سورة هود _ الآية ١٠١.

فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ مَوَاضِعَ فِي الْقُرْآنِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ اتَّخَذَ مِنْ دُونِ اللهِّ وَلِيًّا يَتَعَزَّزُ بِهِ وَيَتَكَبَّرُ بِهِ وَيَسْتَنْصِرُ بِهِ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ بِهِ إِلَّا ضِدُّ مَقْصُودِهِ، وَفِي الْقُرْآنِ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْأَمْثَالِ وَأَدَلِّهَا عَلَى بُطْلَانِ الشِّرْكِ وَخَسَارَةِ صَاحِبِهِ وَحُصُولِهِ عَلَى ضِدِّ مَقْصُودِهِ.

فَإِنْ قِيلَ: فَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ بَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ، فَكَيْفَ نَفَى عَنْهُمْ عِلْمَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: { لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ }.

فَالْجَوَابُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَنْفِ عَنْهُمْ عِلْمَهُمْ بِوَهَنِ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ، وَإِنَّمَا نَفَى عَنْهُمْ عِلْمَهُمْ بِأَنَّ اتِّخَاذَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ كَالْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا فَلَوْ عَلِمُوا ذَلِكَ لَمَا فَعَلُوهُ، وَلَكِنْ ظَنُّوا أَنَّ اتِّخَاذَهُمْ الْأَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ يُفِيدُهُمْ عِزًّا، وَقُدْرَةً، فَكَانَ الْأَمْرُ بِخِلَافِ مَا ظَنُّوهُ. (١).

فائدتان من سورة العنكبوت:

الفائدة الأولى: لماذا ذُكِرَ العنكبوت في القرآن بصيغة أنثى على الرغم من أنه ذكر؟ تقول الآية:{ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِّ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا .....}(٢).

هل لاحظتم تاء التأنيث في كلمة " اتَّخَذَتْ "؟.

---

(١) إعلام الموقعين لابن القيم.

(٢) سورة العنكبوت _ الآية ٤١.

" الْعَنْكَبُوتِ " مذكر أم مؤنث؟ هل تقول "هذه عنكبوت"، أم "هذا عنكبوت"؟، الصحيح هو " هذا عنكبوت"، لأنه مذكر.. فَلِمَ جاء بتاء التأنيث مع كلمة العنكبوت، وقال: " اتخذت "؟.

عاب الطاعنون في دين الله، والمشككون، فقالوا هذا خطأ في القرآن، والعياذ بالله ، فقالوا نحوياً ولغوياً الصحيح أن يقال في الآية:(كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا) (١) لأن كلمة العنكبوت مذكر.. لكن شاء الخالق سبحانه أن يترك لنا معجزة، حجة لتزيدنا يقيناً، وتزيد الكافرين ذلة ومهانة.

فجاء العلم الحديث ليثبت أن أنثى العنكبوت هي الوحيدة القادرة على بناء البيت والشبكة العنكبوتية أما ذكر العنكبوت فلا حيلة له يخرج فقط خيوط يستعملها للانتقال والتحرك فقط ولا قدرة له على بناء بيت.

فلو كان الله (جل وعلا) قال:- كمثل العنكبوت اتخذ بيتاً، لكانت الآية خاطئة علمياً وبيولوجياً؛ لكن سبحان الله جاءت تاء التأنيث لتوقر الإيمان في قلوبنا ولنعلم أنه الحق.

أما الفائدة الثانية: تقوم أُنثى العنكبوت بقتل الذكر بعد أن تنجب الأولاد وتلقيه خارج البيت.. وبعد أن يكبر الأولاد يقومون بقتل الأم وإلقائها خارج المنزل.. فبيت عجيب من أسوأ البيوت على الإطلاق ، لقد وصفها القرآن بآية واحدة.. قال تعالى:{وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}.

---

(١) سورة العنكبوت _ الآية ٤١.

سبحان الله! لقد كان الناس يعلمون مدى الوهن في البيت الحسي للعنكبوت لكنهم لم يدركوا الوهن المعنوي إلا في هذا العصر! وبالتالي جاءت في الآية :{.... لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ }.

ومع ذلك يسمي الله تعالى سورة باسم هذه الحشرة السيئة الصيت ويتكلم عنها في آية، مع أنّ السورة تتحدث من أولها لآخرها عن الفتن؟ فالبداية كانت:{ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ }(١).

وقوله تعالى:{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ }(٢).قد يتبادر للذهن ما علاقة الفتن بالعنكبوت ؟.

الجواب: إنّ تداخل الفتن يشبه خيوط العنكبوت، فالفتن متشابكة ومتداخلة فلا يستطيع المرء أن يميز بينها وهي كثيرة ومعقدة ولكنها هشة وضعيفة؛ إذا استعنا بالله تعالى.

يقول الشيخ/ محمد عمر البالمبوري (رحمه الله): جميع قوات الباطل في العالم مثل بيوت العنكبوت قال تعالى ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ

---

(١) سورة العنكبوت _ الآية ٢.

(٢) سورة العنكبوت _ الآية ١٠.

كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾(١)، فإذا أردنا إن ننظف بيوتنا فأين تذهب بيوت العنكبوت؟ إنها تختفي، كذلك إذا أراد الله ﷻ وجل قيام الدين فيذهب ببيوت العنكبوت حيث يشاء مثلما يفعل بجثث يأجوج ومأجوج عندما يموتون، ويكثر زهمهم في الأرض فيرسل الله ﷻ طير كأعناق البخت تحمل جثثهم وتذهب بهم حيث شاء الله ، ولكن هذا بعد القيام بالجهد وظهور الضعف وانتهاء الحيل فهنا تتدخل قدرة الله ﷻ مثل ما حدث مع أبو العلاء الحضرمي وأصحابه وجاء البحر أمامهم ولا حيلة لهم فتدخلت قدرة الله ﷻ بسبب قوة يقينهم، ومثل ما حدث مع سيدنا موسى عليه السلام حينما خرج ببني إسرائيل، فلما وصلوا البحر واتبعهم فرعون وجنوده {قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ }(٢) فجاء الرد الفوري{ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ }(٣) .

وسيدنا إبراهيم عليه السلام لما جاء إلى مصر بزوجته سارة ، وأراد جبار مصر (ملك مصر) أن يؤذيها في شرفها .. وكيف حفاظة الله ﷻ لها .. الخ وأصحاب الكهف رغم أنهم ليسوا أنبياء وكيف حفظهم الله ﷻ (٤).

---

(١) سورة العنكبوت – الآية ٤١ .

(٢) سورة الشعراء _ الآيتان ٦١ ، ٦٢ .

(٣) سورة الشعراء _ الآية ٦٣ .

(٤) روائع العلامة محمد عمر البالمبوري للمؤلف .

الرابع عشر

نفي الشركاء لله(تعالى)

قوله تعالى: { ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } (١).

وَهَذَا دَلِيلُ قِيَاسٍ احْتَجَّ اللهُ سُبْحَانَهُ بِهِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ جَعَلُوا لَهُ مِنْ عَبِيدِهِ وَمِلْكِهِ شُرَكَاءَ، فَأَقَامَ عَلَيْهِمْ حُجَّةً يَعْرِفُونَ صِحَّتَهَا مِنْ نُفُوسِهِمْ، لَا يَحْتَاجُونَ فِيهَا إِلَى غَيْرِهِمْ، وَمِنْ أَبْلَغِ الْحِجَاجِ أَنْ يَأْخُذَ الْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ، وَيَحْتَجَّ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ فِي نَفْسِهِ، مُقَرَّرٌ عِنْدَهَا، مَعْلُومٌ لَهَا، فَقَالَ:(هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) مِنْ عَبِيدِكُمْ وَإِمَائِكُمْ شُرَكَاءَ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ؟ أَيْ هَلْ يُشَارِكُكُمْ عَبِيدُكُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ فَأَنْتُمْ وَهُمْ فِي ذَلِكَ سَوَاءٌ تَخَافُونَ أَنْ يُقَاسِمُوكُمْ أَمْوَالَكُمْ وَيُشَاطِرُوكُمْ إِيَّاهَا، وَيَسْتَأْثِرُونَ بِبَعْضِهَا عَلَيْكُمْ، كَمَا يَخَافُ الشَّرِيكُ شَرِيكَهُ؟ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَخَافُونَهُمْ أَنْ يَرِثُوكُمْ كَمَا يَرِثُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَالْمَعْنَى هَلْ يَرْضَى أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ شَرِيكَهُ فِي مَالِهِ وَأَهْلِهِ حَتَّى يُسَاوِيَهُ فِي التَّصَرُّفِ فِي ذَلِكَ فَهُوَ يَخَافُ أَنْ يَنْفَرِدَ فِي مَالِهِ بِأَمْرٍ يَتَصَرَّفُ فِيهِ كَمَا يَخَافُ غَيْرَهُ مِنَ الشُّرَكَاءِ وَالْأَحْرَارِ؟ فَإِذَا لَمْ تَرْضَوْا ذَلِكَ لِأَنْفُسِكُمْ فَلِمَ عَدَلْتُمْ بِي مِنْ خَلْقِي مَنْ هُوَ مَمْلُوكٌ لِي؟ فَإِنْ كَانَ هَذَا الْحُكْمُ بَاطِلًا فِي فِطَرِكُمْ وَعُقُولِكُمْ - مَعَ أَنَّهُ جَائِزٌ عَلَيْكُمْ مُمْكِنٌ

---

(١) سورة الروم _ الآية ٢٨.

فِي حَقِّكُمْ؛ إِذْ لَيْسَ عَبِيدُكُمْ مِلْكًا لَكُمْ حَقِيقَةً، وَإِنَّمَا هُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمْ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، وَأَنْتُمْ وَهُمْ عَبِيدٌ لِي - فَكَيْفَ تَسْتَجِيزُونَ مِثْلَ هَذَا الْحُكْمِ فِي حَقِّي، مَعَ أَنَّ مَنْ جَعَلْتُمُوهُمْ لِي شُرَكَاءَ عَبِيدِي وَمِلْكِي وَخَلْقِي؟ فَهَكَذَا يَكُونُ تَفْصِيلُ الْآيَاتِ لِأُولِي الْعُقُولِ.

الخامس عشر

مثل من حمل كلام الله ولم يعمل به كالكلب

قَال تَعَالَى: { مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } (١)

فَقَاسَ مَنْ حَمَّلَهُ سُبْحَانَهُ كِتَابَهُ لِيُؤْمِنَ بِهِ وَيَتَدَبَّرَهُ وَيَعْمَلَ بِهِ وَيَدْعُوَ إِلَيْهِ ثُمَّ خَالَفَ ذَلِكَ وَلَمْ يَحْمِلْهُ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ قَلْبٍ، فَقِرَاءَتُهُ بِغَيْرِ تَدَبُّرٍ وَلَا تَفَهُّمٍ وَلَا اتِّبَاعٍ وَلَا تَحْكِيمٍ لَهُ وَعَمَلٍ بِمُوجِبِهِ، كَحِمَارٍ عَلَى ظَهْرِهِ زَامِلَةُ أَسْفَارٍ لَا يَدْرِي مَا فِيهَا، وَحَظُّهُ مِنْهَا حَمْلُهَا عَلَى ظَهْرِهِ لَيْسَ إِلَّا؛ فَحَظُّهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ كَحَظِّ هَذَا الْحِمَارِ مِنْ الْكُتُبِ الَّتِي عَلَى ظَهْرِهِ؛ فَهَذَا الْمَثَلُ وَإِنْ كَانَ قَدْ ضُرِبَ لِلْيَهُودِ فَهُوَ مُتَنَاوِلٌ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى لِمَنْ حَمَلَ الْقُرْآنَ فَتَرَكَ الْعَمَلَ بِهِ، وَلَمْ يُؤَدِّ حَقَّهُ، وَلَمْ يَرْعَهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ.

❁❁❁❁❁

(١) سورة الجمعة _ الآية ٥.

الباب الثالث

الأمثال

في

السنة النبوية

الأمثال في السنة النبوية

الأول

عن قَيْسٌ ، قَالَ : سَمِعْتُ مُسْتَوْرِدًا ، أَخَا بَنِي فِهْرٍ ، يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ - وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَّابَةِ - فِي الْيَمِّ (١)، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ ؟» (٢).

الثاني

عن عبدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ رضي اللَّهُ عنه، قَالَ: نَامَ رسولُ اللَّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم عَلَى حَصيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ في جَنْبِهِ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لوِ اتَّخَذْنَا لكَ وِطَاءً، فقال: مَالِي وَلَلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا في الدُّنْيَا إِلاَّ كَرَاكبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا (٣).وإلى هَذَا أشار المسيح بقوله عَلَيْهِ السَّلامُ:((الْدُّنْيَا قِنْطَرَة فَاعْبُرُوْهَا وَلَا تَعْمُرُوهَا)). وعَنْ مَكْحُولٍ قَالَ: قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ : يَا مَعْشَرَ الْحَوَارِيِّينَ، أَيُّكُمْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْنِيَ عَلَى مَوْجِ الْبَحْرِ دَارًا ؟ قَالُوا : يَا رُوحُ اللَّهِ ، وَمَنْ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : إِيَّاكُمْ وَالدُّنْيَا فَلَا تَتَّخِذُوهَا قَرَارًا(٤).

---

(١) أي: البحر.

(٢) صحيح مسلم _ كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا _ بَابُ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَبَيَانِ الْحَشْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ _ حديث رقم ٥٢٣٢.

(٣) سنن الترمذي » كتاب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » باب ما جاء في أخذ المال بحقه _ رقم الحديث ك(٢٣٧٧).

(٤) الزهد لأحمد بن حنبل الزهد لأحمد بن حنبل مِنْ مَوَاعِظِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ(٣٣١).

فتأمل حسن هَذَا المثال، ومطابقته للواقع سواء، فَإِنَّهَا فِي خضرتها كشجرة، وفي سرعة انقضائها وقبضها شَيْئًا فشَيْئًا كالظِلّ والْعَبْد مسافر إلى ربه، والمسافر إِذَا رأى شجرة فِي يوم صائف لا يحسن به أن يبَنِي تحتها دارًا، ولا يتخذها قَرَارًا، بل يستظِلّ بها بقدر الحاجة، ومتى زَادَ على ذَلِكَ انقطع عَنْ الرفاق.

وَهُوَ مثل صحيح فَإِنَّ الحياة معبر إلى الآخِرَة، والمهد هُوَ الركن الأول، على أول القنطرة، واللحد هُوَ الركن الثاني على آخرها.. ومن النَّاس من قطع نصف القنطرة.. وَمِنْهُمْ من قطع ثلثيها، وَمِنْهُمْ من لم يبق لَهُ إِلا خطوة واحدة، وهو غَافِل عَنْهَا وكيفما كَانَ فلابد مِنْ العبور، فمن وقف يبَنِي على القنطرة، ويزينها بأصناف الزينة، وَهُوَ يستحث على العبور فهو فِي غاية الجهل والحمق. المثال الثاني: شهوات الدُّنْيَا فِي الْقَلْب كشهوات الأطعمة فِي المعدة، وسوف يجد الْعَبْد عِنْدَ الموت لشهوات الدُّنْيَا فِي قَلْبهُ من الكراهة والنتن والقبح مَا يجده للأطعمة اللذيذة إِذَا انتهت فِي المعدة، غايتها، وكما أن الأطعمة كُلَّما كَانَتْ ألذ طعمًا وأكثر دسمًا وأكثر حلاوة كَانَ رجيعها أقذر، فكَذَلِكَ كُلّ شهوة كَانَتْ فِي النفس ألذ وأقوى فالتأذي بها عِنْدَ الموت أشد، كما أن تفجع الإِنْسَان بمحبوبه إِذَا فقده يقوى بقدر محبه المحبوب(١).

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم

الثالث

عن عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ -ﷺ- يُحَدِّثُ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ فَقَالَ: إِنِّي مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَيَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَسَكَتَ النَّبِيُّ -ﷺ- فَقِيلَ لَهُ: مَا شَأْنُكَ تُكَلِّمُ النَّبِيَّ -ﷺ- وَلاَ يُكَلِّمُكَ؟ فَرَأَيْنَا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ. قَالَ فَمَسَحَ عَنْهُ الرُّحَضَاءَ فَقَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ -وَكَأَنَّهُ حَمِدَهُ- فَقَالَ: إِنَّهُ لاَ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ، وَإِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ أَوْ يُلِمُّ، إِلاَّ آكِلَةَ الْخَضْرَاءِ، أَكَلَتْ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ فَثَلَطَتْ وَبَالَتْ وَرَتَعَتْ. وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَنِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ مَا أَعْطَى مِنْهُ الْمِسْكِينَ وَالْيَتِيمَ وَابْنَ السَّبِيلِ -أَوْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذُهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، وَيَكُونُ شَهِيدًا عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

فأخبر صلى الله عليه وسلم أن مِمَّا يخاف عَلَيْهِمْ الدُّنْيَا، وسماها زهرة، فشبهها بالزهر، فِي طيب رائحته وحسن منظره، وقلة بقائه.

فهذه الفقرة اليسيرة، من جوامَعَ كلمه صلى الله عليه وسلم، حوت على إيجازها بشارة الصحابة الكرام بما سيكون على أيديهم، من فتح الْبِلاد، وإخضاع العباد، وجلب الأموال الطائلة، والغنائم الكثيرة، وتحذيرهم من الغرور، والركون إلى هَذِهِ الأَشْيَاءِ الفانية، والأعراض الزائلة.

وضرب صلى الله عليه وسلم مثلين حكيمين أحدهما مثل المفرط فِي جَمَعَ الدُّنْيَا، والآخِر مثل المقتصد فيها، أما الأول، فمثله مثل الربيع وَذَلِكَ قوله فَإِنَّ مِمَّا ينبت الربيع مَا يقتل حبطًا أَوْ يلم، بأن يقارب الهلاك.

فهَذَا المطر ماء ينزله الله لإغاثة الخلق وإرواء كُلّ ذي روح فرغم فوائده الكثيرة ومنافعه الغزيرة وَمَا يتسبب عَنْ ذَلِكَ من إنبات العشب والكلاء، يأكل منه الْحَيَوَان فيكثر فينتفخ بطنه، فيهلك أَوْ يقارب الهلاك، وكَذَلِكَ الَّذِي يكثر من جَمَعَ الْمَال، يكون عنده من الجشع والشره، والحرص، مَا يتجاوز به الحد، لاسيما إِذَا جَمَعَ الْمَال من غير حله، ومنع ذَا الْحَقّ حقه، فَإِنَّ لم يقتله قارب أن يقتله.

وأما المثال الثاني: وَهُوَ مثال المقتصد فِي جَمَعَ الدُّنْيَا، الطالب لحلها، فقَدْ مثل لَهُ ـ ﷺ ـ بقوله: «إلا آكلة الخضر». فكأنه قَالَ ألا انظروا آكلة الخضراء، واعتبروا بشأنها «أكلت حَتَّى إِذَا امتدت خاصرتاها» وعظم جنباها، أقلعت سريعًا استقبلت عين الشمس تستمرئ بذَلِكَ مَا أكلت وتجتره فثلطت ألقت مَا فِي بطنها من أذى سهلاً رقيقًا.

وفي قوله: «استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت». ثلاث فَوَائِد أحدها أنها لما أخذت حاجتها من المرعى تركته، وبركت مستقبلة عين الشمس، تستمرئ. الفائدة الثَّانِيَة أنها أعرضت عما يضرها من الشره فِي المرعى، وأقبلت على مَا

ينفعها، مِنِ استقبال الشمس التي يحصل لها بحرارتها إنضاج مَا أكلته وإخراجه.

الثالثة: أنها استفرغت بالبول والثلط مَا جمعته من المرعى فِي بطنها، فاستراحت بإخراجه ولو بقي فيها لقتلها، هكَذَا جامَعَ المَال مصلحته أن يفعل به كما فعلت هَذِهِ الشاة فتنبه لِذَلِكَ أيها المغفل الجموع المنوع (١).

الرابع

عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، عَن النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ ":مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِن الهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا؛ فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَت الْمَاءَ فَأَنْبَتَت الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَت الْمَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا، وَسَقَوْا، وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً؛ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ " (٢).

قال الأمام النووي - رحمه الله -: " أَمَّا مَعَانِي الْحَدِيث وَمَقْصُوده فَهُوَ تَمْثِيل الْهُدَى الَّذِي جَاءَ بِهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالْغَيْثِ، وَمَعْنَاهُ أَنَّ الْأَرْض ثَلَاثَة أَنْوَاع، وَكَذَلِكَ النَّاس. فَالنَّوْع الْأَوَّل مِن الْأَرْض يَنْتَفِع بِالْمَطَرِ، فَيَحْيَى بَعْد أَنْ

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم.

(٢) صحيح البخاري، برقم: (٧٩)، واللفظ له، وصحيح مسلم، برقم: (٢٢٨٢).

كَانَ مَيِّتًا، وَيُنْبِتُ الْكَلأ، فَتَنْتَفِعُ بِهَا النَّاس، وَالدَّوَابّ، وَالزَّرْع، وَغَيْرهَا، وَكَذَا النَّوْع الأَوَّل مِن النَّاس: يَبْلُغُهُ الْهُدَى وَالْعِلْم فَيَحْفَظُهُ فَيَحْيَا قَلْبه، وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيُعَلِّمُهُ غَيْره، فَيَنْتَفِعُ وَيَنْفَعُ.

وَالنَّوْع الثَّانِي مِن الأَرْض مَا لَا تَقْبَلُ الِانْتِفَاع فِي نَفْسهَا، لَكِنْ فِيهَا فَائِدَة، وَهِيَ إِمْسَاك الْمَاء لِغَيْرِهَا، فَيَنْتَفِعُ بِهَا النَّاس وَالدَّوَابّ، وَكَذَا النَّوْع الثَّانِي مِن النَّاس، لَهُمْ قُلُوب حَافِظَة، لَكِنْ لَيْسَتْ لَهُمْ أَفْهَام ثَاقِبَة، وَلا رُسُوخَ لَهُمْ فِي الْعَقْل يَسْتَنْبِطُونَ بِهِ الْمَعَانِي وَالأَحْكَام، وَلَيْسَ عِنْدهمْ اِجْتِهَادٌ فِي الطَّاعَة وَالْعَمَل بِهِ، فَهُمْ يَحْفَظُونَهُ حَتَّى يَأْتِيَ طَالِبٌ مُحْتَاجٌ مُتَعَطِّشٌ لِمَا عِنْدهمْ مِن الْعِلْم، أَهْل لِلنَّفْعِ وَالِانْتِفَاع، فَيَأْخُذهُ مِنْهُمْ، فَيَنْتَفِع بِهِ، فَهَؤُلاءِ نَفَعُوا بِمَا بَلَغَهُمْ. وَالنَّوْع الثَّالِث مِن الأَرْض السِّبَاخ الَّتِي لا تُنْبِتُ وَنَحْوهَا، فَهِيَ لا تَنْتَفِعُ بِالْمَاءِ، وَلا تُمْسِكُهُ لِيَنْتَفِعَ بِهَا غَيْرهَا، وَكَذَا النَّوْعُ الثَّالِثُ مِن النَّاس، لَيْسَتْ لَهُمْ قُلُوب حَافِظَة، وَلا أَفْهَام وَاعِيَة، فَإِذَا سَمِعُوا الْعِلْم لا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلا يَحْفَظُونَهُ لِنَفْعِ غَيْرهمْ. وَاَللَّهُ أَعْلَم (١).

وقال ابن حجر: قَالَ الْقُرْطُبِيّ وَغَيْره: ضَرَبَ النَّبِيّ - ﷺ- لِمَا جَاءَ بِهِ مِن الدِّين مَثَلًا بِالْغَيْثِ الْعَامّ الَّذِي يَأْتِي فِي حَال حَاجَتهمْ إِلَيْهِ، وَكَذَا كَانَ النَّاس قَبْل مَبْعَثه، فَكَمَا أَنَّ الْغَيْث يُحْيِي الْبَلَد الْمَيِّت فَكَذَا عُلُوم الدِّين تُحْيِي الْقَلْب الْمَيِّت. ثُمَّ شَبَّهَ السَّامِعِينَ لَهُ بِالْأَرْضِ الْمُخْتَلِفَة الَّتِي يَنْزِل بِهَا الْغَيْث، فَمِنْهُمْ الْعَالِم الْعَامِل الْمُعَلِّم. فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْأَرْض الطَّيِّبَة شَرِبَتْ فَانْتَفَعَتْ فِي نَفْسهَا، وَأَنْبَتَتْ فَنَفَعَتْ غَيْرهَا.

---

(١) شرح مسلم للنووي، ١٥/٤٧-٤٨.

وَمِنْهُم الْجَامِع لِلْعِلْمِ الْمُسْتَغْرِق لِزَمَانِهِ فِيهِ، غَيْر أَنَّهُ لَمْ يَعْمَل بِنَوَافِلِهِ، أَوْ لَمْ يَتَفَقَّه فِيمَا جَمَعَ، لَكِنَّهُ أَدَّاهُ لِغَيْرِهِ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْأَرْض الَّتِي يَسْتَقِرّ فِيهَا الْمَاء فَيَنْتَفِع النَّاس بِهِ، وَهُوَ الْمُشَار إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ: "نَضَّرَ اللهَّ اِمْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا ". وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْمَع الْعِلْم فَلَا يَحْفَظهُ، وَلَا يَعْمَل بِهِ، وَلَا يَنْقُلهُ لِغَيْرِهِ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْأَرْض السَّبْخَة، أَوْ الْمَلْسَاء الَّتِي لَا تَقْبَل الْمَاء، أَوْ تُفْسِدهُ عَلَى غَيْرهَا. وَإِنَّمَا جَمَعَ الْمَثَل بَيْن الطَّائِفَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ الْمَحْمُودَتَيْنِ؛ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي الِانْتِفَاع بِهِمَا، وَأَفْرَدَ الطَّائِفَة الثَّالِثَة الْمَذْمُومَة لِعَدَمِ النَّفْع بِهَا. وَاَللهَّ أَعْلَم(١).

الخامس

عَنْ بُرَيْدٍ ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ أَبِي مُوسَى ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللهُّ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ ، فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ(٢).

---

(١) فتح الباري ١/١٣٠.

(٢) صحيح مسلم _ كتاب الْفَضَائِلِ بَابُ شَفَقَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُمَّتِهِ وَمُبَالَغَتِهِ فِي تَحْذِيرِهِمْ مِمَّا يَضُرُّهُمْ (٤٣٥٥).

السادس

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِّ (ﷺ) مَرَّ بِالسُّوقِ، دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ ؟ فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ ؟ قَالَ: أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ ؟ قَالُوا: وَاللهِّ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيْبًا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: فَوَاللهِّ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِّ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ)) ومن طريق آخر : فَلَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ هَذَا السَّكَكُ بِهِ عَيْبًا »(١).

السابع

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، أَنَّهُ قَالَ: " قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ (ﷺ) بِسَبْيٍ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ، تَبْتَغِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ، أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ (ﷺ): أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟

---

(١) صحيح مسلم كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ بَابُ مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ حديث رقم (٥٣٩١)، أبو داود في سننه – بَابُ تَرْكِ الْوُضُوءِ مِنْ مَسِّ الْمَيْتَةِ – حديث رقم(١٦٩)، أحمد في المسند – مُسْنَدُ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – حديث رقم (١٤٧٠٤)، ابن المبارك في الزهد والرقائق – بَابُ فَضْلِ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ – حديث رقم (٩٧٢)، ابن أبي شيبة في مصنفه – مَا ذُكِرَ فِي زُهْدِ الْأَنْبِيَاءِ وَكَلَامِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ – حديث رقم (٣٣٧٤٥)، ابن أبي عاصم في الزهد – هَوَانُ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى – حديث رقم (١٣٢) ابن أبي عاصم في الزهد – هَوَانُ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى – حديث رقم (١٣٥)، البيهقي في السنن الكبير – جُمَّاعُ أَبْوَابِ الْحَدَثِ – حديث رقم(٦١٦).

قُلْنَا: لَا، وَاللهِ وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): للهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا " (١).

الثامن

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : وَفِي حَدِيثِ بَكْرٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ ؟ قَالُوا : لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ ، قَالَ : فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا» (٢).

التاسع

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): « مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ قَصْرٍ أُحْسِنَ بُنْيَانُهُ تُرِكَ فِيهِ مَوْضِعُ لَبِنَةٍ ، فَطَافَ بِهِ النُّظَّارُ، يَتَعَجَّبُونَ مِنْ حُسْنِ بِنَائِهِ، إِلَّا مَوْضِعَ تِلْكَ اللَّبِنَةِ ، فَكُنْتُ أَنَا سَدَدْتُ مَوْضِعَ اللَّبِنَةِ ، خُتِمَ بِيَ الْبُنْيَانُ وَخُتِمَ بِي الرُّسُلُ وَفِي رِوَايَةٍ : فَأَنَا اللَّبِنَةُ ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

---

(١) رواه البخاري (٢٧٥٤)، ومسلم (٢٧٥٤).

(٢) البخاري في صحيحه _ باب: الصلوات الخمس كفارة _ حديث رقم(٥١٤)، صحيح مسلم _ كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ _ بَابُ الْمَشْيِ إِلَى الصَّلَاةِ تُمْحَى بِهِ الْخَطَايَا ، وَتُرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتُ _ حديث رقم(١١١٨).

وفي رواية أخرى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله(ﷺ)قَالَ: إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِن قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ: بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِن زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ. وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ(١).

قال النووي: فِيهِ فَضِيلَته(ﷺ)، وَأَنَّهُ خَاتَم النَّبِيِّينَ، وَجَوَاز ضَرْب الْأَمْثَال فِي الْعَلَم وَغَيْره(٢).وقد ضرب النبي (ﷺ) هذا المثل ليدلل لنا على كمال هذه الرسالة، وكيف أن الله ختم بها جميع الرسالات.

العاشر

عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَلَكُوا مَفَازَةً غَبْرَاءَ، لَا يَدْرُونَ مَا قَطَعُوا مِنْهَا أَكْثَرَ أَمْ مَا بَقِيَ مِنْهَا، فَحَسَرَ ظَهْرُهُمْ ، وَنَفِدَ زَادُهُمْ، وَسَقَطُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيِ الْمَفَازَةِ ، فَأَيْقَنُوا بِالْهَلَكَةِ ، فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ خَرَجَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ فِي حُلَّةٍ ، يَقْطُرُ رَأْسُهُ ، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا لَحَدِيثُ الْعَهْدِ بِالرِّيفِ، فَانْتَهَى إِلَيْهِم، فَقَالَ: مَا لَكُمْ يَا هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: مَا تَرَى، حَسَرَ ظَهْرُنَا، وَنَفِدَ زَادُنَا، وَسَقَطْنَا بَيْنَ ظَهْرَانَيِ الْمَفَازَةِ ، وَلَا نَدْرِي مَا قَطَعْنَا مِنْهَا أَكْثَرَ أَمْ مَا بَقِيَ عَلَيْنَا؟ قَالَ: مَا تَجْعَلُونَ لِي إِنْ أَوْرَدْتُكُمْ مَاءً رُوَاءً ، وَرِيَاضًا

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب: خاتم النبيين، برقم: (٣٥٣٥)، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب :ذكر كونه غ خاتم النبيين، برقم: (٢٢٨٦).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي، المجلد الخامس، (٥١/١٥).

خُضْرًا؟ قَالُوا: نَجْعَلُ لَكَ حُكْمَكَ، قَالَ: تَجْعَلُونَ لِي عُهُودَكُمْ ، وَمَوَاثِيقَكُمْ أَنْ لَا تَعْصُونِي، قَالَ: فَجَعَلُوا لَهُ عُهُودَهُمْ، وَمَوَاثِيقَهُمْ أَنْ لَا يَعْصُوهُ، فَمَالَ بِهِمْ، وَأَوْرَدَهُمْ رِيَاضًا خُضْرًا ، وَمَاءً رُوَاءً ، فَمَكَثَ يَسِيرًا، ثُمَّ قَالَ: هَلُمُّوا إِلَى رِيَاضٍ أَعْشَبَ مِنْ رِيَاضِكُمْ هَذِهِ، وَمَاءٍ أَرْوَى مِنْ مَائِكُمْ هَذَا، فَقَالَ جُلُّ الْقَوْمِ: مَا قَدَرْنَا عَلَى هَذَا حَتَّى كِدْنَا أَنْ لَا نَقْدِرَ عَلَيْهِ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ: أَلَسْتُمْ قَدْ جَعَلْتُمْ لِهَذَا الرَّجُلِ عُهُودَكُمْ، وَمَوَاثِيقَكُمْ أَنْ لَا تَعْصُوهُ، وَقَدْ صَدَقَكُمْ فِي أَوَّلِ حَدِيثِهِ، فَآخِرُ حَدِيثِهِ مِثْلُ أَوَّلِهِ، فَرَاحَ وَرَاحُوا مَعَهُ، فَأَوْرَدَهُمْ رِيَاضًا خُضْرًا، وَمَاءً رُوَاءً، وَأَتَى الْآخَرِينَ الْعَدُوُّ مِنْ تَحْتِ لَيْلَتِهِمْ، فَأَصْبَحُوا مِنْ بَيْنِ قَتِيلٍ وَأَسِيرٍ »(١).

الحادي عشر

عَنْ أَبِي مُوسَى (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (رضي الله عنه): « مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ » متفق عليه.

الثاني عشر

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَن النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: « مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ؛ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً» متفق عليه(٢).

---

(١) الزهد والرقائق لابن المبارك ما رواه المروزي بَابُ التَّقَلُّلِ مِنَ الدُّنْيَا(٥٠١).

(٢) صحيح البخاري، برقم: (٥٥٣٤)، وصحيح مسلم، برقم: (٢٦٢٨).

الثالث عشر

عَن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:« مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى » متفق عليه(١).

الرابع عشر

عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تتعوجوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ جَوْفِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ قَالَ: وَيْحَكَ؛ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ! وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ وَالسُّورَانِ حُدُودُ اللهِ تَعَالَى وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ مَحَارِمُ اللهِ تَعَالَى وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالدَّاعِي فَوْقَ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ » (٢).

---

(١) صحيح البخاري، برقم: (٦٠١١)، وصحيح مسلم، برقم: (٢٥٨٦)، واللفظ له.

(٢) رواه الإمام أحمد (١٧١٨٢) وصححه الألباني في ظلال الجنة (١٩).

الخامس عشر

عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ ، يَقُولُ: جَاءَتْ مَلاَئِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ) وَهُوَ نَائِمٌ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهُ نَائِمٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ ، فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا ، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا ، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ المَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ المَأْدُبَةِ، فَقَالُوا: أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: فَالدَّارُ الجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ (ﷺ) ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا (ﷺ) فَقَدْ عَصَى اللهَ ، وَمُحَمَّدٌ (ﷺ) فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ (١).

السادس عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى، الْأَنْبِيَاءُ أَبْنَاءُ عَلَّاتٍ، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ عِيسَى نَبِيٌّ » (٢).

---

(١) صحيح البخاري _ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة _ باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم _ حديث رقم ٦٨٩٠.

(٢) صحيح مسلم كتاب الْفَضَائِلِ _ بَابُ فَضَائِلِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ _ حديث رقم ٤٤٨٧.

(أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ الْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ) وَفِي رِوَايَةٍ أَنَا أَوْلَى الناس بعيسى بن مَرْيَمَ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ قَالُوا كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ وَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ قَالَ الْعُلَمَاءُ أَوْلَادُ الْعَلَّاتِ بِفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ هُمُ الْإِخْوَةُ لِأَبٍ مِنْ أُمَّهَاتٍ شَتَّى.

وَأَمَّا الْإِخْوَةُ مِنَ الْأَبَوَيْنِ فَيُقَالُ لَهُمْ أَوْلَادُ الْأَعْيَانِ.

قَال جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ: مَعْنَى الْحَدِيثِ أَصْلُ إِيمَانِهِمْ وَاحِدٌ وَشَرَائِعُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ فَإِنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ فِي أُصُولِ التَّوْحِيدِ واما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف .

قَوْلُهُ (ﷺ): (وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ) فَالْمُرَادُ بِهِ أُصُولُ التَّوْحِيدِ وَأَصْلُ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِنِ اخْتَلَفَتْ صِفَتُهَا وَأُصُولُ التَّوْحِيدِ وَالطَّاعَةِ جَمِيعًا.

وَأَمَّا قَوْلُهُ (ﷺ) (وَإِنَّا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى) فَمَعْنَاهُ أَخَصُّ بِهِ لِمَا ذَكَرَهُ.

السابع عشر

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ)، قال: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا؛ كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِن الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا» (رواه البخاري).

الثامن عشر

عَنِ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللهِ أَعُودُهُ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَحَدَّثَنَا بِحَدِيثَيْنِ: حَدِيثًا عَنْ نَفْسِهِ، وَحَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللهِ (ﷺ)قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (ﷺ)، يَقُولُ: للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ» (١).

وقد روى البخاري (٦٣٠٨) ، ومسلم (٢٧٤٧) واللفظ له، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ): " للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ ".

---

(١) صحيح مسلم كتاب الْفَضَائِلِ _ بَابُ فَضَائِلِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ _ حديث رقم ٤٤٨٧.

التاسع عشر

عَن ابْنِ عُمَرَ عَن النَّبِيِّ (ﷺ)قَالَ: «مَثَلُ الْمُنَافِقِ: كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ؛ تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً، وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً»(١).

(الْعَائِرَة) أَيْ: الْمُتَرَدِّدَة بَيْن قَطِيعَيْنِ مِن الْغَنَم، وَهِيَ الَّتِي تَطْلُب الْفَحْل فَتَتَرَدَّد بَيْن قَطِيعَيْنِ وَلَا تَسْتَقِرّ مَعَ إِحْدَاهُمَا، وَالْمُنَافِق مَعَ الْمُؤْمِنِينَ بِظَاهِرِهِ وَمَعَ الْمُشْرِكِينَ بِبَاطِنِهِ تَبَعًا لِهَوَاهُ وَعَرْضه الْفَاسِد فَصَارَ بِمَنْزِلَةِ تِلْكَ الشَّاة(٢).

العشرون

وعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله(ﷺ): «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ(٣)رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ»(٤).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب: صفات المنافقين وأحكامهم، برقم: (٢٧٨٤). وسنن النسائي، كتاب الإيمان وشرائعه، باب: مثل المنافق، برقم: (٥٠٤٠).

(٢) شرح سنن النسائي للسندي، المجلد الرابع، ١٢٤/٨.

(٣) بِضَمِّ الْهَمْزَة وَالرَّاء وَتَشْدِيد الْجِيم وَقَدْ تُخَفَّف، ثَمَر مَعْرُوف يُقَال لَهَا: تُرُنْج جَامِع لِطِيب الطَّعْم وَالرَّائِحَة وَحُسْن اللَّوْن وَمَنَافِع كَثِيرَة. وَالْمَقْصُود بِضَرْبِ الْمَثَل بَيَان عُلُوّ شَأْن الْمُؤْمِن وَارْتِفَاع عَمَله، وَانْحِطَاط شَأْن الْفَاجِر وَإِحْبَاط عَمَله. (ينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي ،١٣/١٧٧).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب: ذكر الطعام، برقم: (٥٤٢٧)، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب :فضيلة حافظ القرآن، برقم: (٧٩٧).

قال ابن حجر: قِيلَ: الْحِكْمَة فِي تَخْصِيص الْأُتْرُجَّة بِالتَّمْثِيلِ دُون غَيْرهَا مِن الْفَاكِهَة الَّتِي تَجْمَع طِيب الطَّعْم وَالرِّيح كَالتُّفَّاحَةِ لِأَنَّهُ يُتَدَاوَى بِقِشْرِهَا وَهُوَ مُفْرِح بِالْخَاصِّيَّةِ، وَيُسْتَخْرَج مِن حَبِّهَا دُهْن لَهُ مَنَافِع، وَقِيلَ: إِنَّ الْجِنّ لَا تَقْرَب الْبَيْت الَّذِي فِيهِ الْأُتْرُجّ، فَنَاسَبَ أَنْ يُمَثَّلَ بِهِ الْقُرْآن الَّذِي لَا تَقْرَبهُ الشَّيَاطِين، وَغِلَاف حَبّه أَبْيَض فَيُنَاسِب قَلْب الْمُؤْمِن، وَفِيهَا أَيْضًا مِن الْمَزَايَا كِبْر جُرْمهَا، وَحُسْن مَنْظَرهَا، وَتَفْرِيح لَوْنهَا، وَلِين مَلْمَسهَا، وَفِي أَكْلهَا مَعَ الِالْتِذَاذ طِيب نَكْهَة وَدِبَاغ مَعِدَة وَجَوْدَة هَضْمٍ، وَلَهَا مَنَافِع أُخْرَى مَذْكُورَة فِي الْمُفْرَدَات.

وَفِي الْحَدِيث فَضِيلَة حَامِلِي الْقُرْآن، وَضَرْب الْمَثَل لِلتَّقْرِيبِ لِلْفَهْمِ، وَأَنَّ الْمَقْصُود مِن تِلَاوَة الْقُرْآن الْعَمَل بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ(١).

الحادي والعشرون

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله (ﷺ)يَقُولُ: إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ؛ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَزَعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ وأَنْتُمْ تَقَحَّمُوْنَ فِيهَا(٢).

قال ابن حجر: وَحَاصِله أَنَّهُ شَبَّهَ تَهَافُت أَصْحَاب الشَّهَوَات فِي الْمَعَاصِي الَّتِي تَكُون سَبَبًا فِي الْوُقُوع فِي النَّار بِتَهَافُتِ الْفَرَاش بِالْوُقُوعِ فِي النَّار اِتِّبَاعًا لِشَهَوَاتِهَا،

---

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ٩/٦٦-٦٧..

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب: الانتهاء عن المعاصي، برقم: (٦٤٨٣) واللفظ له، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب: شفقته غ على أمته، برقم: (٢٢٨٤).

وَشَبَّهَ ذَبَّهُ الْعُصَاة عَن الْمَعَاصِي بِمَا حَذَّرَهُمْ بِهِ وَأَنْذَرَهُمْ بِذَبِّ صَاحِب النَّار الْفَرَاش عَنْهَا. وَقَالَ عِيَاض: شَبَّهَ تَسَاقُط أَهْل الْمَعَاصِي فِي نَار الْآخِرَة بِتَسَاقُطِ الْفَرَاش فِي نَار الدُّنْيَا(١).

وقال النووي: وَمَقْصُود الْحَدِيث أَنَّهُ(ﷺ)شَبَّهَ تَسَاقُط الْجَاهِلِينَ وَالْمُخَالِفِينَ بِمَعَاصِيهِمْ وَشَهَوَاتهمْ فِي نَار الْآخِرَة، وَحِرْصهمْ عَلَى الْوُقُوع فِي ذَلِكَ، مَعَ مَنْعه إِيَّاهُمْ، وَقَبْضه عَلَى مَوَاضِع الْمَنْع مِنْهُمْ، بِتَسَاقُطِ الْفِرَاش فِي نَار الدُّنْيَا، لِهَوَاهُ وَضَعْف تَمْيِيزه، وَكِلَاهُمَا حَرِيصٌ عَلَى هَلَاكِ نَفْسه، سَاعٍ فِي ذَلِكَ لِجَهْلِهِ(٢).

الثاني والعشرون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: ضَرَبَ رَسُولُ الله(ﷺ)مَثَلَ الْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ؛ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ مِن حَدِيدٍ، قَد اضْطُرَّتْ أَيْدِيهِمَا إِلَى ثُدِيِّهِمَا وَتَرَاقِيهِمَا، فَجَعَلَ الْمُتَصَدِّقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ انْبَسَطَتْ عَنْهُ حَتَّى تُغَشِّيَ أَنَامِلَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ، وَجَعَلَ الْبَخِيلُ كُلَّمَا هَمَّ بِصَدَقَةٍ قَلَصَتْ وَأَخَذَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا. قَالَ: فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله (ﷺ)يَقُولُ بِإِصْبَعِهِ فِي جَيْبِهِ فَلَوْ رَأَيْتَهُ يُوَسِّعُهَا وَلَا تَوَسَّعُ(٣).

قَالَ الْخَطَّابِيّ وَغَيْره: وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ النَّبِيّ(ﷺ) لِلْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ، فَشَبَّهَهُمَا بِرَجُلَيْنِ أَرَادَ كُلّ وَاحِد مِنْهُمَا أَنْ يَلْبَسَ دِرْعًا يَسْتَتِرُ بِهِ مِن سِلَاحِ عَدُّوِهِ، فَصَبَّهَا

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ١١/٣١٨-٣١٩.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي، المجلد الخامس، (١٥/٥٠).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب: مثل البخيل والمتصدق، برقم: (١٤٤٣)، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب: مثل المنفق والبخيل، برقم: (١٠٢١).

عَلَى رَأْسِهِ لِيَلْبَسهَا، وَالدُّرُوع أَوَّل مَا تَقَعُ عَلَى الصَّدْرِ وَالثَّدْيَيْنِ إِلَى أَنْ يُدْخِلَ الْإِنْسَان يَدَيْهِ فِي كُمَّيْهَا، فَجَعَلَ الْمُنْفِق كَمَنْ لَبِسَ دِرْعًا سَابِغَة فَاسْتَرْسَلَتْ عَلَيْهِ حَتَّى سَتَرَتْ جَمِيعَ بَدَنِهِ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ: «حَتَّى تَعْفُوَ أَثَره» أَيْ: تَسْتُرُ جَمِيع بَدَنِهِ. وَجُعِلَ الْبَخِيل كَمَثَلِ رَجُلٍ غُلَّتْ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، كُلَّمَا أَرَادَ لُبْسهَا اِجْتَمَعَتْ فِي عُنُقِهِ فَلَزِمَتْ تَرْقُوَته، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ: «قَلَصَتْ» أَيْ: تَضَامَنَتْ وَاجْتَمَعَتْ، وَالْمُرَاد أَنَّ الْجَوَادَ إِذَا هَمَّ بِالصَّدَقَةِ اِنْفَسَحَ لَهَا صَدْرُهُ وَطَابَتْ نَفْسه فَتَوَسَّعَتْ فِي الْإِنْفَاقِ، وَالْبَخِيل إِذَا حَدَّثَ نَفْسه بِالصَّدَقَةِ شَحَّتْ نَفْسه فَضَاقَ صَدْرُهُ وَانْقَبَضَتْ يَدَاهُ.

وَقَالَ الطِّيبِيّ: قَيَّدَ الْمُشَبَّهَ بِهِ بِالْحَدِيدِ إِعْلَامًا بِأَنَّ الْقَبْض وَالشِّدَّةَ مِن جِبِلَّة الْإِنْسَان، وَأَوْقَعَ الْمُتَصَدِّق مَوْقِع السَّخِيِّ لِكَوْنِهِ جَعَلَهُ فِي مُقَابَلَةِ الْبَخِيلِ إِشْعَارًا بِأَنَّ السَّخَاءَ هُوَ مَا أَمَرَ بِهِ الشَّارِع وَنَدَبَ إِلَيْهِ مِن الْإِنْفَاقِ لَا مَا يَتَعَانَاهُ الْمُسْرِفُونَ(١).

الثالث والعشرون

عَن ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ الله(ﷺ)قَالَ: إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ(١) إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ(٢).

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ٣/٣٠٦-٣٠٧.

قال ابن حجر: شَبَّهَ دَرْسَ الْقُرْآن وَاسْتِمْرَار تِلَاوَته بِرَبْطِ الْبَعِير الَّذِي يُخْشَى مِنْهُ الشِّرَاد، فَمَا زَالَ التَّعَاهُد مَوْجُودًا فَالْحِفْظ مَوْجُود، كَمَا أَنَّ الْبَعِير مَا دَامَ مَشْدُودًا بِالْعِقَالِ فَهُوَ مَحْفُوظ. وَخَصَّ الْإِبِل بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا أَشَدّ الْحَيَوَان الْإِنْسِيّ نُفُورًا، وَفِي تَحْصِيلهَا بَعْد اسْتِمْكَان نُفُورهَا صُعُوبَة(٣).

الرابع والعشرون

عَنْ عَبْدِ اللهِّ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ الْخَلِقُ ، فَاسْأَلُوا اللهَّ أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ "(٤).

---

(١) وَالْـمُعَقَّلَة بِضَمِّ الْمِيم وَفَتْح الْعَيْن الْمُهْمَلَة وَتَشْدِيد الْقَاف أَيْ الْمَشْدُودَة بِالْعِقَالِ، وَهُوَ الْحَبْل الَّذِي يُشَدّ فِي رُكْبَة الْبَعِير(فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ٧٩/٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: استذكار القرآن وتعاهده، برقم: (٥٠٣١)، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: الأمر بتعهد القرآن، برقم: (٧٨٩)..

(٣) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ٧٩/٩.

(٤) رواه الحاكم وحسنه الألباني في "الصحيحة" (١٥٨٥)، والمعجم الكبير للطبراني مَنِ اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ وَمِمَّا أَسْنَدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حديث رقم ١٣٥٥٩.

الخامس والعشرون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ:" إِنَّمَا الْإِيمَانُ كَثَوْبِ أَحَدِكُمْ يَلْبَسُهُ مَرَّةً وَيَقْلَعُهُ أُخْرَى"(١).

وَفِي حَدِيثٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" إِذَا زَنَى الزَّانِي خَرَجَ مِنْهُ الْإِيمَانُ فَكَانَ كَالظُّلَّةِ فَإِذَا انْقَطَعَ رَجَعَ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ " .

السادس والعشرون

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" مَثَلُ هَذِهِ الدُّنْيَا مَثَلُ ثَوْبٍ شُقَّ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، فَبَقِيَ مُتَعَلِّقًا بِخَيْطٍ فِي آخِرِهِ، فَيُوشِكُ ذَلِكَ الْخَيْطُ أَنْ يَنْقَطِعَ " (٢).

عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « إِنَّمَا النَّاسُ كَالْإِبِلِ الْمِائَةِ لَا تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً ».(٣).

قال ابن حجر (في الشرح): حَدِيث اِبْن عُمَر، سَنَدُهُ مَعْدُودٌ فِي أَصَحِّ الْأَسَانِيدِ قَوْله (إِنَّمَا النَّاس كَالْإِبِلِ الْمِائَة لَا تَكَاد تَجِد فِيهَا رَاحِلَةً) فِي رِوَايَة مُسْلِم

---

(١) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ٧٩/٩.

(٢) كتاب الزهد لابن أبي الدنيا(٣٥٠).

(٣)البخارى – كتاب – الرقاق – باب رفع الأمانة.

مِنْ طَرِيق مَعْمَر عَنْ الزُّهْرِيِّ " تَجِدُونَ النَّاسَ كَإِبِلٍ مِائَةٍ لَا يَجِدُ الرَّجُلُ فِيهَا رَاحِلَةً " فَعَلَى أَنَّ الرِّوَايَةَ بِغَيْرِ أَلِفٍ وَلَامٍ وَبِغَيْرِ تَكَاد فَالْمَعْنَى لَا تَجِدُ فِي مِائَةِ إِبِلٍ رَاحِلَةً تَصْلُحُ لِلرُّكُوبِ، لِأَنَّ الَّذِي يَصْلُحُ لِلرُّكُوبِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ وَطِيئًا سَهْلَ الِانْقِيَادِ ، وَكَذَا لَا تَجِدُ فِي مِائَةٍ مِنْ النَّاسِ مَنْ يَصْلُح لِلصُّحْبَةِ بِأَنْ يُعَاوِنَ رَفِيقَهُ وَيُلِينُ جَانِبَهُ، وَالرِّوَايَة بِإِثْبَاتِ " لَا تَكَاد " أَوْلَى لِمَا فِيهَا مِنْ زِيَادَة الْمَعْنَى وَمُطَابَقَةِ الْوَاقِعِ، وَإِنْ كَانَ مَعْنَى الْأَوَّلِ يَرْجِعُ إِلَى ذَلِكَ، وَيُحْمَل النَّفْي الْمُطْلَق عَلَى الْمُبَالَغَة وَعَلَى أَنَّ النَّادِر لَا حُكْمَ لَهُ . وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: الْعَرَبُ تَقُولُ لِلْمِائَةِ مِنْ الْإِبِلِ إِبِلٌ يَقُولُونَ لِفُلَانٍ إِبِلٌ أَيْ مِائَةُ بَعِيرٍ، وَلِفُلَانٍ إِبِلَان أَيْ مِائَتَانِ . قُلْت: فَعَلَى هَذَا فَالرِّوَايَة الَّتِي بِغَيْرِ أَلِفٍ وَلَامٍ يَكُونُ قَوْلُهُ مِائَة تَفْسِيرًا لِقَوْلِهِ إِبِل، لِأَنَّ قَوْله كَإِبِلٍ أَيْ كَمِائَةِ بَعِيرٍ ، وَلَمَّا كَانَ مُجَرَّد لَفْظ إِبِلٍ لَيْسَ مَشْهُورَ الِاسْتِعْمَالِ فِي الْمِائَةِ ذَكَرَ الْمِائَةَ تَوْضِيحًا رَفْعًا لِلْإِلْبَاسِ، وَأَمَّا عَلَى رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ فَاللَّامُ لِلْجِنْسِ . وَقَالَ الرَّاغِبُ : الْإِبِلُ اِسْم مِائَةِ بَعِيرٍ، فَقَوْله كَالْإِبِلِ الْمِائَةِ الْمُرَادُ بِهِ عَشَرَةُ آلَاف لِأَنَّ التَّقْدِير كَالْمِائَةِ الْمِائَة اِنْتَهَى . وَالَّذِي يَظْهَرُ عَلَى تَسْلِيم قَوْله لَا يَلْزَم مَا قَالَ إِنَّ الْمُرَاد عَشَرَة آلَافٍ ؛ بَلْ الْمِائَة الثَّانِيَة لِلتَّأْكِيدِ .

قَالَ الْخَطَّابِيُّ : تَأَوَّلُوا هَذَا الْحَدِيث عَلَى وَجْهَيْنِ :

أَحَدهمَا: أَنَّ النَّاس فِي أَحْكَامِ الدِّينِ سَوَاءٌ لَا فَضْلَ فِيهَا لِشَرِيفٍ عَلَى مَشْرُوفٍ وَلَا لِرَفِيعٍ عَلَى وَضِيعٍ كَالْإِبِلِ الْمِائَةِ الَّتِي لَا يَكُونُ فِيهَا رَاحِلَةٌ وَهِيَ الَّتِي

تُرَحَّلُ لِتُرْكَبَ، وَالرَّاحِلَةُ فَاعِلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ أَيْ كُلّهَا حَمُولَةٌ تَصْلُحُ لِلْحَمْلِ وَلَا تَصْلُح لِلرَّحْلِ وَالرُّكُوب عَلَيْهَا .

وَالثَّانِي: أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ أَهْل نَقْصٍ: وَأَمَّا أَهْلُ الْفَضْلِ فَعَدَدُهُمْ قَلِيلٌ جِدًّا، فَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الرَّاحِلَةِ فِي الْإِبِلِ الْحُمُولَةِ، وَمِنْهُ قَوْله تَعَالَى { لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }.

قُلْت: وَأَوْرَدَ الْبَيْهَقِيُّ هَذَا الْحَدِيث فِي كِتَاب الْقَضَاء فِي تَسْوِيَة الْقَاضِي بَيْن الْخَصْمَيْنِ أَخْذًا بِالتَّأْوِيلِ الْأَوَّل ، وَنُقِلَ عَنْ اِبْن قُتَيْبَةَ أَنَّ الرَّاحِلَةَ هِيَ النَّجِيبَةُ الْمُخْتَارَةُ مِنْ الْإِبِلِ لِلرُّكُوبِ، فَإِذَا كَانَتْ فِي إِبِلٍ عُرِفَتْ، وَمَعْنَى الْحَدِيث أَنَّ النَّاس فِي النَّسَب كَالْإِبِلِ الْمِائَة الَّتِي لَا رَاحِلَةَ فِيهَا ، فَهِيَ مُسْتَوِيَةٌ.

وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ : الرَّاحِلَةُ عِنْد الْعَرَب الذَّكَرُ النَّجِيبُ وَالْأُنْثَى النَّجِيبَةُ ، وَالْهَاءُ فِي الرَّاحِلَة لِلْمُبَالَغَةِ قَالَ: وَقَوْل اِبْن قُتَيْبَةَ غَلَطٌ وَالْمَعْنَى أَنَّ الزَّاهِدَ فِي الدُّنْيَا الْكَامِلَ فِيهِ الرَّاغِبَ فِي الْآخِرَةِ قَلِيلٌ كَقِلَّةِ الرَّاحِلَةِ فِي الْإِبِل .

وَقَالَ النَّوَوِيّ: هَذَا أَجْوَدُ ، وَأَجْوَدُ مِنْهُمَا قَوْلُ آخَرِينَ إِنَّ الْمَرْضِيَّ الْأَحْوَالِ مِنْ النَّاسِ الْكَامِلَ الْأَوْصَافِ قَلِيلٌ .

قُلْت : هُوَ الثَّانِي ، إِلَّا أَنَّهُ خَصَّصَهُ بِالزَّاهِدِ ، وَالْأَوْلَى تَعْمِيمُهُ كَمَا قَالَ الشَّيْخ .

وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ : الَّذِي يُنَاسِبُ التَّمْثِيلَ أَنَّ الرَّجُل الْجَوَادَ الَّذِي يَحْمِل أَثْقَال النَّاس وَالْحَمَالَات عَنْهُمْ وَيَكْشِف كُرَبَهُمْ عَزِيزُ الْوُجُودِ كَالرَّاحِلَةِ فِي الْإِبِلِ الْكَثِيرَةِ .

وَقَالَ اِبْن بَطَّال : مَعْنَى الْحَدِيث أَنَّ النَّاس كَثِيرٌ وَالْمَرْضِيَّ مِنْهُمْ قَلِيلٌ ، وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى أَوْمَأَ الْبُخَارِيُّ بِإِدْخَالِهِ فِي " بَاب رَفْع الْأَمَانَة " لِأَنَّ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتَهُ فَالِاخْتِيَارُ عَدَمُ مُعَاشَرَتِهِ .

وَأَشَارَ اِبْن بَطَّال إِلَى أَنَّ الْمُرَاد بِالنَّاسِ فِي الْحَدِيث مَنْ يَأْتِي بَعْدَ الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ حَيْثُ يَصِيرُونَ وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ .

وَنَقَلَ الْكَرْمَانِيُّ هَذَا عَنْ مُغَلْطَاي ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ كَلَامُهُ لِكَوْنِهِ لَمْ يَعْزُهُ فَقَالَ : لَا حَاجَة إِلَى هَذَا التَّخْصِيص ، لِاحْتِمَالِ أَنْ يُرَادَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ لِلْكَفَّارِ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ .

وأخرجه مسلم – كتاب – فضائل الصحابة – باب قوله (ﷺ) الناس كإبل..حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَاللَّفْظُ لِمُحَمَّدٍ قَالَ عَبْدٌ أَخْبَرَنَا و قَالَ ابْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَالِمٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ)تَجِدُونَ النَّاسَ كَإِبِلٍ مِائَةٍ لَا يَجِدُ الرَّجُلُ فِيهَا رَاحِلَةً)).

قال النووي (في الشرح): قَالَ اِبْن قُتَيْبَة: الرَّاحِلَة النَّجِيبَة الْمُخْتَارَة مِنْ الْإِبِل لِلرُّكُوبِ وَغَيْره ، فَهِيَ كَامِلَة الْأَوْصَاف فَإِذَا كَانَتْ فِي إِبِل عُرِفَتْ . قَالَ : وَمَعْنَى الْحَدِيث أَنَّ النَّاس مُتَسَاوُونَ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فَضْل فِي النَّسَب ، بَلْ هُمْ أَشْبَاه كَالْإِبِلِ الْمِائَة .

وَقَالَ الْأَزْهَرِيّ : الرَّاحِلَة عِنْد الْعَرَب الْجَمَل النَّجِيب وَالنَّاقَة النَّجِيبَة . قَالَ : وَالْهَاء فِيهَا لِلْمُبَالَغَةِ كَمَا يُقَال: رَجُل فَهَّامَة وَنَسَّابَة . قَالَ : وَالْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرَهُ اِبْن قُتَيْبَة غَلَط، بَلْ مَعْنَى الْحَدِيث أَنَّ الزَّاهِد فِي الدُّنْيَا الْكَامِل فِي الزُّهْد فِيهَا وَالرَّغْبَة

فِي الْآخِرَة قَلِيل جِدًّا كَقِلَّةِ الرَّاحِلَة فِي الْإِبِل، هَذَا كَلَام الْأَزْهَرِيّ، وَهُوَ أَجْوَد مِنْ كَلَام اِبْن قُتَيْبَة، وَأَجْوَد مِنْهُمَا قَوْل آخَرِينَ أَنَّ مَعْنَاهُ الْمَرْضِيّ الْأَحْوَال مِنْ النَّاس الْكَامِل الْأَوْصَاف الْحَسَن الْمَنْظَر الْقَوِيّ عَلَى الْأَحْمَال وَالْأَسْفَار .

سُمِّيَتْ رَاحِلَة لِأَنَّهَا تَرْحَل أَيْ يُجْعَل عَلَيْهَا الرَّحْل فَهِيَ فَاعِلَة بِمَعْنَى مَفْعُولَة كَعِيشَةٍ رَاضِيَة أَيْ مَرْضِيَّة وَنَظَائِره.

وأخرجه الترمذي – كتاب – الامثال – باب – ما جاء في مثل ابن آدم، عَنْ سَالِمٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ (ﷺ):"إِنَّمَا النَّاسُ كَإِبِلٍ مِائَةٍ لَا يَجِدُ الرَّجُلُ فِيهَا رَاحِلَةً " قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَخْزُومِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ وَقَالَ:" لَا تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً أَوْ قَالَ لَا تَجِدُ فِيهَا إِلَّا رَاحِلَةً ".

قال المباركفوري في (الشرح):قَوْلُهُ: (إِنَّمَا النَّاسُ) أَيْ فِي اِخْتِلَافِ حَالَاتِهِمْ وَتَغَيُّرِ صِفَاتِهِمْ (كَإِبِلٍ مِائَةٍ) وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ: " كَالْإِبِلِ الْمِائَةِ ".

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: الْعَرَبُ تَقُولُ لِلْمِائَةِ مِنْ الْإِبِلِ إِبِلٌ ، يَقُولُونَ لِفُلَانٍ إِبِلٌ أَيْ مِائَةُ بَعِيرٍ وَلِفُلَانٍ إِبِلَانِ أَيْ مِائَتَانِ اِنْتَهَى .

قَالَ الْحَافِظُ : فَعَلَى هَذَا فَالرِّوَايَةِ الَّتِي بِغَيْرِ أَلِفٍ وَلَامٍ يَكُونُ قَوْلُهُ مِائَةٍ تَفْسِيرًا لِقَوْلِهِ إِبِلٍ لِأَنَّ قَوْلَهُ كَإِبِلٍ أَيْ كَمِائَةِ بَعِيرٍ .

وَلَمَّا كَانَ مُجَرَّدَ لَفْظِ إِبِلٍ لَيْسَ مَشْهُورَ الِاسْتِعْمَالِ فِي الْمِائَةِ ذَكَرَ الْمِائَةَ تَوْضِيحًا وَرَفْعًا لِلِالْتِبَاسِ ، وَأَمَّا عَلَى رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ فَاللَّامُ لِلْجِنْسِ (لَا يَجِدُ الرَّجُلُ فِيهَا) أَيْ فِي مِائَةٍ مِنْ الْإِبِلِ رَاحِلَةً أَيْ نَاقَةً شَابَّةً قَوِيَّةً مُرْتَاضَةً تَصْلُحُ لِلرُّكُوبِ . فَكَذَلِكَ لَا تَجِدُ فِي مِائَةٍ

مِنْ النَّاسِ مَنْ يَصْلُحُ لِلصُّحْبَةِ وَحَمْلِ الْمَوَدَّةِ وَرُكُوبِ الْمَحَبَّةِ فَيُعَاوِنُ صَاحِبَهُ وَيُلِينُ لَهُ جَانِبَهُ قَالَهُ الْقَارِي .

وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ : قَالُوا الرَّاحِلَةُ هِيَ الْبَعِيرُ الْكَامِلُ الْأَوْصَافِ الْحَسَنُ الْمَنْظَرِ الْقَوِيُّ عَلَى الْأَحْمَالِ وَالْأَسْفَارِ سُمِّيَتْ رَاحِلَةً لِأَنَّهَا الطَّوَلُ أَيْ يُجْعَلُ عَلَيْهَا الرَّحْلُ فَهِيَ فَاعِلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ كَعِيشَةٍ رَاضِيَةٍ أَيْ مَرْضِيَّةٍ وَنَظَائِرِهِ ، وَالْمَعْنَى الْمَرْضِيُّ الْأَحْوَالِ مِنْ النَّاسِ الْكَامِلُ الْأَوْصَافِ قَلِيلٌ فِيهِمْ جِدًّا كَقِلَّةِ الرَّاحِلَةِ فِي الْإِبِلِ اِنْتَهَى .

وَقَالَ الْجَزَرِيُّ فِي النِّهَايَةِ: الرَّاحِلَةُ مِنْ الْإِبِلِ الْبَعِيرُ الْقَوِيُّ عَلَى الْأَسْفَارِ وَالْأَحْمَالِ وَالذَّكَرُ وَالْأُنْثَى فِيهِ سَوَاءٌ وَالْهَاءُ فِيهَا لِلْمُبَالَغَةِ وَهِيَ الَّتِي يَخْتَارُهَا الرَّجُلُ لِمَرْكَبِهِ وَرَحْلِهِ عَلَى النَّجَابَةِ وَتَمَامِ الْخَلْقِ وَحُسْنِ الْمَنْظَرِ فَإِذَا كَانَتْ فِي جَمَاعَةِ الْإِبِلِ عُرِفَتْ . قَوْلُهُ : (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ) وَأَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ . قَوْلُهُ : (عَنْ سَالِمٍ عَنْ اِبْنِ عُمَرَ إِلَخْ) هَذَا بَيَانٌ لِقَوْلِهِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ ...

وأخرجه ابن ماجة في سننه – كتاب – الفتن – باب – من ترجى له السلامة من الفتن: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ الدَّرَاوَرْدِيُّ حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ)النَّاسُ كَإِبِلٍ مِائَةٍ لَا تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً.

قال السندي في شرحه لابن ماجة: قَوْله (كَإِبِل مِائَة) يَعْنِي أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُنْتَخَبِينَ مِنْ النَّاس فِي عِزَّة وَجُودهمْ كَالْمُنْتَخَبِ مِنْ الْإِبِل الْقَوِيَّة عَلَى الْأَحْمَال وَالْأَسْفَار الَّذِي لَا يُوجَد فِي كَثِير مِنْ الْإِبِل قَالَ الزُّهْرِيُّ الَّذِي عِنْدِي فِيهِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى ذَمَّ الدُّنْيَا وَحَذَّرَ الْعِبَاد وَضَرَبَ لَهُمْ مِنْهَا الْأَمْثَال لِيَعْتَبِرُوا وَيَحْذَرُوا وَكَانَ النَّبِيّ (ﷺ)

يُحَذِّرهُمْ مَا حَذَّرَهُمْ اللهُ تَعَالَى وَيُزَهِّدهُمْ فِيهَا فَرَغِبَتْ النَّاس بَعْده فِيهَا وَتَنَافَسُوا عَلَيْهَا حَتَّى كَانَ الزُّهْد فِي النَّادِر الْقَلِيل مِنْهُمْ فَقَالَ تَجِدُونَ النَّاس بَعْدِي كَإِبِلٍ مِائَة لَيْسَ فِيهَا رَاحِلَة أَيْ أَنَّ الْكَامِل فِي الزُّهْد فِي الدُّنْيَا وَالرَّغْبَة فِي الْآخِرَة قَلِيل كَقِلَّةِ الرَّاحِلَة فِي الْإِبِل وَالرَّاحِلَة هِيَ الْبَعِير الْقَوِيّ عَلَى الْأَسْفَار وَالْأَحْمَال النَّجِيب التَّامّ الْخَلْق الْحَسَن النَّظَر وَيَقَع عَلَى الذَّكَر وَالْأُنْثَى وَالْهَاء لِلْمُبَالَغَةِ ذَكَرَهُ السُّيُوطِيُّ وَإِسْنَاده صَحِيح رِجَاله ثِقَات إِنْ ثَبَتَ سَمَاع زَيْد بْن أَسْلَمَ مِنْ عَبْد اللهِ بْن عُمْر.

الباب الرابع

القصص

في القرآن الكريم

سيد البشرية

محمد رسول الله(صلى الله عليه وسلم)

قَالَ تَعَالَى:{ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} (١).

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ اقْرَأْ قَالَ مَا أَنَا بِقَارِئٍ قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ قُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يَرْجُفُ

---

(١) سورة الفتح _ الآية ٢٩.

فُؤَادُهُ فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَقَالَ:" زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي" فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ :" لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي" فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهِ ! مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنْ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) خَبَرَ مَا رَأَى فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ قَالَ نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ وَأَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيَّ قَالَ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصَرِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَرُعِبْتُ مِنْهُ فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ إِلَى قَوْلِهِ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ فَحَمِيَ الْوَحْيُ (١)(١).

---

(١) صحيح البخاري » كتاب بدء الوحي » باب بدء الوحي(٤)، صحيح مسلم كِتَابُ الْإِيمَانَ بَابُ بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢٦٣).

وبعث الله (ﷻ)نبينا محمدًا (ﷺ) على حين فترة من الرسل وانقطاع من الوحى، وفى الحين الذى بعث فيه الرسول (ﷺ) كان حال العالم كما صوره النبي(ﷺ): فعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ :"أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ لَا يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ...." (٢).

لأن الناس قد نسوا رسالة ربهم منذ عهد عيسى (عليه السلام) إلى أن بعث الرسول الكريم (ﷺ) وأظلمت الدنيا وعادت الجاهلية في حياة الناس وبَعُدَ الناس عن مقتضى الإيمان بالله تعالى وعن عبادة الله تعالى وعن دعوة الله ، ولقد ضربت الوثنية بجرانها .

---

(١) قَوْلُهُ:(حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ) رُوِيَ بِالْفَتْحِ وَالنَّصْبِ،أَيْ: بَلَغَ الْغَطُّ مِنِّي غَايَةَ وُسْعِي.وَرُوِيَ بِالضَّمِّ وَالرَّفْعِ أَيْ بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدُ مَبْلَغَهُ(فتح الباري) وَهُوَ الْغَايَةَ وَالْمَشَقَّةَ(حاشية السيوطي) لنعلم أن الدين بدأ بالجهد والمشقة، فلا يأتي في حياتنا إلا بهما.

قَوْلُهُ: (حُبِّبَ) السِّرُّ فِيهِ أَنَّ الْخَلْوَةَ فَرَاغُ الْقَلْبِ لِمَا يَتَوَجَّهُ لَهُ(فتح الباري) بعد التخلي يكون التجلي.

(٢) جزء من حديث رواه الإمام مسلم عن عياض بن حمار المجاشعى (مشكاة المصابيح – باب الإنذار والتحذير – ٣ / ١٤٧٦) .

ويصور الشيخ أبو الحسن الندوي (رحمه الله) حال الناس في تلك الفترة فيقول:

بعث محمد بن عبد الله (ﷺ) والعالم بناء أصيب بزلزال شديد هزه هزاً عنيفاً، فإذ كل شيء فيه في غير محله، فمن أساسه ومتاعه ما تكسر، ومنه ما التوى وانعطف، ومنه ما فارق محله اللائق به وشغل مكاناً آخر، ومنه ما تكدس وتكوم.

نظر إلى العالم بعين الأنبياء فرأى إنساناً قد هانت عليه إنسانيته، رآه يسجد للحجر والشجر والنهر، وكل مالا يملك لنفسه النفع والضر.

رأى إنساناً معكوساً قد فسدت عقليته، فلم تعد تسيغ البديهيات، وتعقل الجليات، وفسد نظام فكره، فإذا النظري عنده بديهي وبالعكس، يستريب في موضع الجزم، ويؤمن في موضع الشك، وفسد ذوقه فصار يستحلي المر ويستطيب الخبيث، ويستمرئ الوخيم، وبطل حسه فأصبح لا يبغض العدو الظالم، ولا يحب الصديق الناصح.

رأى مجتمعاً هو الصورة المصغرة للعالم، كل شيء فيه في غير شكله أو في غير محله، قد أصبح فيه الذئب راعياً والخصم الجائر قاضياً، وأصبح المجرم فيه سعيداً حظيا، والصالح محروماً شقياً لا أنكر في هذا المجتمع من المعروف، ولا أعرف من المنكر، ورأى عادات فاسدة تستعجل فناء البشرية، وتسوقها إلى هوة الهلاك.

رأى معاقرة الخمر إلى حد الإدمان، والخلاعة والفجور إلى حد الاستهتار، وتعاطي الربا إلى حد الاغتصاب واستلاب الأموال ورأى الطمع وشهوة المال إلى حد الجشع والنهامة ورأى القسوة والظلم إلى حد الوأد وقتل الأولاد.

رأى ملوكاً اتخذوا بلاد الله دولاً، وعباد الله خولاً، ورأى أحباراً ورهباناً أصبحوا أرباباً من دون الله، يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله.

رأى المواهب البشرية ضائعة أو زائغة لم ينتفع بها ولم توجه التوجيه الصحيح، فعادت وبالا على أصحابها وعلى الإنسانية، فقد تحولت الشجاعة فتكاً وهمجية، والجود تبذيرًا وإسرافًا، والأنفة حمية جاهلية، والذكاء شطارة وخديعة، والعقل وسيلة لابتكار الجنايات، والإبداع في إرضاء الشهوات.

رأى أفراد البشر والهيئات البشرية كخامات لم تحظ بصانع حاذق، ينتفع بها في هيكل الحضارة، وكألواح الخشب لم تسعد بنجار يركب منها سفينة تشق بحر الحياة.

رأى الأمم قطعاناً من الغنم ليس لها راع، والسياسة كجمل هائج حبله على غاربه، والسلطان كسيف في يد سكران يجرح به نفسه، ويجرح به أولاده وإخوانه.

وانتشرت عبادة الأصنام قلما يخلو بيت من صنم، وكان فى جوف الكعبة المشرفة البيت الذى بنى لعبادة الله تعالى وحده، وفى فنائها ثلاث مائة وستون صنماً يعبدون من دون الله وإذا سُئلوا عن ذلك قالوا: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (١) وهو الشرك بعينه وكثرت الآلهة من الجن والملائكة والكواكب .

وكثُرت شرب الخمور ، وفشي الربا، وكانوا لا يفرقون بينه وبين التجارة وقالوا ﴿ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا ﴾ (٢) ، وكان من شيوع تجارة الخمر أن أصبحت

---

(١) سورة الزمر – الآية ٣.

(٢) سورة البقرة – الآية ٢٧٥.

كلمة التجارة مرادفاً لبيع الخمر ، وكان القمار من مفاخر الجاهلية ، فكان الرجل يقامر على أهله وماله فيقعد سليبًا حزينًا؛ ينظر إلى زوجته وماله في يد غيره فكانت تورث بينهم العداوة والبغضاء، وكثرت الأنكحة الفاسدة، وانتشر الزنا وكانت البغايا ينصبن الرايات الحمر على أبوابهن علماً على ذلك ، وكان من العادات أن الرجل يتخذ الخليلات، ويتخذ النساء أخلاء بدون عقد .

وكانت المرأة في المجتمع الجاهلي تُورث كما يورث المتاع أو الدابة وبلغت كراهية البنات إلى حد الوأد وهن أحياء ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾(١) .

وكانت العصبية القبلية التي ملأت السكك والدور بالدماء، وكان جمهور الجاهلية لا يصدق بالميعاد والبعث بعد الموت وقالوا: ﴿ مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ ﴾ (٢)

والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تؤكد إنكارهم للبعث بعد الموت.. فبالجملة : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٣) (٤) .

---

(١) سورة التكوير – الآيتان ٨، ٩.

(٢) سورة الجاثية – الآية ٢٤

(٣) سورة الروم – الآية ٤١.

(٤) انظر ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين – أبو الحسن للندوى.

ومع كثرة هذا الفساد؛ أعطى الله نبيه(ﷺ) خطة عالمية لنشر الدين في العالم، وكما تعلمون أن النبي (ﷺ) ولد يتيما، مات أبوه وهو في بطن أمه، وماتت أمه وعمره ست سنوات، وكفله جده عبد المطلب، وبعد موت عبد المطلب كفله عمه أبو طالب ثم رعى الغنم على قراريط لأهل مكة.. فولد يتيما ونشأ يتيما.. ما كان عنده مال ولا حكومة، بل قامت قريش بعرض الأسباب المادية التي اختارها أهل الباطل لنشر دينهم، على النبي فقال قائلهم: يَا ابْنَ أَخِي، إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ مِنْ السِّطَةِ (١) فِي الْعَشِيرَةِ، وَالْمَكَانِ فِي النَّسَبِ، وَإِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ قَوْمَكَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ فَرَّقْتَ بِهِ جَمَاعَتَهُمْ وَسَفَّهْتَ بِهِ أَحْلَامَهُمْ وَعِبْتَ بِهِ آلِهَتَهُمْ وَدِينَهُمْ وَكَفَّرْتَ بِهِ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ ، فَاسْمَعْ مِنِّي أَعْرِضْ عَلَيْكَ أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا لَعَلَّكَ تَقْبَلُ مِنْهَا بَعْضَهَا. قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ، أَسْمَعْ ؛ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالًا جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوَّدْنَاكَ عَلَيْنَا، حَتَّى لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلَّكْنَاكَ عَلَيْنَا ؛ وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رِئْيًا تَرَاهُ لَا تَسْتَطِيعُ رَدَّهُ عَنْ نَفْسِكَ ، طَلَبْنَا لَكَ الطِّبَّ، وَبَذَلْنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا حَتَّى نُبْرِئَكَ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا غَلَبَ التَّابِعُ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُدَاوَى مِنْهُ أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ. حَتَّى إِذَا فَرَغَ عُتْبَةُ ، وَرَسُولُ اللهِ (ﷺ) يَسْتَمِعُ مِنْهُ ، قَالَ: أَقَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاسْمَعْ مِنِّي؛ قَالَ: أَفْعَلُ؛

---

(١) السطة: الشرف.

فَقَالَ:(بِسْمِ اللهِّ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حم تَنْزِيلٌ مِنَ الـرَّحْمَنِ الـرَّحِيمِ كِتَـابٌ فُصِّـلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَـرُهُمْ فَهُـمْ لَا يَسْـمَعُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ) ثُـمَّ مَضَى ـ رَسُـولُ اللهِّ (ﷺ) فِيهَـا يَقْرَؤُهَـا عَلَيْهِ. فَلَمَّا سَمِعَهَا مِنْهُ عُتْبَةُ ، أَنْصَتَ لَهَا، وَأَلْقَى يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَـيْهِمَا يَسْمَعُ مِنْهُ ؛ ثُمَّ انْتَهَى رَسُولُ اللهِّ (ﷺ) إِلَى السَّجْدَةِ مِنْهَـا ، فَسَـجَدَ ثُـمَّ قَـالَ: قَـدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ ، فَأَنْتَ وَذَاكَ(١).

استمع رسول الله (ﷺ) لكل ذلك في هدوء وتأنٍ، ثم رفضه فى غير شك ولا تأخير، ولم يكن هذا العرض من قريش على شخص الرسول (ﷺ) بـل كان على هذه الأمة التي كان يمثلها ويقودها، ولم يكـن رفـض رسـول الله (ﷺ) لما عرضت قريش رفضاً عن نفسه الكريمة فقط بل كـان رفضـاً عـن أمته إلى آخر الأبد (٢).

ما أجمل هذه الكلمة وغزارة معانيها: ولم يكن رفض رسول الله (ﷺ) لما عرضت قريش رفضاً عن نفسه الكريمة فقط بل كان رفضاً عن أمته إلى آخر الأبد .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام _ قول عتبة بن ربيعة في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) انظر كتاب روائع أبي الحسن الندوي في الدعوة إلي الله بقلم المؤلف .

ولكن قام بالجهد ثلاث عشرة سنة في مكة المكرمة ثم هاجر إلى المدينة المنورة وواصل الجهد فالله (ﷻ) نشر دينه.

فإذا نقوم بالجهد على المستوى المطلوب، حسب جهد الرسول (ﷺ) فالله (ﷻ)، يفتح باب الهداية .

أما الكلام عن القصص الواردة على لسان الحبيب فهي كثيرة جدا وقد زخرت بها كتب السنة والسيرة.

وهنا أردت أن أذكر جانبا مشرقا من حياته ليكون إضاءة للعاملين في حقل الدعوة إلى الله.

قِصَّةُ يُونُسَ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ)

وَقَالَ تَعَالَى:{ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ } (١).

وَقَالَ تَعَالَى: { وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ } (٢).

قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ : بَعَثَ اللهُ يُونُسَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إِلَى أَهْلِ نِينَوَى؛ مِنْ أَرْضِ الْمَوْصِلِ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَكَذَّبُوهُ وَتَمَرَّدُوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ مَنْ أَمْرِهُمْ، خَرَجَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ، وَوَعَدَهُمْ حُلُولَ الْعَذَابِ بِهِمْ بَعْدَ ثَلَاثٍ .

فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ بَيْنِ ظَهْرَانَيْهِمْ وَتَحَقَّقُوا نُزُولَ الْعَذَابِ بِهِمْ ، قَذَفَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمُ التَّوْبَةَ وَالْإِنَابَةَ ، وَنَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ إِلَى نَبِيِّهِمْ ، فَلَبِسُوا الْمُسُوحَ ، وَفَرَّقُوا بَيْنَ كُلِّ بَهِيمَةٍ وَوَلَدِهَا، ثُمَّ عَجُّوا إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَصَرَخُوا وَتَضَرَّعُوا إِلَيْهِ، وَتَمَسْكَنُوا لَدَيْهِ ، وَبَكَى الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ ، وَالْبَنُونَ وَالْبَنَاتُ، وَالْأُمَّهَاتُ، وَجَأَرَتِ

---

(١) سورة الأنبياء _ الآيتان ٨٧، ٨٨.

(٢) سورة الصافات _ الآيات من١٣٩: ١٤٨.

الْأَنْعَامُ وَالدَّوَابُّ وَالْمَوَاشِي ، وَرَغَتِ الْإِبِلُ وَفُصْلَانُهَا ، وَخَارَتِ الْبَقَرُ وَأَوْلَادُهَا، وَثَغَتِ الْغَنَمُ وَحُمْلَانُهَا، وَكَانَتْ سَاعَةً عَظِيمَةً هَائِلَةً، فَكَشَفَ اللهُ الْعَظِيمُ، بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، وَرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، عَنْهُمُ الْعَذَابَ الَّذِي كَانَ قَدِ اتَّصَلَ بِهِمْ بِسَبَبِهِ، وَدَارَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ؛ وَلِهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: { فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ } (١) أَيْ ؛ هَلَّا وُجِدَتْ فِيمَا سَلَفَ مِنَ الْقُرُونِ قَرْيَةٌ آمَنَتْ بِكَمَالِهَا .

فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ ذَلِكَ، بَلْ كَمَا قَالَ تَعَالَى:{ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ } (٢).

وَقَوْلُهُ : { إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ} (٣) أَيْ: آمَنُوا بِكَمَالِهِمْ.. وَقَدِ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ؛ هَلْ يَنْفَعُهُمْ هَذَا الْإِيمَانُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، فَيُنْقِذُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأُخْرَوِيِّ، كَمَا أَنْقَذَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الدُّنْيَوِيِّ ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ ، الْأَظْهَرُ مِنَ السِّيَاقِ : نَعَمْ إِنْ شَاءَ اللهُ وَاللهُ أَعْلَمُ .

كَمَا قَالَ تَعَالَى : لَمَّا آمَنُوا وَقَالَ تَعَالَى : وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ وَهَذَا الْمَتَاعُ إِلَى حِينٍ لَا يَنْفِي أَنْ يَكُونَ مَعَهُ غَيْرُهُ مِنْ رَفْعِ الْعَذَابِ الْأُخْرَوِيِّ . وَاللهُ أَعْلَمُ .

---

(١) سورة يونس _ الآية ٩٨.

(٢) سورة سبأ _ الآية ٣٤.

(٣) سورة يونس _ الآية ٩٨.

قال تعالى:{وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ* وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ } (١).

قَوْلُهُ : (إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) هُوَ الْمُوَقَّرُ ، أَيِ : الْمَمْلُوءُ بِالْأَمْتِعَةِ .

(فَسَاهَمَ) أَيْ : قَارَعَ (فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ) أَيِ : الْمَغْلُوبِينَ . وَذَلِكَ أَنَّ السَّفِينَةَ تَلَعَّبَتْ بِهَا الْأَمْوَاجُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَأَشْرَفُوا عَلَى الْغَرَقِ ، فَسَاهَمُوا عَلَى مَنْ تَقَعُ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ يُلْقَى فِي الْبَحْرِ ، لِتَخِفَّ بِهِمُ السَّفِينَةُ ، فَوَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ يُونُسَ ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَهُمْ يَضِنُّونَ بِهِ أَنْ يُلْقَى مِنْ بَيْنِهِمْ ، فَتَجَرَّدَ مِنْ ثِيَابِهِ لِيُلْقِيَ نَفْسَهُ وَهُمْ يَأْبَوْنَ عَلَيْهِ ذَلِكَ .

قَالَ تَعَالَى:{ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ } (٢).

فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ أَيْ ؛ نُضَيِّقَ . وَقِيلَ : مَعْنَاهُ نُقَدِّرُ ، مِنَ التَّقْدِيرِ . وَهِيَ لُغَةٌ مَشْهُورَةٌ : قَدَرَ ، وَقَدَّرَ .

(فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ) : ظُلْمَةُ بَطْنِ الْحُوتِ ، وَظُلْمَةُ الْبَحْرِ ، وَظُلْمَةُ اللَّيْلِ .

---

(١) سورة الصافات _ الآيات من ١٣٩ :١٤٨.

(٢) سورة الأنبياء _ الآيتان ٨٧ ، ٨٨ .

قَالَ تَعَالَى: { فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } (١).

قِيلَ: مَعْنَاهُ ؛ لَوْلَا أَنَّهُ سَبَّحَ اللهَّ هُنَالِكَ، وَقَالَ مَا قَالَ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ ، وَالِاعْتِرَافِ للهَّ بِالْخُضُوعِ، وَالتَّوْبَةِ إِلَيْهِ، وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ، لَلَبِثَ هُنَالِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَبُعِثَ مِنْ جَوْفِ ذَلِكَ الْحُوتِ .

وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ فِي " تَفْسِيرِهِ " ، وَالْبَزَّارُ فِي " مَسْنَدِهِ "، مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ ، عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ رَافِعٍ مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ): لَمَّا أَرَادَ اللهُّ حَبْسَ يُونُسَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ، أَوْحَى اللهُّ إِلَى الْحُوتِ، أَنْ خُذْ وَلَا تَخْدِشْ لَحْمًا، وَلَا تَكْسِرْ عَظْمًا. فَلَمَّا انْتَهَى بِهِ إِلَى أَسْفَلِ الْبَحْرِ، سَمِعَ يُونُسَ حِسًّا، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: مَا هَذَا؟ فَأَوْحَى اللهُّ إِلَيْهِ، وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: إِنَّ هَذَا تَسْبِيحُ دَوَابِّ الْبَحْرِ قَالَ فَسَبَّحَ وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ، فَسَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ تَسْبِيحَهُ، فَقَالُوا يَا رَبَّنَا، إِنَّا نَسْمَعُ صَوْتًا ضَعِيفًا بِأَرْضٍ غَرِيبَةٍ . قَالَ ذَلِكَ عَبْدِي يُونُسُ، عَصَانِي فَحَبَسْتُهُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ . قَالُوا: الْعَبْدُ الصَّالِحُ الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ إِلَيْكَ مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عَمَلٌ صَالِحٌ ؟ قَالَ: نَعَمْ . قَالَ: فَشَفَعُوا لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَأَمَرَ الْحُوتَ فَقَذَفَهُ فِي السَّاحِلِ، كَمَا قَالَ اللهُّ تَعَالَى (وَهُوَ سَقِيمٌ) هَذَا لَفْظُ ابْنِ جَرِيرٍ إِسْنَادًا وَمَتْنًا . ثُمَّ قَالَ الْبَزَّارُ: لَا نَعْلَمُهُ يُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ ، كَذَا قَالَ .

---

(١) سورة الصافات _ الآيات من ١٣٩ : ١٤٨ .

وَقَدْ قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي " تَفْسِيرِهِ ": عن يَزِيدَ الرَّقَاشِيَّ قَالَ : سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ وَلَا أَعْلَمُ إِلَّا أَنَّ أَنَسًا يَرْفَعُ الْحَدِيثَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَّ يُونُسَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حِينَ بَدَا لَهُ أَنْ يَدْعُوَ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ ، وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ قَالَ : اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ .

قَالَ تَعَالَى: { فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ } (١).فَنَبَذْنَاهُ أَيْ ؛ أَلْقَيْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ الْمَكَانُ الْقَفْرُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْجَارِ، بَلْ هُوَ عَارٍ مِنْهَا وَهُوَ سَقِيمٌ أَيْ ؛ ضَعِيفُ الْبَدَنِ، (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ) هُوَ الْقَرْعُ .

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : فِي إِنْبَاتِ الْقَرْعِ عَلَيْهِ حِكَمٌ جَمَّةٌ ؛ مِنْهَا أَنَّ وَرَقَهُ فِي غَايَةِ النُّعُومَةِ ، وَكَثِيرٌ وَظَلِيلٌ، وَلَا يَقْرَبُهُ ذُبَابٌ، وَيُؤْكَلُ ثَمَرُهُ مِنْ أَوَّلِ طُلُوعِهِ إِلَى آخِرِهِ ، نِيئًا وَمَطْبُوخًا ، وَبِقِشْرِهِ وَبِبِزْرِهِ أَيْضًا، وَفِيهِ نَفْعٌ كَثِيرٌ ، وَتَقْوِيَةٌ لِلدِّمَاغِ .

وَهَذَا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ بِهِ، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْهِ، وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى:(فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ) أَيْ؛ الْكَرْبِ وَالضِّيقِ الَّذِي كَانَ فِيهِ(وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ) أَيْ ؛ وَهَذَا صَنِيعُنَا بِكُلِّ مُؤْمِنٍ دَعَانَا وَاسْتَجَارَ بِنَا (٢).

---

(١) سورة الصافات _ الآيات من ١٣٩ : ١٤٨ .

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير، وتفسير ابن كثير.

(فوائد من قصة سيدنا يونس):

١. الإيمان سبب للنجاة من الأهوال والشدائد.

٢. حفظ الله لأوليائه وعباده الصالحين حتى في أوقات ابتلائهم.

٣. تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة.. فالْأَعْمَالُ تَشْفَعُ لِصَاحِبِهَا عِنْدَ اللهِّ، وَتُذَكِّرُ بِهِ إِذَا وَقَعَ فِي الشَّدَائِدِ (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ). وَفِرْعَوْنُ لَمَّا لَمْ تَكُنْ لَهُ سَابِقَةُ خَيْرٍ تَشْفَعُ لَهُ وَقَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ قَالَ لَهُ جِبْرِيلُ:(آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ). (١)، وَفِي الْمُسْنَدِ عَنْهُ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:" إِنَّ مَا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللهِّ - مِنَ التَّسْبِيحِ ، وَالتَّكْبِيرِ ، وَالتَّحْمِيدِ - يَتَعَاطَفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، يُذَكِّرْنَ بِصَاحِبِهِنَّ، أَفَلَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ ؟(٢).

٤. الصبر على الدعوة مهما كانت الأحوال، قَالَ تَعَالَى:{ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ} (٣).

٥. مقام الدعوة مقام عظيم، وقدر الداعي على قدر مجاهدته في الدعوة إلى الله:

---

(١) سورة يونس _ الآية ٩١.

(٢) انظر مدارج السالكين لابن القيم.

(٣) سورة الصافات _ الآيات من ٤٨: ٥٠.

يقول ابن القيم(رحمه الله): سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ - يَقُولُ : انْظُرْ إِلَى مُوسَى - صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - رَمَى الْأَلْوَاحَ الَّتِي فِيهَا كَلَامُ اللهِ الَّذِي كَتَبَهُ بِيَدِهِ فَكَسَرَهَا ، وَجَرَّ بِلِحْيَةِ نَبِيٍّ مِثْلِهِ ، وَهُوَ هَارُونُ ، وَلَطَمَ عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ فَفَقَأَهَا، وَعَاتَبَ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ فِي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَفْعِهِ عَلَيْهِ، وَرَبُّهُ تَعَالَى يَحْتَمِلُ لَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَيُحِبُّهُ وَيُكْرِمُهُ، لِأَنَّهُ قَامَ للهِ تِلْكَ الْمَقَامَاتِ الْعَظِيمَةَ فِي مُقَابَلَةِ أَعْدَى عَدُوٍّ لَهُ، وَصَدَعَ بِأَمْرِهِ، وَعَالَجَ أُمَّتَي الْقِبْطِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ ، فَكَانَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ كَالشَّعْرَةِ فِي الْبَحْرِ.

وَانْظُرْ إِلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى حَيْثُ لَمْ يَكُنْ لَهُ هَذِهِ الْمَقَامَاتُ الَّتِي لِمُوسَى، غَاضَبَ رَبَّهُ مَرَّةً، فَأَخَذَهُ وَسَجَنَهُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ، وَلَمْ يَحْتَمِلْ لَهُ مَا احْتَمَلَ لِمُوسَى(١).

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين » فصل في منازل إياك نعبد » فصل منزلة التوبة » فصل الأحوال التي تكون معها الكبيرة صغيرة وبالعكس.

يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم

(عليهم السلام)

قال الله تعالى :﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ (١).

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ)، قَالَ: الكَرِيمُ، ابْنُ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ (٢).

لقد أنزل الله سورة كاملة تتحدث عن حياة يوسف (عليه السلام) ونزلت في ظروف صعبة أثناء المقاطعة، وحصار بني هاشم في شعب أبي طالب، وقد شملت هذه الصحيفة مناحي الحياة كلها، ولم تكن قاصرة على الجانب الاقتصادي فقط، فقد شملت الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والإنسانية والدينية.

حاصرت وقاطعت قريش النبي (ﷺ) ومن معه، ومنعت عنهم الطعام والشراب وكلَ ما يحتاجونه، فاشتد وعظم الأمر عليهم فأكلوا أوراق الشجر، وكلَّ شيء رطب، وكان صياحُ الصبيانِ يُسمع من وراء الشِعْب (الوادي) من شدة الجوع والمخمصة، قال عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنه ـ: " فحُصِرْنا في

---

(١) سورة يوسف :الآية ٣.

(٢) سورة الْأَعْرَافِ :الآيات من ١٧٥ : ١٧٧.

الشِعْبِ ثلاث سنين، وقطعوا عنا الميرة (الطعام) حتى أن الرجل منا ليخرج بالنفقة فما يُبَايع حتى يرجع، حتى هلك منا مَن هلك "(١) .

فأنزل الله سورة يوسف تسلية للنبي (ﷺ) وأصحابه لتبين لهم كم يوسف تنوعت عليه الأحوال والشدائد، وفي الآخر كانت له الرفعة في الدنيا والآخرة، ومع تنوع الأحوال والشدائد لم يترك الدعوة(٢).

فوائد من هذه السورة الكريمة:

١. الداعي المخلص يشهد له كل الناس بسمو أخلاقه: قال تعالى :﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ للهِّ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴾(٣). هَلْ وَجَدْتُنَّ فِيهِ شَيْئًا مِنْ سُوءٍ وَرِيبَةٍ؟ (قُلْنَ حَاشَ للهِّ) تَنْزِيهًا لَهُ وَتَعَجُّبًا مِنْ نَزَاهَتِهِ وَعِفَّتِهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ بَالَغْنَ فِي نَفْيِ جِنْسِ السُّوءِ عَنْهُ بِالتَّنْكِيرِ وَزِيَادَةِ مِنْ. (٤).

هذه السورة بينت جمال يوسف الظاهري، في قوله تعالى:﴿ وَقُلْنَ حَاشَ للهِّ مَا هَـذَا بَشَراً إِنْ هَـذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾(٥).وفي قوله تعالى: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْـهِ مِـن

---

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني _ الْفَصْلُ الْعِشْرُونَ فِي ذِكْرِ مَا دَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ(٢٠١).

(٢) وفي أسباب نزول سورة يوسف أكثر من قول لمن أراد فليطالع كتب التفسير وأسباب النزول.

(٣) سورة يوسف :الآية ٥١.

(٤) تفسير أبو السعود _ الآية ٥١.

(٥) سورة يوسف :الآية ٣١.

سُوء﴾ بيان جماله الباطني.. وكذلك نبينا محمد (ﷺ)، جمع الله لـه جمـال الظـاهر والباطن، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ : سَأَلَ رَجُلٌ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ :أَكَانَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ السَّيْفِ ؟ قَالَ : لَا ، بَلْ مِثْلَ الْقَمَـرِ(١)، وقـد أثنـى الله عليه فقال : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٢)، إظهاراً لجمال باطنه، لينطبـع في نفوس الناس جمال الداعي وجمال الدعوة وجمال الدين.

٢. أعظم نعمه هي القيام بعمل الدعوة، لذا قال ربنا: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٣).أي بالنبوة، (وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ)، بأن وصَّل لهم نعمة الدنيا ونعمة الآخرة أي: جعلهم أنبياء في الدنيا وملوكاً.

٣. هذه السورة بينت علو مقام الداعي عند الله: قال الله تعالى: ﴿قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ (٤).أيقن إخوة يوسف عليه السلام -وهم الأسباط- أبناء نبي الله يعقوب عليه السلام، ويتساوون مع يوسف في نسبه وأصله، بفضل يوسف عليه السلام عليهم، وعُلو مقامه، ورفعة قدره، فهم الذين أرادوا أن يحرموه من حنان أبيه، بأن يعزلوه عنه، وأرادوا أن يستأثروا

---

(١) الشمائل المحمدية للترمذي الشمائل المحمدية للترمذي بَابُ مَا جَاءَ فِي خَلْقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١٠).

(٢) سورة القلم_ الآية٤.

(٣) سورة القلم_ الآية٤.

(٤) سورة يوسف _ الآية٩١.

بوجه يعقوب ومحبته، لكن أنَّى لهم وقد سبقت كلمة الله وقدره بفضله وشرفه؟، فلما رأوا ما وهبه الله له، وما بلَّغه من التمكين والإعزاز والملك في مصر، حتى نال محبة الملك والنَّاس من إحسانه، كأن النَّاس كانوا له عبيد بجوده وكرمه، فأسَر قلوبهم وأجسادهم.

٤. أخلاق الداعي لا تتغير مهما كانت الأحوال، فأصحابه في السجن مدحوه بحسن الأخلاق، قال تعالى: :﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١). ومدحه إخوته بنفس ما مدحه الفتيان: ﴿ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢). فكما أن صفات الإنسان الخلقية لا تتغير، مثل: طويل، قصير، أبيض، أسود ..كذلك أخلاق الداعي تزداد حسنا يوما بعد يوم.

٥. الدعوة إلى الله لا تترك مهما كانت الأحوال والظروف، وظهر ذلك جليا في حياة سيدنا يوسف(عليه السلام):﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾(٣).

---

(١) سورة يوسف _ الآية٣٦.

(٢) سورة يوسف _ الآية٣٦.

(٣) سورة يوسف _ الآيتان ٣٩ ، ٤٠.

٦. والدعوة نوعان:

الدعوة القولية: وكانت هذه الدعوة في حياة يوسف: ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾(١).

والدَّعوة الخُلُقية: وهي أقوى من القولية، فكما قيل: فعل رجل في ألف رجل خير من قول ألف رجل لرجل.. وقد كانت حياة يوسف(عليه السلام) مفعمة بالأخلاق والصفات فتجلى خُلُق الصبر من تحمل يوسف عليه السلام ابتلاء إخوته، وظلم من سجنوه وأودعوه الحبس بدون إثم أو ذنب، وخُلق التقوى في تركه للفاحشة.. وهذه الدعوة كانت لها الأثر الكبير في نفوس أهل مصر.

وهنا عدة نقاط ظهرت في هذه السورة قد بينت سمو خلق يوسف:

الأولى: العفو عند المقدرة: {قَالُواْ تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ * قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } (٢) . عفو لا توبيخ فيه، فالداعي يعفو عن كل من ظلمه وآذاه، وقد تجلى ذلك في حياة نبينا محمد(ﷺ)مع قومه وقبيلته، لَّما مكَّنه الله منهم، ودخل مكة فاتحاً، بجيش جرار عرمرم ملأ الأفق، فظنت قريش الظنونا وخافوا وأرعدوا وحسبوا منه الانتقام،

---

(١) سورة يوسف _ الآيتان ٣٩ ، ٤٠.

(٢) سورة يوسف _ الآيتان ٩١ ، ٩٢.

ولكنَّه أظهر: كمال عفوه وجميل صفحه وحسن خُلُقه وعظيم شمائله فخاطبهم:" مَاذَا تَقُولُونَ وَمَاذَا تَظُنُّونَ ؟ قَالُوا: نَقُولُ خَيْرًا وَنَظُنُّ خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، وَقَدْ قَدَرْتَ فَأَسْجِحْ قَالَ: فَإِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ: لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

ومن هنا نأخذ كيف أن النبي(ﷺ) لم يغب عنه خلق يوسف، فلما أتى عليه الحال الذي أتى على يوسف فتأسى به.

الثانية: تأمل في هذه الآية: { وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاء إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ } (١) .تجدها تدل على سمو أخلاقه، حيث قال(وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ) ولم يقل: إذ أخرجني من البئر ، حتى لا يذكر إخوته بماضيهم معه فيحرجهم، وقوله(مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي) إذ ذكر نفسه أولا كطرف في نزغ الشيطان مع أنه ليس كذلك، حتى لا يحرج إخوته.

٧. صفتان لا بد أن يتحلى بهما كل مسلم، تجلبان معية الله ومحبته للعبد: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢).

---

(١) سورة يوسف _ الآية ١٠٠.

(٢) سورة يوسف :الآية ٩٠.

٨. بعد هذه الرحلة المملوءة بالتضحيات والمشقة والابتلاء، ماذا قال يوسف؟ ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِما وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (١). يطلب من الله أن يتوفاه مسلما ويلحقه بالصالحين، مع أنه كان نبيا مرسلا ومجاهدا طيلة حياته، فماذا نفعل نحن؟.

وكل آية في هذه السورة يستخرج منها الفوائد العظيمة التي تهم الدعاة إلى الله، وقد اكتفيت بهذا الشيء البسيط، فمن أراد الاستزادة فعليه بدراسة السورة مع كتب التفسير.

---

(١) سورة يوسف :الآية ١٠١.

بِلْعَامَ بْنِ بَاعُورَاءَ

قَالَ تَعَالَى:{ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ} (١).

كَانَ فِيمَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَغَيْرُهُ ، يَعْلَمُ الِاسْمَ الْأَعْظَمَ، وَأَنَّ قَوْمَهُ سَأَلُوهُ أَنْ يَدْعُوَ عَلَى مُوسَى وَقَوْمِهِ، فَامْتَنَعَ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا أَلَحُّوا عَلَيْهِ، رَكِبَ حِمَارَةً لَهُ، ثُمَّ سَارَ نَحْوَ مُعَسْكَرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، رَبَضَتْ بِهِ حِمَارَتُهُ ، فَضَرَبَهَا ، حَتَّى قَامَتْ فَسَارَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ وَرَبَضَتْ ، فَضَرَبَهَا ضَرْبًا أَشَدَّ مِنَ الْأَوَّلِ فَقَامَتْ، ثُمَّ رَبَضَتْ فَضَرَبَهَا، فَقَالَتْ لَهُ: يَا بِلْعَامُ أَيْنَ تَذْهَبُ؟ أَمَا تَرَى الْمَلَائِكَةَ أَمَامِي، تَرُدُّنِي عَنْ وَجْهِي هَذَا، أَتَذْهَبُ إِلَى نَبِيِّ اللهِ وَالْمُؤْمِنِينَ تَدْعُو عَلَيْهِمْ؟ فَلَمْ يَنْزِعْ عَنْهَا فَضَرَبَهَا حَتَّى سَارَتْ بِهِ، حَتَّى أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ رَأْسِ جَبَلِ حُسْبَانَ، وَنَظَرَ إِلَى مُعَسْكَرِ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَخَذَ يَدْعُو عَلَيْهِمْ فَجَعَلَ لِسَانُهُ لَا يُطِيعُهُ إِلَّا أَنْ يَدْعُوَ لِمُوسَى وَقَوْمِهِ، وَيَدْعُو عَلَى قَوْمِ نَفْسِهِ، فَلَامُوهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ بِأَنَّهُ لَا يَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ إِلَّا هَذَا (٢)، وَانْدَلَعَ لِسَانُهُ حَتَّى وَقَعَ عَلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ

---

(١) سورة الْأَعْرَافِ :الآيات من ١٧٥ : ١٧٧.

(٢) فالله هو الذي خلق اللسان، واللسان لا يتكلم إلا بإرادة الله تعالى.

لِقَوْمِهِ : ذَهَبَتْ مِنِّي الْآنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْمَكْرُ وَالْحِيلَةِ. ثُمَّ أَمَرَ قَوْمَهُ أَنْ يُزَيِّنُوا النِّسَاءَ، وَيَبْعَثُوهُنَّ بِالْأَمْتِعَةِ يَبِعْنَ عَلَيْهِمْ، وَيَتَعَرَّضْنَ لَهُمْ، حَتَّى لَعَلَّهُمْ يَقَعُونَ فِي الزِّنَى فَإِنَّهُ مَتَى زَنَى رَجُلٌ مِنْهُمْ كُفِيتُمُوهُمْ. فَفَعَلُوا وَزَيَّنُوا نِسَاءَهُمْ وَبَعَثُوهُنَّ إِلَى الْمُعَسْكَرِ، فَمَرَّتِ امْرَأَةٌ مِنْهُمُ اسْمُهَا كَسْتَى بِرَجُلٍ مِنْ عُظَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُوَ زِمْرِيُّ بْنُ شَلُومَ، يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ رَأْسَ سِبْطِ بَنِي شَمْعُونَ بْنِ يَعْقُوبَ. فَدَخَلَ بِهَا قُبَّتَهُ، فَلَمَّا خَلَا بِهَا أَرْسَلَ اللهُ الطَّاعُونَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَجَعَلَ يَجُوسُ فِيهِمْ، فَلَمَّا بَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى فِنْحَاصَ بْنِ الْعَيْزَارِ بْنِ هَارُونَ، أَخَذَ حَرْبَتَهُ، وَكَانَتْ مِنْ حَدِيدٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِمَا الْقُبَّةَ، فَانْتَظَمَهُمَا جَمِيعًا فِيهَا، ثُمَّ خَرَجَ بِهِمَا عَلَى النَّاسِ وَالْحَرْبَةِ فِي يَدِهِ، وَقَدِ اعْتَمَدَ عَلَى خَاصِرَتِهِ وَأَسْنَدَهَا إِلَى لِحْيَتِهِ، وَرَفْعَهُمَا نَحْوَ السَّمَاءِ وَجَعَلَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ هَكَذَا نَفْعَلُ بِمَنْ يَعْصِيكَ. وَرُفِعَ الطَّاعُونَ، فَكَانَ جُمْلَةُ مَنْ مَاتَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ سَبْعِينَ أَلْفًا، وَالْمُقَلِّلُ يَقُولُ: عِشْرِينَ أَلْفًا. وَكَانَ فِنْحَاصُ بِكْرَ أَبِيهِ الْعَيْزَارِ بْنِ هَارُونَ، فَلِهَذَا يَجْعَلُ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِوَلَدِ فِنْحَاصَ مِنَ الذَّبِيحَةِ الْقِبَةَ وَالذِّرَاعَ وَاللَّحْيَ، وَلَهُمُ الْبِكْرُ مِنْ كُلِّ أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ. وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ مِنْ قِصَّةِ بِلْعَامَ صَحِيحٌ قَدْ ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ، لَكِنْ لَعَلَّهُ لَمَّا أَرَادَ مُوسَى دُخُولَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، أَوَّلَ مَقْدَمِهِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَلَعَلَّهُ مُرَادُ ابْنِ إِسْحَاقَ، وَلَكِنَّهُ مَا فَهِمَهُ بَعْضُ النَّاقِلِينَ عَنْهُ .وَاللهُ أَعْلَمُ (١).

---

(١) البداية والنهاية» قصة موسى الكليم عليه الصلاة والسلام» ذِكْرُ نُبُوَّةِ يُوشَعَ وَقِيَامِهِ بِأَعْبَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ مُوسَى وَهَارُونَ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

(فَوائد) :

١ ـ أَخْرَجَ فِي الْحِلْيَةِ؛ عَنْ وَهْبٍ أَنَّ بَعْضَ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - سَأَلَ رَبَّهُ عَنْ سَبَبِ سَلْبِ بِلْعَامٍ؛ بَعْدَ تِلْكَ الْآيَاتِ وَالْكَرَامَاتِ؛ فَقَالَ (تَعَالَى): "إِنَّهُ لَمْ يَشْكُرْنِي يَوْمًا عَلَى مَا أَعْطَيْتُهُ؛ وَلَوْ شَكَرَنِي عَلَى ذَلِكَ مَرَّةً وَاحِدَةً؛ لَمَا سَلَبْتُهُ نِعْمَتِي" (١).

٢ ـ (لَوْ كَانَ الْعُجْبُ رَجُلًا ، كَانَ رَجُلَ سُوءٍ(٢)) فَيَتَعَيَّنُ اجْتِنَابُهُ ، فَإِنَّهُ مُهْلِكٌ لَا سِيَّمَا لِلْعَالِمِ، وَمِنْ أَدْوِيَتِهِ تَذَكُّرُ أَنَّ عِلْمَهُ وَفَهْمَهُ وَجَوْدَةَ ذِهْنِهِ وَفَصَاحَتَهُ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ النِّعَمِ فَضْلٌ مِنَ اللهِ عَلَيْهِ، وَأَمَانَةٌ عِنْدَهُ لِيَرْعَاهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا، وَأَنَّ الْعُجْبَ بِهَا كُفْرَانٌ لِنِعْمَتِهَا فَيُعَرِّضُهَا لِلزَّوَالِ، لِأَنَّ مُعْطِيَهُ إِيَّاهَا قَادِرٌ عَلَى سَلْبِهَا مِنْهُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، كَمَا سَلَبَ بَلْعَامَ مَا عَلِمَهُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ (٣).

٣ ـ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَلْهَثُ فَإِنَّمَا يَلْهَثُ مِنْ إِعْيَاءٍ أَوْ عَطَشٍ إِلَّا الْكَلْبَ اللَّاهِثَ فَإِنَّهُ يَلْهَثُ فِي حَالِ الْإِعْيَاءِ، وَفِي حَالِ الرَّاحَةِ، وَفِي حَالِ الْعَطَشِ، وَفِي حَالِ الرِّيِّ، فَكَانَ ذَلِكَ عَادَةً مِنْهُ وَطَبِيعَةً، وَهُوَ مُوَاظِبٌ عَلَيْهِ كَعَادَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ، وَطَبِيعَتِهِ الْخَسِيسَةِ ، لَا لِأَجْلِ حَاجَةٍ وَضَرُورَةٍ ، فَكَذَلِكَ مَنْ آتَاهُ اللهُ الْعِلْمَ وَالدِّينَ وَأَغْنَاهُ عَنِ التَّعَرُّضِ لِأَوْسَاخِ أَمْوَالِ النَّاسِ، ثُمَّ إِنَّهُ يَمِيلُ إِلَى طَلَبِ الدُّنْيَا، وَيُلْقِي نَفْسَهُ فِيهَا ، كَانَتْ حَالُهُ كَحَالِ ذَلِكَ اللَّاهِثِ، حَيْثُ وَاظَبَ عَلَى الْعَمَلِ الْخَسِيسِ،

---

(١) فيض القدير للمناوي.

(٢) رواه ابن وهب في جامعه من حديث عائشة رضي الله عنها، مرفوعًا.

(٣) فيض القدير للمناوي.

وَالْفِعْلِ الْقَبِيحِ، لِمُجَرَّدِ نَفْسِهِ الْخَبِيثَةِ، وَطَبِيعَتِهِ الْخَسِيسَةِ، لَا لِأَجْلِ الْحَاجَةِ وَالضَّرُورَةِ(١) .

٤ ـ أَنَّ الرَّجُلَ الْعَالِمَ إِذَا تَوَسَّلَ بِعِلْمِهِ إِلَى طَلَبِ الدُّنْيَا ، فَذَاكَ إِنَّمَا يَكُونُ لِأَجْلِ أَنَّهُ يُورِدُ عَلَيْهِمْ أَنْوَاعَ عُلُومِهِ وَيُظْهِرُ عِنْدَهُمْ فَضَائِلَ نَفْسِهِ وَمَنَاقِبَهَا ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ عِنْدَ ذِكْرِ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ، وَتَقْرِيرِ تِلْكَ الْعِبَارَاتِ يُدْلِعُ لِسَانَهُ ، وَيُخْرِجُهُ لِأَجْلِ مَا تَمَكَّنَ فِي قَلْبِهِ مِنْ حَرَارَةِ الْحِرْصِ وَشِدَّةِ الْعَطَشِ إِلَى الْفَوْزِ بِالدُّنْيَا ، فَكَانَتْ حَالَتُهُ شَبِيهَةً بِحَالَةِ ذَلِكَ الْكَلْبِ الَّذِي أَخْرَجَ لِسَانَهُ أَبَدًا مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ وَلَا ضَرُورَةٍ ، بَلْ بِمُجَرَّدِ الطَّبِيعَةِ الْخَسِيسَةِ (٢).

٥ـ وفي كتاب الاعتصام للشاطبي: وَمَنْ مَاتَ مُصِرًّا عَلَى الْمَعْصِيَةِ؛ فَيُخَافُ عَلَيْهِ، فَرُبَّمَا إِذَا كُشِفَ الْغِطَاءُ، وَعَايَنَ عَلَامَاتِ الْآخِرَةِ اسْتَفَزَّهُ الشَّيْطَانُ ، وَغَلَبَهُ عَلَى قَلْبِهِ ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى التَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ ، وَخُصُوصًا حِينَ كَانَ مُطِيعًا لَهُ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ زَمَانِهِ ، مَعَ حُبِّ الدُّنْيَا الْمُسْتَوْلِي عَلَيْهِ .

قَالَ عَبْدُ الْحَقِّ الْإِشْبِيلِيّ : " إِنَّ سُوءَ الْخَاتِمَةِ لَا يَكُونُ لِمَنِ اسْتَقَامَ ظَاهِرُهُ ، وَصَلُحَ بَاطِنُهُ ، مَا سُمِعَ بِهَذَا قَطُّ ، وَلَا عُلِمَ بِهِ ، وَالْحَمْدُ للهِ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ لِمَنْ كَانَ لَهُ فَسَادٌ فِي الْعَقْدِ، أَوْ إِصْرَارٌ عَلَى الْكَبَائِرِ، وَإِقْدَامٌ عَلَى الْعَظَائِمِ، أَوْ لِمَنْ كَانَ مُسْتَقِيمًا ثُمَّ تَغَيَّرَتْ حَالُهُ وَخَرَجَ عَنْ سُنَنِهِ، وَأَخَذَ فِي طَرِيقٍ غَيْرِ طَرِيقِهِ ، فَيَكُونُ

---

(١) تفسير الرازي – ج ١٥– الأعراف ١٤٦.

(٢) المرجع السابق.

عَمَلُهُ ذَلِكَ سَبَبًا لِسُوءِ خَاتِمَتِهِ وَسُوءِ عَاقِبَتِهِ ، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ .قَالَ اللهُ تَعَالَى : (إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) وَقَدْ سَمِعْتُ بِقِصَّةِ بَلْعَامَ بْنِ بَاعُورَاءَ حَيْثُ آتَاهُ اللهُ آيَاتِهِ (فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ... إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ(١).

(١) كتاب الاعتصام للشاطبي.

قصة قوم سبأ

قَالَ اللهُ تَعَالَى:{ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَفَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} (١).

قَالَ عُلَمَاءُ النَّسَبِ مِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: اسْمُ سَبَأٍ ؛ عَبْدُ شَمْسِ بْنُ يَشْجُبَ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ قَحْطَانَ، قَالُوا: وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَبَى فِي الْعَرَبِ فَسُمِّي سَبَأً لِذَلِكَ وَكَانَ يُقَالَ لَهُ: الرَّائِشُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يُعْطِي النَّاسَ الْأَمْوَالَ مِنْ مَتَاعِهِ .

ذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ كَانَ مُسْلِمًا وَكَانَ لَهُ شِعْرٌ بَشَّرَ فِيهِ بِوُجُودِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ هُبَيْرَةَ السَّبَائِيِّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ وَعْلَةَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ الْعَبَّاسِ يَقُولُ : إِنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ سَبَأٍ مَا هُوَ ؟ أَرَجُلٌ أَمِ امْرَأَةٌ أَمْ أَرْضٌ ؟ قَالَ : بَلْ هُوَ رَجُلٌ وَلَدَ عَشَرَةً ؛ فَسَكَنَ الْيَمَنَ مِنْهُمْ سِتَّةٌ، وَبِالشَّامِ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ

---

(١) سورة سبأ _ الآيات من ١٥ : ١٩.

فَأَمَّا الْيَمَانِيُّونَ ؛ فَمَذْحِجٌ وَكِنْدَةُ وَالْأَزْدُ وَالْأَشْعَرِيُّونَ وَأَنْمَارٌ وَحِمْيَرُ، وَأَمَّا الشَّامِيَّةُ ؛ فَلَخْمٌ وَجُذَامٌ وَعَامِلَةُ وَغَسَّانُ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ سَبأً يَجْمَعُ هَذِهِ الْقَبَائِلَ كُلَّهَا، وَقَدْ كَانَ فِيهِمُ التَّبَابِعَةُ بِأَرْضِ الْيَمَنِ وَاحِدُهُمْ تُبَّعٌ وَكَانَ لِمُلُوكِهِمْ تِيجَانٌ يَلْبَسُونَهَا وَقْتَ الْحُكْمِ ، كَمَا كَانَتِ الْأَكَاسِرَةُ مُلُوكُ الْفُرْسِ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تُسَمِّي كُلَّ مَنْ مَلَكَ الْيَمَنَ مَعَ الشِّحْرِ وَحَضْرَمَوْتَ تُبَّعًا، كَمَا يُسَمُّونَ مَنْ مَلَكَ الشَّامَ مَعَ الْجَزِيرَةِ قَيْصَرَ، وَمَنْ مَلَكَ الْفُرْسَ كِسْرَى، وَمَنْ مَلَكَ مِصْرَ فِرْعَوْنَ ، وَمَنْ مَلَكَ الْحَبَشَةَ النَّجَاشِيَّ، وَمَنْ مَلَكَ الْهِنْدَ بَطْلَيْمُوسَ، وَقَدْ كَانَ مِنْ جُمْلَةِ مُلُوكِ حِمْيَرَ بِأَرْضِ الْيَمَنِ بِلْقِيسُ، وَقَدْ قَدَّمْنَا قِصَّتَهَا مَعَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ كَانُوا فِي غِبْطَةٍ عَظِيمَةٍ وَأَرْزَاقٍ دَارَّةٍ وَثِمَارٍ وَزُرُوعٍ كَثِيرَةٍ، وَكَانُوا مَعَ ذَلِكَ عَلَى الِاسْتِقَامَةِ وَالسَّدَادِ وَطَرِيقِ الرَّشَادِ فَلَمَّا بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ؛ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُمْ لَمَّا عَدَلُوا عَنِ الْهُدَى إِلَى الضَّلَالِ، وَسَجَدُوا لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَكَانَ ذَلِكَ فِي زَمَانِ بِلْقِيسَ وَقَبْلَهَا أَيْضًا ، وَاسْتَمَرَّ ذَلِكَ فِيهِمْ حَتَّى أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:{ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ} .

ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَغَيْرِهِمْ أَنَّ سَدَّ مَأْرِبَ كَانَ صَنْعَتَهُ ؛ أَنَّ الْمِيَاهَ تَجْرِي مِنْ بَيْنِ جَبَلَيْنِ فَعَمَدُوا فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ فَسَدُّوا

مَا بَيْنَهُمَا بِبِنَاءٍ مُحْكَمٍ جِدًّا حَتَّى ارْتَفَعَ الْمَاءُ فَحَكَمَ عَلَى أَعَالِي الْجَبَلَيْنِ، وَغَرَسُوا فِيهِمَا الْبَسَاتِينَ وَالْأَشْجَارَ الْمُثْمِرَةَ الْأَنِيقَةَ، وَزَرَعُوا الزُّرُوعَ الْكَثِيرَةَ .

وَيُقَالَ كَانَ أَوَّلُ مَنْ بَنَاهُ سَبَأَ بْنَ يَعْرُبَ، وَسَلَّطَ إِلَيْهِ سَبْعِينَ وَادِيًا يَفِدُ إِلَيْهِ ، وَجَعَلَ لَهُ ثَلَاثِينَ فُرْضَةً يَخْرُجُ مِنْهَا الْمَاءُ، وَمَاتَ وَلَمْ يَكْمُلْ بِنَاؤُهُ فَكَمَّلَتْهُ حِمْيَرُ بَعْدَهُ وَكَانَ اتِّسَاعُهُ فَرْسَخًا فِي فَرْسَخٍ كَانُوا فِي غِبْطَةٍ عَظِيمَةٍ وَعَيْشٍ رَغِيدٍ وَأَيَّامٍ طَيِّبَةٍ حَتَّى ذَكَرَ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ أَنَّ الْمَرْأَةَ كَانَتْ تَمُرُّ بِالْمِكْتَلِ عَلَى رَأْسِهَا فَيَمْتَلِئُ مِنَ الثِّمَارِ مَا يَتَسَاقَطُ فِيهِ مِنْ نُضْجِهِ وَكَثْرَتِهِ ، وَذَكَرُوا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي بِلَادِهِمْ شَيْءٌ مِنَ الْبَرَاغِيثِ وَلَا الدَّوَابِّ الْمُؤْذِيَةِ لِصِحَّةِ هَوَائِهِمْ وَطِيبِ فِنَائِهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى:{ لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ}، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ }(١).

فَلَمَّا عَبَدُوا غَيْرَ اللهِ، وَبَطَرُوا نِعْمَتَهُ، وَسَأَلُوا بَعْدَ تَقَارُبِ مَا بَيْنَ قُرَاهُمْ ، وَطِيبِ مَا بَيْنَهَا مِنَ الْبَسَاتِينِ، وَأَمْنِ الطُّرُقَاتِ سَأَلُوا أَنْ يُبَاعَدَ بَيْنَ أَسْفَارِهِمْ ، وَأَنْ يَكُونَ سَفَرُهُمْ فِي مَشَاقٍّ وَتَعَبٍ، وَطَلَبُوا أَنْ يُبَدَّلُوا بِالْخَيْرِ شَرًّا، كَمَا سَأَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بَدَلَ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى الْبُقُولَ؛ وَالْقِثَّاءَ وَالْفُومَ وَالْعَدَسَ وَالْبَصَلَ فَسُلِبُوا تِلْكَ النِّعْمَةَ الْعَظِيمَةَ وَالْحُسَنَةَ الْعَمِيمَةَ بِتَخْرِيبِ الْبِلَادِ وَالشَّتَاتِ عَلَى وُجُوهِ الْعِبَادِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ فَسَلَكَ الْمَاءُ الْقَرَارَ

---

(١) سورة إبراهيم ـ الآية ٧.

فَقُطِعَتْ تِلْكَ الْجَدَاوِلُ وَالْأَنْهَارُ، وَانْقَطَعَتْ تِلْكَ الثِّمَارُ، وَبَادَتْ تِلْكَ الزُّرُوعُ وَالْأَشْجَارُ، وَتَبَدَّلُوا بَعْدَهَا بِرَدِيءِ الْأَشْجَارِ وَالْأَثْمَارِ كَمَا قَالَ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ:{ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ} قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ : هُوَ الْأَرَاكُ وَثَمَرُهُ الْبَرِيرُ، وَأَثْلٍ وَهُوَ الطَّرْفَاءُ، وَقِيلَ: يُشْبِهُهُ وَهُوَ حَطَبٌ لَا ثَمَرَ لَهُ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ يُثْمِرُ النَّبْقُ كَانَ قَلِيلًا مَعَ أَنَّهُ ذُو شَوْكٍ كَثِيرٍ، وَثَمَرُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ كَمَا يُقَالُ فِي الْمَثَلِ: لَحْمُ جَمَلٍ غَثٍّ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ وَعْرٍ لَا سَهْلَ فَيُرْتَقَى وَلَا سَمِينَ فَيُنْتَقَى؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى:{ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ} أَي: إِنَّمَا نُعَاقِبُ هَذِهِ الْعُقُوبَةَ الشَّدِيدَةَ مَنْ كَفَرَ بِنَا وَكَذَّبَ رُسُلَنَا، وَخَالَفَ أَمْرَنَا، وَانْتَهَكَ مَحَارِمَنَا، وَقَالَ تَعَالَى:{ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ } وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمَّا هَلَكَتْ أَمْوَالُهُمْ، وَخَرِبَتْ بِلَادُهُمُ احْتَاجُوا أَنْ يَرْتَحِلُوا مِنْهَا، وَيَنْتَقِلُوا عَنْهَا فَتَفَرَّقُوا فِي غَوْرِ الْبِلَادِ وَنَجْدِهَا ؛ أَيْدِيَ سَبَأٍ شَذَرَ مَذَرَ فَنَزَلَتْ طَوَائِفُ مِنْهُمُ الْحِجَازَ ، وَهُمْ خُزَاعَةُ نَزَلُوا ظَاهِرِ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا سَنَذْكُرُهُ، وَمِنْهُمُ الْمَدِينَةَ النَّبَوِيَّةَ الْيَوْمَ فَكَانُوا أَوَّلَ مَنْ سَكَنَهَا، ثُمَّ نَزَلَتْ عِنْدَهُمْ ثَلَاثُ قَبَائِلَ مِنَ الْيَهُودِ؛ بَنُو قَيْنُقَاعَ، وَبَنُو قُرَيْظَةَ، وَبَنُو النَّضِيرِ فَحَالَفُوا الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ وَأَقَامُوا عِنْدَهُمْ وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا سَنَذْكُرُهُ، وَنَزَلَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى مِنْهُمُ الشَّامَ، وَهُمُ الَّذِينَ تَنَصَّرُوا فِيمَا بَعْدُ، وَهُمْ غَسَّانُ وَعَامِلَةُ وَبَهْرَاءُ وَلَخْمٌ وَجُذَامٌ وَتَنُوخُ وَتَغْلِبُ وَغَيْرُهُمْ.

وَقَدْ ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي كِتَابِ " السِّيرَةِ " أَنَّ أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْيَمَنِ قَبْلَ سَيْلِ الْعَرِمِ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ اللَّخْمِيُّ ، كَادَ قَوْمَهُ فَأَمَرَ أَصْغَرَ وَلَدِهِ إِذَا أَغْلَظَ

عَلَيْهِ وَلَطَمَهُ ، أَنْ يَقُومَ إِلَيْهِ فَيَلْطِمَهُ فَفَعَلَ ابْنُهُ مَا أَمَرَهُ بِهِ فَقَالَ عَمْرٌو: لَا أُقِيمُ بِبَلَدٍ لَطَمَ وَجْهِي فِيهِ أَصْغَرُ وَلَدِي ، وَعَرَضَ أَمْوَالَهُ فَقَالَ أَشْرَافٌ مِنْ أَشْرَافِ الْيَمَنِ : اغْتَنِمُوا غَضْبَةَ عَمْرٍو فَاشْتَرُوا مِنْهُ أَمْوَالَهُ . وَانْتَقَلَ فِي وَلَدِهِ وَوَلَدِ وَلَدِهِ وَقَالَتِ الْأَزْدُ : لَا نَتَخَلَّفُ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ فَبَاعُوا أَمْوَالَهُمْ وَخَرَجُوا مَعَهُ فَسَارُوا حَتَّى نَزَلُوا بِلَادَ عَكٍّ مُجْتَازِينَ يَرْتَادُونَ الْبُلْدَانَ فَحَارَبَتْهُمْ عَكٌّ فَكَانَتْ حَرْبُهُمْ سِجَالًا .

قَالَ: فَارْتَحَلُوا عَنْهُمْ فَتَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ فَنَزَلَ آلُ جَفْنَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ الشَّامَ ، وَنَزَلَ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ يَثْرِبَ، وَنَزَلَتْ خُزَاعَةُ مَرًّا، وَنَزَلَتْ أَزْدُ السَّرَاةِ السَّرَاةَ، وَنَزَلَتْ أُزْدُ عُمَانَ عُمَانَ ، ثُمَّ أَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَى السَّدِّ السَّيْلَ فَهَدَمَهُ(١).

فائدة:

١. السبب في خراب السد هو فسادهم وتحولهم من عقيدة الإيمان إلى الشرك، (فَأَعْرَضُوا) أي أشركوا فكان عقاب الله عز وجل لهم أن سلط الله عليهم الخراب بدمار السد (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ) على أيٍ كانت الأسباب ليعاقبهم على فسادهم وكفرهم، وكما قيل: إذا جاء القدر عمي البصر، وانطمست البصيرة، عن إصلاح ما يتلف من هذا السد حتى تنفذ إرادة الله تعالى.. وليس بعد الشرك إلا انطماس البصيرة وعدم التفكير الصحيح.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير.

قصة النملة مع سليمان

قَالَ اللهُ تَعَالَى: { وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}(١).

فوائد من قصة النملة مع سليمان:

١. لم تفكر النملة في نجاتها، بل تفكرت في نجاة الآخرين، فقامت بالنصيحة لهم، فاستحقت أن تذكر في أعظم كتاب أنزله الله تعالى من السماء إلى البشرية، لتكون أسوة للساعين فى نفع الآخرين ونجاتهم .

٢. فيها دلالة على فضل الداعي الذى يجتهد لنجاة الآخرين، على العابد الذى يجتهد لنجاة نفسه فقط، فعَنْ الْحَسَنِ البصرى قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَجُلَيْنِ كَانَا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَحَدُهُمَا: كَانَ عَالِمًا يُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ، ثُمَّ يَجْلِسُ فَيُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ، وَالآخَرُ: يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:"فَضْلُ هَذَا الْعَالِمِ الَّذِى يُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ، ثُمَّ يَجْلِسُ فَيُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ عَلَى الْعَابِدِ الَّذِى يَصُومُ النَّهَارَ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ رَجُلا". رواه الدارمي(٢).

---

(١) سورة النمل _ الآيات من ١٧ : ١٩.

(٢) مشكاة المصابيح _ كتاب العلم.

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِي قَالَ: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ، وَالآخَرُ عَالِمٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ "رواه الترمذي(١).

٣. أولى الناس بالنصيحة هم قومك ؛لذا كانت دعوة كل نبي أولاً في قومه، قال نوح عليه الصلاة والسلام:﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَّ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾(٢) .

وقال هود:﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَّ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾(٣).

وقال تعالى عن نبينا ﷺ :﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٤).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَنْزَلَ اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ:﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾قَالَ:" يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا: اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ؛ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللهِّ شَيْئًا يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللهِّ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللهِّ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِّ لا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللهِّ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي؛لا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللهِّ شَيْئًا" البخاري .

---

(١) المرجع السابق.
(٢) سورة الأعراف _ الآية ١٥٩.
(٣) سورة الأعراف _ الآية ٦٥.
(٤) سورة التوبة _ الآية ١٢٨.

٤. ودلت على أن على الداعي أن يبين لقومة الخطر وسبيل النجاة منه، حيث قالت:﴿ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾بَيَّنَت سبيل وطريق، وكيفية النجاة، وبقولها:﴿لا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ بَيَّنَت الخطر.

وهكذا فعل مؤمن آل فرعون: ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءنَا﴾(١)، وقال تعالى:﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ (٢).

وكذلك النبي محمد كما في الحديث: عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قال رسول الله ﷺ:"مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ: كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنْ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِى" رواه مسلم.

وعَنْ أَبِى مُوسَى رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ):"مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ: كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ فَالنَّجَاءَ النَّجَاءَ، فَأَطَاعَتْهُ طَائِفَةٌ فَأَدْلَجُوا عَلَى مَهْلِهِمْ؛ فَنَجَوْا؛ وَكَذَّبَتْهُ طَائِفَةٌ فَصَبَّحَهُمْ الْجَيْشُ؛ فَاجْتَاحَهُمْ" .

٥. النملة قالت:{ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ }دليل على أن الداعي إلى الله يعرفه كل شيء في الأرض وفي السماء كما جاء فى الحديث عَنْ أَبِى أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ: قالَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ

---

(١) سورة التوبة _ الآية ٢٩.

(٢) سورة التوبة _ الآية ٤٢.

وَأَهْلَ السماوات والأرضيين حَتَّى النَّمْلَةَ في جُحْرِهَا، وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسِ الْخَيْرَ" رواه الترمذي .

٦. نتعلم من قول النملة:{ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ }أن على الداعي أن يحسن الظن بالآخرين.

٧. ونتعلم من قول النملة:{ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا }أن على الداعي أن يحاول أن يدخل السرور على الناس بالخطاب الحسن.

٨. استحسان الخير وإظهاره ومكافأة فاعله عليه، ليكون في ذلك ترغيب للآخرين بفعله والاقتداء به، فإن من صفات النبي(ﷺ):"أنه كان يُحَسِّنُ الحسنَ ويُقَوِّيهِ ويُقبِّحُ القبيحَ وَيُوَهِّيْهِ ".(سنن البيهقي ٧/ ٢٤١)، وكم من المواقف التي أثنى عليها النبي ﷺ خيرًا لحسن صنيع أصحابها مثل: ما جاء عَنْ أَبِي مُوسَى رضى الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ(ﷺ):"إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ؛ فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ" رواه البخاري.

وعَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال :"مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ، شَيءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً؛ كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيء" رواه مسلم .

قصة الهدهد مع سليمان

قَالَ اللهُ تَعَالَى: { وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ * قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ

مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ * قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ * وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ * قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }(١).

فوائد من قصة سليمان مع الهدهد:

١ .الهدهد تجول جولة فاهتدت دولة.

٢. إذا نظر الداعي إلى الهدهد من حيث الحجم(صغير) والمكانة فهو(طير)، فلا يستقل الإنسان نفسه، من حيث(الحجم، المكانة الاجتماعية، الغنى، الفقر، اللسان)، فالهدهد دعا والذئب دعا، وليس معهم اللسان، الشيخ إنعام كان يقول الله استخدمني وأنا أخرس(أي: قليل الكلام).

٣. ومن صغر حجم الهدهد وضعف قوته، نأخذ أن قوة المبعوث من قوة الباعث.. ففي حياة النبي الذي مزق كتاب النبي مزق الله ملكه وأهلكه.

---

(١) سورة يس _ الآيات من ٢٠ : ٤٤.

٤. لا تقول أنا لا أستطيع أدعو إلى الله، فسهل أن تدل الناس على الدعاة أي ترغبهم في الحضور لمجالس الدعاة والعلماء، وكذلك تدل العلماء على الناس، كما فعل الهدهد.

٥. لا تقول أنا غير مكلف بالدعوة، وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة على فرضية الدعوة، فأحيانا تكون فرض عين وأحيانا تكون فرض كفاية على الأمة حسب الأحوال والزمان، ولك في الهدهد أسوة غار من أجل التوحيد.

٦. نأخذ من قوله: { وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ }على الراعي أن يتفقد رعيته مهما صغرت أو كبرت، أو قل شأنها، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ) قال: " أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ "متفق عليه.

٧. في قوله تعالى:{ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ* لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ}أن من العدل أن يكون العقاب على قدر الذنب، فسليمان توعده بالعذاب الشديد إن كان حاضرًا وقد قصر في واجبه، والذبح إن كان غائبًا بدون عذر مقبول، وعلى الوالي أن يعاقب المذنب ليكون زاجرا لغيره.

٨. والرأفة بالجاني تجعله يتمادى في غيه.. وهذا نبينا (ﷺ) عاقب المذنبين، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ نَاسًا مِنْ عُرَيْنَةَ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِّ (ﷺ) الْمَدِينَةَ فَاجْتَوَوْهَا ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِّ (ﷺ):"إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى إِبِلِ الصَّدَقَةِ فَتَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا" فَفَعَلُوا فَصَحُّوا، ثُمَّ مَالُوا عَلَى الرُّعَاةِ فَقَتَلُوهُمْ، وَارْتَدُّوا عَنْ الإِسْلامِ، وَسَاقُوا ذَوْدَ رَسُولِ اللهِّ (ﷺ)،فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ (ﷺ)،فَبَعَثَ فِي أَثَرِهِمْ فَأُتِيَ بِهِمْ، فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ، وَتَرَكَهُمْ فِي الْحَرَّةِ حَتَّى مَاتُوا " (١) .

٩. وقوله تعالى:{أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ}فالمتهم بريء حتى تثبت إدانته.

١٠. وقوله تعالى:{ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ }الفاء للتعقيب تدل على قصر مدة غيابه.

١١. وقوله تعالى:{ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ }الجرأة في الدفاع عن النفس ولا سيما مع المحق، أمام السلطان العادل.

١٢. وقوله تعالى:{ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ } يمكن للمفضول أن يعلم علماً لا يعلمه الفاضل.. لإثبات كمال العلم لله وحده الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا تخفى عليه خافية، على عكس علم البشر، ولقد قال الله لنبيه:﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلاً﴾(٢)،وهذا لا ينقص من قدر سليمان

---

(١) صحيح مسلم (٣١٦٢).

(٢) سورة الإسراء _ الآية ١٨٥.

عليه السلام، وهو الذي، أُوتي الحُكمَ وأُعطِيَ الْفَهْمَ، وعُلِّمَ منطق الطيرِ العُجمِ، قال تعالى:﴿ وَكُلاً آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾(١).

ولما صاحَبَ(الخضرُ)موسى عليه السلام: قال يا مُوسَى:" إنِّي علَى عِلْمٍ مِن عِلْمِ اللهِّ عَلَّمَنِيهِ لا تَعْلَمُهُ أنْتَ، وأَنْتَ علَى عِلْمٍ مِن عِلْمِ اللهِّ عَلَّمَكَهُ اللهُّ لا أعْلَمُهُ، فَقالَ مُوسَى: {سَتَجِدُنِي إنْ شَاءَ اللهُّ صَابِرًا، ولَا أعْصِي لكَ أمْرًا}، فَقالَ له الخَضِرُ: {فَإنِ اتَّبَعْتَنِي فلا تَسْأَلْنِي عن شيءٍ حتَّى أُحْدِثَ لكَ منه ذِكْرًا}، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ علَى سَاحِلِ البَحْرِ فَمَرَّتْ سَفِينَةٌ فَكَلَّمُوهُمْ أنْ يَحْمِلُوهُمْ، فَعَرَفُوا الخَضِرَ فَحَمَلُوهُمْ بغيرِ نَوْلٍ، فَلَمَّا رَكِبَا في السَّفِينَةِ لَمْ يَفْجَأْ إلَّا والخَضِرُ قدْ قَلَعَ لَوْحًا مِن أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ بالقَدُومِ، فَقالَ له مُوسَى: قَوْمٌ قدْ حَمَلُونَا بغيرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إلى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا (لِتُغْرِقَ أهْلَهَا لقَدْ جِئْتَ شيئًا إمْرًا قالَ أَلَمْ أقُلْ إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا قالَ لا تُؤَاخِذْنِي بما نَسِيتُ ولَا تُرْهِقْنِي مِن أمْرِي عُسْرًا)، قالَ: وقالَ رَسولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: وكَانَتِ الأُولَى مِن مُوسَى نِسْيَانًا، قالَ: وجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ علَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ في البَحْرِ نَقْرَةً، فَقالَ له الخَضِرُ: ما عِلْمِي وعِلْمُكَ مِن عِلْمِ اللهِّ إلَّا مِثْلُ ما نَقَصَ هذا العُصْفُورُ مِن هذا البَحْرِ،..... رواه البخاري.

١٣. وفي قوله:﴿ أَحَطْتُّ ﴾استفصال الأخبار فإن الهدهد جاء بمعلومات كاملة مفصلة محيطة بجميع أحوال(بلقيس) الدينية والدنيوية: فهي ملكة،

---

(١) سورة النمل _ الآية ٧٩.

وعندها جند، ولها عرش عظيم، وأوتيت من كل شيء، وتعبد الشمس من دون الله، وهذا يُغني عن إعادة النظر في أحوالها، أو طلب المزيد، وهذا أصل من أصول نقل الأخبار أن تكون: مفصلة، كاملة، شاملة وصادقة.

١٤. وفي قوله تعالى:(وَجِئْتُك مِنْ سَبَإٍ) أنه لا بد من توصيل الأخبار الهامة والنافعة لمن بيده الأمر.

١٥. قوله من: (مِنْ سَبَإٍ) فهو دليل على بُعد المكان، حيث إن(الهدهد) تَحَمَّلَ مجاهدة كبيرة في الوصول إلى مملكة(سبأ)، فَطَيَرَانُه(لسبأٍ) ثم رجوعُه، ثم حملُه رسالة سليمان عليه السلام إلى(بلقيس) مرة أخرى، ورجوعه وقطعه تلك المسافات، ومجاهدته في ذلك؛ كان سببًا في رِفعة الهدهد، وعُلو مقامه، وفى هداية بلقيس وقومها.. وفى هذا ترغيب شديد لتحمل المشقات في سبيل دعوة الناس إلى الحق أو دلالتهم على الهدى، وأن هذه المجاهدات سبب للخير، وهذا يُذَكِّرُنَا بتضحيات النبي(ﷺ)، والصحابة الكرام في سبيل الدعوة، فالنبي(ﷺ) ذهب إلى (الطائف) ماشيًا؛ ليدعوها إلى الإسلام، ومصعب بن عمير رضى الله عنه أرسله النبي ﷺ إلى(المدينة المنورة)فمكث فيها عامًا كاملاً، يدعو إلى الله؛ حتى جعله الله سببًا لدخول أهلها في الإسلام وقيامهم لنصرة سَيِّدِ الأنام. قال تعالى:﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾(١).

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٦٩.

١٦. وفي قوله تعالى:﴿ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴾ التأكد من الأخبار قبل نقلها.. وفيها أن أهم الأنباء والأخبار هي الأخبار عن دين الناس وعقائدهم وأحوالهم الدينية.

١٧. وفي قوله تعالى:﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ فيها دلالة على أن تنصيب المرأة ملكة هي من عادة أهل الكفر والملل الأخرى، ولكن في الإسلام لا تكون المرأة: خليفة، أو والية، أو حاكمة، أو قاضية، ولا تكون إمامة في الصلاة إلا بمثلها، ولا تعمل في عمل تخالط فيه الرجال، وَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ رضى الله عنه: لَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنَّ أَهْلَ فَارِسَ قَدْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بِنْتَ كِسْرَى قَالَ:" لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمْ امْرَأَةً "(١).

١٨. وفي قوله تعالى:﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾من كمال الملك الدنيوي، امتلاك الأسباب المختلفة .

١٩. وفي قوله تعالى:﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ أن اتباع الشيطان سبب لكل شر.

٢٠. وفى قوله تعالى ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ أن سبيل الحق واحد .

٢١. وفى قوله تعالى:﴿فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ﴾ دليل على سلامة فطرة الهدهد والدواب والطير .

٢٢. في قوله تعالى ﴿أَلاَّ يَسْجُدُوا للهِ﴾ دليل على الهمَّ والحزن والحرقة في قلب الهدهد.

---

(١) صحيح البخاري» كتاب المغازي» باب كتاب النبي (ﷺ) إلى كسرى وقيصر رقم (٤١٦٣).

٢٣. وفى قوله تعالى ﴿الَّذِى يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ على الداعي أن يذكر الناس بنعم الله.. وذكرهم الهدهد بالنعم التي يراها كل يوم، فكذلك كل في مهنته يستطيع أن يستدل على قدرة الله وعظمته من خلال مهنته.

٢٤. وفى قوله تعالى:﴿ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ على الداعي إذا رأى شيئا يظن أنه عظيم فليستصغره أمام قدرة الله وعظمته وما استودعه في مخلوقاته، وليعلم أن الله خالق كل صانع وصنعته.. فالهدهد عندما رأى عرش بلقيس ووصفه بأنه عظيم (وصف مجازي) فبين أن العرش العظيم(حقيقة) هو عرش ربنا جل جلاله.

٢٥. دعوة الهدهد كانت في غير قومه وغير جنسه، دليل لدحض شبهة من يقول ادع قومك واترك الحركة على الغير.

٢٦. نصيحة(النملة) كانت من باب الشفقة على الخلق، ،بينما كانت دعوة الهدهد، من باب الغيرة للحق، حيث قال تعالى على لسان الهدهد﴿ أَلا يَسْجُدُوا للهِّ الَّذِى يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾، فهذه العاطفة لازمة لكل داع أن يكون مشفقًا ناصحًا لقومه، وفى نفس الوقت يعظم حرمات الله، ويغضب ويغار لانتهاكها، ضرب أحد العلماء مثالاً لذلك (كرجلٍ له والدٌ وقور، ذو شأن عظيم وله أخٌ صغير، فتطاول الأخ الصغير على مقام أبيه، فقام الوالد بضربه ضربًا شديدًا مبرحًا، فكانت عاطفة

ذلك الرجل، أن يشفق على أخيه الذى لا يحتمل الضرب ولكن في نفس الوقت عنده الغيرة، كيف يُهان الوالد الوقور؟.

٢٧. وفى قوله تعالى:﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ التَّبَيُّنُ من الأخبار قبل الحكم عليها أو إشاعتها.

٢٨. وفى قوله تعالى:﴿اذْهَبْ﴾وفيها (عظيم ثواب الداعي) فإن الهدهد لما عمل في جهد الهداية، وكان سببًا لإخراج(سبأ) من الغواية، أجزل الله تبارك وتعالى له العطاء، وبالغ له في الثناء، فذكره في خير الكتب المُنْزَلة، ورفع له المقام والمَنْزِلَة، وكان من ثوابه؛ أن الله رفع عنه الذبح، والتهديد، ونَجَّى نسله من الذبح إلى يوم الوعيد، فلا يجوز أن يذبح الهدهد في شريعتنا، كما أخبر بذلك حبيبنًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضى الله عنهما قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ(ﷺ) نَهَى عَنْ قَتْلِ أَرْبَعٍ مِنْ الدَّوَابِّ: النَّمْلَةُ، وَالنَّحْلَةُ، وَالْهُدْهُدُ، وَالصُّرَدُ"(١)وكذلك يُعْطَى هذا الثواب لكل من نحا نحو الهدهد، ودعا مثله، فهذا الْحَارِثَ بْنَ مُسْلِمِ بْنِ الْحَارِثِ التَّمِيمِيّ ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فِي سَرِيَّةٍ فَلَمَّا بَلَغْنَا الْمُغَارَ اسْتَحْثَثْتُ فَرَسِي فَسَبَقْتُ أَصْحَابِي وَتَلَقَّانِي الْحَيُّ بِالرَّنِينِ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ تُحْرَزُوا، فَقَالُوهَا، فَلَامَنِي أَصْحَابِي، وَقَالُوا: حَرَمْتَنَا الْغَنِيمَةَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرُوهُ بِالَّذِي صَنَعْتُ، فَدَعَانِي، فَحَسَّنَ لِي مَا صَنَعْتُ، وَقَالَ: أَمَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ لَكَ مِنْ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ كَذَا

---

(١) رواه أبو داوود:(٤٥٨٣).

وَكَذَا قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَأَنَا نَسِيتُ الثَّوَابَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): أَمَا إِنِّي سَأَكْتُبُ لَكَ بِالْوَصَاةِ بَعْدِي قَالَ: فَفَعَلَ وَخَتَمَ عَلَيْهِ، فَدَفَعَهُ إِلَيَّ، وَقَالَ لِي ،..(١).

وكذلك يُعطى هذا الثواب من الله الكريم لمن دعا للإسلام، واجتهد في هداية الأقوام، فيجزل الله له الثواب ويُعافيه من العقاب، جاء في الأثر:" من ردَّ لي شاردًا؛ كتبته في الملأ الأعلى جِهبذا، ومن كتبته جهبذا؛ لا أعذبه أبدًا"(٢) هذا الثواب لمن كان سببًا في رد شارد واحد إلى الله فكم ثواب من كان سببًا لهداية أمَّة أو إسلام قبيلة كاملةٍ كالصحابي الجليل(سعد بن معاذ)رضى الله عنه كبير بنى عبد الأشهل.

٢٩. وفي قوله تعالى:{ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ }دليل على انتداب من كان في قلبه الهمَّ لهداية الناس إلى مقام الدعوة.. فموسى قال عن أخيه هارون:﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾(٣) لكن كان موسى من أولي العزم والرسول الأول ثم هارون، وما كان هارون مسموع الكلمة عند بني إسرائيل مثل موسى، وما كان فرعون يخاف هارون مثل خوفه موسى، لأن موسى كان من أولي العزم من الرسل وكان أشد حرصا على هداية الناس، وكان أشدهما مجاهدة في دين الله.

---

(١) سنن أبي داوود _ كِتَاب الْأَدَبِ _ أَبْوَابُ النَّوْمِ _ حديث رقم (٤٤٨١).
(٢) تاريخ واسط (١٩٣).
(٣) سورة القصص _ الآية ٣٤.

وكان النبي إذا انتدب الناس للجهاد؛ فمن استعد أولا جعله أميرهم.

٣٠. وفي قوله تعالى:﴿ بِكِتَابِي هَذَا ﴾ فيها دليل على أن الدعوة الكتابية هي أحد أشكال الدعوة إلى الله جَلَّ وعلا، وذلك بإرسال الكتب لدعوة الناس إلى الله، وتلك كانت من سنة الرسول ﷺ وسيرة الصحابة الكرام

٣١. وفي قوله:﴿ فَأَلْقِهْ إِلَيْهِم ﴾ التأكد من وصول الكتاب.

٣٢. وفي قوله:﴿ تَوَلَّ عَنْهُم ﴾الإمهال؛ لينظروا في أمرهم.

٣٣. وفي قوله:﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾العودة والرجوع برأيهم، وما هي خلاصة مشورتهم، ففيه دلالة أنه لابد من إعطاء المُرْسَلِ الإرشادات اللازمة للقيام بمهمته، وهذه سنة الرسول ﷺ،فكان يُرسل الرسل ويبعث البعوث ويوصيهم بوصايا تامة، ويُرشدهم كيف يفعلون، فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ-ﷺ- قَالَ:" انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، وَلا تَقْتُلُوا: شَيْخًا فَانِيًا، وَلا طِفْلاً، وَلا صَغِيرًا، وَلا امْرَأَةً، وَلا تَغُلُّوا " (١). وهذا ما نسميه هدايات الخروج.

٣٤. وفي قوله تعالى:﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ﴾ بيان لفضيلة المشورة .

٣٥. وفي قوله تعالى:﴿ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ ﴾قوة المبعوث من قوة الباعث.

٣٦. وفي قوله تعالى:﴿كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾كرامة كتاب الدعوة، وكرامة الداعي.

---

(١) رواه أبو داود ٢٢٤٧.

٣٧. وفي قوله تعالى:﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾توضيح الأمر لأهل الشورى، والصدق في طلب الرأي.

٣٨. وفى﴿أَلا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾أنَّ مضمون الكتاب هو دعوتهم للإيمان، وعدم التكبر على الله، والدخول في الإسلام.

٣٩. وفي﴿أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾طلبت منهم الرأي.

٤٠. وفي قوله تعالى:﴿أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ أن هداية جميع الناس بكلام واحد.

٤١. وفي قوله تعالى:﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ﴾قوة الاستعداد في أهل الشورى يقوي الفيصلة.

فإن أهل الشورى لما طلبت(بلقيس) منهم الرأي أظهروا أمرين:

أولاً: الاستعداد للقيام بما يُؤْمَرُون به، :﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾،ولدينا الجند والسلاح، وعندنا القدرة لقتال سليمان عليه السلام.

ثانيًا: الالتزام بطاعة الفيصلة، وعدم المخالفة لأمرها، وفى هذا جَمْعٌ للصف، ووحدة للقلوب حول الأمير؛ لأن التنازع والفرقة سبب: للضعف، والوهن، والهزيمة، وخاصة عند النوازل والملمات.

٤٢. وفى قولهم:﴿فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾تشجيع لها أن تفصل بالرأي السديد، وتتخذ القرار الرشيد، وألا تتردد؛ فأمرها مطاع، وقولها مسموع، وقرارها متبع، فجاءت القوة في الفيصلة بسبب قوة الاستعداد عند أهل الشورى،

وكذلك قال سعد بن معاذ قبل معركة(بدر) للرسول ﷺ:" وَاللَّهِ لَكَأَنَّكَ تُرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ أَجَلْ، قَالَ : فَقَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَاثِيقَنَا، عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَامْضِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أَرَدْتَ فَنَحْنُ مَعَكَ، فَوَ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، وَمَا نَكْرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوَّنَا غَدًا، إِنَّا لَصُبُرٌ فِي الْحَرْبِ، صُدُقٌ فِي اللِّقَاءِ . لَعَلَّ اللَّهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ ، فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ. فَسُرَّ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) بِقَوْلِ سَعْدٍ، وَنَشَّطَهُ ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ: سِيرُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ "(١).

٤٣. وفى قوله تعالى:﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾ ذم للسلطان بدون الدين .

٤٤. وفى قوله:﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾أن إذلال العزيز البريء بدون ذنب من الظلم والتعسف، فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ):"إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ" (٢).

٤٥. وفى قوله تعالى:﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾جواز ذكر الفاسق بفسقه، والظالم بظلمه إذا جاهر به، وكانت تلك عادته، فلا غيبة لفاسق.

---

(١) السيرة النبوية (ابن هشام) » [غزوة بدر الكبرى » استيثاق الرسول صلى الله عليه وسلم من أمر الأنصار.

(٢) سنن ابن ماجة(٣٧٠٢).

٤٦. وفى قوله تعالى:﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ اختبار الدنيا؛ لمعرفته نبيًا؛ أو ملكًا ، ولذا في خروجنا في سبيل الله أن لا نقبل مالا من أحد.

٤٧. وفي قوله تعالى:﴿فَنَاظِرَةٌ﴾انتظار لردهم ومتابعة شأنهم.

٤٨. وفى قوله تعالى:﴿بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ دليل على كثرة من أَرْسَلَت من الغلمان والجواري مما احتاج إلى حراسة شديدة.

٤٩. بمشورة بلقيس لقومها كمّل الله لها الرأي، وألهمها الرشد ووُفِّقَت للصواب وكان في ذلك كل الخير لها ولقومها، فآمنوا جميعًا ودخلوا في دين الله راغبين.

لكن على العكس من ذلك لما قال فرعون لقومه:﴿مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (١).واستأثر بالرأي، حُرِمَ التوفيق للهداية، وأمعن في الغواية، فناله من الله ما يستحق من العقوبة والنكاية، وكان وبالاً على نفسه وقومه فأغرقوا جميعًا.

٥٠. وفى قوله تعالى:﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ رفض الدنيا وزينتها وذلك من شيم الأنبياء وأتباعهم.

٥١. وفى قوله:﴿ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ جعل المال نكرة للاستهانة بما أرسلوا، مع أنها أرسلت: جواهر، ونفائس، وغلمان، وجواري كثيرة.

---

(١) سورة غافر _ الآية ٢٩.

٥٢. وفي قوله تعالى:﴿ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم ﴾كمال يقين سليمان عليه السلام، على أن عطاء الإيمان والنبوة أفضل من أي عطاء.

٥٣. وعندما رأى سليمان عرش(بلقيس) مستقِرًّا عنده سارع بالقول:﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ فالمؤمن يعلم أن ما به من الخير فهو من الله تبارك وتعالى.

٥٤. في قوله تعالى:﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾رد الهدية في مقام الدعوة، فإن سليمان عليه السلام لما دعاهم إلى الله وقال:﴿وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ فلو قبل هديتهم؛ لكان ذلك رضًا منه بكفرهم وضلالهم، بل أراد بِرَدِّ هديتهم أن يُبين لهم مقصده، وهو دخولهم في دين الله وأن يعملوا بطاعته، ويستسلموا لأمره.

لذلك في مقام الدعوة وتعليم الدين لا تُقبل الهدية، حتى لا يُظن أنها مقابل الإيمان، أو بديلاً عن الإسلام، أو رضًا من الداعي عنهم.. فعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، قَالَ : عَلَّمْتُ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ الْكِتَابَةَ وَالْقُرْآنَ ، وَأَهْدَى إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ قَوْسًا ، فَقُلْتُ : لَيْسَتْ بِمَالٍ ، وَأَرْمِي عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللهِ ، لآتِيَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلأَسْأَلَنَّهُ ، فَأَتَيْتُهُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، رَجُلٌ أَهْدَى إِلَيَّ قَوْسًا مِمَّنْ كُنْتُ أُعَلِّمُهُ الْكِتَابَةَ وَالْقُرْآنَ ، وَلَيْسَتْ بِمَالٍ وَأَرْمِي عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللهِ. قَالَ: إِنْ كُنْتَ تُحِبُّ أَنْ تُطَوَّقَ طَوْقًا مِنْ نَارٍ فَاقْبَلْهَا. هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. " (١).

لكن في غير مقام الدعوة تُقبل الهدية، فإن النبي ﷺ قبل الهدية، وكان يأكل

---

(١)المستدرك على الصحيحين(٢٢٧٧)، مسند الإمام أحمد _ رقم(٢١٦٣٢).

منها، بل أمر الصحابة بالتهادي بينهم، فعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِى مُسْلِمٍ عَبْدِ اللهِّ الْخُرَاسَانِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ (ﷺ):"تَصَافَحُوا؛ يَذْهَبْ الْغِلُّ، وَتَهَادَوْا تَحَابُّوا وَتَذْهَبْ الشَّحْنَاءُ" ولكن في هذا الزمان لَمَّا قَبل بعض الحكام والولاة المال من أهل الباطل، وأخذوا الهَدايا ما استطاعوا أن يَدْعُوهم للهِداية، بل أقروهم على الضلالة، وبالتالي حُرموا من الله النصرة والولاية.

٥٥. وفي قوله تعالى:﴿ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا ﴾إظهار القوة وترهيب العدو، فإن بلقيس التي أوتيت: مُلكًا عظيمًا، وجندًا مجندة، وعتادًا، وأسلحةً، ما كانت لتستجيب لدعوة سليمان عليه السلام، لولا أنها علمت أن ما لدى سليمان عليه السلام من جنود الإنس والجن، وتسخير الريح والطير، ما لا طاقة لها، ولا لأحد من الناس به، وبهذا يتبين أن الحق لا بد له من: قوة تحميه، وتدافع عنه، وتُزيل قوى الباطل من طريقه؛ حتى يصل لعامّة الناس فأمر الله سبحانه وتعالى الأمة وقال:﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِّ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُّ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِّ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾ (١).

٥٦. وفي قوله:﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ﴾تهديد شديد، وتحذير ووعيد باستخدام القوة في حال رفض بلقيس وقومها، ما دعاهم إليه سليمان من الإيمان والإسلام، فإن النبي-ﷺ-في فتح مكة جاء بعشرة آلاف مقاتل، فلما أيقنت قريش أنه لا قِبَل

---

(١) سورة الأنفال _ الآية ٦٠.

لها بقتاله أذعنت له، ثم دخلت الدين طائعة، ومُرغمة، ولما أراد غزو (هوازن) وهم أربعة آلاف مقاتل، اصطحب معه الطلقاء ليكون مجموع من معه اثنى عشر ألفا، واستعار من صفوان بن أمية ألفى قطعة سلاح، وكذلك قال الخليفة هارون الرشيد(لنقفور) ملك الروم لَّما رفض دفع الجزية وأراد الخروج من الذمة: لآتِيَنَّكَ بجيش أوله عندك وآخره عندي. حتى أذعن(نقفور) واستسلم ثم دفع الجزية مضاعفة.

والقصة طويلة فمن أراد الاستزادة فعليه بكتب تفسير القرآن (١).

---

(١) وقد استفدنا في قصة النملة والهدد من كتاب بصائر دعوية للشيخ علي الغفري.

قصة مؤمن آل يس

قَالَ اللهُ تَعَالَى: { وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ }(١) اشْتُهِرَ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ أَنَّ هَذِهِ الْقَرْيَةَ أَنْطَاكِيَةُ(٢). قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِيمَا بَلَّغَهُ

---

(١) سورة يس _ الآيات من ١٣ : ٢٩.

(٢) رَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِيمَا بَلَّغَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَكَعْبِ الْأَحْبَارِ، وَوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ. وَكَذَا رُوِيَ عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ، وَعِكْرِمَةَ، وَقَتَادَةَ، وَالزُّهْرِيِّ، وَغَيْرِهِمْ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَكَعْبٍ، وَوَهْبٍ أَنَّهُمْ قَالُوا: وَكَانَ لَهَا مَلِكٌ، وَكَانَ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، فَبَعَثَ اللهُ إِلَيْهِ ثَلَاثَةً مِنَ الرُّسُلِ؛ فَكَذَّبَهُمْ (١).

قَالَ اللهُ تَعَالَى:(وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا) يَعْنِي : لِقَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ يَعْنِي الْمَدِينَةَ (إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ) أَيْ؛ أَيَّدْنَاهُمَا بِثَالِثٍ فِي الرِّسَالَةِ (فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ) فَرَدُّوا عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ بَشَرٌ مِثْلُهُمْ، كَمَا قَالَتِ الْأُمَمُ الْكَافِرَةُ لِرُسُلِهِمْ، يَسْتَبْعِدُونَ أَنْ يَبْعَثَ اللهُ نَبِيًّا بَشَرِيًّا ، فَأَجَابُوهُمْ بِأَنَّ اللهَ يَعْلَمُ أَنَّا رُسُلُهُ إِلَيْكُمْ، وَلَوْ كُنَّا كَذَّبْنَا عَلَيْهِ لَعَاقَبْنَا وَانْتَقَمَ مِنَّا أَشَدَّ الِانْتِقَامِ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ أَيْ؛ إِنَّمَا عَلَيْنَا، أَيْ نُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْنَا بِهِ إِلَيْكُمْ ، وَاللهُ هُوَ الَّذِي يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ (قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ)

---

(١)وَهَذَا ظَاهِرٌ أَنَّهُمْ رُسُلٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَزَعَمَ قَتَادَةُ أَنَّهُمْ كَانُوا رُسُلًا مِنَ الْمَسِيحِ . وَكَذَا قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ وَهَبِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ شُعَيْبٍ الْجِبَائِيِّ: كَانَ اسْمُ الرَّسُولَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ: شَمْعُونَ وَيُوحَنَّا، وَاسْمُ الثَّالِثِ بُولِسَ، وَالْقَرْيَةِ أَنْطَاكِيَةَ. وَهَذَا الْقَوْلُ ضَعِيفٌ جِدًّا؛ لِأَنَّ أَهْلَ أَنْطَاكِيَةَ لَمَّا بَعَثَ إِلَيْهِمُ الْمَسِيحُ ثَلَاثَةً مِنَ الْحَوَارِيِّينَ، كَانُوا أَوَّلَ مَدِينَةٍ آمَنَتْ بِالْمَسِيحِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَلِهَذَا كَانَتْ إِحْدَى الْمُدُنِ الْأَرْبَعِ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا بَطَارِقَةُ النَّصَارَى؛ وَهُنَّ أَنْطَاكِيَةُ وَالْقُدْسُ وَإِسْكَنْدَرِيَّةُ، وَرُومِيَّةُ. ثُمَّ بَعْدَهَا إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَلَمْ يُهْلَكُوا، وَأَهْلُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْقُرْآنِ أُهْلِكُوا، كَمَا قَالَ فِي آخِرِ قِصَّتِهَا بَعْدَ قَتْلِهِمْ صِدِّيقَ الْمُرْسَلِينَ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ لَكِنْ إِنْ كَانَتِ الرُّسُلُ الثَّلَاثَةُ الْمَذْكُورُونَ فِي الْقُرْآنِ، بُعِثُوا إِلَى أَهْلِ أَنْطَاكِيَةَ قَدِيمًا ، فَكَذَّبُوهُمْ وَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ ثُمَّ عُمِرَتْ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا كَانَ فِي زَمَنِ الْمَسِيحِ آمَنُوا بِرُسُلِهِ إِلَيْهِمْ ، فَلَا يُمْنَعُ هَذَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ . فَأَمَّا الْقَوْلُ بِأَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ الْمَذْكُورَةَ فِي الْقُرْآنِ هِيَ قِصَّةُ أَصْحَابِ الْمَسِيحِ، فَضَعِيفٌ؛ لِمَا تَقَدَّمَ، وَلِأَنَّ ظَاهِرَ سِيَاقِ الْقُرْآنِ يَقْتَضِي أَنَّ هَؤُلَاءِ الرُّسُلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ(البداية والنهاية لابن كثير).

أَيْ ؛ تَشَاءَمْنَا بِمَا جِئْتُمُونَا بِهِ (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ) قِيلَ بِالْمَقَالِ . وَقِيلَ بِالْفِعَالِ، وَيُؤَيِّدُ الْأَوَّلَ قَوْلُهُ (وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) تَوَعَّدُوهُمْ بِالْقَتْلِ وَالْإِهَانَةِ . (قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ)أَيْ ؛ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ أَيْ ؛ بِسَبَبِ أَنَّا ذَكَّرْنَاكُمْ بِالْهُدَى وَدَعَوْنَاكُمْ إِلَيْهِ، تَوَعَّدْتُمُونَا بِالْقَتْلِ وَالْإِهَانَةِ (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ) أَيْ ؛ لَا تَقْبَلُونَ الْحَقَّ ، وَلَا تُرِيدُونَهُ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى :(وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى) (١) يَعْنِي: لِنُصْرَةِ الرُّسُلِ ، وَإِظْهَارِ الْإِيمَانِ بِهِمْ(قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ) أَيْ ؛ يَدْعُونَكُمْ إِلَى الْحَقِّ الْمَحْضِ ، بِلَا أُجْرَةٍ وَلَا جِعَالَةٍ .

ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَنَهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ ، مِمَّا لَا يَنْفَعُ شَيْئًا لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ (إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) أَيْ ؛ إِنْ تَرَكْتُ عِبَادَةَ اللهِ وَعَبَدْتُ سِوَاهُ .

ثُمَّ قَالَ مُخَاطِبًا لِلرُّسُلِ:(إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ) قِيلَ: فَاسْتَمِعُوا مَقَالَتِي ، وَاشْهَدُوا لِي بِهَا عِنْدَ رَبِّكُمْ . وَقِيلَ: مَعْنَاهُ فَاسْمَعُوا يَا قَوْمِي إِيمَانِي بِرُسُلِ اللهِ جَهْرَةً . فَعِنْدَ ذَلِكَ قَتَلُوهُ . قِيلَ: رَجْمًا. وَقِيلَ: وَثَبُوا إِلَيْهِ وَثْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَقَتَلُوهُ.

---

(١) رَوَى الثَّوْرِيُّ، عَنْ عَاصِمٍ الْأَحْوَلِ، عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ: كَانَ اسْمُ هَذَا الرَّجُلِ حَبِيبَ بْنَ مُرَى. ثُمَّ قِيلَ: كَانَ نَجَّارًا. وَقِيلَ: حَبَّالًا. وَقِيلَ: إِسْكَافًا. وَقِيلَ : قَصَّارًا. وَقِيلَ: كَانَ يَتَعَبَّدُ فِي غَارٍ هُنَاكَ. فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانَ حَبِيبٌ النَّجَّارُ قَدْ أَسْرَعَ فِيهِ الْجُذَامُ، وَكَانَ كَثِيرَ الصَّدَقَةِ، قَتَلَهُ قَوْمُهُ(البداية والنهاية لابن كثير).

وَحَكَى ابْنُ إِسْحَاقَ: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: وَطِئُوهُ بِأَرْجُلِهِمْ حَتَّى أَخْرَجُوا قُصْبَهُ .

وَلَمَّا قَتَلَهُ قَوْمُهُ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ ، فَلَمَّا رَأَى مَا فِيهَا مِنَ النَّضْرَةِ وَالسُّرُورِ (قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ) يَعْنِي : لِيُؤْمِنُوا بِمَا آمَنْتُ بِهِ ، فَيَحْصُلَ لَهُمْ مَا حَصَلَ لِي .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: نَصَحَ قَوْمَهُ فِي حَيَاتِهِ(يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ) وَبَعْدَ مَمَاتِهِ (يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ .

وَكَذَلِكَ قَالَ قَتَادَةُ: لَا تَلْقَى الْمُؤْمِنَ إِلَّا نَاصِحًا، لَا تَلْقَاهُ غَاشًّا، لَمَّا عَايَنَ مَا عَايَنَ مِنْ كَرَامَةِ اللهِ قَالَ:(يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ) تَمَنَّى عَلَى اللهِ أَنْ يَعْلَمَ قَوْمُهُ بِمَا عَايَنَ مِنْ كَرَامَةِ اللهِ وَمَا هَجَمَ عَلَيْهِ .

قَالَ قَتَادَةُ فَلَا وَاللهِ ، مَا عَاتَبَ اللهُ قَوْمَهُ بَعْدَ قَتْلِهِ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى:(وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ) أَيْ ؛ مَا احْتَجْنَا فِي الِانْتِقَامِ مِنْهُمْ إِلَى إِنْزَالِ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ عَلَيْهِمْ. هَذَا مَعْنَى مَا رَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ : وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ جُنْدًا ، أَيْ رِسَالَةً أُخْرَى. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَالْأَوَّلُ أَوْلَى . قُلْتُ : وَأَقْوَى .

وَلِهَذَا قَالَ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ أَيْ؛ وَمَا كُنَّا نَحْتَاجُ فِي الِانْتِقَامِ إِلَى هَذَا، حِينَ كَذَّبُوا رُسُلنَا وَقَتَلُوا وَلِيَّنَا إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (١).

(فوائد):

١. أول كلمة في قصة صاحب يس: (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى) دليل الحركة.. ومؤمن آل فرعون: ﴿ وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾(٢)،وقال تعالى: ﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾(٣). وقال تعالى:﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(٤) لو ما حرك قدمه ما تحدث بقية الأحداث وهو يقول يا قومي، وقال تعالى:﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَـنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُواْ سَلاَماً * وَالَّذِينَ يِبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً * إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً * وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً ﴾(٥).وقال تعالى:﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ

---

(١) البداية والنهاية » باب ذكر أمم أهلكوا بعامة » قِصَّةُ قَوْمِ يس وَهُمْ أَصْحَابُ الْقَرْيَةِ.

٢) سورة القصص _ الآية ٢٠

٣) سورة طه – الآية ٢٤ .

٤) سورة الشعراء – الآية ١٠.

٥) سورة الفرقان _ الآيات من ٦٣ : ٦٧.

وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النّاسِ كَمَن مّثَلُهُ فِي الظّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مّنْهَا كَذَلِكَ زُيّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾(١) مشى النبي إلى الطائف.

٢. صاحب يس دعا إلي الله ﷻ وما قرأ آية ولا حديث.

٣. صاحب يس دعا بفطرته بدون أن يعلمه أو يوجهه أحد.. فالدعوة جهد فطري، والتعليم جهد كسبي.

٤. صاحب يس بجمال فطرته ندب نفسه لهداية البشرية، ما أحد كلفه، وما سأل عن شرعية عمله.

٥. صاحب يس قال(قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ) لأنه مؤمن جديد وليس عنده علم فدل الناس على الدعاة ليستفيدوا منهم، أما مؤمن آل فرعون قال:(يَا قَوْمِ اتّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرّشَادِ) لأنه مؤمن قديم عنده علم ويستطيع أن يُفهم الناس.

٦. صاحب يس مجد الله ساعة فمجده الله إلى قيام الساعة(٢).

---

١) سورة الأنعام – الآية ١٢٢.

٢) الفوائد الست من كتاب الأنوار النعمانية بقلم المؤلف.

قصة مؤمن آل فرعون

قال تعالى: {وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ }(١).

هَذَا الرَّجُلُ هُوَ ابْنُ عَمِّ فِرْعَوْنَ، وَكَانَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ مِنْ قَوْمِهِ، خَوْفًا مِنْهُمْ عَلَى نَفْسِهِ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ كَانَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ، فَلَمَّا هَمَّ فِرْعَوْنُ ، لَعَنَهُ اللهُ، بِقَتْلِ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَعَزَمَ عَلَى ذَلِكَ وَشَاوَرَ مَلَأَهُ فِيهِ ، خَافَ هَذَا الْمُؤْمِنُ عَلَى مُوسَى، فَتَلَطَّفَ فِي رَدِّ فِرْعَوْنَ بِكَلَامٍ جَمَعَ فِيهِ التَّرْغِيبَ وَالتَّرْهِيبَ ، فَقَالَ كَلِمَةَ الْحَقِّ عَلَى وَجْهِ الْمُشُورَةِ وَالرَّأْيِ .

قَالَ :{ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ } أَيْ؛ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ قَالَ: رَبِّيَ اللهُ . فَمِثْلُ هَذَا لَا يُقَابَلُ بِمِثْلِ هَذَا ، بَلْ بِالْإِكْرَامِ وَالِاحْتِرَامِ وَالْمُوَادَعَةِ وَتَرْكِ الِانْتِقَامِ ، يَعْنِي : لِأَنَّهُ{ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ }أَيْ؛ بِالْخَوَارِقِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا جَاءَ بِهِ عَمَّنْ أَرْسَلَهُ فَهَذَا إِنْ وَادَعْتُمُوهُ كُنْتُمْ فِي سَلَامَةٍ؛ لِأَنَّهُ { وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ } وَلَا يَضُرُّكُمْ ذَلِكَ{ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا }وَقَدْ تَعَرَّضْتُمْ لَهُ

---

١) سورة غافر _ الآيتان ٢٨ ، ٢٩.

يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ أَيْ؛ وَأَنْتُمْ تُشْفِقُونَ أَنْ يَنَالَكُمْ أَيْسَرُ جَزَاءٍ مِمَّا يَتَوَعَّدُكُمْ بِهِ ، فَكَيْفَ بِكُمْ إِنَّ حَلَّ جَمِيعُهُ عَلَيْكُمْ؟ وَهَذَا الْكَلَامُ فِي هَذَا الْمَقَامِ مِنْ أَعْلَى مَقَامَاتِ التَّلَطُّفِ وَالِاحْتِرَازِ وَالْعَقْلِ التَّامِّ .

وَقَوْلُهُ :{ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ } يُحَذِّرُهُمْ أَنَّ يَسْلُبُوا هَذَا الْمُلْكَ الْعَزِيزَ، فَإِنَّهُ مَا تَعَرَّضَتِ الدُّوَلُ لِلدِّينِ إِلَّا سُلِبُوا مُلْكَهُمْ وَذَلُّوا بَعْدَ عِزِّهِمْ، وَكَذَا وَقَعَ لِآلِ فِرْعَوْنَ؛ مَا زَالُوا فِي شَكٍّ وَرَيْبٍ، وَمُخَالَفَةٍ وَمُعَانَدَةٍ لِمَا جَاءَهُمْ مُوسَى بِهِ، حَتَّى أَخْرَجَهُمُ اللهُ مِمَّا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْمُلْكِ وَالْأَمْلَاكِ وَالدُّورِ وَالْقُصُورِ، وَالنِّعْمَةِ وَالْحُبُورِ، ثُمَّ حُوِّلُوا إِلَى الْبَحْرِ مُهَانِينَ، وَنُقِلَتْ أَرْوَاحُهُمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَالرِّفْعَةِ إِلَى أَسْفَلِ السَّافِلِينَ .

وَلِهَذَا قَالَ هَذَا الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ الصَّادِقُ، الْبَارُّ الرَّاشِدُ، التَّابِعُ لِلْحَقِّ النَّاصِحُ لِقَوْمِهِ، الْكَامِلُ الْعَقْلِ: { يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ } أَيْ؛ عَالِينَ عَلَى النَّاسِ حَاكِمِينَ عَلَيْهِمْ ، فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللهِ إِنْ جَاءَنَا أَيْ؛ لَوْ كُنْتُمْ أَضْعَافَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ وَالْقُوَّةِ وَالشِّدَّةِ لَمَا نَفَعَنَا ذَلِكَ وَلَا رَدَّ عَنَّا بَأْسَ مَالِكِ الْمَمَالِكِ . قَالَ فِرْعَوْنُ أَيْ؛ فِي جَوَابِ هَذَا كُلِّهِ : مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى أَيْ؛ مَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا مَا عِنْدِي وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ وَكَذَبَ فِي كُلٍّ مِنْ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ ، وَهَاتَيْنِ الْمُقَدِّمَتَيْنِ ، فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ يَتَحَقَّقُ وَيَعْلَمُ فِي بَاطِنِهِ وَفِي نَفْسِهِ أَنَّ هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ لَا مَحَالَةَ ، وَإِنَّمَا كَانَ يُظْهِرُ خِلَافَهُ بَغْيًا وَعُدْوَانًا ، وَعُتُوًّا وَكُفْرَانًا .

وقَالَ اللهُ تَعَالَى :{ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ }(١).

يَدْعُوهُمْ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، إِلَى طَرِيقِ الرَّشَادِ وَالْحَقِّ، وَهِيَ مُتَابَعَةُ نَبِيِّ اللهِ مُوسَى، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ رَبِّهِ، ثُمَّ زَهَّدَهُمْ فِي الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ الْفَانِيَةِ الْمُنْقَضِيَةِ لَا مَحَالَةَ ، وَرَغَّبَهُمْ فِي طَلَبِ الثَّوَابِ عِنْدَ اللهِ ، الَّذِي لَا يُضَيِّعُ عَمَلَ عَامِلٍ لَدَيْهِ ، الْقَدِيرِ الَّذِي مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ بِيَدَيْهِ، الَّذِي يُعْطِي عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيرًا، وَمِنْ عَدْلِهِ لَا يُجَازَى عَلَى السَّيِّئَةِ إِلَّا مِثْلَهَا .

وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ، الَّتِي مِنْ وَافَاهَا مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ، فَلَهُمُ الْجَنَّاتُ الْعَالِيَاتُ، وَالْغُرَفُ الْآمِنَاتُ، وَالْخَيْرَاتُ الْكَثِيرَةِ الْفَائِقَاتُ، وَالْأَرْزَاقُ الدَّائِمَةُ الَّتِي لَا تَبِيدُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي كُلُّ مَا لَهُمْ مِنْهُ فِي مَزِيدٍ .

ثُمَّ شَرَعَ فِي إِبْطَالِ مَا هُمْ عَلَيْهِ ، وَتَخْوِيفِهِمْ مِمَّا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ فَقَالَ:{ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فَوَقَاهُ اللهُ

---

١) سورة غافر _ الآيات من ٣٨ : ٤٠.

سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ }(١).

كَانَ يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي يَقُولُ لِلشَّيْءِ: كُنْ فَيَكُونُ، وَهُمْ يَدْعُونَهُ إِلَى عِبَادَةِ فِرْعَوْنَ الْجَاهِلِ الضَّالِّ الْمَلْعُونِ، وَلِهَذَا قَالَ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ:{ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ }، ثُمَّ بَيَّنَ لَهُمْ بُطْلَانَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ مَا سِوَى اللَّهِ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَنَّهَا لَا تَمْلِكُ مِنْ نَفْعٍ وَلَا إِضْرَارٍ، فَقَالَ:{ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ }أَيْ؛ لَا تَمْلِكُ تَصَرُّفًا وَلَا حُكْمًا فِي هَذِهِ الدَّارِ ، فَكَيْفَ تَمْلِكُهُ يَوْمَ الْقَرَارِ؟ وَأَمَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ الْخَالِقُ الرَّازِقُ لِلْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ ، وَهُوَ الَّذِي أَحْيَا الْعِبَادَ وَيُمِيتُهُمْ وَيَبْعَثُهُمْ ، فَيُدْخِلُ طَائِعَهُمُ الْجَنَّةَ وَعَاصِيَهُمُ النَّارَ . ثُمَّ تَوَعَّدَهُمْ إِنْ هُمُ اسْتَمَرُّوا عَلَى الْعِنَادِ بِقَوْلِهِ :{ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :{ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا }أَيْ؛ بِإِنْكَارِهِ سَلِمَ مِمَّا أَصَابَهُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ عَلَى كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ ، وَمَكْرِهِمْ فِي صَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِمَّا أَظْهَرُوا لِلْعَامَّةِ مِنَ الْخَيَالَاتِ وَالْمُحَالَاتِ الَّتِي لَبَّسُوا بِهَا عَلَى عَوَامِّهِمْ وَطَغَامِهِمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ :{ وَحَاقَ _ أَيْ؛ أَحَاطَ _ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ

---

١) سورة غافر _ الآيات من ٤١ : ٤٦.

عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا } أَيْ؛ تُعْرَضُ أَرْوَاحُهُمْ فِي بَرْزَخِهِمْ صَبَاحًا وَمَسَاءً عَلَى النَّارِ ، {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ }.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ اللهَّ تَعَالَى لَمْ يُهْلِكْهُمْ إِلَّا بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَجِ عَلَيْهِمْ ، وَإِرْسَالِ الرَّسُولِ إِلَيْهِمْ ، وَإِزَاحَةِ الشُّبَهِ عَنْهُمْ ، وَأَخْذِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ ، فَبِالتَّرْهِيبِ تَارَةً وَالتَّرْغِيبِ أُخْرَى ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : {وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهَّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ }(١).

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ ابْتَلَى آلَ فِرْعَوْنَ ، وَهُمْ قَوْمُهُ مِنَ الْقِبْطِ ، بِالسِّنِينَ ، وَهِيَ أَعْوَامُ الْجَدْبِ الَّتِي لَا يُسْتَغَلُّ فِيهَا زَرْعٌ وَلَا يُنْتَفَعُ بِضَرْعٍ . وَقَوْلُهُ : وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ وَهِيَ قِلَّةُ الثِّمَارِ مِنَ الْأَشْجَارِ ، لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ أَيْ؛ فَلَمْ يَنْتَفِعُوا وَلَمْ يَرْعَوُوا ، بَلْ تَمَرَّدُوا وَاسْتَمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ وَهُوَ الْخِصْبُ وَنَحْوُهُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ أَيْ؛ هَذَا الَّذِي نَسْتَحِقُّهُ وَهَذَا الَّذِي يَلِيقُ بِنَا ، وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَيْ؛ يَقُولُونَ هَذَا؛ بِشُؤْمِهِمْ أَصَابَنَا هَذَا . وَلَا

---

١) سورة غافر _ الآيات من ١٣٠ : ١٣٣.

يَقُولُونَ فِي الْأَوَّلِ : إِنَّهُ بَرَكَتُهُمْ وَحُسْنُ مُجَاوَرَتِهِمْ ، وَلَكِنَّ قُلُوبَهُمْ مُنْكِرَةٌ مُسْتَكْبِرَةٌ نَافِرَةٌ عَنِ الْحَقِّ، إِذَا جَاءَ الشَّرُّ أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ ، وَإِنْ رَأَوْا خَيْرًا ادَّعَوْهُ لِأَنْفُسِهِمْ .

قَالَ اللهُ تَعَالَى:{ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ } أَيِ؛ اللهُ يَجْزِيهِمْ عَلَى هَذَا أَوْفَرَ الْجَزَاءِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ أَيْ؛ مَهْمَا جِئْتَنَا بِهِ مِنَ الْآيَاتِ ، وَهِيَ الْخَوَارِقُ لِلْعَادَاتِ فَلَسْنَا نُؤْمِنُ بِكَ وَلَا نَتَّبِعُكَ وَلَا نُطِيعُكَ وَلَوْ جِئْتَنَا بِكُلِّ آيَةٍ .

وَهَكَذَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ :{ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ }(١).

قَالَ اللهُ تَعَالَى :{ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ }.

أَمَّا الطُّوفَانُ: هُوَ كَثْرَةُ الْأَمْطَارِ الْمُتْلِفَةِ لِلزُّرُوعِ وَالثِّمَارِ . وقيل: الطُّوفَانُ الْمَاءُ ، وَالطَّاعُونُ عَلَى كُلِّ حَالٍ .

وَأَمَّا الْجَرَادُ فَمَعْرُوفٌ، وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْجَرَادِ، فَقَالَ: أَكْثَرُ جُنُودِ اللهِ، لَا آكُلُهُ وَلَا أُحَرِّمُهُ وَتَرْكُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْلَهُ إِنَّمَا هُوَ عَلَى وَجْهِ التَّقَذُّرِ لَهُ؛ كَمَا تَرَكَ أَكْلَ الضَّبِّ ، وَتَنَزَّهَ عَنْ أَكْلِ الْبَصَلِ وَالثُّومِ وَالْكُرَّاثِ،

---

١) سورة يونس _ الآيتان ٩٦، ٩٧.

لِمَا ثَبَتَ فِي " الصَّحِيحَيْنِ " ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى ، قَالَ : غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعَ غَزَوَاتٍ نَأْكُلُ الْجَرَادَ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ اسْتَاقَ خَضْرَاءَهُمْ، فَلَمْ يَتْرُكْ لَهُمْ زُرُوعًا وَلَا ثِمَارًا، وَلَا سَبَدًا وَلَا لَبَدًا .

وَأَمَّا الْقُمَّلُ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: هُوَ السُّوسُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْحِنْطَةِ، وَعَنْهُ ، أَنَّهُ الْجَرَادُ الصِّغَارُ الَّذِي لَا أَجْنِحَةَ لَهُ. وَبِهِ قَالَ مُجَاهِدٌ ، وَعِكْرِمَةُ ، وَقَتَادَةُ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ ، وَالْحَسَنُ : هُوَ دَوَابُّ سُودٌ صِغَارٌ .

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ : هِيَ الْبَرَاغِيثُ .

وَحَكَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّهَا الْحُمْنَانُ . وَهُوَ صِغَارُ الْقِرْدَانِ فَوْقَ الْقَمْقَامَةِ ، فَدَخَلَ مَعَهُمُ الْبُيُوتَ وَالْفُرُشَ ، فَلَمْ يَقِرَّ لَهُمْ قَرَارٌ ، وَلَمْ يُمْكِنْهُمْ مَعَهُ الْغَمْضُ وَلَا الْعَيْشُ . وَفَسَّرَهُ عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ بِهَذَا الْقُمَّلِ الْمَعْرُوفِ .

وَأَمَّا الضَّفَادِعُ فَمَعْرُوفَةٌ ، لَبَّسَتْهُمْ حَتَّى كَانَتْ تَسْقُطُ فِي أَطْعِمَاتِهِمْ وَأَوَانِيهِمْ ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا فَتَحَ فَمَهُ لِطَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ ، سَقَطَتْ فِي فِيهِ ضِفْدِعَةٌ مِنْ تِلْكَ الضَّفَادِعِ .

وَأَمَّا الدَّمُ فَكَانَ قَدْ مُزِجَ مَاؤُهُمْ كُلُّهُ بِهِ ، فَلَا يَسْتَقُونَ مِنَ النِّيلِ شَيْئًا إِلَّا وَجَدُوهُ دَمًا عَبِيطًا ، وَلَا مِنْ نَهْرٍ وَلَا بِئْرٍ وَلَا شَيْءٍ إِلَّا كَانَ دَمًا فِي السَّاعَةِ الرَّاهِنَةِ .

هَذَا كُلُّهُ ، وَلَمْ يَنَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ بِالْكُلِّيَّةِ .

وَهَذَا مِنْ تَمَامِ الْمُعْجِزَةِ الْبَاهِرَةِ، وَالْحُجَّةِ الْقَاطِعَةِ أَنَّ هَذَا كُلَّهُ يَحْصُلُ لَهُمْ عَنْ فِعْلِ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَيَنَالُهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ، وَلَا يَحْصُلُ هَذَا لِأَحَدٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَفِي هَذَا أَدَلُّ دَلِيلٍ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : فَرَجَعَ عَدُوُّ اللهِ فِرْعَوْنُ حِينَ آمَنَتِ السَّحَرَةُ مَغْلُوبًا مَفْلُولًا ، ثُمَّ أَبَى إِلَّا الْإِقَامَةَ عَلَى الْكُفْرِ وَالتَّمَادِيَ فِي الشَّرِّ ، فَتَابَعَ اللهُ عَلَيْهِ بِالْآيَاتِ ، فَأَخَذَهُ بِالسِّنِينَ ، فَأَرْسَلَ عَلَيْهِ الطُّوفَانَ ، ثُمَّ الْجَرَادَ ، ثُمَّ الْقُمَّلَ ، ثُمَّ الضَّفَادِعَ ، ثُمَّ الدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ؛ فَأَرْسَلَ الطُّوفَانَ - وَهُوَ الْمَاءُ - فَفَاضَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ثُمَّ رَكَدَ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يَحْرُثُوا وَلَا أَنْ يَعْمَلُوا شَيْئًا، حَتَّى جُهِدُوا جُوعًا ، فَلَمَّا بَلَغَهُمْ ذَلِكَ ،{ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ }(١). فَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ، فَكَشَفَهُ عَنْهُمْ ، فَلَمَّا لَمْ يَفُوا لَهُ بِشَيْءٍ، فَأَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَرَادَ، فَأَكَلَ الشَّجَرَ، فِيمَا بَلَغَنِي، فَقَالُوا مِثْلَ مَا قَالُوا، فَدَعَا رَبَّهُ فَكَشَفَ عَنْهُمْ، فَلَمْ يَفُوا لَهُ بِشَيْءٍ مِمَّا قَالُوا، فَأَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْقُمَّلَ، فَذَكَرَ لِي أَنَّ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، أُمِرَ أَنْ يَمْشِيَ إِلَى كَثِيبٍ حَتَّى يَضْرِبَهُ بِعَصَاهُ فَمَشَى إِلَى كَثِيبٍ أَهْيَلَ عَظِيمٍ، فَضَرَبَهُ بِهَا، فَانْثَالَ عَلَيْهِمْ قُمَّلًا حَتَّى غَلَبَ عَلَى الْبُيُوتِ وَالْأَطْعِمَةِ، وَمَنَعَهُمُ النَّوْمَ وَالْقَرَارَ، فَلَمَّا جَهَدَهُمْ، قَالُوا لَهُ مِثْلَ مَا قَالُوا لَهُ، فَدَعَا رَبَّهُ، فَكَشَفَ عَنْهُمْ، فَلَمَّا لَمْ يَفُوا لَهُ بِشَيْءٍ مِمَّا قَالُوا، فَأَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ الضَّفَادِعَ، فَمَلَأَتِ

---

١) سورة الأعراف _ الآية ١٣٤.

الْبُيُوتَ وَالْأَطْعِمَةَ وَالْآنِيَةَ، فَلَمْ يَكْشِفْ أَحَدٌ ثَوْبًا وَلَا طَعَامًا إِلَّا وَجَدَ فِيهِ الضَّفَادِعَ قَدْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا جَهَدَهُمْ ذَلِكَ ، قَالُوا لَهُ مِثْلَ مَا قَالُوا ، فَدَعَا رَبَّهُ فَكَشَفَ عَنْهُمْ ، فَلَمْ يَفُوا لَهُ بِشَيْءٍ مِمَّا قَالُوا ، فَأَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ الدَّمَ فَصَارَتْ مِيَاهُ آلِ فِرْعَوْنَ دَمًا ، لَا يَسْتَقُونَ مِنْ بِئْرٍ ، وَلَا نَهْرٍ وَلَا يَغْتَرِفُونَ مِنْ إِنَاءٍ ، إِلَّا عَادَ دَمًا عَبِيطًا . وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ : الْمُرَادُ بِالدَّمِ الرُّعَافُ . رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ .

قَالَ اللهُ تَعَالَى :{ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ }(١). يُخْبِرُ تَعَالَى، عَنْ كُفْرِهِمْ وَعُتُوِّهِمْ وَاسْتِمْرَارِهِمْ عَلَى الضَّلَالِ وَالْجَهْلِ، وَالِاسْتِكْبَارِ عَنِ اتِّبَاعِ آيَاتِ اللهِ ، وَتَصْدِيقِ رَسُولِهِ ، مَعَ مَا أَيَّدَ بِهِ مِنَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ الْبَاهِرَةِ وَالْحُجَجِ الْبَلِيغَةِ الْقَاهِرَةِ، الَّتِي أَرَاهُمُ اللهُ إِيَّاهَا عِيَانًا، وَجَعَلَهَا عَلَيْهِمْ دَلِيلًا وَبُرْهَانًا، وَكُلَّمَا شَاهَدُوا آيَةً وَعَايَنُوهَا وَجَهَدَتْهُمْ وَأَضْنَكَتْهُمْ، حَلَفُوا وَعَاهَدُوا مُوسَى؛ لَئِنْ كَشَفَ عَنْهُمْ هَذِهِ لِيُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَيُرْسِلُنَّ مَعَهُ مَنْ هُوَ مِنْ حِزْبِهِ، فَكُلَّمَا رُفِعَتْ عَنْهُمْ تِلْكَ الْآيَةُ عَادُوا إِلَى شَرٍّ مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ، وَأَعْرَضُوا عَمَّا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمْ آيَةً أُخْرَى، هِيَ أَشَدُّ مِمَّا كَانَتْ قَبْلَهَا وَأَقْوَى ، فَيَقُولُونَ ، فَيَكْذِبُونَ . وَيَعِدُونَ وَلَا يَفُونَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ

---

١) سورة الأعراف _ الآيات من ١٣٤ : ١٣٦.

وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَيُكْشَفُ عَنْهُمْ ذَلِكَ الْعَذَابُ الْوَبِيلُ . ثُمَّ يَعُودُونَ إِلَى جَهْلِهِمُ الْعَرِيضِ الطَّوِيلِ . هَذَا ، وَالْعَظِيمُ الْحَلِيمُ الْقَدِيرُ يُنْظِرُهُمْ وَلَا يَعْجَلُ عَلَيْهِمْ ، وَيُؤَخِّرُهُمْ وَيَتَقَدَّمُ بِالْوَعِيدِ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَخَذَهُمْ - بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ، وَالْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ - أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ، فَجَعَلَهُمْ عِبْرَةً وَنَكَالًا وَسَلَفًا لِمَنْ أَشْبَهَهُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ ، وَمَثَلًا لِمَنِ اتَّعَظَ بِهِمْ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ .

وَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ فِي سُورَةِ " حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ " :{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ }(١).

وقال تعالى:{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ

---

١) سورة الزخرف _ الآيات من ٤٦ : ٥٦.

الْكَاذِبِينَ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ }(١). يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُمْ لَمَّا اسْتَكْبَرُوا عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَادَّعَى مِلْكُهُمُ الْبَاطِلَ، وَوَافَقُوهُ عَلَيْهِ، وَأَطَاعُوهُ فِيهِ، اشْتَدَّ غَضَبُ الرَّبِّ الْقَدِيرِ الْعَزِيزِ ، الَّذِي لَا يُغَالَبُ وَلَا يُمَانَعُ ، عَلَيْهِمْ، فَانْتَقَمَ مِنْهُمْ أَشَدَّ الِانْتِقَامِ، وَأَغْرَقَهُ هُوَ وَجُنُودَهُ فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ، فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ دَيَّارٌ، بَلْ كَانَ قَدْ غَرِقَ ، فَدَخَلَ النَّارَ، وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدَّارِ لَعْنَةً بَيْنَ الْعَالَمِينَ ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ، بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ(٢) .

(فائدة):

١) الدعوة إلى الله شرف ورفعة للإنسان، فمؤمن آل فرعون شرفه جهده ولم يشرفه نسبه.

٢) مؤمن يس قال(اتبعوا المرسلين)، لأنه مؤمن جديد، أما مؤمن آل فرعون، قال(اتبعوني أهدكم) لأنه مسلم قديم فاهم دينه، عنده علم، ومن هنا نأخذ أن الدعوة لا تقتصر على العلماء، بل على العوام.

❁❁❁❁❁

(١) سورة القصص _ الآيات من ٣٦ : ٤٢.

(٢) البداية والنهاية» قصة موسى الكليم عليه السلام.

قصة أصحاب السبت

قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ }(١) .

وَقَالَ تَعَالَى:{ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ}(٢).

وَقَالَ تَعَالَى:{ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا }(٣).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَمُجَاهِدٌ ، وَعِكْرِمَةُ ، وَقَتَادَةُ ، وَالسُّدِّيُّ ، وَغَيْرُهُمْ : هُمْ أَهْلُ أَيْلَةَ . زَادَ ابْنُ عَبَّاسٍ : بَيْنَ مَدْيَنَ وَالطُّورِ . قَالُوا : وَكَانُوا مُتَمَسِّكِينَ بِدِينِ التَّوْرَاةِ فِي تَحْرِيمِ السَّبْتِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ ، فَكَانَتِ الْحِيتَانُ قَدْ أَلِفَتْ مِنْهُمُ السَّكِينَةَ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَحْرُمُ عَلَيْهِمُ الِاصْطِيَادُ فِيهِ وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الصَّنَائِعِ وَالتِّجَارَاتِ وَالْمَكَاسِبِ، فَكَانَتِ الْحِيتَانُ فِي مِثْلِ يَوْمِ السَّبْتِ يَكْثُرُ غَشَيَانُهَا

---

١) سورة الأعراف _ الآيات من ١٦٣ : ١٦٦.

٢) سورة البقرة _ الآيتان ٦٥ ، ٦٦.

٣) سورة النساء _ الآية ٤٧.

لِحِلَّتِهِمْ مِنَ الْبَحْرِ؛ فَتَأْتِي مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا ظَاهِرَةً آمِنَةً مُسْتَرْسِلَةً فَلَا يُهَيِّجُونَهَا وَلَا يَذْعَرُونَهَا . (وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ) وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَصْطَادُونَهَا فِيهَا عَدَا السَّبْتِ . قَالَ اللهُ تَعَالَى :(كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ) أَيْ : نَخْتَبِرُهُمْ بِكَثْرَةِ الْحِيتَانِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ . بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ أَيْ: بِسَبَبِ فِسْقِهِمُ الْمُتَقَدِّمِ ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ احْتَالُوا عَلَى اصْطِيَادِهَا فِي يَوْمِ السَّبْتِ، بِأَنْ نَصَبُوا الْحِبَالَ وَالشِّبَاكَ وَالشُّصُوصَ، وَحَفَرُوا الْحُفَرَ الَّتِي يَجْرِي مَعَهَا الْمَاءُ إِلَى مَصَانِعَ قَدْ أَعَدُّوهَا، إِذَا دَخَلَهَا السَّمَكُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا، فَفَعَلُوا ذَلِكَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَإِذَا جَاءَتِ الْحِيتَانُ مُسْتَرْسِلَةً يَوْمَ السَّبْتِ، عَلِقَتْ بِهَذِهِ الْمَصَايِدِ، فَإِذَا خَرَجَ سَبْتُهُمْ أَخَذُوهَا، فَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ ؛ لَمَّا احْتَالُوا عَلَى خِلَافِ أَمْرِهِ ، وَانْتَهَكُوا مَحَارِمَهُ بِالْحِيَلِ الَّتِي هِيَ ظَاهِرَةٌ لِلنَّاظِرِ، وَهِيَ فِي الْبَاطِنِ مُخَالَفَةٌ مَحْضَةٌ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ طَائِفَةٌ مِنْهُمُ افْتَرَقَ الَّذِينَ لَمْ يَفْعَلُوا فِرْقَتَيْنِ ؛ فِرْقَةٌ أَنْكَرُوا عَلَيْهِمْ صَنِيعَهُمْ هَذَا وَاحْتِيَالَهُمْ عَلَى مُخَالَفَةِ اللهِ وَشَرْعِهِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَفِرْقَةٌ أُخْرَى لَمْ يَفْعَلُوا وَلَمْ يَنْهَوْا، بَلْ أَنْكَرُوا عَلَى الَّذِينَ نَهَوْا وَقَالُوا: لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا يَقُولُونَ لَهُمْ: مَا الْفَائِدَةُ فِي نَهْيِكُمْ هَؤُلَاءِ وَقَدِ اسْتَحَقُّوا الْعُقُوبَةَ لَا مَحَالَةَ؟ فَأَجَابَتْهُمُ الطَّائِفَةُ الْمُنْكِرَةُ بِأَنْ قَالُوا :(مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ) أَيْ: فِيمَا أُمِرْنَا بِهِ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَنَقُومُ بِهِ خَوْفًا مِنْ عَذَابِهِ . (وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) أَيْ: وَلَعَلَّ هَؤُلَاءِ يَتْرُكُونَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الصَّنِيعِ، فَيَقِيهِمُ اللهُ عَذَابَهُ وَيَعْفُو

عَنْهُمْ إِذَا هُمْ رَجَعُوا وَاسْتَمَعُوا . قَالَ اللهُ تَعَالَى : (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ) أَيْ : لَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى مَنْ نَهَاهُمْ عَنْ هَذَا الصَّنِيعِ الشَّنِيعِ الْفَظِيعِ.

(أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ) وَهُمُ الْفِرْقَةُ الْآمِرَةُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِيَةُ عَنِ الْمُنْكَرِ وهؤلاء كتب لهم النجاة.

(وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)؛ ويشمل الواقعين في الذنب والساكتين عنهم.

ثُمَّ فَسَّرَ الْعَذَابَ الَّذِي أَصَابَهُمْ بِقَوْلِهِ :(فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ).

وفي هذا تحذير كبير من السكوت عن انتشار المعاصي بين الناس.

وَقَدْ رَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ رَجُلٍ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَحَكَى مَالِكٌ، عَنِ ابْنِ رُومَانَ، وَشَيْبَانُ، عَنْ قَتَادَةَ، وَعَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ، مَا مَضْمُونُهُ أَنَّ الَّذِينَ ارْتَكَبُوا هَذَا الصُّنْعَ، اعْتَزَلَهُمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الْبَلَدِ، وَنَهَاهُمْ مَنْ نَهَاهُمْ مِنْهُمْ ، فَلَمْ يَقْبَلُوا، فَكَانُوا يَبِيتُونَ وَحْدَهُمْ وَيُغْلِقُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ أَبْوَابًا، حَاجِزًا لِمَا كَانُوا يَتَرَقَّبُونَ مِنْ هَلَاكِهِمْ فَأَصْبَحُوا ذَاتَ يَوْمٍ وَأَبْوَابُ نَاحِيَتِهِمْ مُغْلَقَةٌ لَمْ يَفْتَحُوهَا، وَارْتَفَعَ النَّهَارُ وَاشْتَدَّ الضُّحَاءُ فَأَمَرَ بَقِيَّةُ أَهْلِ الْبَلَدِ رَجُلًا أَنْ يَصْعَدَ عَلَى سَلَالِمَ وَيُشْرِفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، إِذَا هُمْ قِرَدَةٌ لَهَا أَذْنَابٌ يَتَعَاوَوْنَ وَيَتَعَادَوْنَ، فَفَتَحُوا عَلَيْهِمُ الْأَبْوَابَ فَجَعَلَتِ الْقِرَدَةُ تَعْرِفُ قَرَابَاتِهِمْ، وَلَا تَعْرِفُهُمْ قَرَابَاتُهُمْ، فَجَعَلُوا يَلُوذُونَ بِهِمْ، وَيَقُولُ لَهُمُ النَّاهُونَ: أَلَمْ

نَنْهَكُمْ عَنْ صَنِيعِكُمْ؟ فَتُشِيرُ الْقِرَدَةُ بِرُءُوسِهَا أَنْ نَعَمْ. ثُمَّ بَكَى عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، وَقَالَ: إِنَّا لَنَرَى مُنْكَرَاتٍ كَثِيرَةً، وَلَا نُنْكِرُهَا، وَلَا نَقُولُ فِيهَا شَيْئًا. وَاللهُ أَعْلَمُ(١).

(فوائد):

١. التحذير من التحايل واتباع الهوى لأنه من صفات اليهود.

٢. شؤم المعصية.

٣. التحذير من ترك الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤. الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إذا راج في المجتمعات وَعَزَّ سُوقُهَا؛ فَهَنِيئًا لتلك المجتمعات الْأَمَان والبركات، فَبِإِحْيَاءِ هَذِهِ الشَّعِيرَةِ تَمُوتُ الْبِدَعُ، وَتُصَانُ الْأَعْرَاضُ، وَتُحْمَى الْحُرُمَاتُ، وَتُحَاصَرُ الْجَرِيمَةُ، فَيَكُونُ الْأَمْنُ، وَتَصْلُحُ الْأَحْوَالُ، وَيعِيشُ الْمُجْتَمَعُ حياةً طيبةً بِبَرَكَةِ إِحْيَاءِ هَذِهِ الشَّعِيرَةِ الْمُبَارَكَةِ.

٥. أَمَّا حِينَمَا يَتَخَلَّى الْمُجْتَمَعُ عَنْ هَذِهِ الشَّعِيرَةِ، فَيُطْوَى بِسَاطُهَا، وَيَقِلُّ أَنْصَارُهَا، فَيَنْدُرُ النَّاصِحُونَ، وَيَشِحُّ الْمُنْكِرُونَ، فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْأَخْيَارِ مِنَ الْفُجَّارِ، وَوَيْلٌ لِلصَّالِحِينَ مِنْ سَفَهِ الْجَاهِلِينَ.

---

(١) البداية والنهاية » كتاب أخبار الماضين من بني إسرائيل وغيرهم » قصة أصحاب الجنة.

برصيصا العابد

قال تعالى: { كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ }(١).

ذَكَرَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ: أَنَّ عَابِدًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ يُقَالُ لَهُ: بِرْصِيصَا تَعَبَّدَ فِي صَوْمَعَةٍ لَهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ، فَجَمَعَ إِبْلِيسُ يَوْمًا مَرَدَةَ الشَّيَاطِينِ، فَقَالَ: أَلَا أَحَدٌ مِنْكُمْ يَكْفِينِي بِرْصِيصَا، فَقَالَ الْأَبْيَضُ، وَهُوَ صَاحِبُ الْأَنْبِيَاءِ: أَنَا أَكْفِيكَهُ، فَانْطَلَقَ عَلَى صِفَةِ الرُّهْبَانِ، وَأَتَى صَوْمَعَتَهُ، فَنَادَاهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، وَكَانَ لَا يَنْفَتِلُ عَنْ صِلَاتِهِ إِلَّا فِي كُلِّ عَشْرَةِ أَيَّامٍ، وَلَا يُفْطِرُ إِلَّا فِي كُلِّ عَشْرَةِ أَيَّامٍ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يُجِيبُهُ أَقْبَلَ عَلَى الْعِبَادَةِ فِي أَصْلِ صَوْمَعَتِهِ، فَلَمَّا انْفَتَلَ بِرْصِيصَا، اطَّلَعَ فَرَآهُ مُنْتَصِبًا يُصَلِّي عَلَى هَيْئَةٍ حَسَنَةٍ، فَنَادَاهُ: مَا حَاجَتُكَ؟ فَقَالَ: إِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ، أَقْتَبِسُ مِنْ عَمَلِكَ، وَأَتَأَدَّبُ بِأَدَبِكَ، وَنَجْتَمِعُ عَلَى الْعِبَادَةِ، فَقَالَ بِرْصِيصَا: إِنِّي لَفِي شُغْلٍ عَنْكَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، وَأَقْبَلَ الْأَبْيَضُ يُصَلِّي، فَلَمْ يُقْبِلْ إِلَيْهِ بِرْصِيصَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ انْفَتَلَ، فَرَآهُ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَأَى شِدَّةَ اجْتِهَادِهِ، قَالَ: مَا حَاجَتُكَ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ الْقَوْلَ، فَأَذِنَ لَهُ، فَصَعِدَ إِلَيْهِ، فَأَقَامَ مَعَهُ حَوْلًا لَا يُفْطِرُ إِلَّا كُلَّ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَلَا يَنْفَتِلُ مِنْ صِلَاتِهِ إِلَّا فِي كُلِّ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَرُبَّمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ، فَلَمَّا رَأَى بِرْصِيصَا اجْتِهَادَهُ، أَعْجَبَهُ شَأْنُهُ وَتَقَاصَرَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ،

---

(١) سورة الحشر _ الآيتان ١٦ ، ١٧.

فَلَمَّا حَالَ الْحَوْلُ قَالَ الْأَبْيَضُ لِبِرْصِيصَا: إِنِّي مُنْطَلِقٌ عَنْكَ، فَإِنَّ لِي صَاحِبًا غَيْرَكَ ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَشَدُّ اجْتِهَادًا مِمَّا أَرَى، وَكَانَ يُبْلِغُنَا عَنْكَ غَيْرَ الَّذِي أَرَى، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى بِرْصِيصَا، وَكَرِهَ مُفَارَقَتَهُ، فَلَمَّا وَدَّعَهُ قَالَ لَهُ الْأَبْيَضُ: إِنَّ عِنْدِي دَعَوَاتٍ أُعَلِّمُكَهَا، يَشْفِي اللهُ بِهَا السَّقِيمَ، وَيُعَافِي بِهَا الْمُبْتَلَى، فَقَالَ بِرْصِيصَا: إِنِّي أَكْرَهُ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ، لِأَنَّ لِي فِي نَفْسِي شُغْلًا، فَأَخَافُ أَنْ يَعْلَمَ النَّاسُ بِهَذَا، فَيَشْغَلُونِي عَنِ الْعِبَادَةِ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى عَلَّمَهُ إِيَّاهَا، ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى إِبْلِيسَ فَقَالَ: قَدِ وَاللهِ أَهْلَكْتُ الرَّجُلَ، فَانْطَلَقَ الْأَبْيَضُ، فَتَعَرَّضَ لِرَجُلٍ فَخَنَقَهُ، ثُمَّ جَاءَهُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ مُتَطَبِّبٍ، فَقَالَ لِأَهْلِهِ: إِنَّ بِصَاحِبِكُمْ جُنُونًا فَأُعَالِجُهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي لَا أَقْوَى عَلَى جِنِّيِهِ، وَلَكِنْ سَأُرْشِدُكُمْ إِلَى مَنْ يَدْعُو لَهُ فَيُعَافَى، فَقَالُوا لَهُ: دُلَّنَا، قَالَ: انْطَلَقُوا إِلَى بِرْصِيصَا الْعَابِدِ، فَإِنَّ عِنْدَهُ اسْمَ اللهِ الْأَعْظَمَ، فَانْطَلَقُوا إِلَيْهِ، فَدَعَا بِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ، فَذَهَبَ عَنْهُمُ الشَّيْطَانُ، وَكَانَ الْأَبْيَضُ يَفْعَلُ بِالنَّاسِ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْشِدُهُمْ إِلَى بِرْصِيصَا ، فَيُعَافَوْنَ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ انْطَلَقَ إِلَى جَارِيَةٍ مِنْ بَنَاتِ مُلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَهَا ثَلَاثَةُ إِخْوَةٍ، فَخَنَقَهَا، ثُمَّ جَاءَ إِلَيْهِمْ فِي صُورَةِ مُتَطَبِّبٍ، فَقَالَ: أُعَالِجُهَا؟ قَالُوا: نَعَمْ . فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي عَرَضَ لَهَا مَارِدٌ لَا يُطَاقُ، وَلَكِنْ سَأُرْشِدُكُمْ إِلَى رَجُلٍ تَدْعُونَهَا عِنْدَهُ، فَإِذَا جَاءَ شَيْطَانُهَا دَعَا لَهَا، قَالُوا، وَمَنْ هُوَ؟ قَالَ: بِرْصِيصَا ، قَالُوا: فَكَيْفَ لَنَا أَنْ يَقْبَلَهَا مِنَّا، وَهُوَ أَعْظَمُ شَأْنًا مِنْ ذَلِكَ؟! قَالَ: إِنْ قَبِلَهَا، وَإِلَّا فَضَعُوهَا فِي صَوْمَعَتِهِ، وَقُولُوا لَهُ: هِيَ أَمَانَةٌ عِنْدَكَ، فَانْطَلَقُوا إِلَيْهِ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ، فَوَضَعُوهَا عِنْدَهُ .

وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ قَالَ: ضَعُوهَا فِي ذَلِكَ الْغَارِ، وَهُوَ غَارٌ إِلَى جَنْبِ صَوْمَعَتِهِ، فَوَضَعُوهَا، فَجَاءَ الشَّيْطَانُ فَقَالَ: لَهُ انْزِلْ إِلَيْهَا فَامْسَحْهَا بِيَدِكَ تُعَافَى، وَتَنْصَرِفُ إِلَى أَهْلِهَا، فَنَزَلَ، فَلَمَّا دَنَا إِلَى بَابِ الْغَارِ دَخَلَ الشَّيْطَانُ فِيهَا، فَإِذَا هِيَ تَرْكُضُ، فَسَقَطَتْ عَنْهَا ثِيَابُهَا، فَنَظَرَ الْعَابِدُ إِلَى شَيْءٍ لَمْ يَرَ مِثْلَهُ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَلَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ وَقَعَ عَلَيْهَا، وَضَرَبَ عَلَى أُذُنِهِ، فَجَعَلَ يَخْتَلِفُ إِلَيْهَا إِلَى أَنْ حَمَلَتْ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْطَانُ: وَيْحَكَ يَا بِرْصِيصَا قَدِ افْتُضِحْتَ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَقْتُلَ هَذِهِ وَتَتُوبَ؟! فَإِنْ سَأَلُوكَ عَنْهَا فَقُلْ: جَاءَ شَيْطَانُهَا، فَذَهَبَ بِهَا، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى قَتَلَهَا، وَدَفَنَهَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى صَوْمَعَتِهِ، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ إِذْ جَاءَ إِخْوَتُهَا يَسْأَلُونَ عَنْهَا، فَقَالُوا: يَا بِرْصِيصَا! مَا فَعَلَتْ أُخْتُنَا؟ قَالَ: جَاءَ شَيْطَانُهَا فَذَهَبَ بِهَا، وَلَمْ أُطِقْهُ، فَصَدَّقُوهُ، وَانْصَرَفُوا .

وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ قَالَ: دَعَوْتُ لَهَا، فَعَافَاهَا اللهُ، وَرَجَعَتْ إِلَيْكُمْ، فَتَفَرَّقُوا يَنْظُرُونَ لَهَا أَثَرًا، فَلَمَّا أَمْسَوْا جَاءَ الشَّيْطَانُ إِلَى كَبِيرِهِمْ فِي مَنَامِهِ، فَقَالَ: وَيْحَكَ: إِنَّ بِرْصِيصَا فَعَلَ بِأُخْتِكَ كَذَا وَكَذَا، وَإِنَّهُ دَفَنَهَا فِي مَوْضِعِ كَذَا مِنْ جَبَلِ كَذَا، فَقَالَ: هَذَا حُلْمٌ، وَ بِرْصِيصَا خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ، فَتَتَابَعَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، وَلَا يَكْتَرِثُ، فَانْطَلَقَ إِلَى الْأَوْسَطِ كَذَلِكَ، ثُمَّ إِلَى الْأَصْغَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ الْأَصْغَرُ لِإِخْوَتِهِ: لَقَدْ رَأَيْتُ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ الْأَوْسَطُ: وَأَنَا وَاللهِ، فَقَالَ الْأَكْبَرُ: وَأَنَا وَاللهِ، فَأَتَوْا بِرْصِيصَا ، فَسَأَلُوهُ عَنْهَا، فَقَالَ: قَدْ أَعْلَمْتُكُمْ بِحَالِهَا، فَكَأَنَّكُمُ اتَّهَمْتُمُونِي، قَالُوا: لَا وَاللهِ، وَاسْتَحْيَوْا، وَانْصَرَفُوا، فَجَاءَهُمُ الشَّيْطَانُ فَقَالَ: وَيْحَكُمْ إِنَّهَا

لَمَدْفُونَةٌ فِي مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا، وَإِنَّ إِزَارَهَا لَخَارِجٌ مِنَ التُّرَابِ، فَانْطَلَقُوا، فَحَفَرُوا عَنْهَا، فَرَأَوْهَا، فَقَالُوا: يَا عَدُوَّ اللهِ لِمَ قَتَلْتَهَا؟ اهْبِطْ، فَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ، ثُمَّ أَوْثَقُوهُ، وَجَعَلُوا فِي عُنُقِهِ حَبْلًا، ثُمَّ قَادُوهُ إِلَى الْمَلِكِ فَأَقَرَّ عَلَى نَفْسِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ الشَّيْطَانَ عَرَضَ لَهُ، فَقَالَ: تَقْتُلُهَا ثُمَّ تُكَابِرُ، فَاعْتَرَفَ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِقَتْلِهِ وَصَلْبِهِ، فَعَرَضَ لَهُ الْأَبْيَضُ، فَقَالَ: أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: لَا، قَالَ: أَنَا صَاحِبُكَ الَّذِي عَلَّمْتُكَ الدَّعَوَاتِ، وَيْحَكَ مَا اتَّقَيْتَ اللهَ فِي أَمَانَةٍ خُنْتَ أَهْلَهَا، أَمَا اسْتَحْيَيْتَ مِنَ اللهِ؟! أَلَمْ يَكْفِكَ ذَلِكَ حَتَّى أَقْرَرْتَ فَفَضَحْتَ نَفْسَكَ وَأَشْبَاهَكَ بَيْنَ النَّاسِ؟! فَإِنَّ مُتَّ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ لَمْ تُفْلِحْ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ نُظَرَائِكَ، قَالَ: فَكَيْفَ أَصْنَعُ قَالَ: تُطِيعُنِي فِي خَصْلَةٍ حَتَّى أُنْجِيَكَ، وَآخُذَ بِأَعْيُنِهِمْ، وَأُخْرِجَكَ مِنْ مَكَانِكَ، قَالَ: مَا هِيَ؟ قَالَ: تَسْجُدُ لِي، فَسَجَدَ لَهُ، فَقَالَ: هَذَا الَّذِي أَرَدْتُ مِنْكَ صَارَتْ عَاقِبَةُ أَمْرِكَ أَنْ كَفَرْتَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ثُمَّ قُتِلَ . فَضَرَبَ اللهُ هَذَا الْمَثَلَ لِلْيَهُودِ حِينَ غَرَّهُمُ الْمُنَافِقُونَ، ثُمَّ أَسْلَمُوهُمْ . فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا يَعْنِي: الشَّيْطَانَ وَذَلِكَ الْكَافِرَ (١).

(فوائد):

١. التحذير من اتباع خطوات الشيطان.

٢. التحذير من الخلوة بالمرأة الأجنبية.

٣. صاحب الجهد يحفظ في مكان الفتنة، مثل: سيدنا لوط عليه السلام ، قال:﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢). فقال الله تعالى:﴿ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴾

---

(١) زاد المسير في علم التفسير – تفسير سورة الحشر.

٢) سورة الشعراء – الآية ١٦٩.

(١).أما العابد فيفتن في مكان العبادة، مثل:(برصيصا العابد، بلعام بن باعوراء) وهكذا يوقع الشيطان العباد في الفتن والمعاصي ويخرجهم من الدين، ولكنه لا يستطيع أن يقترب من الداعي، لأن العابد منشغل بنفسه ومقبل على عبادة ربه والعالم منشغل بمعرفة ربه ودعوة الخلق إليه .

فصلاح عبودية العابد في خلوته، وإذا خرج من الخلوة يتأثر بالفتن ولكن لصلاح الداعي يفضل له الحركة في الدعوة، حتى يقوى إيمانه بالكلام في عظمة الله فلا يتأثر بالفتن.

٤. والقصة التي ذكرناها هي من القصص المروية عن بني إسرائيل.. قال ابن كثير في مقدمة تفسيره -بعد أن ذَكر حديثَ "بلّغُوا عنِّي ولو آيةً، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَجَ، ومن كذب عليّ متعمدًا فليتبوأْ مقعده من النار". ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تُذكر للاستشهاد، لا للاعتضاد. فإنها على ثلاثة أقسام: أحدها: ما علمنا صحتَه مما بأيدينا مما نشهدُ له بالصدق، فذاك صحيح. والثاني: ما علمنا كذبَه بما عندنا مما يخالفه. والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمِنُ به ولا نكذّبه، وتجوزُ حكايتُه لما تقدّم. (تفسير ابن كثير : ١/ ٣١).

---

١) سورة الشعراء – الآية ١٧٠.

قِصَّةُ الرَّجُلَيْنِ (الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ)

قَالَ اللهُ تَعَالَى:{ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا }(١).

قوله:(وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا) يَعْنِي لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ، فِي عَدَمِ اجْتِمَاعِهِمْ بِالضُّعَفَاءِ وَالْفُقَرَاءِ، وَازْدِرَائِهِمْ بِهِمْ، وَافْتِخَارِهِمْ عَلَيْهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى:{ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ }(٢).

---

(١) سورة الحشر _ الآيتان ٣٢، ٤٤.

(٢) سورة يس _ الآية ١٣.

كَمَا قَدَّمْنَا الْكَلَامَ عَلَى قِصَّتِهِمْ قَبْلَ قِصَّةِ، مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْمَشْهُورُ أَنَّ هَذَيْنِ كَانَا رَجُلَيْنِ مُصْطَحِبَيْنِ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا مُؤْمِنًا وَالْآخِرُ كَافِرًا، وَيُقَالُ: إِنَّهُ كَانَ لِكُلٍّ مِنْهُمَا مَالٌ، فَأَنْفَقَ الْمُؤْمِنُ مَالَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ وَمَرْضَاتِهِ ابْتِغَاءَ وَجْهِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّهُ اتَّخَذَ لَهُ بُسْتَانَيْنِ، وَهُمَا الْجَنَّتَانِ الْمَذْكُورَتَانِ فِي الْآيَةِ، عَلَى الصِّفَةِ وَالنَّعْتِ الْمَذْكُورِ؛ فِيهِمَا أَعْنَابٌ، وَنَخْلٌ تَحُفُّ تِلْكَ الْأَعْنَابَ وَالزُّرُوعُ فِي خِلَالِ ذَلِكَ، وَالْأَنْهَارُ سَارِحَةٌ هَاهُنَا وَهَاهُنَا لِلسَّقْيِ وَالتَّنَزُّهِ، وَقَدِ اسْتَوْسَقَتْ فِيهِمَا الثِّمَارُ، وَاضْطَرَبَتْ فِيهِمَا الْأَنْهَارُ، وَابْتَهَجَتِ الزُّرُوعُ وَالثِّمَارُ ، وَافْتَخَرَ مَالِكُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ الْمُؤْمِنِ الْفَقِيرِ قَائِلًا لَهُ:(أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا) أَيْ: وَأَمْنَعُ جَنَابًا. وَمُرَادُهُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْهُ، وَمَعْنَاهُ، مَاذَا أَغْنَى عَنْكَ إِنْفَاقُكَ مَا كُنْتَ تَمْلِكُهُ فِي الْوَجْهِ الَّذِي صَرَفْتَهُ فِيهِ؟ كَانَ الْأَوْلَى بِكَ أَنْ تَفْعَلَ كَمَا فَعَلْتُ لِتَكُونَ مِثْلِي .

فَافْتَخَرَ عَلَى صَاحِبِهِ (وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) أَيْ: وَهُوَ عَلَى غَيْرِ طَرِيقَةٍ مَرْضِيَّةٍ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَذَلِكَ لِمَا رَأَى مِنِ اتِّسَاعِ أَرْضِهَا، وَكَثْرَةِ مَائِهَا وَحُسْنِ نَبَاتِ أَشْجَارِهَا؛ وَلَوْ قَدْ بَادَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الْأَشْجَارِ لَاسْتَخْلَفَ مَكَانَهَا أَحْسَنَ مِنْهَا، وَزُرُوعُهَا دَارَّةٌ لِكَثْرَةِ مِيَاهِهَا .

ثُمَّ قَالَ:(وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً) فَوَثِقَ بِزَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، وَكَذَّبَ بِوُجُودِ الْآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ الدَّائِمَةِ ، ثُمَّ قَالَ :(وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا) أَيْ : وَلَئِنْ كَانَ ثَمَّ آخِرَةٌ وَمَعَادٌ فَلَأَجِدَنَّ هُنَاكَ خَيْرًا مِنْ هَذَا .

وَذَلِكَ لِأَنَّهُ اغْتَرَّ بِدُنْيَاهُ ، وَاعْتَقَدَ أَنَّ اللهَ لَمْ يُعْطِهِ ذَلِكَ فِيهَا إِلَّا لِحُبِّهِ لَهُ وَحَظْوَتِهِ عِنْدَهُ ، كَمَا قَالَ الْعَاصِ بْنُ وَائِلٍ فِيمَا قَصَّ اللهُ مِنْ خَبَرِهِ وَخَبَرِ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ فِي قَوْلِهِ :

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا }(١). وَقَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنِ الْإِنْسَانِ إِذَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ:{ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ }(٢). وَقَالَ تَعَالَى : {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ}(٣). وَقَالَ تَعَالَى: { أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ }(٤). وَلَمَّا اغْتَرَّ هَذَا الْجَاهِلُ بِمَا خَوَّلَهُ اللهُ بِهِ فِي الدُّنْيَا ، فَجَحَدَ الْآخِرَةَ، وَادَّعَى أَنَّهَا إِنْ وُجِدَتْ لَيَجِدَنَّ عِنْدَ رَبِّهِ خَيْرًا مِمَّا هُوَ فِيهِ ، وَسَمِعَهُ صَاحِبُهُ يَقُولُ ذَلِكَ (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) أَيْ: يُجَادِلُهُ (أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا } أَيْ: أَجَحَدْتَ الْمَعَادَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ صَوَّرَكَ أَطْوَارًا حَتَّى صِرْتَ رَجُلًا سَوِيًّا سَمِيعًا بَصِيرًا ، تَعْلَمُ وَتَبْطِشُ وَتَفْهَمُ ، فَكَيْفَ أَنْكَرْتَ الْمَعَادَ وَاللهُ قَادِرٌ عَلَى الْبَدَاءَةِ لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي أَيْ: لَكِنْ أَنَا أَقُولُ بِخِلَافِ مَا قُلْتَ وَأَعْتَقِدُ خِلَافَ مُعْتَقَدِكَ (هُوَ اللهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا)أَيْ : لَا أَعْبُدُ سِوَاهُ ،

---

(١) سورة مريم _ الآيتان ٧٧، ٧٨.

(٢) سورة فصلت _ الآية ٥٠.

(٣) سورة سبأ _ الآية ٣٧.

(٤) سورة المؤمنون _ الآية ٥٥، ٥٦.

وَأَعْتَقِدَ أَنَّهُ يَبْعَثُ الْأَجْسَادَ بَعْدَ فَنَائِهَا، وَيُعِيدُ الْأَمْوَاتَ، وَيَجْمَعُ الْعِظَامَ الرُّفَاتَ ، وَأَعْلَمُ أَنَّ اللهَّ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي خَلْقِهِ، وَلَا فِي مُلْكِهِ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ .

ثُمَّ أَرْشَدَهُ إِلَى مَا كَانَ الْأَوْلَى بِهِ أَنْ يَسْلُكَهُ عِنْدَ دُخُولِ جَنَّتِهِ فَقَالَ: (وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُّ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهَّ) وَلِهَذَا يُسْتَحَبُّ لِكُلِّ مَنْ أَعْجَبَهُ شَيْءٌ مِنْ مَالِهِ أَوْ أَهْلِهِ أَوْ حَالِهِ أَنْ يَقُولَ كَذَلِكَ .

ثُمَّ قَالَ الْمُؤْمِنُ لِلْكَافِرِ :(فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ) أَيْ : فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ (وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَالضَّحَّاكُ ، وَقَتَادَةُ : أَيْ : عَذَابًا مِنَ السَّمَاءِ . وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ الْمَطَرُ الْمُزْعِجُ الْبَاهِرُ، الَّذِي يَقْتَلِعُ زُرُوعَهَا وَأَشْجَارَهَا (فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا) وَهُوَ التُّرَابُ الْأَمْلَسُ الَّذِي لَا نَبَاتَ فِيهِ (أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا) وَهُوَ ضِدُّ الْمَعِينِ السَّارِحِ فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا يَعْنِي ، فَلَا تَقْدِرُ عَلَى اسْتِرْجَاعِهِ .

قَالَ اللهُّ تَعَالَى : (وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ) أَيْ : جَاءَهُ أَمْرٌ أَحَاطَ بِجَمِيعِ حَوَاصِلِهِ ، وَخَرَّبَ جَنَّتَهُ، وَدَمَّرَهَا (فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا) أَيْ: خَرِبَتْ بِالْكُلِّيَّةِ، فَلَا عَوْدَةَ لَهَا، وَذَلِكَ ضِدُّ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَمَّلَ حَيْثُ قَالَ : (وَمَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا) وَنَدِمَ عَلَى مَا كَانَ سَلَفَ مِنْهُ مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي كَفَرَ بِسَبَبِهِ بِاللهَّ الْعَظِيمِ ، فَهُوَ يَقُولُ:(يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا) قَالَ اللهُّ تَعَالَى :(وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهَّ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا هُنَالِكَ) أَيْ : لَمْ يَكُنْ لَهُ أَحَدٌ يَتَدَارَكُ مَا فَرَطَ مِنْ أَمْرِهِ ، وَمَا كَانَ لَهُ قُدْرَةٌ فِي نَفْسِهِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، كَمَا

قَالَ تَعَالَى :(فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ) (١)، وَقَوْلُهُ :(الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ) وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْتَدِئُ بِقَوْلِهِ :(هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ) وَهُوَ حَسَنٌ أَيْضًا ، كَقَوْلِهِ: (الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا) (٢)، فَالْحُكْمُ الَّذِي لَا يُرَدُّ وَلَا يُمَانَعُ وَلَا يُغَالَبُ - فِي تِلْكَ الْحَالِ وَفِي كُلِّ حَالٍ - لِلَّهِ الْحَقِّ. وَمِنْهُمْ مَنْ رَفَعَ (الْحَقِّ) جَعَلَهُ صِفَةً لِ (الْوِلَايَةَ) وَهُمَا مُتَلَازِمَتَانِ. وَقَوْلُهُ:(هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا) أَيْ: مُعَامَلَتُهُ خَيْرٌ لِصَاحِبِهَا ثَوَابًا، وَهُوَ الْجَزَاءُ، وَخَيْرٌ عُقْبًا؛ وَهُوَ الْعَاقِبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

(الفائدة): أن هَذِهِ الْقِصَّةُ تَضَمَّنَتْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَرْكَنَ إِلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَا يَغْتَرَّ بِهَا، وَلَا يَثِقَ بِهَا، بَلْ يَجْعَلَ طَاعَةَ اللَّهِ وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ حَالٍ نُصْبَ عَيْنَيْهِ، وَلْيَكُنْ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ .

وَفِيهَا أَنَّ مَنْ قَدَّمَ شَيْئًا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ، عُذِّبَ بِهِ، وَرُبَّمَا سُلِبَ مِنْهُ ؛ مُعَامَلَةً لَهُ بِنَقِيضِ قَصْدِهِ.

وَفِيهَا أَنَّ الْوَاجِبَ قَبُولُ نَصِيحَةِ الْأَخِ الْمُشْفِقِ، وَأَنَّ مُخَالَفَتَهُ وَبَالٌ وَدَمَارٌ عَلَى مَنْ رَدَّ النَّصِيحَةَ الصَّحِيحَةَ .

وَفِيهَا، أَنَّ النَّدَامَةَ لَا تَنْفَعُ إِذَا حَانَ الْقَدَرُ، وَنَفَذَ الْأَمْرُ الْحَتْمُ. وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ (٣).

---

(١) سورة الطارق _ الآية ١٠.

(٢) سورة الفرقان _ الآية ٢٦.

(٣) البداية والنهاية» كتاب أخبار الماضين من بني إسرائيل وغيرهم» قصة أصحاب الجنة.

قِصَّةُ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: { إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ }(١).

إِنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا إِخْوَةً مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ وَقَدْ وَرِثُوا هَذِهِ الْجَنَّةَ عَنْ أَبِيهِمْ، وَكَانَ يَتَصَدَّقُ مِنْهَا كَثِيرًا، فَلَمَّا صَارَ أَمْرُهَا إِلَيْهِمُ اسْتَهْجَنُوا أَمْرَ أَبِيهِمْ، وَأَرَادُوا اسْتِغْلَالَهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُعْطُوا الْفُقَرَاءَ شَيْئًا ، فَعَاقَبَهُمُ اللهُ أَشَدَّ الْعُقُوبَةِ ؛ وَلِهَذَا أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِالصَّدَقَةِ مِنَ الثِّمَارِ وَحَثَّ عَلَى ذَلِكَ يَوْمَ الْجَدَادِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى :{ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ }(٢).

وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ، فِيمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ إِرْسَالِ الرَّسُولِ الْعَظِيمِ الْكَرِيمِ إِلَيْهِمْ، فَقَابَلُوهُ بِالتَّكْذِيبِ وَالْمُخَالَفَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:{ أَلَمْ تَرَ إِلَى

---

(١) سورة القلم _ الآيتان ١٧، ٣٣.

(٢) سورة الأنعام _ الآية ١٤١.

الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ }(١).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُمْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ. فَضَرَبَ تَعَالَى لَهُمْ مَثَلًا بِأَصْحَابِ الْجَنَّةِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى أَنْوَاعِ الزُّرُوعِ وَالثِّمَارِ الَّتِي قَدِ انْتَهَتْ وَاسْتَحَقَّتْ أَنْ تُجَدَّ، وَلِهَذَا قَالَ:{ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا }أَيْ: لَيَجُدُّنَّهَا، وَهُوَ الِاسْتِغْلَالُ (مُصْبِحِينَ) أَيْ: وَقْتَ الصُّبْحِ، حَيْثُ لَا يَرَاهُمْ فَقِيرٌ وَلَا مُحْتَاجٌ فَيُعْطُوهُ شَيْئًا ، فَحَلَفُوا عَلَى ذَلِكَ ، فَعَجَّزَهُمُ اللهُ ، وَسَلَّطَ عَلَيْهَا الْآفَةَ الَّتِي أَحْرَقَتْهَا ؛ وَهِيَ السَّفْعَةُ الَّتِي اجْتَاحَتْهَا وَلَمْ تُبْقِ بِهَا شَيْئًا يُنْتَفَعُ بِهِ وَلِهَذَا قَالَ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ أَيْ: كَاللَّيْلِ الْأَسْوَدِ الْمُنْصَرِمِ مِنَ الضِّيَاءِ وَهَذِهِ مُعَامَلَةٌ بِنَقِيضِ الْمَقْصُودِ (فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ) أَيْ: فَاسْتَيْقَظُوا مِنْ نَوْمِهِمْ فَنَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا قَائِلِينَ:(اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ) أَيْ : بَاكِرُوا إِلَى بُسْتَانِكُمْ فَاصْرِمُوهُ . قَبْلَ أَنْ يَرْتَفِعَ النَّهَارُ وَيَكْثُرَ السُّؤَالُ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ أَيْ: يَتَحَدَّثُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ خُفْيَةً قَائِلِينَ: لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ أَيْ: اتَّفِقُوا عَلَى هَذَا وَاشْتَوِرُوا عَلَيْهِ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ أَيْ: انْطَلَقُوا مُجِدِّينَ فِي ذَلِكَ قَادِرِينَ عَلَيْهِ مُصَمِّمِينَ مُصِرِّينَ عَلَى هَذِهِ النِّيَّةِ الْفَاسِدَةِ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ وَالشَّعْبِيُّ: وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ أَيْ : غَضَبٍ عَلَى الْمَسَاكِينِ . وَأَبْعَدَ السُّدِّيُّ فِي قَوْلِهِ ؛ أَنَّ اسْمَ حَرْثِهِمْ حَرْدٌ .(فَلَمَّا رَأَوْهَا) أَيْ : وَصَلُوا إِلَيْهَا ، وَنَظَرُوا مَا حَلَّ بِهَا ، وَمَا قَدْ

---

(١) سورة إبراهيم _ الآيتان ٢٨، ٢٩.

صَارَتْ إِلَيْهِ مِنَ الصِّفَةِ الْمُنْكَرَةِ بَعْدَ تِلْكَ النَّضْرَةِ وَالْحُسْنِ وَالْبَهْجَةِ ، فَانْقَلَبَتْ بِسَبَبِ النِّيَّةِ الْفَاسِدَةِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ(قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ) أَيْ: قَدْ تُهْنَا عَنْهَا وَسَلَكْنَا غَيْرَ طَرِيقِهَا . ثُمَّ قَالُوا: (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) أَيْ: بَلْ عُوقِبْنَا بِسَبَبِ سُوءِ قَصْدِنَا، وَحُرِمْنَا بَرَكَةَ حَرْثِنَا (قَالَ أَوْسَطُهُمْ): أَعْدَلُهُمْ وَخَيْرُهُمْ (أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ) قِيلَ: تَقُولُونَ خَيْرًا بَدَلَ مَا قُلْتُمْ مِنَ الشَّرِّ (قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ) فَنَدِمُوا حَيْثُ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ، وَاعْتَرَفُوا بِالذَّنْبِ بَعْدَ الْعُقُوبَةِ، وَذَلِكَ حَيْثُ لَا يَنْجَعُ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: كَذَلِكَ الْعَذَابُ أَيْ: هَكَذَا نُعَذِّبُ مَنْ خَالَفَ أَمْرَنَا، وَلَمْ يَعْطِفْ عَلَى الْمَحَاوِيجِ مِنْ خَلْقِنَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ أَيْ: أَعْظَمُ وَأَطَمُّ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ .

وَقِصَّةُ هَؤُلَاءِ شَبِيهَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:{ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ}(١)(٢).

---

(١) سورة النحل _ الآيتان ١١٢ ، ١١٣.

(٢) البداية والنهاية» كتاب أخبار الماضين من بني إسرائيل وغيرهم» قصة أصحاب الجنة.

ذو الْقَرْنَيْنِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى:{ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا }(١) .

كَانَ سَبَبُهُ أَنَّ قُرَيْشًا سَأَلُوا الْيَهُودَ عَنْ شَيْءٍ يَمْتَحِنُونَ بِهِ عِلْمَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا لَهُمْ: سَلُوهُ عَنْ رَجُلٍ طَوَّافٍ فِي الْأَرْضِ، وَعَنْ فِتْيَةٍ خَرَجُوا لَا يُدْرَى مَا فَعَلُوا ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى قِصَّةَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَقِصَّةَ ذِي

(١) سورة الكهف _ الآيات من ٨٣ : ٩٨ .

الْقَرْنَيْنِ . وَلِهَذَا قَالَ: قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا أَيْ مِنْ خَبَرِهِ وَشَأْنِهِ ذِكْرًا أَيْ خَبَرًا نَافِعًا كَافِيًا فِي تَعْرِيفِ أَمْرِهِ وَشَرْحِ حَالِهِ . فَقَالَ: (إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا) أَيْ: وَسَّعْنَا مَمْلَكَتَهُ فِي الْبِلَادِ وَأَعْطَيْنَاهُ مِنْ آلَاتِ الْمُلْكَةِ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى تَحْصِيلِ مَا يُحَاوِلُهُ مِنَ الْمُهِمَّاتِ الْعَظِيمَةِ وَالْمَقَاصِدِ الْجَسِيمَةِ، وملكه الله تعالى، ومكنه من النفوذ في أقطار الأرض، وانقيادهم له. { وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا } أي: أعطاه الله من الأسباب الموصلة له لما وصل إليه، ما به يستعين على قهر البلدان، وسهولة الوصول إلى أقاصي العمران، وعمل بتلك الأسباب التي أعطاه الله إياها، أي: استعملها على وجهها، فليس كل من عنده شيء من الأسباب يسلكه، ولا كل أحد يكون قادرا على السبب، فإذا اجتمع القدرة على السبب الحقيقي والعمل به، حصل المقصود، وإن عدما أو أحدهما لم يحصل.

وهذه الأسباب التي أعطاه الله إياها، لم يخبرنا الله ولا رسوله بها، ولم تتناقلها الأخبار على وجه يفيد العلم، فلهذا، لا يسعنا غير السكوت عنها، وعدم الالتفات لما يذكره النقلة للإسرائيليات ونحوها، ولكننا نعلم بالجملة أنها أسباب قوية كثيرة، داخلية وخارجية، بها صار له جند عظيم، ذو عدد وعدد ونظام، وبه تمكن من قهر الأعداء، ومن تسهيل الوصول إلى مشارق الأرض ومغاربها، وأنحائها، فأعطاه الله، ما بلغ به مغرب الشمس، حتى رأى الشمس في مرأى العين، كأنها تغرب في عين حمئة، أي: سوداء، وهذا هو المعتاد لمن كان

بينه وبين أفق الشمس الغربي ماء، رآها تغرب في نفس الماء وإن كانت في غاية الارتفاع، ووجد عندها، أي: عند مغربها قوما. { قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا } أي: إما أن تعذبهم بقتل، أو ضرب، أو أسر ونحوه، وإما أن تحسن إليهم، فخير بين الأمرين، لأن الظاهر أنهم كفار أو فساق، أو فيهم شيء من ذلك، لأنهم لو كانوا مؤمنين غير فساق، لم يرخص في تعذيبهم، فكان عند ذي القرنين من السياسة الشرعية ما استحق به المدح والثناء، لتوفيق الله له لذلك، فقال: سأجعلهم قسمين: { أَمَّا مَنْ ظَلَمَ } بالكفر { فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا } أي: تحصل له العقوبتان، عقوبة الدنيا، وعقوبة الآخرة.

{ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى } أي: فله الجنة والحالة الحسنة عند الله جزاء يوم القيامة، { وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا } أي: وسنحسن إليه، ونلطف له بالقول، ونيسر له المعاملة، وهذا يدل على كونه من الملوك الصالحين الأولياء، العادلين العالمين، حيث وافق مرضاة الله في معاملة كل أحد، بما يليق بحاله.

ولما وصل إلى مغرب الشمس كر راجعا، قاصدا مطلعها، متبعا للأسباب، التي أعطاه الله، فوصل إلى مطلع الشمس فـ { وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا } أي: وجدها تطلع على أناس ليس لهم ستر من الشمس، إما لعدم استعدادهم في المساكن، وذلك لزيادة همجيتهم وتوحشهم، وعدم تمدنهم،

وإما لكون الشمس دائمة عندهم، لا تغرب عنهم غروبا يذكر، كما يوجد ذلك في شرقي أفريقيا الجنوبي، فوصل إلى موضع انقطع عنه علم أهل الأرض، فضلا عن وصولهم إليه إياه بأبدانهم، ومع هذا، فكل هذا بتقدير الله له، وعلمه به ولهذا قال { كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا } أي: أحطنا بما عنده من الخير والأسباب العظيمة وعلمنا معه، حيثما توجه وسار.

{ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ } قال المفسرون: ذهب متوجها من المشرق، قاصدا للشمال، فوصل إلى ما بين السدين، وهما سدان، كانا سلاسل جبال معروفين في ذلك الزمان، سدا بين يأجوج ومأجوج وبين الناس، وجد من دون السدين قوما، لا يكادون يفقهون قولا لعجمة ألسنتهم، واستعجام أذهانهم وقلوبهم، وقد أعطى الله ذا القرنين من الأسباب العلمية، ما فقه به ألسنة أولئك القوم وفقههم، وراجعهم، وراجعوه، فاشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج، وهما أمتان عظيمتان من بني آدم فقالوا: { إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ } بالقتل وأخذ الأموال وغير ذلك. { فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا } أي جعلا { عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا } ودل ذلك على عدم اقتدارهم بأنفسهم على بنيان السد، وعرفوا اقتدار ذي القرنين عليه، فبذلوا له أجرة، ليفعل ذلك، وذكروا له السبب الداعي، وهو: إفسادهم في الأرض، فلم يكن ذو القرنين ذا طمع، ولا رغبة في الدنيا، ولا تاركا لإصلاح أحوال الرعية، بل كان قصده الإصلاح، فلذلك أجاب طلبتهم لما فيها من المصلحة، ولم يأخذ

منهم أجرة، وشكر ربه على تمكينه واقتداره، فقال لهم: { مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ } أي: مما تبذلون لي وتعطوني، وإنما أطلب منكم أن تعينوني بقوة منكم بأيديكم { أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا } أي: مانعا من عبورهم عليكم.

{ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ } أي: قطع الحديد، فأعطوه ذلك.

{ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ } أي: الجبلين اللذين بني بينهما السد { قَالَ انْفُخُوا } النار أي: أوقدوها إيقادا عظيما، واستعملوا لها المنافيخ لتشتد، فتذيب النحاس، فلما ذاب النحاس، الذي يريد أن يلصقه بين زبر الحديد { قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا } أي: نحاسا مذابا، فأفرغ عليه القطر، فاستحكم السد استحكاما هائلا وامتنع به من وراءه من الناس، من ضرر يأجوج ومأجوج.

{ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا } أي: فما لهم استطاعة، ولا قدرة على الصعود عليه لارتفاعه، ولا على نقبه لإحكامه وقوته.

{ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا } فلما فعل هذا الفعل الجميل والأثر الجليل، أضاف النعمة إلى موليها وقال: { هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي } أي: من فضله وإحسانه عليَّ، وهذه حال الخلفاء الصالحين، إذا من الله عليهم بالنعم الجليلة، ازداد شكرهم وإقرارهم، واعترافهم بنعمة الله.

قال سليمان عليه السلام، لما حضر عنده عرش ملكة سبأ مع البعد العظيم، قال: { هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ } بخلاف أهل التجبر والتكبر والعلو في الأرض فإن النعم الكبار، تزيدهم أشرا وبطرا.

كما قال قارون -لما آتاه الله من الكنوز، ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة- قال: { إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي }.

وقوله: { فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي } أي: لخروج يأجوج ومأجوج { جَعَلَهُ } أي: ذلك السد المحكم المتقن { دَكَّاءَ } أي: دكه فانهدم، واستوى هو والأرض { وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا }والله أعلم (١).

(فوائد):

١. من قصة ذو القرنين نفهم أن الدعوة كما هي مسئولية الرعية، فهي كذلك مسئولية الراعي، فهذا كان ملكا داعيا إلى الله، يجوب الأرض ليقيم دين الله تعالى في الأرض، وكذلك أرسل الله من الأنبياء والرسل من كان ملكا يتحمل أعباء الملك مثل سليمان وداود عليهما السلام.

٢. قوله :{ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ }دليل التعاون، وهي من أدلة العمل الجماعي، وهي من شيمة العظماء، فالنبي (ﷺ) كان يشارك أصحابه في بناء المسجد وفي حفر الخندق.

٣. قوله تعالى: { فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا} ، لم يفت ذو القرنين أن يذكرهم باليوم الآخر، وهكذا الداعي في كل عمل يربط أذهان الناس بالله واليوم الآخر.

---

(١) انظر تفسير السعدي، والبداية والنهاية» كتاب أخبار الماضين من بني إسرائيل وغيرهم» قصة أصحاب الجنة.

الباب الخامس

القصص

في السنة النبوية

القصص

من السنة النبوية

الأولى

ثمرة الإخلاص

عَنْ عَبْدِ اللهِّ بْنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضْىَ اللهُّ عَنْهُمَا قَال: سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُوْلُ: «انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ(١) مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَتَّى آوَاهُمُ المَبِيْتُ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوْهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ؛ فَقَالوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيْكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تدْعُوا اللهَّ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ. قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ، شَيْخَانِ كَبِيْرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبَقُ(٢) قَبْلَهُمَا أَهْلاً وَلَا مَالاً. فَنَأى(٣) بِي طَلَبُ الشَّجَرِ، فَلَمْ أَرُحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوْقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ، فَكَرِهتُ أَنْ أُوْقِظَهُمَا، وَأَنْ أَغبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أَوْ مَالاً، فَلَبِثْتُ-وَالقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ-أَنْتظِرُ اسْتِيْقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الفَجْرُ، وَالصِّبْيَةُ

---

(١) نفر: هو اسم جمع، يقع على جماعة الرجال خاصة ما بين الثلاثة إلى العشرة، ولا واحد له من لفظه. النهاية ٩٣/٥ .

(٢) لا أغبق: أي ما كنت أقدم عليهما أحداً في شرب نصيبهما من اللبن الذي يشربانه. والغبوق شرب آخر النهار مقابل الصبوح . النهاية ٣٤١/٣ .

(٣) نأى: بَعُد .

يَتَضَاغَوْنَ (١) عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَاسْتَيْقَظَا، فَشَرِبَا غَبُوْقَهُمَا. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيْهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ. فَانْفَرَجَتْ شَيْئاً لَا يَسْتَطِيعُوْنَ الْخُرُوْجَ مِنْهُ. قَال الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ، كَأَنَّتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ-وَفِي رِوَايَةٍ: كُنْتُ أُحِبُّها كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ. فَأَرَدْتُها عَلَى نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَّمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِيْنَ، فَجَاءَتْنِي فَأعطَيْتُهَا عِشْرِيْنَ وَمَائَةَ دِيْنَارٍ، عَلَى أَنْ تُخْلِي بَيْنِي وَبَيْنَ نفسِهَا فَفَعَلَتْ، حَتَّى إِذا قَدَرْتُ عَلَيْهَا » وَفِي رِوَايَةٍ: «فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْن رِجْلَيْهَا- قَالتْ: اتَّقِ اللهَّ، وَلَا تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاس إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أعْطَيْتُهَا. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيْهِ. فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُوْنَ الْخُرُوْجَ مِنْهَا. وَقَال الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، وَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِيْنٍ، فَقَال: يَا عَبْدَ اللهَّ! أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالغَنَمِ وَالرَّقِيْقِ!. فَقَال: يَا عَبْدَ اللهَّ! لَا تَسْتَهْزِئُ بِي! فَقُلْتُ: لَا أَسْتَهزِئُ بِكَ، فَأَخَذَه كُلَّهُ، فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئاً، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيْهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُوْنَ ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (١)(١).

---

(١) أي: يتصايحون ويبكون.

(١) رياض الصالحين _ باب الإخلاص وإحضار النية في جميع الأقوال والأحوال البارزة والخفية.

الثانية

الرجل الذي استلف من أخيه

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ):«إِنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِشُهَدَاءَ أُشْهِدُهُمْ، فَقَالَ: كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا، فَقَالَ: ائْتِنِي بِالكَفِيلِ، قَالَ: كَفَى بِاللهِ وَكِيلًا، قَالَ: صَدَقْت. قَالَ: فَدَفَعَهَا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ إِلى الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ الْتَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدُمُ عَلَيْهِ، لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا. فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ، وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَّ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلاً، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللهِ وَكِيلًا، فرضي بِكَ وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا، فرضي بِكَ، وَإِنِّي جَهِدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكِبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ بِالَّذِي لَهُ، فَلَمْ أَجِدْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا!. فَرَمَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ، حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَهُ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةُ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ، فَأَخَذَهَا

---

(١) في الحديث: استحباب الدعاء حال الكرب والتوسل بصالح العمل، وفيه فضيلة بر الوالدين وفضل خدمتهما وإيثارهما على من سواهما، وفيه فضل العفاف، وفيه فضل حسن العهد وأداء الأمانة والسماحة في المعاملة وإثبات كرامات الأولياء وهو مذهب أهل الحق. انظر: دليل الفالحين ٨٦/١ .

لِأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أسلَفَهُ، فَأَتَى بِالأَلْفِ دِينَارٍ، وَقَالَ: وَاللهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ. قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ شَيئاً؟! قَالَ: أَلَمْ أُخْبِرْكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ. قَالَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ بِهِ فِي الْخَشَبَةِ، فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ دِينَارٍ رَاشِدًا». هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، أَخرَجَهُ البُخاريُّ وَأَحْمَدُ فِي "مُسْنَدِهِ".

الثالثة

آدم وذريته

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ، فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَجَعَلَ بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ وَبِيصًا مِنْ نُورٍ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى آدَمَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ! مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ، فَرَأَى مِنْهُمْ رَجُلًا فَأَعْجَبَهُ وَبِيصُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ! مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ آخِرِ الأُمَمِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ يُقَالُ لَهُ: دَاوُدُ. فَقَالَ: رَبِّ كَمْ جَعَلْتَ عُمْرَهُ؟! قَالَ: سِتِّينَ سَنَةً، قَالَ: أَيْ رَبِّ! زِدْهُ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَلَمَّا قُضِيَ عُمْرُ آدَمَ، جَاءَهُ مَلَكُ المَوْتِ، فَقَالَ: أَوَلَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً؟!! قَالَ: أَوَلَمْ تُعْطِهَا ابْنَكَ دَاوُدَ؟! قَالَ: فَجَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنُسِّيَ آدَمُ فَنُسِّيَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَخَطِئَ آدَمُ فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُهُ». هَذَا

حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، أَخرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ سَعْدٍ في "الطَّبَقَاتِ"، وَالحَاكِمُ، وَصَحَّحَهُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ. قَالَ التِّرْمِذِيُّ: "هَذَا حَدِيْثٌ حَسَنٌ صَحِيْحٌ". وَلَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبّاسٍ رَضْيَ اللهُ عَنْهُمَا.

الرابعة

موسى والثوب والحجر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاةً، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى سَوْأَةِ بَعْضٍ، وَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامَ يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ، فَقَالُوا: وَاللهِ مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلَّا أَنَّهُ آدَرُ!، قَالَ: فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ، فَفَرَّ الحَجَرُ بِثَوْبِهِ، قَالَ: فَجَمَعَ مُوسَى بِأَثْرِهِ، يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ! ثَوْبِي حَجَرُ! حَتَّى نَظَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى سَوْأَةِ مُوسَى، فَقَالُوا: وَاللهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ، فَقَامَ الْحَجَرُ بَعْدُ حَتَّى نُظِرَ إِلَيْهِ. قَالَ: فَأَخَذَ ثَوْبَهُ، فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: "وَاللهِ إِنَّهُ بِالْحَجَرِ نَدَبٌ سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ، ضَرْبُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامَ بِالْحَجَرِ " ونزلت: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا} (١) هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

---

(١) سورة الأحزاب _ الآية ٦٩.

الخامسة

موسى (عليه السلام) وملك الموت

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «جَاءَ مَلَكُ المَوْتِ إِلَى مُوْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَال لَهُ: أجِبْ رَبَّكَ. قَالَ: فَلَطَمَ مُوْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَيْنَ مَلَكِ المَوْتِ، فَفَقَأَهَا. قَالَ: فَرَجَعَ المَلَكُ إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَقَالَ: إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَكَ لَا يُرِيْدُ المَوْتَ، وَقَدْ فَقَأَ عَيْنِي. قَالَ: فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى عَبْدِي، فَقُلْ: الحَيَاةَ تُرِيْدُ؟. فَإِنْ كُنْتَ تُرِيْدُ الحَيَاةَ، فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَمَا تَوَارَتْ يَدُكَ مِنْ شَعْرَةٍ، فَإِنَّكَ تَعِيْشُ بِهَا سَنَةً. قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟! قَالَ: ثُمَّ تموتُ!! قَالَ: فَالآنَ مِنْ قَرِيْبٍ. رَبِّ أَمِتْنِي مِنَ الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ». قَال رَسُوْلُ اللهِ (ﷺ): «وَاللهِ لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ، لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيْقِ عِنْدَ الكُثَيْبِ الأَحْمَرِ». هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

السادسة

جريج العابد

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي المَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عِيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَكَانَ جُرَيْجُ رَجُلاً عَابِدَاً، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً فَكَانَ فِيْهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ!، فَقَالَ: يَارَبِّ! أُمِّي

وَصَلَاتِي؟، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ!، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ! أُمِّي وَصَلَاتِي؟، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ؟ يا جُرَيْجُ! فَقَالَ: أَيْ رَبِّ! أُمِّي وَصَلَاتِي؟ فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوْهِ المُوْمِسَاتِ. فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجاً وَعِبَادَتَهُ، وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لَأَفْتِنَنَّهُ! فَتَعَرَّضَتْ لَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِياً كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ، فَأَمْكَنَتْهُ مِن نَّفْسِهَا فَوَقَعَ عَلَيْهَا، فَحَمَلَتْ. فَلَمَّا وَلَدَتْ قالتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ، فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوْهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ وَجَعلُوا يَضْرِبُوْنَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟، قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ البَغِيِّ فَوَلَدَتْ مِنْكَ. قَالَ: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟! فَجَاؤُوا بِهِ فَقَالَ: دَعُوْنِي حَتَّى أُصَلِّي، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ وَقَالَ: يَا غُلَامُ! مَنْ أَبُوْكَ؟! قَالَ: فُلَانٌ الرَّاعِي!!، فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُوْنَهُ، وَيَتَمَسَّحُوْنَ بِهِ، وَقَالوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: لَا، أَعِيْدُوْهَا مِنْ طِيْنٍ كَمَا كَانَتْ فَفَعَلُوا. وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ، فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارِهَةٍ، وشَارَةٌ حَسَنَةٌ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذَا! فَتَرَكَ الثَّدْيَ، وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهِ فَجَعَلَ يَرْتِضعُ"، فَكَأَنِّي انْظُرُ إِلَى رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِأَصْبُعِهِ السَّبابَةَ فِي فِيْهِ، فَجَعَلَ يَمُصُّهَا، قَالَ: "وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُوْنَهَا وَيَقُوْلُوْنَ: زَنَيْتِ، سَرَقْتِ! وَهِيَ تَقُوْلُ: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيْلُ. فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا،

فَتَرَكَ الرَّضَاعَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَهُنَالِكَ تَرَاجَعَا الحَدِيْثَ، فَقَالَتْ: مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ، فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ. وَمَرُّوا بِهَذِهِ الأَمَةِ وَهُمْ يَضْرِبُوْنَهَا وَيَقُوْلُوْنَ: زَنَيْتِ، سَرَقْتِ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا، فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ اجعَلْنِي مِثْلَهَا؟! قَالَ: إِنَّ ذَلِكَ الرَّجُلُ كَانَ جَبَّارَاً، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَإِنَّ هَذِهِ يَقُوْلُوْنَ لَهَا: زَنَيْتِ، وَلَمْ تَزْنِ، وَسَرَقْتِ وَلَمْ تَسْرِقْ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا». هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

السابعة

الذي سقى الكلب

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيْقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرَاً فَنَزَلَ فِيْهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الكَلْبَ مِنَ العَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ البِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيْهِ، حَتَّى رَقَى فَسَقَى الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ». قَالُوا: يَا رَسُوْلَ اللهِ! إِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجرَاً؟ فَقَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ». هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفِي رِوايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: «فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ، فَأَدْخَلَهُ الجَنَّةَ». وَفِي رِوايَةٍ

لُهَا: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يَطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ، فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ».

الثامنة

الابتـــلاء

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُوْلَ اللهِ (ﷺ) يقولُ: «إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبرَص، وَأقرَعَ، وَأعْمَى، أَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكاً، فَأَتَى الأَبْرَصَ فَقَالَ: أيُّ شَيءٍ أحبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ. فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْنَاً حَسَنَاً. قَالَ: فَأيُّ المَالِ أحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ -أَوْ قَالَ: البَقرُ شَكَّ الرَّاوِى-، فأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَراءَ، فَقَالَ: بَارِكَ اللهُ لَكَ فِيْهَا. فَأَتَى الأَقْرَعَ، فَقَالَ: أيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَذِرَنِي النَّاسُ. فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأعْطِيَ شَعْرَاً حَسَنَاً. قَالَ: فَأيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: البَقَرُ. فَأعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلاً، وَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيْهَا. فَأَتَى الأَعْمَى، فَقَالَ: أيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرُ النَّاسَ. فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ. قَالَ: أيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الغَنَمُ، فَأعْطِيَ شَاةٍ وَالِدَاً، فَأَنْتَجَ هَذَانِ، وَوَلَدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ البَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الغَنَمِ. ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُوْرَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِيْنٌ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ

في سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِيَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ، والجِلْدَ الحسَنَ، وَالمَالَ، بَعِيْراً أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي. فَقَالَ: الحُقُوْقُ كَثِيْرَةٌ. فَقَالَ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُ أَبْرَصَ يَقْذُرُكَ النَّاسُ، فَقِيْرَاً فَأعطَاكَ اللهُ؟!، فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا المَالَ كَابِرَاً عَنْ كَابِرٍ!! فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبَاً فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنتَ. وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُوْرَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَال لَهُ مِثْلَ مَا قَال لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ هَذَا. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبَاً فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ. وَأتى الأَعْمَى فِي صُوْرَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِيْنٌ وَابْنُ سَبِيْلٍ انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِيَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِى رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ، شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي؟. فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ مَا أَجْهَدُكَ اليَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيْتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ». هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

التاسعة

قصة الأخدود

عَنْ صُهَيْبٍ الرُّوْمِيِّ، رَضْيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ (ﷺ) قَال: «كَانَ مَلِكٌ فِيْمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَه سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّى قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامَاً أُعَلِّمُهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامَاً يُعَلِّمُهُ، وَكَانَ فِي طَرِيْقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ، وَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ

وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَال: إِذَا خَشِيْتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيْتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيْمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَال: اليَوْمَ أَعلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أم الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَراً فَقَال: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ، فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَةَ حَتَّى يَمْضِي النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ. فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ. فَقَال لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ! أَنْت اليَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيْتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الغُلَامُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الأَدْوَاءِ. فَسَمِعَ جَلِيْسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيْرَةٍ، فَقَال: مَا هاهنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَال: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدَاً، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ تَعَالَى، فَإِنْ آمَنْتَ باللهِ تَعَالَى، دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ. فَآمَنَ بِاللهِ تَعَالَى، فَشَفَاهُ اللهُ تَعَالَى، فَأَتَى المَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يجلِسُ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قال: رَبِّي. قَالَ: وَلَكَ رَبٌ غَيْرِي؟!. قَال: رَبِّي وَرَبُّك اللهُ، فَأَخذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الغُلَامِ. فَجِيءَ بِالغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ! قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ. فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أحداً، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ تَعَالَى، فأخذَهُ فَلم يزل يعذبه حَتَّى دلَّ عَلى الرَّاهِب، فَجْيَء بِالرَّاهِبِ فَقِيْلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِيْنكَ، فَأبى، فَدَعَا بِالمِنْشَارِ، فَوُضِعَ المِنْشَارُ فِي مَفْرِقِ رَأسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيْسِ المَلِكَ فقيل له: ارجع عن دينك، فَأبى فَوُضِعَ المِنْشَارُ فِي

مَفْرِقِ رَأسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالغُلَامِ فَقِيْلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينكَ، فَأَبَى. فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصحَابِهِ، فَقَال: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِيْنِهِ، وَإِلَّا فَاطْرحُوْهُ. فَذَهَبُوا بِهِ، فَصَعَدُوا بِهِ الجَبَلَ، فَقَل: اللَّهُمَّ اكْفِنِيْهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمُ الجَبَلُ فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك. فقال له الملك: ما فعل بأصحابك؟! فَقَالَ: كَفَانِيْهِمُ اللهُ تَعَالَى! فَدَفَعَهُ إِلى نَفرٍ من أصحابه، فقال: اذهبوا به فاحملوه في قُرْقُوْرٍ وتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه، وإلَّا فاقذفوه. فذهبوا به فقال: اللَّهُمَّ اكْفِنِيْهِمْ بِمَا شِئتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِيْنَةُ فَغَرَقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلى المَلِكِ. فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَا فُعِلَ بِأَصْحَابِكَ؟ فَقَالَ: كَفَانِيْهِمُ اللهُ تَعَالَى. فَقَال للمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذعٍ، ثمَّ خُذْ سهماً من كنانتي، ثمَّ ضع السهم في كبد القوس، ثمَّ قل: بسم اللهِ رب الغلام، ثمَّ ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني. فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثمَّ أَخذ سهماً من كنانته، ثمَّ وضع السَّهْمَ في كَبِدِ القَوْسِ، ثمَّ قَالَ: بِسْمِ الله رَبِّ الغُلَامِ، ثمَّ رمَاهُ فوقع السهم في صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يده في صدغه فمات. فقال الناسُ: آمنا باللهِ رب الغلام، فَأُتِيَ المَلِكُ فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر، قد والله نَزَلَ بك حَذَرُكَ. قد آمن الناسُ. فَأمر بالأُخدود بأفواه السكك فَخُدَّتْ وَأُضْرِمَ فِيْهَا النِّيْرَانُ، وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها، أو قيل له: اقْتِحِمْ! فَفَعَلُوا، حَتَّى جَاءَت امْرأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ

لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيْهَا، فَقَال لَهَا الْغُلَامُ: يَا أَمَّاهُ اصْبِرِي، فَإِنَّكِ عَلَى الحَقِّ» . هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ. أَخرَجَهُ مُسْلِمٌ.

العاشرة

القاتل التائب

عَنْ أَبِي سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ (ﷺ)قَالَ: «كَانَ فِيْمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِيْنَ نَفْسَاً، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِيْنَ نَفْساً، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟! فَقَال: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مَائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَال إِنَّهُ قَتَلَ مَائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَال: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُوْلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟! انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسَاً يَعْبُدُونَ اللهَ تَعَالَى، فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوْءٍ. فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيْقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيْهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ العَذَابِ. فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبَاً مُقْبِلَاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ العَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَل خَيْرَاً قَطُّ. فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُوْرَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوْهُ بَيْنَهُمْ -أَيْ حَكَمَاً-، فَقَال: قِيْسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى، فَهُوَ لَهُ. فَقَاسُوا فَوَجَدُوْهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ». هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيحٌ، متفقٌ عليه.

الحادية عشرة

داود يسأل ربه

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ لَمَّا بَنَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ، سَأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خِلَالًا ثَلَاثَةً: سَأَلَ اللهَ حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ، فَأُوتِيَهُ. وَسَأَلَ اللهَ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ فَأُوتِيَهُ. وَسَأَلَ اللهَ حِينَ فَرَغَ مِنْ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ أَنْ لَا يَأْتِيَهُ أَحَدٌ لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ فِيهِ، أَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ. أما اثنتان فقد أُعطيهما، وأرجو أن يكون قد أعطى الثالثة». هَذَا حَدِيثٌ صَحِيْحٌ، أخرَجَهُ النَّسَائيُّ، وابْنُ مَاجَةَ، وَأَحْمَدُ، وابْنُ حِبَانَ، وَالحاكِمُ.

الثانية عشرة

آمَنْتُ بِاللهِ وَكَذَّبْتُ نَفْسِي

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «رَأَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلًا يَسْرِقُ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى: سَرَقْتَ؟ قَالَ: كَلَّا، وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. فَقَالَ عِيسَى: آمَنْتُ بِاللهِ وَكَذَّبْتُ نَفْسِي». هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الثالثة عشرة

صاحب العقار والجرة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ(١) عَقَارًا لَهُ (٢) فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الْأَرْضَ وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ وَقَالَ الَّذِي لَهُ الْأَرْضُ إِنَّمَا بِعْتُكَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ(١) أَلَكُمَا وَلَدٌ قَالَ أَحَدُهُمَا لِي غُلَامٌ وَقَالَ الْآخَرُ لِي جَارِيَةٌ قَالَ أَنْكِحُوا الْغُلَامَ الْجَارِيَةَ وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا ".متفق

---

١) قوله:" اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا " لَمْ أَقِفْ عَلَى اسْمِهِمَا وَلَا عَلَى اسْمِ أَحَدٍ مِمَّنْ ذُكِرَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ (فتح البارى لابن حجر).

٢) قَوْلُهُ : (عَقَارًا) الْعَقَارُ فِي اللُّغَةِ الْمَنْزِلُ وَالضَّيْعَةُ وَخَصَّهُ بَعْضُهُمْ بِالنَّخْلِ ، وَيُقَالُ لِلْمَتَاعِ النَّفِيسِ الَّذِي لِلْمَنْزِلِ عَقَارٌ أَيْضًا، وَأَمَّا عِيَاضٌ فَقَالَ: الْعَقَارُ الْأَصْلُ مِنَ الْمَالِ، وَقِيلَ الْمَنْزِلُ وَالضَّيْعَةُ، وَقِيلَ مَتَاعُ الْبَيْتِ فَجَعَلَهُ خِلَافًا. وَالْمَعْرُوفُ فِي اللُّغَةِ أَنَّهُ مَقُولٌ بِالِاشْتِرَاكِ عَلَى الْجَمِيعِ وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا الدَّارُ، وَصَرَّحَ بِذَلِكَ فِي حَدِيثِ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ (فتح البارى لابن حجر).

١) فِي " الْمُبْتَدَإِ لِوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ " أَنَّ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ هُوَ دَاوُدُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ وَفِي " الْمُبْتَدَإِ لِإِسْحَاقَ بْنِ بِشْرٍ " أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ فِي زَمَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ مِنْ بَعْضِ قُضَاتِهِ فَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَصَنِيعُ الْبُخَارِيِّ يَقْتَضِي تَرْجِيحَ مَا وَقَعَ عِنْدَ وَهْبٍ لِكَوْنِهِ أَوْرَدَهُ فِي ذِكْرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ (فتح البارى لابن حجر).

عليه(١) ، عندما كنت أقرأ هذا القصة ، أقول في نفسي هذا الخبر يحكيه لنا النبي ﷺ عمن كان قبلنا.. أليس في أمتنا (خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) مثل هذه الصفات التي وجدت في هذين الرجلين، فبينما أنا أطالع كتاب تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للإمام الذهبي، وجدت قصة عجيبة شبيهة بقصتنا هذه - كم ملء قلبي من الفرحة، أن وجدت في أمة محمد ﷺ من يفعل هذا الفعل - وإليكم القصة: روى ابن عساكر في تاريخ دمشق عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: باعت امرأة (طشت)، في سوق الصفر (النحاس) بدمشق فوجده المشتري ذهبا فقال لها: أما إني لم أشتره إلا علي أنه صفر(نحاس) وهو ذهب فهو لك: فقالت: ما ورثناه إلا علي أنه صفر (نحاس)، فإن كان ذهبا فهو لك، فاختصما إلى الوليد بن عبد الملك، فأحضر رجاء بن حيوة، فقال: انظر فيما بينهما .. فعرضه رجاء علي المرأة، فأبت أن تقبله، فقال: يا أمير المؤمنين! أعطها ثمنه واطرحه في بيت المسلمين .. هذه القصة دليل علي ورع المرأة وتقواها حيث أنها لم تقبل الذهب مع أنه ملكها ورثته، كما أشارت إلي ذلك في قولها " ما ورثناه إلا على أنه صفر " .. ودلت علي ورع الرجل أيضا.

وهذه القصة شبيهة بما حدث فيمن كان قبلنا، كما في الحديث.

---

١) أخرجه البخاري في كتاب: الأنبياء قبيل باب المناقب_ رقم الحديث: (٣٢٨٥) ، وأخرجه مسلم في كتاب: الأقضية، باب: استحباب إصلاح الحاكم بين الخصمين، (الحديث: ٢١) .

الرابعة عشرة

ففهمناها سليمان

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ صَاحِبَتُهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، وَقَالَتِ الأُخْرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ! فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ فَأَخْبَرَتَاهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا!، فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لاَ تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللهُ، هُوَ ابْنُهَا، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى». هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَقٌ عليْهِ.

الخامسة عشرة

خَلِّنِي وَرَبِّي

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَانِ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا مُذْنِباً، وَالْآخَرُ مُجْتَهِداً فِي الْعِبَادَةِ، وَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ، فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟! فَقَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ!، أَوْ: لَا يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ، فَقَبَضَ رُوحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ

رَبِّ الْعَالَمِينَ. فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا، أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟. وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ». هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، أخرَجَهُ أبو دَاوُدَ، وأَحْمَدُ.

السادسة عشرة

لَعَلَّ اللهَّ يَتَجَاوَزُ عَنَّا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللهُّ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، وَكَانَ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ: خُذْ مَا تَيَسَّرَ وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ، وَتَجَاوَزْ، لَعَلَّ اللهَّ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَلَمَّا هَلَكَ قَالَ اللهُّ: هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ قَالَ: لَا. إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِي غُلَامٌ، وَكُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا بَعَثْتُهُ يَتَقَاضَى، قُلْتُ لَهُ: خُذْ مَا تَيَسَّرَ، وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ وَتَجَاوَزْ، لَعَلَّ اللهَّ يَتَجَاوَزُ عَنَّا. قَالَ اللهُّ: قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْكَ». هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، أخرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وابْنُ حِبَّانَ، وَالحَاكِمُ.

السابعة عشرة

الخوف من الله

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللهُّ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ، لَمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَاحْرِقُونِي،

ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ اللهُ عَلَيَّ لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا. فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللهُ الأَرْضَ، فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ، فَفَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: خَشْيَتُكَ يَا رَبِّ! -أو قال: مَخَافَتُكَ- فَغَفَرَ لَهُ». هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الثامنة عشرة

الجمل الشراد

عن زَيْدَ بْنَ أَسْلَمَ، يُحَدِّثُ، أَنَّ خَوَّاتَ بْنَ جُبَيْرٍ، قَالَ: نَزَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ الظَّهْرَانِ، قَالَ: فَخَرَجْتُ مِنْ خِبَائِي فَإِذَا أَنَا بِنِسْوَةٍ يَتَحَدَّثْنَ، فَأَعْجَبْنَنِي، فَرَجَعْتُ فَاسْتَخْرَجْتُ عَيْبَتِي، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا حُلَّةً فَلَبِسْتُهَا وَجِئْتُ فَجَلَسْتُ مَعَهُنَّ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قُبَّتِهِ فَقَالَ: «أَبَا عَبْدِ اللهِ مَا يُجْلِسُكَ مَعَهُنَّ؟»، فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِبْتُهُ واخْتَلَطْتُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ جَمَلٌ لِي شَرَدَ، فَأَنَا أَبْتَغِي لَهُ قَيْدًا فَمَضَى وَاتَّبَعْتُهُ، فَأَلْقَى إِلَيَّ رِدَاءَهُ وَدَخَلَ الْأَرَاكَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ مَتْنِهِ فِي خَضِرَةِ الْأَرَاكِ، فَقَضَى حَاجَتَهُ وَتَوَضَّأَ، فَأَقْبَلَ وَالْمَاءُ يَسِيلُ مِنْ لِحْيَتِهِ عَلَى صَدْرِهِ - أَوْ قَالَ: يَقْطُرُ مِنْ لِحْيَتِهِ عَلَى صَدْرِهِ - فَقَالَ: «أَبَا عَبْدِ اللهِ مَا فَعَلَ شِرَادُ جَمَلِكَ؟»، ثُمَّ ارْتَحَلْنَا فَجَعَلَ لَا يَلْحَقُنِي فِي الْمُسِيرِ إِلَّا قَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا عَبْدِ اللهِ مَا فَعَلَ شِرَادُ ذَلِكَ الْجَمَلِ؟» ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ تَعَجَّلْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ، واجْتَنَبْتُ الْمَسْجِدَ وَالْمُجَالَسَةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ تَحَيَّنْتُ سَاعَةَ خَلْوَةِ

الْمَسْجِدِ، فَأَتَيْتُ الْمَسْجِدَ فَقُمْتُ أُصَلِّي، وَخَرَجَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَعْضِ حِجْرِهِ فَجْأَةً فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ وطَوَّلْتُ رَجَاءَ أَنْ يَذْهَبَ ويَدَعُنِي فَقَالَ: «طَوِّلْ أَبَا عَبْدِ الله مَا شِئْتَ أَنْ تُطَوِّلَ فَلَسْتُ قَائِمًا حَتَّى تَنْصَرِفَ»، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: وَالله لَأَعْتَذِرَنَّ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولَأُبْرِئَنَّ صَدْرَهُ، فَلَمَّا قَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا عَبْدِ الله مَا فَعَلَ شِرَادُ ذَلِكَ الْجَمَلِ؟» فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا شَرَدَ ذَلِكَ الْجَمَلُ مُنْذُ أَسْلَمَ، فَقَالَ: «رَحِمَكَ اللهُ» ثَلَاثًا ثُمَّ لَمْ يُعِدْ لِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ. (١).

التاسعة عشرة

قاتل نفسه

عَنْ جُنْدَبٍ البَجَلِيِّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ خَرَجَتْ بِهِ قَرْحَةٌ، فَلَمَّا آذَتْهُ انْتَزَعَ

---

(١) هذه القصة أخرجها: البخاري في "التاريخ الكبير" (٣ /٢١٦) - تعليقاً- عن يحي بن موسى، ذكر طرفها ولم يسقها، والبغوي في "معجم الصحابة" (٢ /٢٧٧/رقم ٦٢٦) عن عبد الله بن الهيثم العبدي، الحديث بطوله، والطبراني في "المعجم الكبير" (٤/ ٢٠٣/رقم ٤١٤٦) الحديث بطوله والحاكم في "المستدرك"(٣/٤٦٦) لكنه لم يسق القصة، واقتصر على ذكر كنية الصحابي، عن الجراح بن مخلد، وأبو الفضل السلامي في "التنبيه على التصحيف والتحريف الواقعيْن في كتاب الغريبين لأبي عبيد الهروي" (ص٢٤٢)، وابن الجوزي في "تاريخه" (٥ /١٧١) وفي "غريب الحديث" (١ /٥٢٧) من طريق ابن مخلد -وهو في "فوائده"-.

سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، فَنَكَأَهَا فَلَمْ يَرْقَأِ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ، فقَالَ الله: عَبْدِي بَادَرَنِي بِنَفْسِهِ، حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ». هَذَا حَدِيثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَق عَلَيْهِ.

العشرون

فَإِنَّهُ لاَ يُشْبِعُكَ شَيْءٌ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ لَهُ: أَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟! قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ!! فَبَذَرَ، فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ، فَكَانَ أَمْثَالَ الجِبَالِ، فَيَقُولُ اللهُ: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لاَ يُشْبِعُكَ شَيْءٌ»(١).

الحادية والعشرون

موسى والخضر (عليهما السلام)

عن سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ نَوْفًا البَكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى لَيْسَ بِمُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرُ ؟ فَقَالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللهِ حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ): قَامَ مُوسَى النَّبِيُّ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللهُ

---

(١)هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، أَخرَجَهُ البُخارِيُّ في "صَحِيْحِهِ"، وَأَحْمَدُ فِي "مُسْنَدِهِ".

إِلَيْهِ: أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ، هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ. قَالَ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ بِهِ ؟ فَقِيلَ لَهُ: احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، فَإِذَا فَقَدْتَهُ فَهُوَ ثَمَّ، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ، وَحَمَلاَ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، حَتَّى كَانَا عِنْدَ الصَّخْرَةِ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا وَنَامَا ، فَانْسَلَّ الحُوتُ مِنَ المِكْتَلِ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَبًا، وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمَهُمَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا ، لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا، وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى مَسًّا مِنَ النَّصَبِ حَتَّى جَاوَزَ المَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ: (أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ) قَالَ مُوسَى: (ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا) فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ ، إِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ، أَوْ قَالَ تَسَجَّى بِثَوْبِهِ، فَسَلَّمَ مُوسَى، فَقَالَ الخَضِرُ: وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلاَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا مُوسَى، فَقَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ: هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا قَالَ : إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ، يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ لاَ تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ لاَ أَعْلَمُهُ ، قَالَ : سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا ، وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ، لَيْسَ لَهُمَا سَفِينَةٌ ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعُرِفَ الخَضِرُ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَجَاءَ عُصْفُورٌ، فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي البَحْرِ ، فَقَالَ الخَضِرُ: يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا كَنَقْرَةِ هَذَا العُصْفُورِ فِي البَحْرِ، فَعَمَدَ الخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ ، فَنَزَعَهُ، فَقَالَ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ

نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ؟ قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ؟ قَالَ: لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا - فَكَانَتِ الأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا -، فَانْطَلَقَا ، فَإِذَا غُلاَمٌ يَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ ، فَأَخَذَ الخَضِرُ بِرَأْسِهِ مِنْ أَعْلاَهُ فَاقْتَلَعَ رَأْسَهُ بِيَدِهِ ، فَقَالَ مُوسَى: أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ؟ قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ؟- قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ : وَهَذَا أَوْكَدُ - فَانْطَلَقَا، حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا، فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ، قَالَ الخَضِرُ: بِيَدِهِ فَأَقَامَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا، قَالَ: هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا (١).

الثانية والعشرون

(هجرة إبراهيم وزوجته سارة لمصر)

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنّ رَسُولَ اللهَّ (ﷺ)، قَالَ : " لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَام قَطُّ ، إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللهَّ ، قَوْلُهُ :(إِنِّي سَقِيمٌ)(١)، وَقَوْلُهُ:(بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) (٢)، وَوَاحِدَةٌ فِي شَأْنِ سَارَةَ ، فَإِنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ، وَمَعَهُ سَارَةُ، وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ، فَقَالَ لَهَا: إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ إِنْ

---

(١) صحيح البخاري _ كتاب العلم باب ما يستحب للعالم إذا سئل: أي الناس أعلم؟ فيكل العلم إلى الله حديث رقم (١٢١).

(١) سورة الصافات _ الآية ٣٩.

(٢) سورة الأنبياء _ الآية ٦٣.

يَعْلَمْ أَنَّكِ امْرَأَتِي، يَغْلِبْنِي عَلَيْكِ، فَإِنْ سَأَلَكِ، فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي، فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرَكِ، فَلَمَّا دَخَلَ أَرْضَهُ، رَآهَا بَعْضُ أَهْلِ الْجَبَّارِ أَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ قَدِمَ أَرْضَكَ امْرَأَةٌ، لَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ إِلَّا لَكَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا، فَأُتِيَ بِهَا، فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْه السَّلَام إِلَى الصَّلَاةِ ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ، لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا ، فَقُبِضَتْ يَدُهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً ، فَقَالَ لَهَا: ادْعِي اللهَّ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي، وَلَا أَضُرُّكِ، فَفَعَلَتْ، فَعَادَ، فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَةِ الْأُولَى، فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ، فَفَعَلَتْ، فَعَادَ، فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ، فَقَالَ: ادْعِي اللهَّ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي، فَلَكِ اللهَّ أَنْ لَا أَضُرَّكِ، فَفَعَلَتْ، وَأُطْلِقَتْ يَدُهُ، وَدَعَا الَّذِي جَاءَ بِهَا، فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ، وَلَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ، فَأَخْرِجْهَا مِنْ أَرْضِي، وَأَعْطِهَا هَاجَرَ، قَالَ: فَأَقْبَلَتْ تَمْشِي، فَلَمَّا رَآهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام، انْصَرَفَ، فَقَالَ لَهَا: مَهْيَمْ ؟ قَالَتْ : خَيْرًا ، كَفَّ اللهُّ يَدَ الْفَاجِرِ، وَأَخْدَمَ خَادِمًا "، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَتِلْكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ (١).

الثالثة والعشرون

كلام البقرة والذئب

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ صَلَّى رَسُولُ اللهَّ (ﷺ) صَلَاةَ الصُّبْحِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا، إِنَّمَا خُلِقْنَا

---

(١) صحيح مسلم _ باب من فضائل ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم.

لِلْحَرْثِ فَقَالَ النَّاسُ : سُبْحَانَ اللهِ بَقَرَةٌ تَكَلَّمُ ! فَقَالَ: فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ - وَمَا هُمَا ثَمَّ -. وَبَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ إِذْ عَدَا الذِّئْبُ فَذَهَبَ مِنْهَا بِشَاةٍ فَطَلَبَ حَتَّى كَأَنَّهُ اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ فَقَالَ لَهُ الذِّئْبُ: هَذَا اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي! فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ ، يَوْمَ لَا رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي ؟ فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ! قَالَ فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ- وَمَا هُمَا ثَمَّ. صحيح البخاري(١).

الرابعة والعشرون

الرجل والرحى

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى أَهْلِهِ فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنَ الْحَاجَةِ خَرَجَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ فَلَمَّا رَأَتِ امْرَأَتُهُ قَامَتْ إِلَى الرَّحَى فَوَضَعَتْهَا ، وَإِلَى التَّنُّورِ فَسَجَرَتْهُ ، ثُمَّ قَالَتِ : اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا فَنَظَرَتْ فَإِذَا الْجَفْنَةُ قَدِ امْتَلَأَتْ . قَالَ : وَذَهَبَتْ إِلَى التَّنُّورِ فَوَجَدَتْهُ مُمْتَلِئًا قَالَ : فَرَجَعَ الزَّوْجُ قَالَ : أَصَبْتُمْ بَعْدِي شَيْئًا قَالَتِ امْرَأَتُهُ : نَعَمْ مِنْ رَبِّنَا . قَامَ إِلَى الرَّحَى فَرَفَعَهَا فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ (ﷺ) فَقَالَ أَمَا إِنَّهُ لَوْ لَمْ يَرْفَعْهَا ، لَمْ تَزَلْ تَدُورُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ شَهِدْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ وَاللهِ لَأَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمْ صَبِيرًا ، ثُمَّ يَحْمِلَهُ فَيَبِيعَهُ فَيَسْتَعِفَّ مِنْهُ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ .رواه أحمد.

---

(١) صحيح البخاري » كتاب أحاديث الأنبياء (٣٢٨٤).

الخامسة والعشرون

نبي الله يوشع بن نون وحرب العمالقة

عَنْ أبي هُرَيْرة رضي اللهُ عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: "غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِياءِ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ علَيهِمْ فَقَالَ لقوْمِهِ: لا يتْبعْني رَجُلٌ ملَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ. وَهُوَ يُرِيدُ أَن يَبْنِيَ بِهَا وَلَمَّا يَبْنِ بِها، وَلا أَحدٌ بنَى بيُوتاً لَمْ يرفَع سُقوفَهَا، وَلا أَحَدٌ اشْتَرى غَنَماً أَوْ خَلَفَاتٍ وهُو يَنْتَظرُ أوْلادَهَا. فَغزَا فَدنَا مِنَ الْقَرْيةِ صلاةَ الْعصْرِ أَوْ قَريباً مِنْ ذلكَ، فَقَال للشَّمس: إِنَّكِ مَأمُورةٌ وأَنا مأمُورٌ، اللهمَّ احْبسْهَا علَينا، فَحُبستْ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عليْهِ، فَجَمَعَ الْغَنَائِم، فَجاءَتْ يَعْنِي النَّارَ لتَأكُلهَا فَلَمْ تطْعمْهَا، فَقَالَ: إِنَّ فِيكُمْ غُلُولاً، فليبايعنِي منْ كُلِّ قبِيلَةٍ رجُلٌ، فلزِقتْ يدُ رَجُلٍ بِيدِهِ فَقَالَ: فِيكُم الْغُلولُ، فليبايعنِي قبيلَتُك، فلزقَتْ يدُ رجُلَيْنِ أو ثلاثَةٍ بِيَدِهِ فقَالَ: فِيكُمُ الْغُلُولُ، فَجاءوا برَأْسٍ مِثْلِ رَأْس بَقَرَةٍ مِنْ الذَّهبِ، فوضَعها فَجَاءَت النَّارُ فَأَكَلَتها، فلمْ تَحل الْغَنَائِمُ لأحدٍ قَبلَنَا، ثُمَّ أَحَلَّ اللهُ لَنا الغَنَائِمَ لَمَّا رأَى ضَعفَنَا وعجزنَا فأحلَّها لنَا" متفقٌ عَلَيهِ(١).

---

(١)رياض الصالحين كتاب المقدّمات _ باب الصدق _ حديث رقم (٥٨).

السادسة والعشرون

قِصَّةُ الْمَلِكَيْنِ التَّائِبَيْنِ

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانَ فِي مَمْلَكَتِهِ فَتَفَكَّرَ فَعَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ مُنْقَطِعٌ عَنْهُ، وَأَنَّ مَا هُوَ فِيهِ قَدْ شَغَلَهُ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ فَتَسَرَّبَ فَانْسَابَ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنْ قَصْرِهِ فَأَصْبَحَ فِي مَمْلَكَةِ غَيْرِهِ، وَأَتَى سَاحِلَ الْبَحْرِ وَكَانَ بِهِ يَضْرِبُ اللَّبِنَ بِالْأَجْرِ فَيَأْكُلُ وَيَتَصَدَّقُ بِالْفَضْلِ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى رَقِيَ أَمْرُهُ إِلَى مِلْكِهِمْ وَعِبَادَتُهُ وَفَضْلُهُ فَأَرْسَلَ مَلِكُهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَأْتِيَهُ فَأَعَادَ ثُمَّ أَعَادَ إِلَيْهِ فَأَبَى أَنْ يَأْتِيَهُ ، وَقَالَ: مَا لَهُ وَمَا لِي ؟ قَالَ: فَرَكِبَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ فَلَمَّا رَآهُ الرَّجُلُ، وَلَّى هَارِبًا فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْمَلِكُ رَكَضَ فِي أَثَرِهِ فَلَمْ يُدْرِكْهُ قَالَ: فَنَادَاهُ يَا عَبْدَ اللهِ إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ مِنِّي بَأْسٌ ، فَقَامَ حَتَّى أَدْرَكَهُ فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ رَحِمَكَ اللهُ؟ فَقَالَ أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ صَاحِبُ مُلْكِ كَذَا وَكَذَا، تَفَكَّرْتُ فِي أَمْرِي فَعَلِمْتُ أَنَّ مَا أَنَا فِيهِ مُنْقَطِعٌ فَإِنَّهُ قَدْ شَغَلَنِي عَنْ عِبَادَةِ رَبِّي فَتَرَكْتُهُ وَجِئْتُ هَاهُنَا أَعْبُدُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ، فَقَالَ لَهُ: مَا أَنْتَ بِأَحْوَجَ إِلَى مَا صَنَعْتَ مِنِّي. قَالَ: ثُمَّ نَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ فَسَيَّبَهَا ثُمَّ تَبِعَهُ فَكَانَا جَمِيعًا يَعْبُدَانِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فَدَعَوَا اللهَ أَنْ يُمِيتَهُمَا جَمِيعًا قَالَ: فَمَاتَا. قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَلَوْ كُنْتُ بِرُمَيْلَةِ مِصْرَ، لَأَرَيْتُكُمْ قُبُورَهُمَا، بِالنَّعْتِ الَّذِي نَعَتَ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .رواه أحمد.

السادسة والعشرون

حاطب بن أبي بلتعة

عن عليّ رضي الله عنه قال: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِّ (ﷺ) أَنَا وَالزُّبَيْرَ، وَالمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ، قَالَ: انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ(١)، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً،(٢) وَمَعَهَا كِتَابٌ(٣) فَخُذُوهُ مِنْهَا، فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا (١)حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا أَخْرِجِي الكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ(٢)، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا(٣)، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللهِّ (ﷺ)، فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ المُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللهِّ (ﷺ)(٤)، فَقَالَ رَسُولُ اللهِّ (ﷺ): يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِّ، لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي

---

(١) قوله:(رَوْضَةَ خَاخٍ) اسم مكان بين مكة والمدينة.

(٢) قوله:(ظَعِينَةً) المرأة التي تكون في الهودج، والهودج مَحْمَل له قُبّة يوضع على الجمل لتركب فيه النساء.

(٣) قوله:(وَمَعَهَا كِتَابٌ) أي رسالة.

(١) قوله: (تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا) تعدو بسرعة.

(٢) قوله:(أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ)هذا تهديد بنزع ثيابها عنها حتى يجدوا الكتاب.

(٣) قوله: (عِقَاصِهَا) ضفيرة شعرها.

(٤) قوله:(يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أي يخبرهم في رسالته أن النبي صلى الله عليه وسلم سيغزو مكّة.

قُرَيْشٍ(١)، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي(٢)، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلاَ ارْتِدَادًا، وَلاَ رِضًا بِالكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): لَقَدْ صَدَقَكُمْ، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، قَالَ: إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ (٣)أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ (٤) فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"(١).

وفي رواية عنه -رضي الله عنه- قال: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ (ﷺ) وَأَبَا مَرْثَدٍ الغَنَوِيَّ، وَالزُّبَيْرَ بْنَ العَوَّامِ، وَكُلُّنَا فَارِسٌ، قَالَ: انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ المُشْرِكِينَ، مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى المُشْرِكِينَ ... فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالمُؤْمِنِينَ، فَدَعْنِي فَلأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ النبيّ (ﷺ): مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ حَاطِبٌ: وَاللهِ مَا بِي أَنْ لاَ أَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللهِ وَرَسُولِهِ (ﷺ)، أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي عِنْدَ القَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللهُ بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا لَهُ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَنْ يَدْفَعُ اللهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ، فَقَالَ النبيّ (ﷺ): صَدَقَ، وَلاَ تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ

---

(١) قوله: (مُلْصَقًا) مضافًا إليهم ولست منهم، وقيل معناه حليفا ولم يكن من نفس قريش وأقربائهم.

(٢) قوله: (أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا) نعمة ومنّة عليهم.

(٣) قوله: (لَعَلَّ اللَّهَ) كلمة لعلّ في كلام الله ورسوله تفيد الوقوع.

(٤) قوله: (اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ) نظر إليهم وعلم حالهم وما سيكون منهم.

(١) رواه البخاري برقم: (٣٠٠٧).

قَدْ خَانَ اللهَّ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَدَعْنِي فَلِأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ: أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟ فَقَالَ: لَعَلَّ اللهَّ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الجَنَّةُ، أَوْ: فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ، فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ، وَقَالَ: اللهُّ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ(١).

(فوائد):

١. حَاطِب بن أبي بَلْتَعَة -واسم أبي بلتعة: عمرو- اللّخْمي المكّي، وكنيته أبو عبد اللهَّ، وقيل: أبو محمّد، حليفُ بني أسد بن عَبْد العزى.

من مشاهير المهاجرين، شهِد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله (ﷺ)، وشهِد بيعة الرضوان، وكان فارسًا راميًا.

بعثه رسول الله (ﷺ) بكتاب إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، فكلّمه المقوقس واستحسن كلامه، وقال له: "أنت حكيم جاء من عند حكيم"، وبعث معه بهدية لرسول الله (ﷺ)، وأرسل معه من يوصله إلى مأمنه. توفي بالمدينة سنة ثلاثين، وهو ابن خمس وستين أو سبعين سنة، وصلّى عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه(١).

٢. المسارعة بالاعتراف بالذنب وتأويل الفعل من شيم المخلصين.

٣. ألا نسارع في الحكم على أحد بالكفر.

---

(١) رواه البخاري برقم: (٣٩٨٣).

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٨٤/٣)، و والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٣١٢/١)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (١/ ٦٥٩)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣٦٥/٣)، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤/٢).

٤. جواز العفو عن زلة ذوي الهيئة، وعن العاصي إذا لم يكن مشهورًا بالمعاصي.

٥.

من أفواه المبلغين والأئمة المتقدمين

الأول

أثر الكلمة الطيبة

ذكر أبو الوفاء البغدادي أنه مر أنوشروان على رجل يغرس شجر الزيتون فقال له: ليس هذا أو ان غرسك الزيتون وهو شجر بطيء الإثمار فأجابه: غرس من قبلنا فأكلنا ونغرس ليأكل من بعدنا، فقال أنوشروان: زه؛ أي: أحسنت، وكان إذا قال زه يعطي من قيلت له أربعة آلاف درهم، فقال: أيها الملك كيف يتعجب من غرسي وإبطاء ثمره فما أسرع ما أثمرت فقال: زه، فزيد أربعة آلاف أخرى، فقال الرجل: كل شجر يثمر في العام مرة، وقد أثمرت شجري في ساعة مرتين، فقال: زه، فزيد مثلها فمضى فقال: إن وقفنا عليه لم يكفه ما في خزائننا.

إخواني وأحبابي في الله ! أحسن هذا الشيبة الكبير في الكلام مع مخلوق مثله، فكم تحصل على الأموال من خزائن هذا المخلوق الذي يفنى وتفنى خزائنه.

فكيف لو أحسنا الكلام عن الله الذي لا يفنى ولا تفنى خزائنه، فكم يعطينا، وهو القائل :{ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا }(١).

---

(١) سورة فصلت _ الآية ٣٣.

صلِ صلاة تليق بمحبوبك

يحكى أنّ فأرةً رأت جملاً فأعجبها، فجرّت خطامه فتبعها، فلمّا وصلت إلى باب بيتها، وقف الجمل متأمّلا صِغر باب بيت الفأرة مقارنةً بحجمه الكبير جدًّا.

فنادى الجمل الفأرة قائلاً: إمّا ان تتخذي دارًا تليق بمحبوبك أو تتخذي محبوبًا يليق بدارك !

قال ابن القيم بعد أن أورد الأسطورة السابقة في (بدائع الفوائد)، مخاطبًا كل مؤمن وَمؤمنة: إمّا أن تصلّي صلاةً تليقُ بمعبودك!، أو تتخذ معبودًا يليقُ بصلاتك.

المسلم في ميدانه كالأسد

قال تعالى:{ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ }(١).أَيْ فَمَا لِهَؤُلَاءِ الْكَفَرَة الَّذِينَ قِبَلَكَ مِمَّا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ وَتُذَكِّرهُمْ بِهِ مُعْرِضِينَ.. كَأَنَّهُمْ فِي نِفَارهمْ عَنْ الْحَقّ وَإِعْرَاضهمْ عَنْهُ حُمُر مِنْ حُمُر الْوَحْش (٢).

فالله وصف الداعي المتجول بالأسد، والكفار بحمرّ مستنفره ، فرت من قسورة ، هذا داعي من ؟ الداعي في التجول يراه الناس مثل الأسد.

---

(١) سورة المدثر _ الآيات من ٤٩: ٥١.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير _ سورة المدثر _ الآيات من ٤٩: ٥١.

فالداعي في تجواله على الناس مثل الأسد، هل الجولة بسيطة ؟ لذلك جعل الله في حركة الداعي القوة، وكلامه فيه القوة، حتى نومه فيه قوة.

لذلك قوة الداعي مربوطة مع قوة الله، لأن نصرة الله معه، فالله يريد أن يظهر قدرته فيك، رحمته فيك، حكمته فيك، كما أظهرها في أهل الكهف.

ويحكى: أنه كان هناك راعٍ، يرعى غنمه، فوجد أسداً صغيراً، فرباه مع الغنم، وفى يوم من الأيام جاء أسد كبير، فوجد الأسد الصغير الذي تربى مع الغنم، يمشى مع الغنم ويرعى الحشائش معهم فذهب إليه وقال له: أنت أسد فيقول له: أنا غنم ! فأخذه الأسد الكبير وذهب به إلى البئر وأراه صورته، فعرف أنه أسد، فقال له: ارجع إلى الغنم وازأر زأرة، فرجع فزأر زأرة، فهرب منه كل الغنم.. فهكذا أيها المسلمون أنتم أُسد.. لستم عرب ولا عجم.. لسنا كذا ولا كذا.. نداء الجاهلية نتركه، فإذا قلنا على سبيل التعارف فلا بأس، ولكن نترك العصبية.. فنرجع أمة واحدة .. أمة محمد(ﷺ)، الله (ﷻ)جعلنا في مكان رفيع وجعلنا للعالم كله ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أمة وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (١)(٢).

---

(١) سورة المؤمنون – الآية ٥٢.

(٢) من كتاب فرضية الدعوة بقلم المؤلف.

الحيوان يعرف مقصده

فهل عرفنا مقصدنا ؟

إذا تضع الأعشاب أمام الأسد فيتعجب الأسد، ويقول: أنا ما آكل إلا اللحم لأن الله خلقني لأكل اللحوم لا الأعشاب، ولأكون ملك الغابة، وهكذا لو وضعت اللحم أمام الأغنام فتتعجب، وتقول: أنا لست الحيوانات المفترسة ما خلقني الله لذلك، خلقني الله لآكل الأعشاب، وأعطى اللبن.

فالحيوان يعرف مقصد حياته والغافل لا يعرف لماذا خلقه الله تبارك وتعالى؟.

وأذكر لكم بعض الحيونات التي نطقت وبينت مقصدها في الحياة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ (ﷺ) صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ:" بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ (١)" فَقَالَ النَّاسُ :"سُبْحَانَ اللهِ بَقَرَةٌ تَكَلَّمُ؟! "فَقَالَ :" فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ" وَمَا هُمَا ثَمَّ " وَبَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ إِذْ عَدَا الذِّئْبُ فَذَهَبَ مِنْهَا بِشَاةٍ فَطَلَبَ حَتَّى كَأَنَّهُ اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ الذِّئْبُ: هَذَا اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ يَوْمَ لَا رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي" فَقَالَ النَّاسُ

---

(١) قَوْلُهُ:(إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا): اسْتُدِلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ الدَّوَابَّ لَا تُسْتَعْمَلُ إِلَّا فِيمَا جَرَتِ الْعَادَةُ بِاسْتِعْمَالِهَا فِيهِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهَا إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ لِلْإِشَارَةِ إِلَى مُعْظَمِ مَا خُلِقَتْ لَهُ وَلَمْ تُرِدِ الْحَصْرَ فِي ذَلِكَ لِأَنَّهُ غَيْرُ مُرَادٍ اتِّفَاقًا لِأَنَّ مِنْ أَجَلِّ مَا خُلِقَتْ لَهُ أَنَّهَا تُذْبَحُ وتؤكل بالاتفاق وَقد تقدم قَول ابن بَطَّالٍ فِي ذَلِكَ فِي كِتَابِ الْمُزَارَعَةِ(فتح الباري).

:"سُبْحَانَ اللهِ ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ ؟! " قَالَ:" فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ" وَمَا هُمَا ثَمَّ (١) (٢).

عندما يضيع الإنسان مقصد حياته يجعل مقصد حياته الدنيا وتربية الأولاد وتوفير الحاجات ويضل الإنسان عن الصواب، والقطة تربي صغارها كذلك، ولكن الإنسان له مقصد خلقه الله من أجله، أن يقيم أوامر الله في حياته، ويقيم الناس البعيدين عن الله على أوامر الله تعالى.

ماذا لو تركنا مقصد الحياة؟

(قصتين)

الأولى: رجل اشترى ساعة ولكن مع مرور الوقت تعطلت، فأعطاها للساعاتي ليصلحها، ففحصها فوجدها غير صالحه للاستعمال، فأعطاها لصاحبها، فأخذها وألقاها في سلة الزبالة، لماذا؟ لأنها لم تقم على المقصد؟.

الثانية: الفلاح يشترى البقرة لأربعة أشياء:

١) تشتغل في حراثة الأرض. ٢) ري الأرض.

٣) ليحلب منها اللبن . ٤) لتأتي بالولد .

ولكن إذا كسرت أرجل البقرة ، فهي لا تحرث الأرض ، ولا تسقى الـزرع ،

---

(١) قَوْلُهُ:(وَمَا هُمَا ثَمَّ): بِفَتْحِ الْمُثَلَّثَةِ أَيْ لَيْسَا حَاضِرَيْنِ وَهُوَ مِنْ كَلَامِ الرَّاوِي وَلَمْ يَقَعْ ذَلِكَ فِي رِوَايَةِ الزُّهْرِيِّ (فتح الباري).

(٢) صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الغار حديث رقم ٣٣١٢.

ولا تحلب اللبن ، فتُسلم للجزار بأي ثمن ، وكذلك لو صارت عقيماً لا تلد .

فهكذا أمة النبي ﷺ بعثت لمقصد، وهو العبودية الكاملة لله ﷻ، وتعبيد الناس لله ﷻ .. فإذا تركت المقصد ، فتسلم لأي جزار ، أي يسلط عليها أي ظالم غاشم (التتار – الصليبيين القدامى – الصليبيين الجدد) ثم لم يبالى الله ﷻ بأي وادٍ تهلك ، وعلى يد من تهلك ، قال الفضيل بن عياض: أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى بَعْضِ أَنْبِيَائِهِ:" إِذَا عَصَانِي مَنْ يَعْرِفُنِي سَلَّطْتُ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَعْرِفُنِي "(١) (٢).

قصة الطفل بائع الحلوى

اقترض أحد الصالحين مالا، فالذين اقترض منهم جاءوا ليطلبوا أموالهم، فوافق أنه ليس معه شيء، فقال لهم: اجلسوا فجلسوا، وانتظروا فرج الله ﷻ، وفى هذا الحين جاء صبى يبيع الحلوى فقال له: بكم الحلوى التي معك ؟ قال الصبي: بكذا وكذا، فقال له فرقها على هؤلاء الجالسين، ففرقها وأراد ثمن الحلوى، فقال له: اجلس مع هؤلاء، فبكى الصبي، وقال: أبى يضربني، وأخذ في البكاء، فبعد فترة من بكائه جاء رجل ومعه هدايا وأموال وأعطاها للرجل الصالح، فقال لكل الجلوس: فرقوها عليكم وخذوا حقكم وأعطوا الصبي أولاً حقه فما أتى هذا المال إلا ببكاء الصبي، أنتم جئتم وجلستم وما كان في نيتكم البكاء فببكاء هذا الصبي نزلت الرحمة من الله ﷻ، فمن يبكى من أجل

---

(١) كتاب العقوبات لابن أبي الدنيا.

(٢) مشكاة الأحباب بقلم المؤلف.

أمة النبي محمد ﷺ حتى تنزل الرحمة على أمة النبي ﷺ.(١).

الإحساس بالمسئولية

إذا نحن نشعر بمسئولية الأمة كلها فنتوجه إلى الله، ونقول: إن هؤلاء عبادك، لو ماتوا على ذلك هم يدخلون النار، مثل الأم التي رأت ابنها يسقط في التنور فتبكى وتصرخ وتقول ولدى فالناس يذهبون إليها ويخرجون ابنها من النار.. فالأم كم تفرح ؟.

يجب إشعار المسلم أنه مسلم وأن الإسلام غالي وعظيم جداً (٢).

بكاء الخادم

في فترة احتلال الإنجليز للهند كان هناك رجل مسلم يخدم رجل إنجليزي وأسرته، وعندما قسمت الهند وباكستان، وأراد الإنجليز أن يرحلوا عن البلاد ، فبكى المسلم بكاءً شديدا، فقال الإنجليزي : لماذا تبكى ؟! .. أنا رتبت لك ترتيب الذهاب معنا إلى انجلترا، فقال المسلم : أنا لا أبكي من أجل ذلك، ولكن إذا لم تكن مسلم تذهب إلى نار جهنم، فقال الإنجليزي: أنا أطيعك في كل ما تريد وأسلم هو وأسرته.. هذا يبكى ونحن لا نبكى من أجل أمة النبي ﷺ ومن أجل الإنسانية كلها، هم يخالفون أمر الله ﷻ وليس لنا هم ولا غم ولا فكر ولا حزن، فاليهود والنصارى والمشركون والملحدون والمجوس إذا لم

---

(١) من كتاب فرضية الدعوة بقلم المؤلف.

(٢) المرجع السابق.

يؤمنوا بالله ﷻ ويتبعوا رسوله ﷺ ويموتوا على ذلك تـأتى علـيهم الأحـوال في القبر وفى الحشر ثم يدخلون نار جهنم وليس لنا همٌّ ولا غمٌّ ونحن نتصور هـذا المنظر .

فهل بكينا مثل الخادم الصادق في بكائه؟!!!!(١).

بالمجاهدة تأتي المكاشفة

مثلا: الذي يجتهد للزراعة، يكشف الله (تعالى) عليه الجهد المطلوب، أن يبذل على الأرض حتى تخرج الزراعة.. والذي يريد الذهب والفضة من الأرض، فالله يكشف له، ترتيب الجهد على الأرض، حتى تخرج الذهب والفضة.. فالمكاشفة بقدر المجاهدة والله ﷻ يكشف للداعي عن الدعاء المفيد " اللهم أهلك المشركين بالمشركين وأخرجنا من بينهم سالمين ".

الصحابة رضي الله عنهم لما فقدوا الماء في السـفر، تفكـروا كيـف يتوضـأون فبسبب فكرهم أنزل الله (ﷻ) آية التيمم (٢).

الوقت غالي

في وقت الفسحة بالمدرسة بعض الطلاب يواصل قـراءة الكتـاب وبعضـهم يأكل الطعام كل حسب اهتماماته.. فالوقـت كالقطـار.. فتكـون كـل عربـة في القطار فيها عمل.. عربـة فيهـا الصـلاة .. وعربـة فيهـا القـرآن.. وعربـة فيهـا

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

الذكر.. وعربة فيها الزيارات.. وعربة فيها الجهد وهكذا.

مع الحيرة تأتي الحيلة

رجل يريد أن يحترف حرفة الزراعة، وليس عنده أرض، ولا محراث، ولا بذور، فماذا يفعل ؟.

يذهب إلى صاحب الأرض ويقول له : اعطني أرضك لأزرع فيها بالإيجار، أو بالنصف، ثم يشترى البذور، ثم يحرث الأرض، ويضع فيها البذور، ثم يسقيها، فهو تعلم، واجتهد كيف يزرع، فلذلك يسمى زارع .

ورجل آخر: صارت عليه قضية في المحكمة وهو أمي _ لا يقرأ ولا يكتب _ وجاءت إليه ورقة الإعلان من المحكمة ، فيذهب إلى رجل دارس في القرية فيقرأ له الورقة فيقول له : هذه الورقة إعلان بقضية كذا وإن لم تذهب إلى المحكمة ومعك المستندات في الموعد المحدد تسجن ، فيذهب إلى المحامي، والمحامي يطلب منه مستندات كذا وكذا ، ثم يقوم المحامي في يوم القضية بالمرافعة في المحكمة .. فهؤلاء لا يعرفون، ويتدبرون، فكذلك الذين نجتهد عليهم، نذهب بهم إلى العلماء، ليعلموهم الدين والوضوء والصلاة والصيام.. الخ (١).

---

(١) المرجع السابق.

الدعوة للأعمال مثل القاطرة للقطار

الدعوة إلى الله مثالها كمثل رأس القطار الذي تكون فيه القوة لسحب باقي القطار والمقطورة التي تكون خلفه هي لأهل الدرجة الخاصة ثم التي تليها الخ...الرأس يسحبها كلها خلفه، بشرط أن تكون القوة اللازمة موجودة فيه .

ولو ركبنا مكينة السيارة للقطار ومكينة القطار للسيارة فلن يتم المراد وستكون الهلكة فيهما.. كذلك نحتاج إلى قوة الإيمان الساحبة إلى الاعمال الصالحة .

اليوم عكسنا المطلوب نريد تطبيق الاسلام، ولكن بنظام أهل الدنيا، بيقين أهل الدنيا وبأسباب أهل الدنيا .

الذي يكون يقينه بالغيب قوي سوف يسير على مقتضيات الإيمان والإسلام(١).

الدين مثل الشجرة

يقول الشيخ محمد عمر البالمبوري (رحمه الله): الدين الإسلامي مثاله، مثل الشجرة، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السماء تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢).

---

(١) من كلام الشيخ سعيد أحمد خان رحمه الله.

٢) سورة إبراهيم – الآية ٢٥ .

وشجرة الإسلام:

أرضها : الدعـــوة إلي الله ﷻ .

جـذرها: الإيمـانيـــــــــات

فروعها: أركـــان الإســـــلام

أغصانها: المعامـلات الإسلاميـة

أوراقها: المعاشـرات الإســلامية

ثمارها: الأخلاق الحســـــــنة

عصيرها: الإخلاص لرب البريـــة

سمادها: التضحيـــــة بالنفـس والمـــال والوقت.

ماءها: حلقـــــات التعليـــــم(في المسجد، وفي البيت)

بيئتها: ذكر الله ﷻ وتلاوة القرآن والبكاء في الليل بين يدي علام الغيوب.

الحائط المحيط بها: التجنب علي النفسانية والشهوانية لحفاظة شجرة الإسلام (١).

الداعي مثل الشمس

١. فالشمس تخرج بالنور على وقتها وبدون تأخير، وكذلك الداعي يخرج للدعوة، على الوقت، وبنور الهداية.

٢. الشمس متحركة وليست جامدة في مكانها .. وكذلك الداعي متحركا بين الناس، بالدعوة إلي الله كالشمس، ليبلغ دين الله ﷻ.

٣. الشمس بإشراقها تؤثر ما بين المشرق والمغرب، وكذا الداعي والخارج في

---

١) روائع العلامة محمد عمر البالمبوري بقلم المؤلف.

سبيل الله يؤثر جهده في العالم، ويسهل عليه أحوال دنياه وأحوال موته وأحوال البرزخ وأحوال الآخرة من جميع الأهوال والمشقات، هذا الجهد ينجيه بإذن الله.

٤. الشمس تفيد كل الناس، تُعطيهم الضوء والحرارة، بدون أجر .. فكذلك الداعي إلي الله لا يأخذ أجره إلا من الله، قال تعالي : ﴿ وَمَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَىَ رَبّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) لا ينتظر شكرًا ولا ثناءً من أحد.

٥. الشمس تتحرك علي كل العالم (الصالح والطالح) فليس عندها حزبية ولا عصبية ولا عنصرية، تقول أطلع علي هؤلاء وأترك هؤلاء.. وكذلك الداعي يتحرك علي كل الناس (عربهم وعجمهم ، غنيهم وفقيرهم ، ..) حريص علي هداية كل الناس .

٦. الشمس تستمد نورها من الله ﷻ وتُنير به العالم .. وكذلك الداعي يستمد نور الإيمان من الله ﷻ ويُنير به العالم كله.

٧. الشمس لا تتوقف دقيقة واحدة، ولو توقفت لأظلمت الدنيا، وفسد نظام العالم.. وكذلك الداعي لو توقف عن الدعوة لفسد الناس وتركوا أمر الله ﷻ ومشوا في الظلمات، قال تعالي﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النّاسِ كَمَن مّثَلُهُ فِي الظّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مّنْهَا كَذَلِكَ زُيّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (٢).

---

(١) سورة الشعراء – الآية ١٢٧

(٢) سورة: الأنعام – الآية : ١٢٢ .

٨.الشمس متحركة في مدارها وفي الأفق، فلو لم تتحرك أو انكسفت لأصاب الناس الخوف والفزع والوجل والاضطراب .. وكذلك لو توقف الداعي لحل الاضطراب في العالم فإياك أيها الداعي الحبيب من الكسوف.

٩. ولو تعرضت الشمس للوقوف أو الكسوف أو السحاب أو الجبال العالية فالشمس تكون موجودة ولكن بقدر الموانع تقل الاستفادة منها.. مثال الداعي والخارج في سبيل الله فلو أن الجماعة ليست متحركة لا توجد الحركة في مقامها ولا توجد الحركة خارج بلادها فهؤلاء لا يستفيدون ولا يستفيد منهم العالم.. ولو أن الحركة موجودة ولكن بدون نور العلم بدون نور العبادات بدون نور الذكر فالاستفادة موجودة ولكن قليلة جداً والحركة تؤثر ولكن قلة الصفات تقلل الاستفادة.

١٠. إذا توقفت الشمس في مكانها لملها الناس من عرب ومن عجم .. وكذلك الداعي لو توقف في مكانه لمله الناس.

١١. الشمس تتحرك دائما في فلكها ولا تقف .. وكذلك الداعي يتحرك في دعوته ولا يتوقف حتى الموت(١).

---

(١) من كتاب مشكاة الأحباب بقلم المؤلف .

جهد الدين

نضرب مثالين لتوضيح [جهد الدين]:

المثال الأول: يقول الشيخ مقبول أحمد: نُصلي كل يوم خمس صلوات، والصلاة عبارة عن قيام وركوع وسجود، فلو ركعنا فقط لا تُسمى صلاة ولا تقبل، والسجود وحده لا يسمى صلاة، والقيام وحده لا يُسمى صلاة، بل تُسمى صلاة حينما نقوم بجميع أعمال الصلاة مستوفية جميع الأركان من التكبير للتسليم كما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكذلك إذا خالفنا ترتيب الصلاة الذي علمه لنا رسول الله ﷺ، فبدأنا مثلا بالتسليم وانتهينا بالتكبير.. لا تُسمى صلاة.. فلذلك لا بد من الصلاة من التكبير للتسليم على ترتيب النبي (ﷺ) تُسمى صلاة.

هكذا جهد النبي (ﷺ) ليس اسم لعمل واحد فقط بل جميع الأعمال هي جهد النبي وعلى ترتيبه.

المثال الثاني: يقول الشيخ عبد الوهاب(أمير الدعوة بباكستان) موضحا: رجل فلاح يعمل بزراعة الأرض، اجتهد على الأرض ليزرعها.. فشراؤه للبذر من جهد الزراعة.. وحراثته للأرض من جهد الزراعة.. وسقايته للأرض من جهد الزراعة.. وتنظيفه للأرض من الحشائش الضارة من جهد الزراعة.. وإلقاؤه السماد بالأرض من جهد الزراعة.. فمجموعة هذه الأعمال تسمى جهد الزراعة.

.فكذلك:

- التعليم جزء من جهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ.
- وقراءة القرآن: جزء من جهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ.
- والذكر جزء من جهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ.
- والخدمة جزء من جهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ.
- والدعوة جزء من جهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ.
- والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر جزء من جهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ.
- وصلة الأرحام جزء من جهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ.
- وبر الوالدين جزء من جهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ.
- والإحسان إلى الجيران جزء من جهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ.

فمجموعة الأعمال كلها: تسمى جهد الدين.(١).

ترك الجهد

مثل الذي يترك جهد الدين، كمثل المزارع الذي يترك جهد السقاية والعناية بالمزرعة ..فهي لا تورق ولا تزهر ولا تثمر.

---

(١) التاج الجامع للأصول في جهد الرسول جـ ١.

الدعوة مثل الأرض

والداعي مثل المزارع

- **الدعوة مع العلم** (علم الفضائل) مع الذكر وعدم الغفلة، مع الدعاء، مع بذل النفس والمال؛ مثال ذلك: المزارع يقوم بحراثة الأرض وبذرها وتسميدها (الجهد في النهار) ثم يقوم بسقايتها (بالدعاء والبكاء) فكما أن النبات لا ينمو بغير السقاية، كذلك الدعوة والجهد لا تثمر بغير سقايتها بدموع البكاء في الليل؛ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾(١) في الليل، ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾(٢) في النهار.

- وجاء ترتيب سورة المزمل قبل سورة المدثر : لتفيد أن الدعاء قبل الدعوة مهم كما هو بعدها فبالبكاء تقضى الحوائج، مثال الطفل لا يتكلم وإنما إذا احتاج أي شيء فهو يبكي، للطعام يبكي، للنوم يبكي، للألم يبكي، فيستجاب له فقط بالبكاء، وهكذا الداعي يتوجه إلى الله بالبكاء فتقضى جميع حوائجه.

فلا بد للداعي من التبتل إلي الله، وهذا من لوازم الدعوة إلي الله.(٣).

---

(١) سورة المزمل _ الآية ١.

(٢) سورة المدثر _ الآية ١.

(٣) المرجع السابق.

أمثلة للرحمة

الأول: هناك طفل صغير برئ نراه في حالة الاحتضار كاد يلفظ نفسه الأخير، الأم تقف إلى جواره تبكي، قد أظلمت الدنيا في ناظريها ، وانقطع أملها في فلذة كبدها ، ومأوى حنانها وحبها ، الأب يسعى هنا وهناك هائمـًا على وجهه ، فلا يجد راقيـًا وأنيسـًا ، هنالك يأتي طبيب حاذق ،كما ينزل الملك من السماء ويقول مهلاً .. لا داعي للقلق، ولا موجب لليأس، ولا يلقى في فم الطفل قطرات قليلة من الدواء حتى يفتح عينيه وينشط ، تصور ماذا يقال لهذا الطبيب ؟ ألا يقال له إنه ملك الرحمة أرسله الله لإنقاذ هذا الطفل ؟ وإعادة الحياة إليه ؟ هنالك تتلاشى كل هذه الأنواع من الرحمة التي قدمناها أولاً ،وتذوب أمام هذا المظهر الرائع الأخاذ من الرحمة، إنها ليست منة على الطفل فقط ، بل على أسرته كلها .

الثاني: نرى أعمى يمشي متوكئًا على عصاه، قد شارف هوة عميقة أو بئرًا، قد تكون خطوته التالية خطوة الموت، فيهرول إليه عبد من عباد الله ويأخذ بحجزه ويمنعه عن الوقوع في هذه الهوة، أفلا نسميه ملك الرحمة ؟.

الثالث: هذا شاب يافع، قرة عين أبويه، وكفيل عائلته الفقيرة، قد أشرف على الغرق في نهر فائض يحاول أن يطفو على الماء، ولكن بدون جدوى ، فيقفز إليه رجل مجازفـًا بحياته ، ويأخذ به إلى ساحل النجاة ، فيحمله رب الأسرة أو إخوة هذا الشاب على أعناقهم، ويضمونه إلى صدورهم ، بحرارة وحب، ولا ينسون

فضله على أسرتهم الصغيرة مدى الدهر، ترى هل تساوي مظاهر الرحمة الأولى ، هذه الرحمة العظيمة الغالية ؟.

الرابع: إن البشرية ببعدها عن منهج الله، كالواقف (عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ) فيبعث الله (عز وجل) الأنبياء، ليردوا الناس إلى منهج الأنبياء، وتحملوا في سبيل ذلك الجهد والمشقة، أليس ذلك أكبر مظهر من مظاهر الرحمة على الإنسانية كلها؟.

الخامس: يحكى أن فريقـًا من تلاميذ المدارس ركبوا سفينة للنزهة في البحر، أو للوصول إلى البر، وكان في النفس نشاط وفي الوقت سعة، وكان الملاح المجدف الأمي خير موضوع للدعابة والتنادر، وخير وسيلة للتلهي وترويح النفس، فخاطبه تلميذ ذكي جرئ ، وقال: يا عم ماذا درست من العلوم ؟ قال الملاح : ولا شيء يا عزيزي ؛ قال : أما درست العلوم الطبيعية يا عمي ؟ قال : كلا وما سمعت بها .

وتكلم أحد التلاميذ ، فقال : ولكنك لابد درست علم الأقليدس والجبر والمقابلة، قال: وهذا أغرب، وتصدقون أنني أول مرة أسمع هذه الأسماء الهائلة الغريبة .

وتكلم ثالث " شاطر " فقال: ولكنني متأكد من أنك درست الجغرافيا والتاريخ ، فقال : هل هما اسمان لبلدين ، أو علمان لشخصين ؟.

وهنا لم يملك الشباب نفوسهم المرحة، وعلا صوتهم بالقهقهة، وقالوا : ما سنك يا عم ؟ قال أنا في الأربعين من سني ؛ فقالوا: لقد ضيعت نصف عمرك يا عمنا، وسكت الملاح الأمي على غصص ومضض، وبقي دوره والزمان دوار .

وهاج البحر وماج، وارتفعت الأمواج، وبدأت السفينة تضطرب، والأموج فاغرة أفواهها لتبتلعها، واضطرب الشباب في السفينة ـ وكانت أولى تجاربهم في البحر ـ وأشرفت السفينة على الغرق .

وجاء دور الملاح الأمي، فقال في هدوء ووقار: ما هي العلوم التي درستموها يا شباب؟ وبدأ الشباب يتلون قائمة طويلة للعلوم والآداب التي درسوها في الكلية، ويتوسعون فيها في الجامعة، من غير أن يفطنوا لغرض الملاح الأمي، الحكيم، ولما انتهوا من عد العلوم المرعبة أسماؤها، قال في وقار تمزجه نشوة الانتصار: لقد درستم يا أبنائي هذه العلوم الكثيرة، فهل درستم علم السباحة ؟ وهل تعرفون إذا انقلبت السفينة ـ لا قدر الله ـ كيف تسبحون وتصلون إلى الساحل بسلام ؟ قالوا : لا والله يا عم، هو العلم الوحيد الذي فاتتنا دراسته والإلمام به .

هنالك ضحك الملاح، وقال إذا كنت ضيعت نصف عمري ، فقد أتلفتم عمركم كله، لأن هذه العلوم لا تغني عنكم في هذا الطوفان، إنما كان ينجدكم العلم الوحيد الذي تجهلونه علم السباحة .(القصة مقتبسة من كتاب المؤلف" النبوة والأنبياء في ضوء القرآن) .

هذه مهمة النبوة ودورها في إنقاذ البشرية المشرفة على الغرق، وهذه طبيعة عمل الأنبياء والرسل، وامتيازه عن سائر أصناف التعليم والتربية، والترويح والتسلية، يمنحون الجيل البشري" علم النجاة " ويعلمونه فن السباحة، وتجديف سفينة الحياة .

إن التاريخ الإنساني يدل دلالة واضحة على أنه لما غرقت سفينة الحياة لفساد أخلاق الناس، وسيئات أعمالهم غرقت بكل ما فيها من مجموعة بشرية، ورصيد حضاري ، ومحصول فكري ، وإنتاج علمي وفلسفي ، وبكل ما فيها من روائع الشعر والأدب والبيان، وإن هذه السفينة لم تغرق أبدًا من أجل الانحطاط الأدبي، وقلة المدارس والجامعات، وفقدان التعليم العالي، أو من قلة المال وانخفاض مستوى المعيشة، إنها غرقت لأن الإنسان أعد نفسه للانتحار، إنه صار معولاً هدامـًا لذلك البناء الذي فيه متاعه وأهله، إن التاريخ يدلنا على أن الفكر الإنساني أصيب في كثير من الأحيان بنوبات عصبية دفعته إلى التدمير والإبادة، بدلاً من التعمير والبناء، فقد رأينا مستغربين مأخوذين بالحيرة والدهشة، ورأينا بأم أعيننا، ونحن لا نكاد نصدق هذا الواقع لهول المنظر وبشاعة الوضع ، أن الإنسان قام بهدم أساسه بكل قوة وحماس، ذلك الأساس الذي قام عليه صرحه الحضاري ، والفكري العظيم ، وظل مشتغلاً بهذه العملية المجنونة بكل شوق ورغبة ، كأنها عملية بناءة ومأثرة إنسانية رائعة ، وخدمة

ممتازة ، وصار يلح على الوقوع في خندق الموت ، وقد تملكته السآمة من الحياة ، واستبد به الشوق إلى الهلاك ، كأن الحياة عذاب وجحيم ، والهلاك جنة ونعيم .

تصوير العصر الجاهلي وتهيئه للانهيار والانتحار :

ذلك الوضع الذي ساد على العالم في القرن السادس المسيحي ، فإننا نجد هناك استعدادات عامة للانتحار الاجتماعي العام ، لم يكن النوع البشري في ذلك الزمان راضيـًا بالانتحار فحسب، بل كان يتساقط عليه، ويتهالك فيه، كأنه نذر به وحلف، فيريد أن يفي بنذره ولا يحنث في قسمه، ولقد صور القرآن العظيم هذا المنظر، وهذا الوضع تصويرًا دقيقـًا، لا يصوره أي رسام أو أديب، أو روائي أو مؤرخ:﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِّ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾(١).

رحم الله المؤرخين ، ورواة السيرة فإنهم لم يصوروا الجاهلية حين سردوا لنا وقائع البعثة المحمدية ، تصويرًا صحيحـًا دقيقـًا ، وهم معذورون ومأجورن ، ومثابون ومشكورون ، فإن ذخيرة الأدب واللغة لا تسعفهم كل الإسعاف ، والحقيقة أن هذا الوضع في قمة من الهيبة والفظاعة ، وفي منتهى الدقة والتعقيد ، لا يمكن وصفه بريشة قلم ، والتعبير عنه بأي قدرة بيانية ، وصلاحية لغوية .

هل كان العصر الجاهلي الذي بعث فيه محمد (ﷺ) قضية انحطاط اجتماعي أو خلقي ؟ هل كان قضية وثنية مجردة ؟ أو قضية خمر وقمار ، وعبث واستهتار،

---

(١) سورة آل عمران ـ الآية ١٠٣.

أو ظلم واستبداد ، قضية قوانين اقتصادية جائرة ، وتعسف الحكام الغاشمين؟ هل كان قضية وأد البنات؟ كلا ، إنه كان قضية وأد الإنسانية كلها .

لقد انتهى هذا الدور، وانقرض هذا الجيل، وغاب هذا التصوير البشع عن أعين الناس، فكيف نعيده ونمثله، ونجعله حسيًا شاخصًا تراه الأبصار، وتلمسه البنان ، وجل ما نستطيع أن نقول : إنه عصر جاهلي لا يفهمه حق الفهم إلا من عاش فيه واكتوى بناره، ولو كان لمصور يحاول التصوير أن يمثل البشرية في صورة إنسان في غاية الجمال والصحة والأناقة وحسن الهندام، الإنسان الذي هو نموذج بديع فريد لصنع الله الذي أتقن كل شيء، وغاية الخلق ، الذي كلله الله بتاج خلافته ، فصار زينة الوجود ، ولب لباب الحقيقة والعرفان، وبه تحولت هذه الأرض الخراب اليباب إلى روضة غناء، وحديقة فيحاء، ثم يصور هذا الإنسان أنه يريد أن يقفز إلى خندق عظيم هائل ترتفع منه ألسنة اللهيب ، وقد تحفز واستجمع قواه ، وجمع ثيابه ، ورفع رجله في الفضاء فعلا ، وكاد يقع فيه، وما هي إلا دقائق وثوان حتى يغيب في هذا الظلام المهيب، ظلام الموت ، فلعل هذا التصوير يصور بعض الجانب من العصر الجاهلي عند بعثة النبي (ﷺ) ، وقد أشار القرآن إلى هذه الحقيقة ، فقال في إيجاز وفي إعجاز :﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾(١).

---

(١) سورة آل عمران ـ الآية ١٠٣.

وذلك ما شرحه لسان النبوة بمثال رائع بليغ ، فقال عليه الصلاة والسلام :

"إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنْ النَّارِ وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا "(١).وقال في آخرها ، [قَالَ فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ ، أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ فَتَغْلِبُونِي تَقَحَّمُونَ فِيهَا](متفق عليه) .

لقد كانت القضية الكبرى في هذه القصة كلها ، أن تصل سفينة الإنسانية بسلامة الله وفي حفظه ورعايته إلى شاطئ النجاة، لأنه حين يستوي الإنسان ويعتدل طبعه، وتتحلى الحياة بالاقتصاد والاتزان، وتنفعه ـ إذا كل ـ هذه المشروعات البنائية والإنمائية، أو الأدبية والعملية التي أوتي مواهبها كثير من أصدقاء الإنسانية وأنصارها، ومن هنالك، فإن الإنسانية كلها مدينة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لأنهم أنقذوها من تلك الأخطار المحدقة، التي سلطت على رأسها كالسيف المصلت، ولا يتحرر من منتهم وفضلهم مشروع علمي وتخطيط اجتماعي، ولا مدرسة فكرية أو فلسفية ، كما أن العالم المعاصر مدين لهم في هذا البقاء والاستمرار وجدارة الحياة ؛ لأن الإنسان اعترف ـ أحيانـًا كثيرة ـ بلسان حاله إن لم يقل بلسان مقاله ، أنه فقد حق البقاء في هذه الأرض ، وإنه لا يحمل الآن أي رحمة وبركة ، وفيض وإفادة ، ودعوة ورسالة للإنسانية ، إنه رفع

---

(١)صحيح البخاري كتاب الرقاق باب الانتهاء عن المعاصي حديث رقم ٦١٤٥.

الدعوى في المحكمة الإلهية ضد نفسه، وشهد عليه، لقد كانت ملفاته مهيأة للحكم العادل الأخير، وقد نصب الإنسان نفسه لأكبر عقوبة تتصور، بل لعقوبة الإعدام، ولا عجب في ذلك ، فحينما تتعدى المدنية عن حدودها الطبيعية وتخرج عن طورها، وتنسى القيم الخلقية كليـًا أو تكفر بها صراحة وعلنا، ويتغافل الإنسان عن كل غاية نبيلة ، ومقصد طورها، وعن كل واقع وحقيقة غير الحقائق المادية ، وتحقيق مآربه الجسدية ، وإرواء ظمئه الحيواني ، وحينما يحل محل القلب الإنساني قلب الذئب والنمر والفهد، وتتكون في جسمه معدة خيالية أو صناعية ، ونفس أمارة بالسوء، لا يقر لها قرار، ولا يضبطها وازع أو رادع ، وحينما تصيب الإنسانية نوبة شديدة من الجنون، يبعث الله لها جماعة من الجراحين ، أو عصابة من السفاحين ، وتأتي لأورامها المنتفخة سكاكين من ظهر الغيب ، تقضي عليها وتقطع دابرها وتستأصل شأفتها (١).

وفي خلق الرحمة (يضرب الشيخ مفتى زين العابدين (رحمه الله) المثال) فقال: كان الشيخ يوسف (رحمه الله) يقول لنا : أخلصوا أنفسكم لهذا الجهد ، وسترون شعوب العالم ، وأقوام العالم ، ورؤسائهم الذين ما كان يخطر على بالكم إنهم يأتون إليكم ، سيأتون إليكم لتعلموهم الدين ، وما قال الشيخ هذا الكلام بأم رأسه ، بل نبينا محمد ﷺ أخبرنا : " لَا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ بَيْتُ مَدَرٍ ، ولا وَبَرٍ، إلَّا أدخله الله كلمة الإسلام، بِعزِّ عَزِيزٍ، أو ذُلِّ ذَلِيلٍ، إمَّا يُعِزُّهم

(١) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي من صـ ٥٢٧ ، صـ ٥٣٩.

الله، فيجعلهم من أهلها، أو يُذِلُّهم، فيدينون لها "(١) .

وقال الإمام مالك : لا يَصلُحُ آخِرُ هذه الأمَّةِ إلا بما صَلَحَ به أولُها.

عندما تشعر هذه الأمة ، أغنياؤها، وفقراؤها، ورؤساؤها، وعمالها، وموظفوها، وقويها، وضعيفها، مسئوليتها عن هذا الدين ، وتدرك أنها لابد : أن تتعلم هذا الدين بسائر نواحيه ، وتبلغه للعالم كله ، وتربى البشرية كلها ، وتعلم المؤمنين منهم الشفقة والرحمة ، والمحبة ، والأخلاق الفاضلة ، والمجاهدات العظيمة ، التي فعلها النبي (ﷺ) .. وعندما تفعل ذلك، ينتشر الدين في العالم ، وتنزل الهداية على كل العالم .

إن النبي محمد (ﷺ) هو النبي الأعظم .. خاتم الأنبياء ، وأمته أعظم الأمم ، وأشرفها عند الله ﷻ .

والعظمة التي شرف الله بها النبي (ﷺ)، شرف الله بها أمة محمد (ﷺ) .. والخاتمية التي شرف بها النبي (ﷺ) ، نقلها الله ﷻ لأمة محمد نيابة عن الرسول (ﷺ) " لَا نَبِيَّ بَعْدِي ، وَلَا أُمَّةَ بَعْدَ أُمَّتِي " .

فللبشرية حق عظيم .. على هذه الأمة ، وعليها أن تأخذ هذا الجهد بجد،

---

(١) رواه أحمد (٤/٦) (٢٣٨٦٥)، والطَّبراني (٢٥٤/٢٠) (٦٠١)، وابن حبان (٩١/١٥) (٦٦٩٩)، والحاكم (٤٧٦/٤)، والبيهقي (١٨١/٩) (١٩٠٨٩). قال ابن عساكر في ((مُعْجَم الشيوخ)) (٤١٧/١)، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١٧/٦): رجاله رجال الصَّحيح. وحسَّن إسناده الألباني في ((تخريج مشكاة المصابيح)) (٣٩)، وصحَّحه الوادعي في ((الصَّحيح المسند)) (١١٥٩).

وتعلم : أن الله أخرجها لخدمة الإنسانية ، وإسعادها ونفع البشرية ، وإنقاذها مما فيها من الجاهلية ، والظلمات التي بعضها فوق بعض.. فالبشرية كلها تنتظر أمة محمد ﷺ أن تقدم لهم الهداية ، التي أرسلهم الله ﷻ بها ، وهي الإيمان بالله وحده .

ولأداء هذا الواجب العظيم الشريف المشرف، علينا : أن نتعلم كيفية أداء هذا الواجب في الخروج ، ونرجع بهذا الواجب إلى أهل منطقتنا ولأقاربنا وأبنائنا .

فبالخروج في سبيل الله، نبتعد عن بيئتنا التي أنستنا هذا الجهد، ونجتهد لإخراج البشرية من الحياة التعيسة ، إلى الحياة السعيدة .

ذات مرة شب حريق في إحدى المنازل التي في بلدنا ، وكل الناس خرجوا وفروا من ذلك المنزل، إلا طفل رضيع، لم يستطيع الخروج فبقى في الحريق ، وعندما علم شاب، أن الطفل بداخل المنزل، ألقى بنفسه في النار واستطاع بتوفيق الله ﷻ أن ينقذ هذا الطفل من النار .

هذا العمل العظيم، والجرأة والشجاعة ، نشرتها وسائل الإعلام ، وأعطته الدولة الجوائز والأوسمة ، وسمى بطل العام .. وهو يستحق ذلك .

ولكن أقول بكل حسرة وحزن، البلايين من أمة محمد ﷺ يحترقون بنار جهنم وهو أشد، والذين يبادرون بإخراج هؤلاء من النار إلى الجنة من يعطيهم الجوائز .. إنه هو الله ﷻ .. فالله جل جلاله .. يعطيهم ما لا

عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.. ويعطى الوسام " من رد إلىَّ شارداً، كتبته تحت العرش جهبذا " (أي عظيما).

وأخرج الإمام أحمد في الزهد ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ ظَبْيَانَ قَالَ : قَالَ الْمَسِيحُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ تَعَلَّمَ ، وَعَمِلَ ، وَعَلَّمَ ، فَذَاكَ يُسَمَّى أَوْ يُدْعَى عظيماً فِي مَلَكُوتِ السَّمَاءِ. (١).

المسئولون عن إطفاء الحريق عندما يصلهم خبر إحراق بيت عليهم أن يستعجلوا ، وألا يتأخروا لحظة واحدة حتى لو كانوا يتناولون الطعام أو الشراب ـ حرام عليهم أن يجلسوا للأكل والشرب ، فالعلماء يقولون : لو أن الإنسان في الصلاة عليه أن يترك الصلاة ويؤديها بعد ذلك .

---

(١) كتاب الزهد للإمام أحمد صـ ٠٩٩وروى عبد الله بن الإمام أحمد في "زوائد الزهد" (٩٧٧) عَنْ شُمَيْطٍ بن عجلان: " أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّكَ إِنْ اسْتَنْقَذْتَ هَالِكًا مِنْ هَلَكَتِهِ، سَمَّيْتُكَ جِهْبِذًا ".

ورواه بحشل في "تاريخ واسط" (ص: ١٩٣) عن الحسن، قَالَ: " أوحى الله تعالى إلى داود: يا داود، خالط الناس واصبر على أذاهم، لعلك ترد حيران عن حيرته، أو سكران عن سكرته، فأكتبك عندي جهبذا، ومن كتبته عندي جهبذا ضمنت السحاب رزقه، لا يخاف إذا خاف الناس ".

وروى أبو نعيم في "الحلية" (١٠/ ٧٩) عن الحارث المحاسبي قال: وَحَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ قَالَ: " أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى دَاودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا دَاودُ لَأَنْ يَخْرُجَ عَلَى يَدَيْكَ عَبْدٌ مِمَّنْ أَسْكَرَهُ حُبُّ الدُّنْيَا، حَتَّى تَسْتَنْقِذَهُ مِنْ سُكْرِهِ ، سَمَّيْتُكَ عِنْدِي جِهْبِذًا، وَمَنْ كَانَ جِهْبِذًا ، لَمْ تَكُنْ بِهِ فَاقَةٌ وَلَا وَحْشَةٌ إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِي، يَا دَاودُ مَنْ لَقِيَنِي وَهُوَ يُحِبُّنِي أَدْخَلْتُهُ جَنَّتِي".

أمة محمد ﷺ عملها الوحيد إنقاذ الناس من النار .. وكثير من البشر يموتون يوميا على غير الإيمان .. على غير الصلاة .. لا يؤدون الزكاة .... الخ .

يعيشون الحياة الجاهلية ، البئيسة .. التعيسة .. فمن لهم ؟

كل الناس طماعون، يريدون أخذ الأشياء.. ولكن أمة محمد ﷺ خُلقت للعطاء.. لا للأخذ والسلب والنهب .

الشيخ الوقور

في ذات يوم أطلقت صافرة القطار مؤذنة بموعد الرحيل .. صعد كل الركاب إلى القطار فيما عدا شيخ وقور وصل متأخرا .. لكن من حسن حظه أن القطار لم يفته .. صعد ذلك الشيخ الوقور إلى القطار فوجد أن الركاب قد استحوذوا على كل مقاعد القطار .. توجه إلى المقطورة الأولى فوجد فيها أطفالا صغارا يلعبون ويعبثون مع بعضهم .. فأقرأهم السلام .. وتهللوا لرؤية ذلك الوجه الذي يشع نورا وذلك الشيب الذي أدخل إلى نفوسهم الهيبة والوقار له .. أهلا أيها الشيخ الوقور سعدنا برؤيتك.. فسألهم إن كانوا يسمحون له بالجلوس؟. فأجابوه: مثلك نحمله على الرأس والعين.. ولكن! نحن أطفال صغار في عمر الزهور نلعب ونمرح مع بعضنا لذا فإننا نخشى ألا تجد راحتك معنا ونسبب لك إزعاجا.. كما أن وجودك معنا قد يقيد حريتنا.. ولكن اذهب إلى المقطورة التي بعدنا فالكل يود استقبالك .. توجه الشيخ الوقور إلى المقطورة

الثانية .. فوجد فيها ثلاثة شباب يظهر أنهم في آخر المرحلة الثانوية.. معهم آلات حاسبة ومثلثات.. وهم في غاية الانشغال بحل المعادلات الحسابية والتناقش في النظريات الفيزيائية.. فأقرأهم السلام.. ليتكم رأيتم وجوههم المتهللة والفرحة برؤية ذلك الشيخ الوقور.. رحبوا به وأبدوا سعادتهم برؤيته.. أهلا بالشيخ الوقور.. هكذا قالوها.. فسألهم إن كانوا يسمحون له بالجلوس !!! فأجابوه لنا كل الشرف بمشاركتك لنا في مقصورتنا ولكن !!! ولكن كما ترى نحن مشغولون بالمناقشة والمثلثات الهندسية .. ويغلبنا الحماس أحيانا فترتفع أصواتنا.. ونخشى أن نزعجك أو ألا ترتاح معنا.. ونخشى أن وجودك معنا يجعلنا نشعر بعدم الراحة في هذه الفرصة التي نغتنمها استعدادا لامتحانات نهاية العام.. ولكن توجه إلى المقطورة التي تلينا.. فكل من يرى وجهك الوضاء يتوق لنيل شرف جلوسك معه .. أمري إلى الله .. توجه الشيخ الوقور إلى المقصورة التالية .. فوجد شابا وزوجته يبدوا أنهما في شهر عسل، يتبادلان:(كلمات رومانسية .. ضحكات.. مشاعر دفاقة بالحب والحنان) أقرأهما السلام.. فتهللوا لرؤيته.. أهلا بالشيخ الوقور .. أهلا بذي الجبين الوضاء .. فسألهما إن كانا يسمحان له بالجلوس معهما ؟؟؟ فأجاباه مثلك نتوق لنيل شرف مجالسته.. ولكن !!! .. ولكن كما ترى نحن زوجان في شهر العسل .. جونا رومانسي .. شبابي .. نخشى ألا تشعر بالراحة معنا .. أو أن نتحرج متابعة همساتنا أمامك .. كل من في القطار يتمنى أن تشاركهم

مقصورتهم.. توجه الشيخ الوقور إلى المقطورة التي بعدها.. فوجد شخصين في أواخر الثلاثينيات من عمرهما.. معهما خرائط أراضي ومشاريع.. ويتبادلان وجهات النظر حول خططهم المستقبلية لتوسيع تجارتهما.. وأسعار البورصة والأسهم.. فأقرأهما السلام .. فتهللا لرؤية .. وعليك السلام ورحمة الله وبركاته أيها الشيخ الوقور.. أهلا وسهلا بك يا شيخنا الفاضل .. فسألهما إن كانا يسمحان له بالجلوس ؟؟؟ فقالا له : لنا كل الشرف في مشاركتك لنا والجلوس معنا.. بل أننا محظوظين حقا برؤية وجهك الوضاء.. ولكن !!!! " يا لها من كلمة مدمرة تنسف كل ما قبلها " .. كما ترى نحن بداية تجارتنا وفكرنا مشغول بالتجارة والمال وسبل تحقيق ما نحلم به من مشاريع.. حديثنا كله عن التجارة والمال.. ونخشى أن نزعجك أو ألا تشعر معنا بالراحة.. اذهب للمقطورة التي تلينا فكل ركاب القطار يتمنون مجالستك.. وهكذا حتى وصل الشيخ إلى آخر مقطورة .. وجد فيها عائلة مكونة من أب وأم وأبنائهم.. لم يكن في المقطورة أي مكان شاغر للجلوس.. قال لهم: السلام عليكم ورحمة الله وبركات .. فردوا عليه السلام.. ورحبوا به.. أهلا أيها الشيخ الوقور.. وقبل أن يسألهم السماح له بالجلوس.. طلبوا منه أن يتكرم عليهم ويشاركهم بالجلوس معهم.. محمد اجلس في حضن أخيك أحمد.. أزيحوا هذه الشنط عن الطريق.. تعال يا عبد الله اجلس في حضن والدتك.. أفسحوا مكانا له.. حمد الله ذلك الشيخ الوقور.. وجلس على الكرسي بعد ما عاناه من كثرة السير في

القطار .. توقف القطار في إحدى المحطات .. وصعد إليه بائع الأطعمة الجاهزة .. فناداه الشيخ وطلب منه أن يعطي كل أفراد العائلة التي سمحوا له بالجلوس معهم كل ما يشتهون من أكل.. وطلب لنفسه " سندويتش بالجبنة ".. أخذت العائلة كل ما تشتهي من الطعام.. وسط نظرات ركاب القطار الذين كانوا يتحسرون على عدم قبولهم جلوس ذلك الشيخ معهم.. كان يريد الجلوس معنا ولكن.. صعد بائع العصير إلى القطار.. فناداه الشيخ الوقور.. وطلب منه أن يعطي أفراد العائلة ما يريدون من العصائر على حسابه وطلب لنفسه عصير برتقال.. يا الله بدأت نظرات ركاب القطار تحيط بهم.. وبدأوا يتحسرون على تفريطهم.. آه كان يريد الجلوس معنا ولكن.. صعد بائع الصحف والمجلات إلى القطار.. فناداه الشيخ الوقور وطلب مجلة الزهرات أمل هذه الأمة.. للأم.. ومجلة كن داعية.. للأب.. ومجلة شبل العقيدة للأطفال .. وطلب لنفسه جريدة أمة الإسلام .. وكل ذلك على حسابه .. ومازالت نظرات الحسرة بادية على وجوه كل الركاب.. ولكن لم تكن هذه هي حسرتهم العظمى ..توقف القطار في المدينة المنشودة.. واندهش كل الركاب للحشود العسكرية والورود والاحتفالات التي زينت محطة الوصول .. ولم يلبثوا حتى صعد ضابط عسكري ذو رتبة عالية جدا.. وطلب من الجميع البقاء في أماكنهم حتى ينزل ضيف الملك من القطار.. لأن الملك بنفسه جاء لاستقباله.. ولم يكن ضيف الملك إلا ذلك الشيخ الوقور.. وعندما طلب منه

النزول رفض أن ينزل إلا بصحبة العائلة التي استضافته وأن يكرمها الملك.. فوافق الملك واستضافهم في الجناح الملكي لمدة ثلاثة أيام أغدق فيها عليهم من الهبات والعطايا..وتمتعوا بمناظر القصر المنيف..وحدائقه الفسيحة.. هنا تحسر الركاب على أنفسهم أيما تحسر.. هذه هي حسرتهم العظمى.. وقت لا تنفع حسرة.. والآن بعد أن استمتعنا سويا بهذه القصة الجميلة بقي أن أسألكم سؤالا ؟.

من هو الشيخ الوقور؟ ولماذا قلت في بداية سرد القصة : وكم هي خاصة بكل واحد منا !! فأنا وأنت وهو وهي قد عايشناها لحظة بلحظة.. !! أعلم أنكم كلكم عرفتموه .. وعرفتم ما قصدت من وراء سرد هذه القصة .. لم يكن الشيخ الوقور إلا الدين.. أما إبليس(عليه لعنة الله إلى يوم الدين) توعد بإضلالنا.. وفضح الله خطته حينما قال في كتابه الكريم { ولأمنينهم } إبليس أيقن أنه لو حاول أن يوسوس لنا بأن الدين سيئ أو أنه لا نفع منه فلن ينجح في إبعادنا عن الدين.. وسيفشل حتما.. ولكنه أتانا من باب التسويف.. آه ما أجمل الالتزام بالدين .. ولكن مازالوا أطفالا يجب أن يأخذوا نصيبهم من اللعب واللهو.. حرام نقيدهم .. عندما يكبرون قليلا سوف نعلمهم الدين ونلزمهم به.. ما أجمل الالتزام بالدين! ولكن الآن هم طلبة مشغولون بالدراسة.. بالواجبات والامتحانات.. بعد ما ينهوا دراستهم سيلتزمون بالدين.. وسيتعلمونه.. أو مازلنا في شهر العسل.. الدين رائع ولكن سنلتزم به

غدا.. مازلنا نكون أنفسنا بعد أن أقف على رجلي في ساحة التجارة سأهتم كثيرا بديني.. وسألتزم به.. ولا ندري هل يأتي غدا ونحن أحياء .. أم نكون وقتها تحت الثرى.. !!! التسويف هو داء نعاني منه في أمورنا كلها.. نؤمن بالمثل القائل: لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد ولكننا لا نطبق ما نؤمن به على أرض الواقع .. لذا نفشل في بناء مستقبلنا في الدنيا.. كما في الآخرة.. فالعمر يمضي ونحن نردد.. غدا سأفعل.. سأفعلها ولكن بعد أن أفرغ من هذه.. مازلت صغيرا إذا كبرت سأفعلها.. بعد أن أتزوج سألتزم بالدين.. بعد أن أتخرج .. بعد أن أحصل وظيفة.. بعد أن.. بعد أن..يقول الله تعالى في كتابه العزيز:(بِسْمِ اللهِّ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ *كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ)فكيف بمن يكون داعيا إلى الدين ؟ كيف استقباله ؟ وكيف منزلته ؟ .

الدعوة والقتال

كانت دعوة النبي والصحابة للأعداء لثلاثة أيام ... فإن لم يقبلوا تكون المصالحة بالجزية ، حتى يصيروا تحت ذمتنا ، لأن مع المسلم كلمة عليا ، ومع الكفار كلمة سفلي ، قال تعالى﴿ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مّؤْمِنِينَ﴾ (١) وقال تعالى ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الّذِينَ كَفَرُواْ السّفْلَىَ وَكَلِمَةُ اللهِّ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُّ عَزِيزٌ

١) سورة آل عمران – الآية ١٣٩.

حَكِيمٌ﴾ (١) وعندما يتصالحون بالجزية ، فالمسلمون يعيشون في بلادهم ، فكانت الدعوة العملية ينظرون إلي معاشرة المسلمون الطيبة ، وأخلاقهم فيدخلون في الدين فالجزية دعوة عمليه تفصيلية .. فإن لم يقبلوا هاتين المرحلتين تكون المرحلة الأخيرة وهي القتال .

فالرسول ﷺ أعطانا الدواء الداخلي الدعوة والدواء الخارجي الأخلاق .. فلو لم يدخلوا في الإسلام، وكأن الدمامل فيها ألم لا يشفى بالدواء الداخلي ولا الخارجي فلابد من العملية الجراحية (القتال) ... وذلك فقط عند اليأس من العقاقير مثل البستاني يقوم بتسليت بعض النباتات لأنه يعلم أنها ضعيفة ومريضة ، وتُسبب قلة المحصول ، مثل الذين يصدون عن سبيل الله .

فخروج الصحابة رضي الله عنهم كان كالمطافئ لإخراج الناس من النار إلي الجنة .

والسيارة الإطفائية عندما تخرج فجميع السيارات والمشاة يفسحون لها الطريق ، فلو اعترض أمام السيارة ستة أشخاص وآلاف في الحريق فعلي السائق أن يمر عليهم لينقذ الآلاف.

والصحابة رضي الله عنهم ثلاث عشره سنه في مكة ، الله ﷻ ما أمرهم بالقتال ليتحصلوا أولا علي : ﴿ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ ﴾ (٢)،﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾

---

١) التوبة – الآية ٤٠

٢) سورة النساء – الآية ٧٧ .

(١)، ﴿وَاعْلَمُواْ أَنّ اللّهَ مَعَ الْمُتّقِينَ﴾ (٢)،﴿ وَإِنّ اللّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣) ،﴿إِنّ اللّهَ مَعَ الصّابِرِينَ﴾ (٤) .

في الأول قيل لهم : " كُفّوَاْ أَيْدِيَكُمْ " .. وفي الأخير قيل لهم : ﴿ يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُواْ جَمِيعاً ﴾ (٥).وقال لهم : ﴿ أُذِنَ لِلّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنّ اللّهَ عَلَىَ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٦)(٧).

قصة ابن الملك ذو الأذن الواحدة

حينما يجتمع الناس على شيء رغم خطأه يظنون أنه الأصوب ، رغم أن هذه قاعدة لا يمكن تعميمها فقد نشأ الإسلام في بدايته غريبًا قليلًا، ورغم انتشار الكفر حينها وإجماع الناس عليه لم يكن هو الأصوب.

يُحكى أن زوجة أحد الملوك تأخرت في الإنجاب فأرسل الملك إلى كافة أطباء المملكة لينظروا في أمرها، وشاء الله أن يتم شفاؤها على أيديهم حيث حملت الملكة ، ومرت الأيام تلو الأيام والملك يستعد لقدوم ولي العهد حتى جاء اليوم التي وضعت به الملكة وليدها.

---

١) سورة الأنفال – الآية: ١٩.
٢) سورة البقرة – الآية: ١٩٤.
٣) سورة العنكبوت – الآية: ٦٩.
٤) سورة البقرة – الآية: ١٥٣.
٥) سورة النساء الآية ٧١ .
٦) سورة الحج _ الآية ٣٩ .
٧) كتاب الفهم العميق .

ولكن للأسف لم تكتمل فرحة الملك والملكة بوضع المولود ، فقد كان الأمير الصغير بأذن واحدة فقط ، انزعج الملك كثيرًا عندما رأى الأمير وخشي أن تنشأ لديه عقدة نفسية حينما يكبر ويجد نفسه مختلفا عن الآخرين ، فيحول هذا الأمر بينه وبين كرسي العرش.

لذا جمع كل مستشارين المملكة وعرض عليهم الأمر، فقال له أحدهم: الأمر بسيط يا مولاي اقطع أذن كل مولود يولد وبذلك سيتشابه المواليد الجدد مع مولاي الأمير الصغير، أعجب الملك كثيرًا بفكرة مستشاره الفطن، وأمر بقطع أذن كل المواليد ومن يومها صارت تلك هي عادة البلاد.

فكلما ولد مولود قطعوا له أذنه حتى مضت السنوات وأصبح المجتمع كله بأذن واحدة، وفي يوم من الأيام وفد إلى المملكة شابٌ طبيعي له أذنان كباقي البشر، حينما رآه الناس في المملكة تعجبوا من خلقته وجعلوه محط سخرية الجميع ، وكانوا دائما يستهزئون به وينادونه بذي الأذنين وكأنها سبة.

ظلوا يفعلون معه هكذا حتى ضاق بهم ذرعًا وقرر مجاراتهم فيما هم فيه، وقطع أذنه بيديه كي يصير واحدًا منهم وينجو من سخريتهم المستمرة ، فعل الشاب هذا رغم علمه أن خلقته هي الأصل وخلقتهم هي المسخ الذي فعلوه بأنفسهم ، فهم لم يتوقفوا دقيقة واحدة للتفكير في سبب قطع أذانهم ، وأنه طالما خلقها الله في رؤوسهم فهي ليست زائدة، بل لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى .

ولكنها إعاقة المجتمع التي تحدث في كل زمان ومكان وتحتاج العمل وإعمال الفكر كي تنتهي ، فقد حدثت في مجتمع سيدنا إبراهيم الذي كان معاقًا بالشرك

، ومجتمع سيدنا لوط الذي كان معاقًا بالشذوذ ومجتمع سيدنا شعيب الذي كان معاقًا بتطفيف الكيل والميزان والغش.

فالخطأ يبقى خطأ حتى لو أجمع الناس على فعله، والصواب هو الصواب حتى ولو لم يقم أحد بفعله ، وهناك قاعدة فقهية تقول: (إجماع الناس على شيء لا يحله) ، فإذا كنت على يقين بصواب ما تفعل لا تتنازل عنه مهما حدث ولا تغيره من أجل أحد ، ففي الحديث:" مَنْ أَحْيَا سُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي فَلَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ ".

مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ الَّذِي يَقُومُ بِإِحْيَاءِ شَرِيعَةِ الرَّسُولِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَفْسُدُ فِيهِ الأُمَّةُ يَكُونُ لَهُ ثَوَابُ الشَّهِيدِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ.

لا تقطع أُذنك! إذا كنت على يقينٍ أنك على صوابٍ فلا تتنازل عنه لإرضائهم إذا كانوا لا يخجلون بخطئهم، فلمَ تخجل أنت بصوابك؟ وتذكَّر دومًا أن (أكثر الناس) ما جاءت في كتاب اللهِ إلا وتبعها: {لَا يَعْلَمُونَ}، {لَا يَتَّقُونَ}، {لَا يَعْقِلُونَ}، {لَا يُؤْمِنُونَ }.

كن كقطعة السُكَّر

وضعتُ السُّكَّر في الشاي ونسيت أن أحرِّكه، ورشفت رشفةً، فكان طعمه مُراً، ولكن مرارة الشاي لا تعني عدم وجود السُّكَّر فيه! لأنك بمجرَّد تحريكك الشاي ستظهر حلاوته، فالسُّكَّر موجود ولكنه يحتاج إلى من يحرِّكه .

كذلك الخير والحب موجود في نفوس أغلب الناس ولكنه يحتاج إلى من يحرِّكه.!

حرِّكوا الخير والحب في نفوسكم ونفوس من تحبون ستشعرون بحلاوة طعم حياتكم، وتكتشفون الخير في شخصياتهم.!

ما أنبل قطعة السُّكَّر.! أعطت الشاي ما لديها، ثم اختفت!. وهكذا أهل المعروف .!

كُن كقطعة السُّكَّر حتى وإن اختفتْ تركت أثراً جميلاً.!

اللين كله خير

جعل الله سبحانه وتعالى في فم كل إنسان اثنين وثلاثون سنًا قويًا متشددًا متعنتًا تقوم بطحن كل ما يلق إليها، ومقابل هذا وضع الباري جل شأنه لسانا واحداً لينا.

مع مرور السنين تبدأ هذه الأسنان الشديدة بالتساقط الواحد تلو الآخر .. ولكن يبقى ذلك اللسان صامدا ضد موجة العمر التي هجمت على ما في فكيه..فواحد لين مقابل اثنين وثلاثون متشددا.. وصدق رسول الله ﷺ:" مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلا زَانَهُ، وَلا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلا شَانَهُ " (١).

---

(١) الحديث :أخرجه مسلم في صحيحه، من حديث شعبة عن المقدام بن شريح بن هانئ عن أبيه عن عائشة مرفوعاً بهذا، ومن وجه آخر، عن شعبة بزيادة: ركبت عائشة بعيراً، فكانت فيه صعوبة، فجعلت تردده، فقال لها رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: " عليك بالرفق ..... " ثم ذكر مثله.

وأخرجه البخاري في الأدب المفرد من حديث شعبة بلفظ: كنت على بعير فيه صعوبة، فقال النبي صلى اللَّه عليه وسلم: " عليك بالرفق، فإنه لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه ".

ما أكثر أطباء الأسنان فهل سمعت بطبيب لسان ؟!.

المرأة والملك والمسجد

يحكي أن أحد الملوك أراد أن يبني مسجدا ويسميه باسمه، ليخلد اسمه ، فأمر بلوح من رخام وكتب عليه اسمه، ثم بدأ في البناء ومنع قبول النفقة والمال والمساعدة من الناس ، فما أن تم البناء، فنام ذات ليلة من الليالي ، فإذا به يرى ملكا من السماء ينزل ويمحو اسمه من علي اللوح ويكتب اسم امرأة ، فاستيقظ مفزوعا وقص علي من حوله الرؤيا ، فقالوا: إنما هي أضغاث أحلام قال : بل اذهبوا وانظروا إلى اللوح ، فذهبوا ثم رجعوا . وقالوا: وجدنا اسمك مكتوبا كما هو .. ثم في الليلة الثانية رأى نفس الرؤيا، وفعل مثل ما فعل في الليلة الأولى، وفي الليلة الثالثة رأى نفس الرؤيا ، وقد حفظ اسم المرأة ، فقال لمن حوله من الخاصة اذهبوا واسألوا عن اسم هذا المرأة ثم ائتوني بها، فذهبوا وبحثوا عنها ثم أتوا بها، فسألها: هل ساهمت بشيء في بناء هذا المسجد، قالت: لا. قال: تذكري. فقالت: والله ! ما ساهمت بشيء إلا أنني مررت بهذا المسجد وهو يبنى فرأيت الدابة التي يحمل عليها اللبن لهذا المسجد مربوطة وبالقرب منها الماء وهي تنظر إليه، فقربت إليها الماء فشربت فقال: أنت فعلت هذا الفعل لله وأنا بنيت المسجد لغير الله (حتى يخلد اسمي) وأمر أن يُمحي اسمه من علي المسجد ثم يكتب اسمها.

اللهم وفقنا للإخلاص في القول والعمل.

كما تدين تدان

كان بمدينة بخارى رجل سقاء يحمل الماء الى دار رجل صائغ مدة ثلاثين سنة وكان لذلك الصائغ زوجة في نهاية الحسن والجمال والظرف والكمال معروفة بالديانة موصوفة بالستر والصيانة.

فجاء السقاء على عادته يوماً وقلب الماء في جرة الماء وكانت المرأة قائلة في وسط الدار فدنا منها وأخذ بيدها ولواها وفركها وعصرها ثم مضى وتركها.

فلما جاء زوجها من السوق قالت له: أريد أن تعرفني أي شيء صنعت اليوم في السوق لم يكن لله تعالى فيه رضا، فقال الرجل: ما صنعت شيئا، فقالت المرأة: إن لم تصدقني وتعرفني فلا أقعد في بيتك ولا تعود تراني ولا أراك، فقال: اعلمي أن في يومنا هذا أتت امرأة إلى دكاني فصنعت لها سواراً من ذهب فأخرجت المرأة يدها ووضعت السوار في ساعدها فحيرت من بياض يدها وحسن زندها ، فأخذت يدها فعصرتها ولويتها، فقالت المرأة: الله أكبر! لم فعلت مثل هذا الحال لا جرم أن ذلك الرجل الذي كان يدخل البيت منذ ثلاثين سنة ولم نر منه خيانة أخذ اليوم يدي فعصرها ولواها، فقال الرجل: الأمان أيتها المرأة مما بدا مني فاجعليني في حل، فقالت المرأة: الله المسئول أن يجعل عاقبة أمرنا الى خير، فلما كان من الغد جاء الرجل السقاء، فقال: اجعليني في حل فإن الشيطان

أضلني وأغواني، فقالت المرأة: امض في حال سبيلك فإن ذلك الخطأ لم يكن منك وانما كان من ذلك الشخص صاحب الدكان فاقتص الله منه في الدنيا(١).

لا تنسي الأساس

يحكى أن امرأة فقيرة كانت تحمل ابنها مرت في طريقها بالقرب من كهف فسمعت صوتا آتيا من أغوار الكهف يقول لها: ادخلي وخذي كل ما ترغبين ولكن لا تنسي الأساس والجوهر فبعد خروجك من الكهف سيغلق الباب إلى الأبد.. انتهزي الفرصة ولكن خذي حذرك من عدم نسيان ما هو الأساس والأهم لك ! وما إن دخلت المرأة حتى بهرتها ألوان الجواهر ولمعان الذهب .. فوضعت ابنها جانبا وبدأت تلتقط الذهب والجواهر وراحت تملأ جيوبها وصدرها بالذهب وهى مذهولة.. راحت تحلم بالمستقبل اللامع الذي ينتظرها .. وعاد الصوت ينبهها أنه باقي لك ثمان ثواني.. لا تنسي الأساس .

وما أن سمعت أن الثواني على وشك أن تمضي ويغلق الباب.. فانطلقت بأقصى سرعة إلى خارج الكهف وبينما جلست تتأمل ما حصلت عليه.. تذكرت أنها نسيت ابنها داخل الكهف وأن باب الكهف سيبقى مغلقا إلى الأبد وأحزانها لن تمحوها ما حصلت عليه من الجواهر والذهب .

هكذا الدنيا خذ منها ما تريد ولكن لا تنسَ الأساس وهو "صالح الأعمال" فلا ندري متى يغلق الباب ولا نستطيع العودة للتصحيح .

---

١) التبر المسبوك في نصيحة الملوك .

طلب الشيء في غير محله

زعموا أن رجلا ضاعت مفاتيح سيارته داخل شقته - وهو يعلم ذلك جيدا - ، لكنه خرج يبحث عنها خارج البيت في كل مكان .

وهذا المثل يضرب: لمن طلب السعادة والحياة الطيبة في غير محلها، كمن يطلب السعادة والحياة الطيبة في المال، والله جعلها في طاعته:(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (١).

ويضرب لمن يطلب العزة في الجاه والمنصب والشهادة، ونسي أن العزة في الإيمان وطاعة الله تعالى، قال تعالى:(وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ) (٢)

ويضرب لبيان حال الأمة اليوم حينما تطلب حلول النهضة، من غير طريق الله تعالى ولا سنة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم.

وفي الحديث القدسي:"أنا العزيز، من أراد عِزَّ الدارين؛ فليطع العزيز"(٣).

قال بعضهم: من أَراد عزاً بلا سلطان، وكثرة بلا عشيرة، وغنى بلا مال، فلينتقل من ذل المعصية إلى عز الطاعة(١).

---

(١) سورة النحل _ الآية ٩٧ .

(٢) سورة المنافقون _ الآية ٨ .

(٣) الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية للمناوي.

(١) طريق الهجرتين لابن القيم ص١٠٩.

وقال ابن أبي لبابة: (من طلب عِزًّا بباطل، أورثه الله ذُلًّا بحقٍّ) (١).

وقال بعض السَّلف: (النَّاس يطلبون العِزَّ بأبواب الملوك، ولا يجدونه إلَّا في طاعة الله) (٢) .

وكان من دعاء بعض السَّلف: (اللهمَّ أعِزَّني بطاعتك، ولا تذلَّني بمعصيتك) (٣) .

من طلب الأعلى أخذ معه الأدنى

من دخل إلى محل كباب (حاتي) فطلب طبق سلطة، طبعا يستحيل أن يمنح عليها طبق كباب، وأما من دخل فطلب الكباب، كم من أطباق السلطة تأتيته مجانا قبل الكباب، بل وبغير طلب أصلا .

يضرب في أن من أراد الآخرة فإن الدنيا تأتيه من الله تعالى، وهذا تصديق لقوله تعالى:{ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }(١).

---

(١) ربيع الأبرار للزمخشري.

(٢) إغاثة اللهفان لابن القيم.

(٣) الجواب الكافي لابن القيم.

(١) سورة النحل _ الآية ٩٧.

الأميرة والخادمة

مثل الدنيا والآخرة كمثل الأميرة والخادمة، فمن طلب الأميرة أُعطي الأميرة والخادمة، ومن طلب الخادمة حرم الأميرة، ففي الحديث: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ، كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ الدِّينَ، فَقَدْ أَحَبَّهُ،..إلخ» (١).

وقالوا: أن شخصا ما خطب الأميرة، فأعطاه الملك الخادمة لتساعده لإصلاح شأنه في مسكنه ثم بعد ذلك يزوجه الملك الأميرة ويعطيه كذلك الخادمة، ولكن هذا الشخص أُعجب بالخادمة فتزوجها، فهل ترون يعطيه الملك الأميرة، بالطبع لا، بل يحرمه من الأميرة ويعاقبه ويسلب منه الخادمة.

مثل الداعية كمثل المروحة

مروحة السقف إذا توقفت عن الحركة يلتصق بها الغبار ويبني عليها العنكبوت ويحط عليها الذباب والحشرات، فلا هي حمت نفسها ولا نفعت الآخرين.

بينما لو تحركت فإنها تحمي نفسها وتنفع الآخرين.

---

(١) رواه أحمد(٣٤٩٠) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢٧١٤ .

لكن المروحة تحتاج لكهرباء تمدها بالطاقة لتستطيع مواصلة الحركة وحماية نفسها من الخراب .

كذلك الداعية يحتاج للعلم والحكمة ليستطيع مواصلة الدعوة وحماية نفسه من آفات الطريق .

جاءنا الدين كبيضة مقشرة

أيهما أحب وأعظم؟! مالٌ وَرِثْتَهُ وجاءكَ بدون بذل مجهودٍ عليه لتحصيله، أم مالٌ اكتسبتهُ وجاءكَ بتعبٍ وبذل مجهودٍ عليه لتحصيله !؟.

هكذا الدين.. يقولون: جاءنا الدين كبيضة مقشرة.

أي جاءكَ بالوراثة وما تعبت وضحيت من أجله .. وإذا نقصَ منه شيء .. لا تستطيع أن تقول: أينقصُ الدين وأنا حي .. ؟.

وهكذا لا تتحمل نقصان الدنيا لأنك أتعبت نفسك وضحيت من أجل تحصيلها .. فإذا دخلتَ ووجدتَ ثلاجةُ بيتك خاوية أو بها نقصان تصرخ قائلاً : أتنقص المأكولات من الثلاجة وأنا حي ؟.

أما من بذل وضحي بالجهد والوقت والمال الحلال وتركَ حظوظ النفس والأهل، من أجل دين الله الكبير المتعال .. إذا وجدَ نقصاً في دينه لا يقر له قرار ولا يهدأ له بال .. ويصرخُ من أعماق قلبهِ ناسباً التقصير إلي نفسه، قائلاً: أينقصُ الدين وأنا حي ؟.

أحبتي الكرام! سؤال لا بد لكل إنسان منا أن يسأله لنفسه: أي الرجلين أنا ؟.

من صفات الداعي

الداعي الحقيقي هو الذي لا يبتغي بدعوته إلا وجه الله، فلا يريد منصبا ولا رئاسة ولا وجاهة عند الخلق، كل همه كيف يرضي ربه، ويكون داعيا عند الله.

ليسأل كل منا نفسه، هل أنا داعي عند الله؟ أنا في الدعوة، لكن هل الدعوة فيَّ ؟ ربما أكون داعيا إلى الله أمام الناس، ولست داعيا عند الله.

السمك الميت هو الذي يطفو علي وجه الماء ويراه الجميع، الإناء الخاوي هو الذي يسمع صوته، حبة الفول لا تنبت إلا بعد أن تغيب في التراب، ولا يظهر لها أثر فوق الأرض، والمسمار لا يؤدي وظيفته إلا بعد أن يغيب تماما ولا يظهر له أثر.

الدعوة ليست بكثره المنشورات أو البيانات أو الصور، ولكن الدعوة بقوه الصفات، كم عندنا من الصفات ؟ تقاس قوة الدعوة في حياة الداعي بقوة تضحياته للدين، المحك عند الله، ليسأل كل منا نفسه، هل أنا داعي عند الله؟ أم داعي عند الناس؟ هل أنا وجيه عند الله أم عند الناس؟(وكان عند الله وجيها).

فكن من الأتقياء الأخفياء، فبعد انتهاء معركة نهاوند بقيادة النعمان بن مقرن، فلَمَّا أُخْبِرَ عُمَرَ بِمَقْتَلِ النُّعْمَانِ بَكَى؛ وَسَأَلَ السَّائِبَ عَمَّنْ قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: فُلَانٌ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ. لِأَعْيَانِ النَّاسِ وَأَشْرَافِهِمْ. ثُمَّ قَالَ: وَآخَرُونَ مِنْ أَفْنَادِ النَّاسِ مِمَّنْ لَا يَعْرِفُهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَجَعَلَ عُمَرُ يَبْكِي وَيَقُولُ: وَمَا ضَرَّهُمْ أَنْ لَا

يَعْرِفَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ! لَكِنَّ اللهَّ يَعْرِفُهُمْ وَقَدْ أَكْرَمَهُمْ بِالشَّهَادَةِ، وَمَا يَصْنَعُونَ بِمَعْرِفَةِ عُمَرَ (١).

الرخيص

ذكروا أن أحد الأعراب كان لديه دجاجة وجمل، وذات يوم مرضت الدجاجة، فزعم له الأطباء أنها تحتاج أن تأكل بعض الدم الجاف، فماذا فعل هذا الأعرابي المسكين؟ ذبح لها الجمل، فذلك مثل من يضحي بالآخرة لأجل الدنيا.

يضرب لمن ضحى بالعظيم لأجل ما هو خسيس، فخسر الدنيا والآخرة .

الدنيا والآخرة

من جعل الآخرة أمام عينيه، كان كمن استقبل الشمس بوجهه، فيكون ظل دنياه خلفه ولن يعوقه عن شيء ، وأما من جعل الشمس وراءه ، فإن ظل دنياه يكون أمامه، فهو يجرى وراءه ليحصله، ولن يدركه أبدا .

انظر للأمام ولا تلتفت

السائق عندما يقود السيارة ينظر أمامه ولا ينظر خلفه ويداه على التارة، ورجليه على البنزين والفرامل، ولكن عينيه تنظر للأمام وفقط يأخذ لمحة من المرايا التي على اليمين، وتارة من المرايا التي على اليسار.

وإن لم يفعل ذلك تأتي أمامه المطبات(العقبات) فربما يدعم سيارة أخرى أو تنقلب سيارة فتأتي الخسائر إما في السيارة أو في الأرواح.

---

(١)البداية والنهاية » ثم دخلت سنة إحدى وعشرين » وقعة نهاوند.

فنكون في هذه الدنيا مثل السائق الناصح نعمل في دنيانا وأعيننا على أخرانا، وإلا ستأتي أمامنا المطبات، فَبَيْنَ الْعَبْدِ وَالْجَنَّةِ سَبْعُ عَقَبَاتٍ أَهْوَنُهَا الْمَوْتُ وَأَصْعَبُهَا الْوُقُوفُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى إِذَا تَعَلَّقَ الْمَظْلُومُونَ بِالظَّالِمِينَ .

قبر ، حشر ، بعث ، ميزان ، تطاير صحف، حوض، صراط، ثم جنة أو نار.

وقالوا: جاءت الورقة من المحكمة على يد محضر، فأخذها الرجل وكان أميا، ولكن تفكر ماذا أفعل، فذهب إلى المحامي وأعطاه الورقة، فنظر فيها وقال له: أحضر لي مستندات كذا وكذا، ثم تأتي للمحكمة بالشهود في اليوم الفلاني وأنا سأدافع عنك.. فمع أن هذا الرجل كان أميا إلا أنه أخذ التدابير وتشاور ماذا يفعل، فهكذا نأخذ تدابيرنا ومستنداتنا وشهودنا قبل أن نذهب ونقف بين يدي ربنا جل وعلا.

الطالب والامتحان

يوم الامتحان، دخل الطلاب إلى الفصل، ووضع المشرف أمام كل طالب ورقة الأسئلة والورقة التي يجيب عليها، فقام الطلاب النابهين بالنظر في ورقة الأسئلة وانشغلوا بالإجابة، ولكن كان هناك في وسط هؤلاء الطلاب النابهين طالب فاشل نظر في ورقة الأسئلة فوجدها سهلة ميسورة، ونظر في الوقت فظن أنه طويل، فطلب من المراقب أن يسمح له ببعض السندوتشات ليأكل؛ لأنه لم يتناول وجبة الفطور ، فأذن له المراقب، ثم طلب منه المراقب الحل ، فقال له أنه لابد أن يشرب (يحبس) بكوب من الشاي، فجاء له بالشاي، فجعل يحتسيه –

بمزاج – ثم طلب منه المراقب أن يحل، فتعلل بأنه لم يأكل الحلوى بعد (يحلي)، فطلب له بعض الحلوى، فجعل يأكلها مستلذا لطعمها ، فطلب منه المراقب الحل، فقال نعم ، سوف أحل، فلما تناول القلم ليبدأ، نزع منه المراقب الورقة قائلا: معذرة وقتك انتهى! فلما رجع إلى بيته سأله الوالد: كيف أحوال الامتحان واللجنة اليوم، فقال: الأحوال طيبة جداً، طلبت من المراقب أن يحضر السندوتشات، فأحضرها وأكلت، وماذا، وطلبته منه يحضر الشاي فأحضره وشربت الشاي، ثم ماذا؟ وطلبت أن يحضر لي الحلوى فأحضر وأكلت، كل الوقت في الطعام؟ فماذا فعلت في الامتحان؟ قد مضى الوقت ولم أجد الفرصة للإجابة!!! فذلك مثل من انشغل بالمباح(الدنيا) عما خلق له من عبادة الله وطاعته (للحصول على الآخرة)، فما بالك بمن انشغل بالحرام.

فالزوجة حلال والأولاد حلال والعمل حلال، ولكن إذا شغلوا الإنسان عن المقصد ، يكون العقاب من الله تعالى، قال الله تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }(١).

وفي الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلَالًا اسْتِعْفَافًا عَنِ الْمَسْأَلَةِ وَتَعَطُّفًا عَلَى جَارِهِ وَسَعْيًا عَلَى عِيَالِهِ

(١) سورة المنافقون _ الآية ٩.

جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَوَجْهُهُ مِثْلُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلَالًا مُفَاخِرًا مُكَاثِرًا مُرَائِيًا لَقِيَ اللهَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ "(١).

المال والمنصب والجاه والدين

سافرت عائلة معاً في رحلة، وفي الطريق قابلوا شخصاً واقفا في الطريق، فسأله الأب: من أنت ؟قال: أنا المال، فسأل الرجل زوجته وأولاده: هل ندعه يركب معنا ؟ فقالوا جميعاً: نعم بالطبع فبالمال يمكننا أن نفعل أي شيء وأن نمتلك أي شيء نريده. فقال: هيا اركب، فركب معهم المال.

وسارت السيارة حتى قابل شخصا آخر، فسأله الأب: من أنت ؟فقال: أنا السلطة و المنصب، فسأل الأب زوجته وأولاده: هل ندعه يركب معنا؟ فأجابوا جميعا بصوت واحد: نعم بالطبع فبالسلطة والمنصب نستطيع أن نفعل أي شيء، وأن نمتلك أي شيء نريده، فقال: هيا اركب معنا، فركب معهم السلطة والمنصب.

وسارت السيارة تكمل رحلتها، وهكذا قابل أشخاص كثيرين بكل شهوات وملذات ومتع الدنيا، حتى قابلوا شخصاً فسأله الأب: من أنت ؟قال:

---

(١)اخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣١٥٨/١٦ برقم ٢١٧٤٩) وعبد بن حميد في مسنده (١١٩/١ برقم ١٤٣٧) والحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٩١٠/٢٨ برقم ٣٣٥٨) وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء (٢٣٩/٠ برقم ٣٥١٢ و ٤٢٦/٠ برقم ١٢٢١٨) ابن أبي الدنيا بَابُ النَّفَقَةِ عَلَى الْعِيَالِ وَالثَّوَابِ عَلَى النَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ حديث رقم ٣٠.

أنا الدين. فقال الأب والزوجة والأولاد في صوت واحد : ليس هذا وقته، نحن نريد الدنيا ومتاعها، والدين سيحرمنا منها وسيقيدنا وسنتعب في الالتزام بتعاليمه، حلال وحرام وصلاة وحجاب وصيام و ..... و ..... و ..... وسيشق ذلك علينا، ولكن من الممكن أن نرجع إليك بعد أن نستمتع بالدنيا وما فيها ، فتركوه وسارت السيارة تكمل رحلتها.

وفجأة !!! وجدوا على الطريق نقطة تفتيش، وكلمة قف !! ووجدوا رجلاً يشير للأب أن ينزل ويترك السيارة.

فسأله الاب: من أنت ؟ قال الرجل: أنا الموت الذى كنت غافلا عنه ولم تعمل حسابه فنظر الأب للسيارة، فوجد زوجته تقود السيارة بدلاً منه وبدأت السيارة تتحرك لتكمل رحلتها وفيها الأولاد والمال والسلطة، ولم ينزل معه أحد.

فقال الموت للأب: انتهت الرحلة بالنسبة لك، وتذهب معي، فصدم الأب وذهل ولم ينطق بكلمة.

فقال له الموت: أنا أفتش عن الدين فهل الدين معك؟ فقال الأب: لا، لقد تركته على بعد مسافة قليلة، فدعني أرجع وآتي به، فقال له الموت: لن تستطيع فعل هذا فالرحلة انتهت والرجوع مستحيل، فقال الأب: ولكن معي في السيارة المال والسلطة والمنصب والزوجة والأولاد و..... و ..... و .....

فقال له الموت: لن يغنوا عنك من الله شيئا ، وستترك كل هذا وما كان لينفعك إلا الدين الذى تركته في الطريق.

قال تعالى:{ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ}(١).

وقال تعالى:{ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}(٢).

.. يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك ..

الإنسان في الدنيا مثل السفينة في البحر

الإنسان في الدنيا كمثل السفينة في البحر تسير فوق الماء، ولكن إذا دخل الماء في داخلها تغرق.

فالدنيا في اليد ماشي لا تضر، في الجيب ماشي لا تضر، أما إذا دخلت القلب، تفسده.

الِاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ

قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ " السُّنَّةُ مِثْلُ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَكَ "(١).

---

(١) سورة المنافقون _ الآية ١٠.

(٢) سورة المؤمنون _ الآيتان ٩٩ ، ١٠٠.

ما فرطنا في الكتاب من شيء

في إحدى المحاضرات التي تضم العدد الكبير والكبير من الطلاب كان الدكتور يتحدث عن القران الكريم وما يحمله من فصاحة ودقة عجيبة لدرجة أنه لو استبدلنا كلمة مكان كلمه لتغير المعنى وكان يضرب أمثله لذلك.

فقام أحد الطلاب العلمانيين وقال: أنا لا أؤمن بذلك فهنالك كلمات بالقرآن تدل على ركاكته والدليل هذه الآية: (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ)(٢)، لم قال رجل ولم يقل بشر؟! فجميع البشر لا يملكون إلا قلبا واحدا بجوفهم سواء كانوا رجالا أو نساء؟.

في هذه اللحظة حل بالقاعة صمت رهيب.. والأنظار تتجه نحو الدكتور منتظرة إجابة مقنعة، فعلا كلام الطالب صحيح لا يوجد بجوفنا إلا قلب واحد سواء كنا نساء أو رجالا فلم قال الله رجل..؟!؟.

أطرق الدكتور برأسه يفكر بهذا السؤال وهو يعلم أنه اذا لم يرد على الطالب سيسبب فتنة بين الطلاب قد تؤدي إلى تغيير معتقداتهم .. فكر وفكر ووجد الإجابة التي تحمل إعجاز علمي باهر من المستحيل التوصل إليه إلا بالتأمل والتفكير العميق بآيات الله .

---

(١)مجموع الفتاوي لابن تيمية.

(٢) سورة الأحزاب – الآية ٤ .

قال الدكتور للطالب: نعم الرجل هو الوحيد الذي من المستحيل أن يحمل قلبين في جوفه ولكن المرأة قد تحمل قلبين بجوفها اذا حملت فيصبح بجوفها قلبها وقلب الطفل الذي بداخلها، انظروا الى معجزة الله بالأرض كتاب الله معجزة بكل آية فيه بكل كلمة، فالله لا يضع كلمة في أية إلا لحكمة ربانية ولو استبدلت كلمه مكان كلمه لاختلت الآية(١).

الصعود بدون المفتاح

زعموا أن رجلين من الأقاليم نزلوا إلى العاصمة للبحث عن عمل ، ولأجل أنهما فقيران فقد بحثا عن مكان رخيص يؤويهما في هذه المدة ، فلم يجدوا إلا غرفة ضيقة في برج مكون من ستين طابقا ، فقبلوا ذلك مرغمين ، لكن قال أحدهما لصاحبه، لا تحمل هم التعب في الصعود فعندي فكرة رائعة تجعلنا ننسى التعب في الصعود، قال له صاحبه: وما هي ؟ قال: نقسم الستين على ثلاثة ، عشرين عشرين ، قال صحابه : ثم ماذا؟ ، قال: في أول عشرين تحكي لي نكته (طرفة مضحكة) وأحكي لك نكته، وهكذا حتى ينتهي العشرون طابقا، قال له صاحبة: وماذا عن ثاني عشرين؟ قال: أحكي لك قصة طويلة، أنسيك بها العشرين الثانية، قال له صاحبه: وماذا عن العشرين الأخيرة ؟ قال: تحكي لي قصة درامية مبكية سيئة جدا، حتى إذا وصلنا إلى الغرفة نلقي بأنفسنا على السرير فلا نشعر بشيء حتى الصباح ، وبالفعل وافقا ، ثم شرعا في العمل ،

---

(١) كتاب مشكاة الأحباب للمؤلف.

وفي أول عشرين قالوا النكت، وفي ثاني عشرين أخبره بالقصة الطويلة، وفي العشرين الأخيرة، ذكر له تلك القصة المأسوية الدرامية المبكية، حتى إذا وصلا لباب الغرفة قال له صاحبه: افتح نريد أن ننام، فرد عليه الأول بنبرة شديدة الأسى والحزن قائلا : " هل أنبئك بما يزيدك بكاءً ؟ " قال له: " وما هو ؟ " قال : لقد نسيت المفتاح تحت !.

وتفسير ذلك المثال : الطوابق الستون هي عمر الإنسان " إعمار أمتي ما بين الستين والسبعين " ، وأما العشرون الأولى ، فهي سن الشباب والمرح والنكت ، وأما العشرون الثانية فسن الانشغال بقصة العمل والزواج والأولاد وهي قصة طويلة، ثم العشرون الأخيرة فهي سن الأمراض والآلام والأوجاع قصة مؤسفة حقا ، وأما المفتاح فهو مفتاح " لا إله إلا الله " وللأسف قد انشغل بهذه الأمور ونسي أن يحمله معه في صعوده !.

الإنسان والعمارة الشاهقة

قالوا: الإنسان لو وقف تحت العمارة الشاهقة لهاله ارتفاعها وظن أنها ستقع فوقه، ولكن لو بعد عنها ونظر إليها لوجدها صغيرة.

فهكذا الدنيا ونحن فيها نشعر كأنها كبيرة وتعظم فيها مشاكلها وأحوالها، أما إذا تركناها ولو لوقت قليل وخرجنا في سبيل الله وعشنا في بيئة الإيمان والأعمال، لصغرت الدنيا وأحوالها ومشاكلها.. وعظم في أعيننا الآخرة والقيامة وأحوالها.

فحبة السمسمة إذا قربتها من عينك تحجب عنك الجبل الكبير، ولكن إذا باعدتها لا تكاد لا تراها.

فالدنيا والانشغال بها تكاد تحجب عنا الآخرة وعظمتها والجنة ونعيمها.

التمسك بأصول الدعوة

العنب رزق حلال، ولكن إذا تغير ترتيب معاملته فيصبح منه الخمر، فهكذا هذا عمل الدعوة عمل عظيم، والإنسان لا يدري على أي مقامات الهداية يموت، ومع ذلك إذا هذا العمل ما يراعي فيه صفات القبول، وما يراعي فيه الترتيب الصحيح، قد يأتي في قلب الإنسان بالغرور والكبر، وبهذا يأتي التفرق في الأمة.. فهذا العمل يمشي بالعاطفة الصادقة من القلب.

وكما أن الأساس ثابت لا يتغير ولا يتبدل، وإلا تحدث كارثة.. ولكن يجوز التبديل والتغيير في الأدوار وفي النوافذ وفي الأبواب والحوائط.. كذلك فقه الدعوة (أصول الدعوة) هي الأساس (١)، فلا يجوز أن نغيرها أو نبدلها، ولكن من فقه الدعوة أن هذا مناسب الآن، وهذا غير مناسب مع وجود الأصل، فمثلا الجهاد كما تعلمون(جهاد النفس..جهاد الهوى..جهاد الشيطان.. جهاد أهل البدع والفساق.. جهاد الكفار) وكل نوع من هذه الأنواع له أصل في القرآن(١).

---

(١) الأنوار النعمانية في الدعوة الربانية ٦١/١.

(١) التاج الجامع للأصول بقلم المؤلف.

العمل الجماعي

قال تعالى:﴿ وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾(١)، ولم يقل أنا مسلم(٢)، لا يرى أن لنفسه فضلا على أحد، بل هو من جماعة المسلمين.

الله يريد منا أن نكون أمة ضمن جماعة المسلمين، فأنا مسلم بالمسلمين.. فالعضو خارج الجسد لا قيمة له.. وقيمته في الجسد تتجسد في قيمة الجسد كله.

الجماعة أولاً.. الجماعة أخيراً.. مهما يكن لديك من الفصاحة والبيان.. لا تستطيع السير بمفردك مهما كان ذكاؤك أو عبقريتك.

انظر إلى إبليس عليه لعنة الله_ إلى يوم الدين (٣) _ ترك السجود مع جماعة الملائكة.. كانت النتيجة الطرد من رحمة الله ﷻ.

السيارة مفككة.. قطع غيار لا فائدة فيها.. يؤدى وجودها إلى أزمة في المواصلات.. إلا عند تمام تجميع الأجزاء.. تصبح أداة نافعة تساعد في حل الأزمة.. وكذلك أمة الإسلام عندما تتفكك وعندما تتحد!.

---

(١) سورة فصلت – الآية ٣٣ .

(٢) من روائع الأدلة على حتمية العمل الجماعي خاصة في الدعوة إلى الله رداً على من يزعم أن العمل الجماعي حزبية .

(٣) ولذا يكره إبليس العمل الجماعي، فقد ذكر الإمام الغزالي (رحمه الله) في الإحياء: قيل لإبليس: ما الذي غير لونك؟ قال: تعاون الجماعة علي الطاعة، ولو تعاونوا علي المعصية كان أحب إليَّ.

يُحاسب الناس يوم القيامة فرادي، ولكن العمل في الـدنيا جمـاعي، قـال تعالى: (إِيّاكَ نَعْبُدُ وإِيّاكَ نَسْتَعِينُ) (١).

ألاعيب أهل الباطل

ذهب رجل إلى السوق واشترى معزى(أنثى الجدي) واجتمع ثلاثة من اللصوص أن يأخذوها منه، ولكن طريق السوق مليء بالناس، فلو أخذوها عنوة لصاح بالناس فخلصوها منهم، وقد يصيبهم الضرر وينكشف حالهم، فاتفقوا أن يقفوا على طريقه وكل واحد منهم، يبعد عن الآخر مئة متر، فعندما مر على الأول قال له: انت ساحب أيه يا عم الحاج ، قال: معزى، قال يا شيخ حرام عليك، لماذا ؟ قال: أنت ساحب كلب، وهكذا مر بالثاني فقال له: مثل الأول، ولما مر بالثالث وقال له مثل الأول والثاني : فقال له: تأخذه وتريحني منه.

فهكذا أهل الباطل يكررون علينا الباطل مرة بعد مرة حتى يستقر في آذاننا، ويصبح الحق باطلاً.

---

(١) سورة الفاتحة – الآية ٥.

السابح والشاطئ

قالوا: لو أن سابحا يسبح في البحر ووصل نصف البحر ولم ير الشاطئ الآخر، فماذا يفكر؟

أولا: إما يأتيه الإحباط فيفكر في العودة، وإما يغرق ويهلك.

فهكذا الإنسان إذا اجتهد ولم ير نتيجة جهده بعين الإيمان واليقين، والدنيا ظل الآخرة، نري فيها منافع الدين(فبالصلاة تقضى حوائجنا، وبالصدقة نماء المال، وبالصوم حصول التقوى.

فإن لم يجد المنافع فيترك مواصلة الجهد، و يهلك بسبب عدم يقينه على أن هذا الجهد حق.

البدوي وحنفية المياه

يحكى أن رجلا بدويا كان يسكن في باديته فنزل إلى الحضر(المدينة) يوما، فوجد الناس يملئون قربهم من حنفية المياه، بينما هو يملأ من الآبار ويتحمل المشقة والتعب، وقبل أن يذهب إلى باديته ذهب إلى محل الأدوات الصحية واشترى حنفية(صنبور المياه)ثم ذهب إلى باديته وركب الحنفية في الحائط وانتظر المياه تنزل ولكن قد خاب ظنه فوق متحسرا مستغربا، فمر عليه رجل وهو على حالته هذه فسأله عن شأنه فأخبره، فقال: يا مسكين، الحنفية التي رأيتها يأتيها المياه من الخزان!.

العريس والستارة

وقالوا: تزوج شاب ثم دعا أصحابه لزيارته، فلما أن جلسوا عنده في غرفة الضيوف، فضرب بكفيه على الأخرى، فأخرجت الزوجة من تحت الستارة صينية الطعام، وبعد أن فرغوا من الطعام وضعت الزوجة أطباق الفاكهة تحت الستارة، ثم ضرب بكفيه على الأخرى، فوضعت له صينية الشاي من تحت الستارة، فتعجب أحدهم، وقال له: من أين أتيت بهذه الستارة قال: من المحل الفلاني، فعلى الفور ذهب واشترى ستارة مثلها، ثم ذهب إلى بيته ووضعها بين غرفة الضيوف والصالة، ثم دعا أصحابه ليضيفهم، وعندما حضروا أخذ يضرب على يديه كما فعلى صاحبه، ولكن خاب ظنه فلم يخرج له شيء فتصبب عرقا، فسأله أصحابه، فأخبرهم بحديث الستارة التي رأوها عند صاحبهم ، وكيف كانت تأتي الستارة بالطعام والفاكهة والشاي، فقالوا: يا مسكين كانت زوجته وراء الستار، تعد الطعام ثم تناوله له من تحت الستار!!!!.

فهذا المثال والذي قبله لنعلم أن قدرة الله تعالى وراء الأسباب، قال تعالى:{ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ }(١).

فالأسباب مثل القلم، فالقلم لا يكتب بذاته إنما يكتب به الذي يحمله.

الأسباب مثل العصا - العصا يضرب بها الرجل ولكن المضـروب يقول للعصا لا تضربي؟ - العصا لا تضرب ولكن الذى يضرب هو صاحب العصا ،

---

(١) سورة الحجر _ الآية ٢١.

كذلك الشفاء ليس من الدواء ولكن الشفاء من خزائن الله عز وجل، الجاموسة بعد الحليب تقول لصاحبها قل لا إله إلا الله، والدجاجة تصيح بعد وضع البيضة وتقول لصاحبها قل " لا إله إلا الله "، والدكان أحياناً يأتي بعكس السبب فيأتي بالخسارة بدل الربح والعلاج ممكن أحياناً يكون سبباً لزيادة المرض وكذلك الطعام .

الجهد للدين في الظاهر ينقص الدنيا ولكن في الحقيقة من أقوى أسباب الرزق (١).

الفرق بين الحقيقة واللفظ

في الدنيا كل شيء له لفظ، وله حقيقة، واللفظ يخرج من اللسان، أو يكتبه القلم، واللفظ لو تلفظ به الإنسان ألف مرة بدون أن تأتي حقيقة الشيء، فهو لا يستفيد.

فمثلا: لو قال الإنسان ألف مرة : النار.. النار .. لا يحترق لسانه، ولكن لو أخذ جمرة صغيرة من النار ووضعها في فمه لاحترق فمه ولسانه، ولو وضعها علي الفراش لأحرقته .

وكذلك لو وقف الإنسان أمام الباب وأخذ يقول : مفتاح .. مفتاح .. ألف مرة لا يفتح الباب ، ولكن لو وضع المفتاح في الباب يفتح.

---

(١) كلمات مضيئة في الدعوة إلى الله بقلم المؤلف.

لا إله إلا الله محمد رسول الله: يتلفظ بها الإنسان ويكتبها بالقلم، وتعلق في المنازل ، ومع ذلك لا يستفيد الإنسان ، إلا إذا كانت حقيقة لا إله إلا الله ، في القلب ، والحقيقة لا تتحصل إلا بالجهد .

وحقيقة لا إله إلا الله محمد رسول الله : هي أن يخرج من قلبه اليقين علي غير الله تعالي ويتيقن أن الفعال هو الله تعالي والمتصرف هو الله تعالي ، وفي تصرفاته لا يحتاج إلي أسباب ، سواء في التعمير أو التخريب.

الشيخ محمد يوسف (رحمه الله) كان يقول: نحنُ أعيننا تنظر خطأ، نري أننا نتربى بالأسباب وحقيقة التربية من الله تعالي، وأن الدواء فيه الشفاء، وحقيقة الشفاء من الله تعالي...الخ.

وقال أيضا: قلب الإنسان أعمي وأصم وأبكم، يدخل فيه إما الشرك وإما التوحيد، فإذا اجتهد الإنسان ليصلح سمعه وبصره ولسانه وفكره، فتستعمل هذه الأعضاء صحيحا، فيدخل في قلبه التوحيد ، وإذا استعمل الإنسان هذه الأعضاء خطأ يدخل في قلبه الشرك والعياذ بالله.

فالإنسان عندما يشرب الماء فهو يظن أن الراوي الذي حمل له الماء ، أو الماء نفسه ، بل الله عز وجل هو الذي رواه، فمثلا: رجل يضرب الكلب بالعصا فالكلب يهجم علي الرجل ، ولا يهجم علي العصا، لأنه يعلم أن محرك العصا هو صاحب العصا.

ولو أن رجلا حمل العصا وأسقط بها التفاح من الشجرة، ثم أعطاك تفاحة، فأنت لا تشكر العصا، بل تشكر الذي حمل العصا.

فيجب علي الإنسان عندما يقطع نظره عن الأشياء، يعلم أن المربي الحقيقي هو الله تعالي.

فالإنسان عندما يتلفظ بلا إله إلا الله ولم تأتي فيه الحقيقة، ويظن أن فيه حقيقة لا إله إلا الله فهو مخطئ، فنحن معتادون أن نكتب ألفاظا ونحن بعيدون عنها كل البعد، أحيانا يقول أحدنا: أنا فقير.. أنا حقير.. أنا مسكين.. وأحيانا نكتب في آخر الخطاب: كاتبه العبد الفقير فلان ومع تلفظه بهذه الألفاظ أو كتابته لها، لو قيل له: يا فقير أو يا حقير فيغضب غضبا شديدا.

نحن نقول : الله رازق.. الله مالك.. وحقيقة هذه الألفاظ بعيدة عنا جداً، لأننا نقول هذه الألفاظ ونري أننا نتربى من الوظيفة ومن التجارة ومن الزراعة، وهذا خداع وغرور.. لأن المربي هو الله جل جلاله.

وحتى يتحصل الإنسان علي هذه الحقيقة لا بد أن يوجه جهوده علي طريق النبي (ﷺ) ليتحصل عليها، وبدون التحصيل على الحقيقة، لا يستفيدُ شيئا.

ولما عرض رسول الله (ﷺ) الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله) علي أهل مكة رفضوا أن يقولوها، وقالوا: (أَجَعَلَ الأَلِهَةَ إِلَـهاً وَاحِداً إِنّ هَـذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) (١) .

---

(١) سورة ص – الآية ٥.

لماذا رفضوها؟ رفضوها لأنهم كانوا أهل اللسان واللغة ففهموا معناها أنهم لا بد لهم أن يعملوا بمقتضاها ويغيروا حياتهم بحياة الرسول (ﷺ)، ولو أنهم فهموها مثل ما فهمنا نحن اليوم أن نقولها ونعيش كما نشاء، ونأكل كما نشاء ، ونلبس كما نشاء ، ونتزوج كما نشاء، ونظلم كما نشاء ، وننظر كما نشاء ، ونسمع كما نشاء، ونفكر كما نشاء.. ولو فهموا كما فهمنا ما كانوا ترددوا في قوله.. نسأل الله عز وجل أن يمن علينا بكرمه بحقيقة لا إله إلا الله محمد رسول الله.

يريد أسوان وركب القطار المتجه إلى الإسكندرية

مثل الذي يقول: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ولكن لا يأخذ بأسباب الهداية، كمثل الذي يريد أسوان وركب القطار المتجه إلى الإسكندرية، ويدعو أن يوصله الله إلى أسوان.

مثل من لا يتعب على الشيء يفرط فيه

المثل الأول: مر رجل بشاب يمسح حذاءه بعباءة، فقال له: كيف تمسح الحذاء بالعباءة؟ فقال: لأن الحذاء اشتريته بمال اكتسبته بعرق جبيني، أما العباءة فقد ورثتها عن أبي، فقال له: هذا العباءة جيدة وغالية الثمن، ولكن اذهب إلى الترزي فلان يجدد لك القطان الخاص بها، ففعل ودفع لها أجرا كبيرا، فمر به بعد عدة أيام نفس الرجل فوجده يرتدي العباءة، فقال له: امسح الحذاء بالعباءة، ففزع وقال: لقد دفعت في تجديد القطان مبلغا كبيرا من عرق جبيني وقد تعبت عليه، فهل جننت حتى أمسح بالعباءة حذائي.

المثل الثاني: رجل سافر إلى دولة خارجية وجاء بالمال، واشترى سيارة، فلو خدشها أحد بمسمار أو غيره، كيف يكون حاله، وقد تعب حتى تحصل عليها، فكيف لو أنه اشتراها بمال ورثه عن أبيه، تجده لو حدث لها ما حدث ما حزن عليها، لأنه لم يتعب فيها.

المثل الثالث: رجل اشترى قطعة أرض بمال اكتسبه بجهد وتعب فليس من الممكن أن يفرط فيها ويبيعها، أما إذا كان وارثا لها ولم يتعب في ثمنها فمن الممكن أن يبيعها وبأي ثمن.

فالدين جاءنا كالبيضة المقشرة ما تعبنا عليه، فتضيع من الأوامر ولا نحزن، لكن الصحابة لما تعبوا لهذا الدين، ومن أجل إحيائه فقدوا أرواحهم وتيتمت أطفالهم وترملت نساؤهم، فقالوا عندما جاء النقص في حياة غيرهم :(أينقص الدين وأنا حي).

اعرف أين تطرق

تعطل محرك سفينة عملاق استعان أصحاب السفينة بجميع الخبراء الموجودين، لكن لم يستطع أحد منهم معرفة كيف يصلح المحرك.. ثم أحضروا رجلا كبيرا مسنا يعمل في إصلاح السفن منذ أن كان شابا، كان يحمل حقيبة أدوات كبيرة معه، وعندما وصل... باشر في العمل.

فحص المحرك بشكل دقيق، من القمة إلى القاع..كان هناك اثنان من أصحاب السفينة معه يراقبونه، راجين أن يعرفا ماذا يفعل لإصلاح المحرك.

بعد الانتهاء من الفحص، ذهب الرجل الكبير إلى حقيبته وأخرج مطرقة صغيرة، وبهدوء طرق على جزء من المحرك، وفوراً عاد المحرك للحياة، وبعناية أعاد المطرقة إلى مكانها.

أُصْلِحَ المحرك! وبعد أسبوع استلم أصحاب السفينة فاتورة الإصلاح من الرجل الكبير وكانت عشرة آلاف دولار! أصحاب السفينة هتفوا: هو بالكاد فعل شيئاً؟. لذلك كتبوا للرجل الكبير ملاحظة تقول :رجاءً أرسل لنا فاتورة مفصلة .

أرسل الرجل الفاتورة كالتالي: الطرق بالمطرقة بـــــ 1$معرفة أين تطرق بـــــ 9999$.

فالجهد مهم، لكن معرفة أين تبذل الجهد في حياتك هو الفرق.(١).

الإنسان مثل الأرض

فكما أن الأرض يكون فيها الحيات والعقارب والحشرات والفئران، وإذا اجتهد عليها الإنسان تتطهر الأرض وتصلح للزراعة، فكذلك الإنسان لو اجتهد على نفسه تتطهر من الخبث والرذائل (الحسد .. الغش.. الخداع.. الغيبة.. النميمة .. الكبر .. الحرص...الخ "وتصبح نفسا صالحة قابلة لكل الأوامر، قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾(١) وقال تعالى﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّيَ * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾(٢) .

الله ﷻ خلق الإنسان في الدنيا ليتصف بالصفات الحميدة، وما خلقه للأكل

---

(١) كتاب مشكاة الأحباب للمؤلف.

(١) سورة الشمس – الآية ٩ .

(٢) سورة الأعلى – الآيتان ١٤ ، ١٥ .

والشرب والنكاح ، وجمع الأموال ولهذه الأشياء خلق الله ألف أمة ، ومن بين هذه الأمم اختار الإنسان .

لمّ الشمل

أراد خياط أن يعلم حفيده حكمة عظيمة، على طريقته الخاصة، وفي أثناء خياطته لثوب جديد أخذ مقصه الثمين وبدأ يقص قطعة القماش الكبيرة إلى قطع أصغر، كي يبدأ بخياطتها ليصنع منها ثوبا جديدا.. وما أن انتهى من قص القماش حتى أخذ ذلك المقص الثمين ورماه على الأرض عند قدميه! والحفيد يراقب بتعجب ما فعله جده، ثم أخذ الجد الإبرة وبدأ في جمع تلك القطع ليصنع منها ثوبا رائعا وما أن انتهى من الإبرة حتى غرسها في عمامته، في هذه اللحظة لم يستطع الحفيد أن يكبح فضوله وتعجبه من سلوك جده فسأله: لماذا يا جدي رميت مقصك الثمين على الأرض بين قدميك بينما احتفظت بالإبرة زهيدة الثمن ووضعتها على عمامة رأسك؟ ! فأجابه الجد : يا بني إن المقص هو الذي قص قطعة القماش الكبيرة تلك وفرقها وجعل منها قطعا صغيرة بينما الإبرة هي التي جمعت تلك القطع لتصبح ثوبا جميلا، فينبغي عليك ألا تعلي قدر من يحاول أن يفرق ويفكك ترابطنا وتآخينا مهما بدت مكانته العالية وعلى النقيض تماما كن مع من يحاول لمّ الشمل وجمعه بالترابط والتآخي.. وكن مثل حبل المسبحة يجمع حبات السبحة ولا يُرى.

الإيمان

قال مالك بن دينار (رحمه الله): الْإِيمَانُ يَبْدُو فِي الْقَلْبِ ضَعِيفًا ضَئِيلًا كَالْبَقْلَةِ؛ فَإِنْ صَاحِبُهُ تَعَاهَدَهُ فَسَقَاهُ بِالْعُلُومِ النَّافِعَةِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَأَمَاطَ عَنْهُ الدَّغَلَ وَمَا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ أَوْشَكَ أَنْ يَنْمُوَ أَوْ يَزْدَادَ وَيَصِيرَ لَهُ أَصْلٌ وَفُرُوعٌ وَثَمَرَةٌ وَظَلَّ إِلَى مَا لَا يَتَنَاهَى حَتَّى يَصِيرَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، وَإِنْ صَاحِبَهُ أَهْمَلَهُ وَلَمْ يَتَعَاهَدْهُ، جَاءَهُ عَنْزٌ فَنَتَفَتْهَا أَوْ صَبِيٌّ فَذَهَبَ بِهَا وَأَكْثَرَ عَلَيْهَا الدَّغَلَ، فَأَضْعَفَهَا أَوْ أَهْلَكَهَا أَوْ أَيْبَسَهَا كَذَلِكَ الْإِيمَانُ(١).

وقَالَ خيثمة بْنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ (رحمه الله): الْإِيمَانُ يَسْمَنُ فِي الْخِصْبِ وَيَهْزُلُ فِي الْجَدْبِ فَخِصْبُهُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ وَجَدْبُهُ الذُّنُوبُ وَالْمَعَاصِي(٢).

الاستغاثة

قالوا: اسْتِغَاثَةُ الْمَخْلُوقِ بِالْمَخْلُوقِ كَاسْتِغَاثَةِ الْمَسْجُونِ بِالْمَسْجُونِ والغريق بالغريق والميت بالميت.

---

(١) الفتاوي لابن تيمية ٢/١١٤.

(٢) المرجع السابق.

الخليل الصالح مثل النخلة

قال لقمان لابنه : يا بني ليكن أول شيء تكسبه بعد الإيمان خليلاً صالحاً؛ فإنه مثل الخليل كمثل النخلة :إن جلست في ظلها أظلت ، وإن احتطبت من حطبها نفعتك ، وإن أكلت من ثمرها وجدته طيباً.

قصة الببغاء

كان أحد العلماء يعلم تلامذته العقيدة يعلمهم: معنى لا إله إلا الله، ومقتضاها، يربيهم عَلَيْها أسوة بما كان يفعل رسول الله (ﷺ) عندما كان يعلم أصحابه العقيدة ويغرسها في نفوسهم.

وفي يوم جاء أحد تلامذة الشيخ ببغاء هدية له وكان الشيخ يحب تربية الطيور والقطط.

ومع الأيام أحب الشيخ الببغاء وكان يأخذه معه في دروسه حتى تعلم الببغاء نطق كلمة لا إله إلا الله.

فكان ينطقها ليلا ونهارا، وفي مرة وجد التلامذة شيخهم يبكي بشدة وينتحب، وعندما سألوه قال لهم قتل قط عنده الببغاء.. فقالوا له لهذا تبكي !! إن شئت أحضرنا لك غيره وأفضل منه رد الشيخ وقال لا أبكي لهذا ولكن أبكاني أنه عندما هاجم القط الببغاء.. أخذ يصرخ ويصرخ إلي أن مات مع أنه كان يكثر من قول لا إله إلا الله.. إلا أنه عندما هاجمه القط نسيها ولم يقم إلا

بالصراخ.. ثم قال الشيخ: أخاف أن نكون مثل هذا الببغاء نعيش حياتنا نردد لا إله إلا الله من ألسنتنا وعندما يحضرنا الموت ننساها ولا نتذكرها لأن قلوبنا لم تعرفها.

فأخذ طلبة العلم يبكون خوفا من عدم الصدق في قول لا إله إلا الله.

ونحن هلا تعلمنا لا إله إلا الله ؟ وعلمنا وعملنا حقوقها وواجباتها ؟.

أسأل الله أن نحيا عَلَيْها ونموت عليها ونحشر مع كل من يقول لا إله إلا الله.

المسلم مثل الشرطي

فشرطي المرور يقف في مفترق الطريق منظما للسير ويشير بيده للسيارات ويوقف هذا الاتجاه مرة ويسير الآخر، ويوقف الآخر ويسير الثاني، وهكذا طوال اليوم.

فلو ترك مكانه وذهب ليأكل، حينئذ يختل نظام سير السيارات، وتتداخل السيارات بعضها ببعض، ولكثر الزحام وكثر اللغط، وكثرت الحوادث.

فهكذا المسلم لو ترك مكانه، وترك الدعوة لاصطدم العالم بعضه ببعض كما نراه اليوم، ولكثر الفساد واختل نظام الكون بكثرة المعاصي:{ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }(١).

---

(١) سورة السجدة _ الآية ٤١.

ولو سألت الشرطي من أين تأخذ أجرك؟ لقال: من الحكومة هي وظفتني للعمل في هذا المكان، وبإشارة يدي تعطيني الأجر.. فما بالكم بالذي وظفنا في جهد الدعوة إلى الله كم يعطينا من الأجر الدنيوي والأخروي؟.

الضفدعة والسمكة

في يوم من الأيام خرجت الضفدعة من الماء إلى البر، فوجدت الصياد يضع الطُعم في الصنارة، ثم يلقي الصنارة في الماء، فتنخدع السمكة التي لم تعلم عن الحقيقة شيء، فتأخذ الطعمة لتتناولها فإذا الصنارة تعلق بفمها فيأخذها الصياد، وإذ بزوجته بجواره توقد الخشب وتضع على النار السمك فتشويه، وتأكل هي وزوجها الصياد، فدخلت الضفدعة مسرعة إلى الماء لتنصح أخواتها من السمك، فلما رأت الصنارة قد تدلت في الماء وفيها الطعم، فما رأت من سمكة تقترب من الطعم إلا ونصحتها، فقبل منها من قبل ومن لم يقبل وقع في صنارة الصياد.

فالأنبياء عليهم السلام كشف الله لهم من غيبه ما شاء وأطلعهم على ما يشاء(١) وأنار قلوبهم بنور الوحي، فرأوا بنور الوحي ونور البصيرة، الأعمال التي ترضي رب الأرض والسماء، والأعمال التي تغضبه سبحانه، فوقفوا أنفسهم لدعوة الناس إلى الخير ونهيهم عن الشر وذلك طاعة للخالق العظيم،

---

(١) كما رأى حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم بعين الحقيقة الجنة والنار ليلة الإسراء والمعراج ورأى المنعمين والمعذبين، وشاهد قطف العنب أمامه في محرابه وهو يصلي، وكذلك شاهد الجنة والنار في رؤياه ورؤيا الأنبياء وحي.

فمن الناس من صدقهم، ففاز برضوان الله وجنته، ومنهم من عصاهم فنال سخط الله وناره.

إنها طُعمة الصنارة!..

تراءت للسمكة الصغيرة طعمة شهية من بعيد، وذلك أول عهدها بها، فسال لها لعابها....نظرت يمينا وشمالا، فوجدت سمكة أخرى كبيرة، وهي محنكة وخبيرة ،ثم عرضت لها إرادتها عن تناولها الطعمة الشهية والاستمتاع بها، إلا أن السمكة الكبيرة تقدمت نحوها، ومنعتها عن تناولها، ولكنها أبت إلا الرغبة فيها والعزم على تناولها، حاولت الكبيرة إقناعها وردعها عن إرادتها، ووصفت لها المشكلة التي ستواجهها بعد تناول هذه الطعمة قائلة:إنك إذا تقدمتِ نحوها وفتحتِ لها شدقيكِ ولَحييكِ، وناولتِها بشراهة ونهامة، فربما تُحِسِّين متعتَها لسُويعة، لكن سرعان ما يعقبها الألم الذي يكدر عليك كل سعادتك.

السمكة الصغيرة: الألم؟ أنّى للألم أن يكون في طُعمة شهيّة، فأي ألم هذا يا أماه ؟!.

السمكة الأم: إنه ألم اشتباك الشوكة بحلقومكِ، فإن وراء تلك الطُّعمة صنارة، وعلى الشاطئ صاحبها، فما إن تتعلق شوكة الصنارة بحلقومكِ إلا وتزهق روحكِ، فتشعرين بالألم الشديد، وتتململَين تَمَلمُلَ السَّليم، ويعرف الصياد أنكِ قد علِقتِ بالصّنارة، فيخرجكِ من البحر الذي كنتِ فيها سعيدة

مع أسرتكِ ووالديكِ...وقتَها تزهَق روحُكِ من جسدكِ، فيذهب بكِ الصياد إلى السوق ، فيبيعكِ بأغلى الأسعار، وعندها يُقطّعكِ تقطيعا... ثم يذهب بكِ المشتري إلى بيته، فيسخِّن المقلاة المليئة بالزيت تسخينا للغاية، فيقليك دونما أيّ رأفة ورحمة، وهناك أشخاص جائعون ينتظرونكِ، ثم يعرضونكِ عليهم في الصينية، وعند كل واحد منهم ثنتان وثلاثون شفرة في أفواههم يقطعونكِ بها قطعا صغيرة للغاية، ويأكلونكِ بشراهة دونما أي اكتراثٍ واضطرابٍ، ويستمتعون بطعماتكِ أيما استمتاع، ثم يكون لكِ مصيركِ الذي لا أستطيع وصفه، ولكن يا أماه، لا أجد الآن أي شيء من هذه الأشياء، لا شوكة ولا صنارة ولا سوق ولا مقلاة ولا أناس جائعون، ولا أي شيء هناك...فو الله إني لأراكِ في ضلالكِ القديم.

بنيتي، أصدُقكِ فيما أقول، ولسوف تعلمين كل هذه الأمور بمجرد تناولكِ تلك الطعمة تلقائيا، وتكون هي بمرأى منكِ ومسمع.

فالسمكة الصغيرة إذا لم تتيقن بمقالة الكبيرة المحنّكة، وآثرت لذتها للساعة أو السويعة على العيش السعيد الرغيد في الماء فهي تهوي بنفسها في أودية الهلاك، وتصير إلى مصيرها المرير الذي وصفت لها السمكة الكبيرة... ولو تيقنتْ أن ما وُصف لها سيكون، وآثرت العيش الرغيد المديد في أمواج البحر على لذة سويعة فانية لبقيت سالمة من المرارة الأبدية، وبالتالي يبقى لها نعيمها وعيشها الرغيد مع أسرتها.

نعم، هذا مثل لذة المعصية التافهة التي يجدها الرجل في كافة المعاصي مما حرمها الله من الغيبة والزنا، والفواحش والذنوب، فإن النار وجحيمها وآلامها كلها محفوفة ومحجوبة بستر اقتحام الشهوات واقتراف الذنوب، وإن الجنة ونعيمها وسعادتها الأبدية محفوفة ومحجوبة بتحمل المكاره ومكابدتها كما وصفه النبي عليه الصلاة والسلام في حديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه من حديثْ أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُول اللهَّ ﷺ قَالَ :حُجِبتِ النَّارُ بِالشَّهَواتِ، وحُجِبتْ الْجَنَّةُ بَالمكَارِهِ) متفقٌ عَلَيه).

الصياد والورقة

يحكى أن صيادا أخذ ورقة وكتب عليها:(طعم) ثم وضعها في الصنارة ثم ألقاها في اليم، فلما رفع الصنارة من اليم فوجد فيها ورقة مكتوب عليها (سمك).

وهذا المثل يضرب ليبين لنا مثل ما أعطيت تأخذ، فمن أعطى الغالي من (الوقت والمال والنفس) أخذ الغالي وهو رضوان الله والجنة.

ومن أعطى الرخيص من (وقته وماله ونفسه) أخذ مثل ما أعطى، ففي الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضى الله عنه ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه وسلم: " مَنْ آمَنَ بِاللهَّ وَبِرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهَّ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا ". فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهَّ أَفَلاَ نُبَشِّرُ النَّاسَ. قَالَ:" إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهَّ

لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِّ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَّ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ ".قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ عَنْ أَبِيهِ:" وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ".(١).

الجرة والشجرة

إن لله سبحانه وتعالى في خلقه سننا قد استن بها في حياة كل إنسان، ومن تلك السنة أنه لا يمنح الرفعة والشرف، والازدهار والقبول، والرقي والتطور لأي إنسان إلا إذا تحلى بصفات يحبها الله.

فمن تلك الصفات ما هي سر الازدهار ورمز القبول عند الله ومودة في قلوب الناس، ألا وهي التواضع والخضوع القلبي، والاستيحاش التام عن كل ما يشوبه الكبر والاحساس بالترفع والتعالي والاستغناء عن الأكابر، مهما غزر علمه وتدفق نبعه وعلا صيته، ولكنه كلما ازداد علما وفقها ازداد تواضعا وتطامنا لابتغاء مرضاة الله، فهذا هو سر خلف كل نجاح حققه أحد من السلف، فإن القبول الواقعي لا يتحقق لأحد إلا به، والازدهار الحقيقي الدائمي في هذه وتلك لا ينال إلا بهذه الخصلة الطيبة.

فإن التواضع من خصال كل تقي يخشى الله تعالى في سره وعلنه، والذي يرجو لقاء ربه والقيام بين يديه، وكل ما في الكون من خلائق الله فهو شاهد على

---

(١) صحيح البخاري ـ باب درجات المجاهدين في سبيل الله (٢٦٣٧).

هذا ففيه آيات تدعونا إلى التحلي بمثل هذه الصفات، وسيكتشف ذلك أمامنا إذا أمعنا النظر في مخلوقات الله سبحانه وتعالى كما قال أبو العتاهية:

وفِي كلِّ شيءٍ لَهُ آيةٌ تَدُلّ على أنّهُ الواحِدُ

انطلاقا مما ذكرنا؛ فإنا نشاهد الكثير من الآيات الكونية، وهي بمرأى منا ومسمع طول الليل والنهار، ولكن لا نلقي له بالا، ولا نقيم له وزنا في حياتنا، ولا نعتبر بها ولا نستخرج الدروس منها، بل ربما نتغاضى عنها ونتغافل.

فها هي ذي الجرة، لو أمعنت النظر فيها وأعملت الفكرة في عملية سقائها الماء لنا لرأيت عجبا.. تراها مليئة متدفقة بالماء وإنها لتهوي بفيها إلى الكأس الذي هو أسفل منها، فتسقيه على غزارة وبلها بهذا التواضع، وهذا هو السر في كونها عزيزة مكرمة لدى الناس لاسيما في القرى، فهم يحفظونها ويرفعونها إلى رؤوسهم حتى ينتفعون بها إذا شح الماء في المخزن.. وهكذا كل قارورة إنما تروي ظمأ العطشان بعد ما تخضع فمها للكأس.

فكأنها تعلمنا أننا مهما بلغنا في العلم إلى ذروته وفي الفقه والفكر والأدب إلى قمتها وفي التقوى والزهد والعمل إلى سنامها فإنه يجدر بنا بل يلزم علينا أن نزداد إلى ذلك تواضعا وتطامنا بالقلب ابتغاء لمرضاة الله، واتقاء سخطه وعقابه.

فإذا فعلنا ذلك فسوف يرزقنا الله رفعة وعزا، وشرفا ومجد، وازدهارا وقبولا من حيث لا نحتسب.

فإن الشجرة المثمرة دوما تراها خاشعة مذللة دانية القطوف سهلة المنال، فترى الناس ملتفين حولها، مستمتعين بأكلها وثمارها، مستظلين بظلالها الوارفة، وعندما تزيد الثمرة حلاوة واستواء تسقط على الأرض لأنها اكتملت حلاوتها فالداعي إذا اكتمل إيمانه اكتمل تواضعه .

وأما التي لا ثمرة عليها تراها قائمة شامخة(كبر) مستوية نائية القطوف صعبة المنال،وترى الناس عنها ناكبين وعنها شاغلين، ولذكرها مستكرهين.

فكن مثل الجرة يفيض ويجود بما فيه بإطراق عنقه إلى الكأس، ومثل الشجرة التي تثمر وتنفع الناس بإدناء قطوفها وتذليل أثمارها للناس، ترى غرائب صنع الله معك، وعجائب قدرته فيك، فهذا هو سر نجاحك وازدهارك، وهذا هو رمز لفلاحك في العاجل والآجل.

إذا كان الداعي متواضعا أحبه الناس.. والداعي إلى الله في تواضعه مثل الأرض الكل يمشى عليها الطائع والعاصي.

والداعي في تواضعه مثل الكوبري الكل يعبر من عليه.

فعلى الداعي أن يختار التواضع في كلامه.. قيامه.. جلوسه.. أكله.. شربه.. معاملاته.. معاشراته .. أخلاقه.. ويكون أكثر لزوماً للتواضع فى خطابه وبيانه فلا يرى نفسه أعلم من غيره، ولا يستصغر الآخرين، ويدعو الناس إلى حياة النبي ﷺ وصحابته الكرام فبذلك يأتي التواضع، ولو دعا الناس إلى حياته (هو) يأتي الكبر، وبالكبر ترفع نصرة الله ﷻ[1].

---

(١) انظر كتاب كلمات مضيئة في الدعوة إلى الله.

الحكيم والقط

جلس رجل حكيم على ضفة نهر، وفجأة لمح قطاً وقع في الماء، وأخذ القط يتخبط؛ محاولاً أن ينقذ نفسه من الغرق.

قرر الرجل أن ينقذه؛ فمدّ له يده، فخمشه القط بأظافره، فسحب الرجل يده صارخاً من شدّة الألم.

ولكن لم تمض سوى دقيقة واحدة حتى مدّ يده ثانية لينقذه ، فخمشه القط ثانية، فسحب يده مرة أخرى صارخاً من شدة الألم، وبعد دقيقة راح يحاول للمرة الثالثة !.

وعلى مقربة منه كان يجلس رجل آخر ويراقب ما يحدث، فصرخ الرجل : أيها الحكيم، ألم تتعظ من المرة الأولى ولا من المرة الثانية ، وها أنت تحاول إنقاذه للمرة الثالثة ؟.

لم يأبه الحكيم لتوبيخ الرجل، وظل يحاول حتى نجح في إنقاذ القط، ثم مشى الحكيم باتجاه ذلك الرجل وضرب بيده على كتفه قائلاً :يا بني! من طبع القط أن يخمش، ومن طبعي أنا أن أُحب و أعطف ؛ فلماذا تريدني أن أسمح لطبعه أن يتغلب على طبعي !؟.

يا بني: عامل الناس بطبعك لا بطبعهم ، مهما كانوا ومهما تعددت تصرفاتهم التي تجرحك وتؤلمك في بعض الأحيان، ولا تأبه لتلك الأصوات التي تعتلي

طالبة منك أن تترك صفاتك الحسنة لمجرد أن الطرف الآخر لا يستحق تصرفك النبيل.

عندما تعيش لتسعد الآخرين، سيبعث الله لك من يعيش ليُسعدك .

(هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)

الصمت

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ)، قَالَ: " الْحَيَاءُ وَالْعِيُّ شُعْبَتَانِ مِنَ الإِيمَانِ، وَالْبَذَاءُ وَالْبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ"(١) .

وكَمَا قِيلَ: مَنْ عَرَفَ اللهَّ كَلَّ لِسَانُهُ(١).

إن الجرة الفارغة تحدث صوتاً أعلى مما تحدثه الجرة الممتلئة، ورمى الحجر في قليل من الماء يشكل موجات على هيئة دوائر كبيرة ،أما إذا رمينا الحجر في البحر فلا نرى شيئاً من ذلك.

---

(١) سنن الترمذي- قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي غَسَّانَ مُحَمَّدِ بْنِ مُطَرِّفٍ، قَالَ: وَالْعِيُّ: قِلَّةُ الْكَلَامِ ، وَالْبَذَاءُ: هُوَ الْفُحْشُ فِي الْكَلَامِ، وَالْبَيَانُ: هُوَ كَثْرَةُ الْكَلَامِ مِثْلُ هَؤُلَاءِ الْخُطَبَاءِ الَّذِينَ يَخْطُبُونَ فَيُوَسِّعُونَ فِي الْكَلَامِ وَيَتَفَصَّحُونَ فِيهِ مِنْ مَدْحِ النَّاسِ فِيمَا لَا يُرْضِي اللَّهَ (رقم الحديث: ١٩٤٦)، ومستدرك الحاكم _ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، وَقَدِ احْتَجَّا بِرُوَاتِهِ عَنْ آخِرِهِمْ_ رقم ١٦، ومصنف ابن أبي شيبة (رقم الحديث: ٢٩٨٤٣)، والمعجم الكبير للطبراني(رقم الحديث:٧٣٥٦)، وشعب الإيمان للبيهقي(رقم الحديث: ٧١٩٤).

(١)الكتب» مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» كتاب فضائل القرآن(رقم الحديث: ٢١٩٥).

وهذا الأمر ينطبق على الإنسان أيضاً، فالإنسان الفارغ يتكلم كثيراً أما الإنسان الممتلئ فيقل كلامه.

إن معرفة الله هي إدراك لحقيقة كبرى، فحين يجد الإنسان ربه ويدرك العظمة والكمال اللامتناهي، فيجد نفسه ذليلاً أمامه ويشعر من أعماق قلبه أن الله هو كل شيء وهو لا شيء بين يديه إن مثل هذا الإحساس حين يتولد لدى المرء يجعل لسانه عاجزاً عن الكلام كليا، وهو يغرق في كيفيات يبدو معها كالحيران.

ومعرفة الله أيضاً تنشئ في الإنسان الشعور بالمسئولية وبالإحساس بأنه سيقدم للمساءلة، فيحسن بأن كل كلمة تفوه بها أو فعل فعله سوف يقدم به للحساب أمام القادر المطلق، إن هذا الإحساس يجعله لا يتكلم إلا بعد أن يزن كلامه كما يوزن الذهب.

إنه سيفكر ملياً قبل أن يتكلم ويحاسب نفسه قبل أن ينطق بكلمة، إن معرفة الله تخلق في الإنسان الجدية، والجدية كما هي طبيعتها تجعل الإنسان أبكم عاجزاً عن الكلام.

إن الصمت ليس كيفية سلبية بل هو عين العمل الإيجابي، والصامت يقول بلسان حاله أنه شخص عميق، وإنه قد وجد الحقائق العليا، إن الصمت علامة على أن المرء يفكر ملياً قبل أن يتكلم ويزن أفعاله قبل أن يقوم بأي عمل،

والصمت مشابهة بالملائكة، إذ الملائكة يتكلمون بلغة صامته، والذي أصبح جليس الملائكة يكون صمته أكثر من كلامه (١).

الداعي في الدعوة مثل السمك في الماء

الذي يأتي عنده الكسل في الدعوة، فما يضر إلا نفسه، فأهل الدعوة مثل السمك في البحر.. فالسمك لو ترك البحر لا يضر البحر، وإذا مات في البحر، فالبحر يطرده إلي الخارج، فتجد السمك يطفو علي الماء.

نكون في الدعوة مثل الجمل لا الفرس

نكون في الدعوة مثل الجمل، ولا نكون مثل الفرس، فإن الفرس إذا مشيت في الصحراء، ورأت شيئا تسقط صاحبها، ولكن الجمل تنام عليه ولا يضرك الذئاب ولا غيرها، فعَنْ مَكْحُولٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ (ﷺ): " الْمُؤْمِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ كَالْجَمَلِ الْآنِفِ إِنْ قِيدَ انْقَادَ، وَإِنْ أُنِيخَ عَلَى صَخْرَةٍ اسْتَنَاخَ ". رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مُرْسَلًا . (١).

فالداعي القديم في الدعوة سهل الانقياد، سابق بالخيرات، صاحب همة ونشاط في الأعمال.

---

(١) من كلام الشيخ وحيد الدين خان.

(١) مشكاة المصابيح – كتاب الآداب – باب الرفق والحياء وحسن الخلق٣/١٤١٠

الداعي يذهب للناس

نكون في الدعوة مثل الدلو ينزل البئر، فكذلك الداعي ينزل للناس، ويذهب للناس.

والداعي مثل المطر ينزل على المحتاج وغير المحتاج.

تكون دعوتنا مثبتة

نجتهد أن تكون دعوتنا مثبتة ولا تكون منفية.. فعندما يأتي النور يذهب الظلام ، فعندما يأتي الحق ، يذهب الباطل .

أخلاق وقيم ومبادئ

لا يمكنك أن ترى صورتك في الماء وهو يغلي وبالمثل لا يمكنك أن ترى الحقائق وأنت غاضب.. لا تغضب.

قد تسكن قصراً وتضيق بك الحياة، وقد تسكن جحراً ويشرح الله صدرك، قد يكون لك إخوة وتعيش وحيداً، وقد تكون وحيداً وحولك إخوة، قد ترى الأصدقاء يطعنون ظهرك، وقد ترى الأعداء ينقذون حياتك وقد ترى أغنياء يرتشون، وقد ترى فقراء يتصدقون.. لهذا سُميت دُنيا.!

إحسانك وتعاملك لا ينسى، فلا تندم على لحظات أسعدت بها أحداً، حتى وإن لم يكن يستحق.

المحبـــة

حُكى أن رجلاً اجتاز على حجرة نخاس (تاجر الرقيق) فرأى فيها جارية مستحسنة فتعلق قلبه بها، فلم يقدر أن يتجاوز الموضع وكان تحته فرس يساوى مائة دينار وعليه أثواب جميلة وهو مقلد بسيف محلى بالذهب وبين يديه مملوك أسود، فتقدم إلى صاحبها وطلب منه بيعها فقال له: لاشك أنك أحببت جاريتي والمحب يبذل كل ما يملك في طلب محبوبه، ولا أبيعها إلا بجميع ما تملك يدك في هذه الساعة .

فنزل عن فرسه وخلع جميع ما عليه من الثياب واستعار قميصاً من النخاس وسلم الجميع إليه مع المملوك الذى كان بين يديه وأخذ الجارية ومضى إلى بيته حافياً مكشوف الرأس .

لما بذل الثمن أخذ السلعة .. عرف ما طلب، فهان عليه ما بذل .. الصادق المحب، لا يقف مع غير محبوبه .

فإذا سمعت قول الحق ﷻ ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١) فسألت ما ثمنها ..؟!.

قال الله ﷻ ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾(٢).

---

١) سورة الزخرف – الآية ٧١ .

٢) سورة التوبة – الآية ١١١.

سلم النفس والمال.. وقد صارت لك.. وإذا قلت أريدُ وجهه ﷺ وقد لمح قلبى باب القرب ورأى المحبين داخلين فيه وخارجين منه وعليهم خلع الملك فما ثمن الدخول ؟! قلنا له: ابذل نفسك واترك شهواتك ولذاتك ودع النفس والهوى والطبع ودع الشهوات الدنيوية والأخروية ودع الكل واتركهم وراء ظهرك ثم ادخل فإنك ترى مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (١).

لم يرض الله ﷻ لها ثمناً ، دون بذل النفس ، حينئذٍ تأخر البطالون وقام المحبون ينظرون أيهم يصلح أن يكون ثمناً فدارت السلعة بينهم فوقعت فى يد﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٢) ، ولما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة الصحيحة ، فتنوع المدعون فى الشهود ، فقيل: لا تقبل هذه الدعوى إلا ببينة ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١)، فتأخر الخلق كلهم وثبت أتباع الحبيب ﷺ (فى أفعاله .. وأقواله .. وأخلاقه) فطولبوا بعدالة البينة بتزكية ﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ﴾ (٢) ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ (٣) .

---

١) سورة الأنعام – الآية ٩١ .
٢) سورة المائدة – الآية ٥٤.
١) سورة آل عمران – الآية ٣١.
٢) سورة المائدة – الآية ٥٤.
٣) سورة التوبة – الآية ١١١.

فلما عرفوا عظمة المشتري .. وفضل الثمن.. وجلالة من جرى على يديه عقد البيع .. ورأوا من أعظم الغبن أن يبيعوها لغيره .. فلما تم العقد .. قيل لهم: قد صارت نفوسكم وأموالكم لنا رددناها عليكم وأوفر ما كانت وأضعافها معاً ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِّ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُّ مِنْ فَضْلِهِ ﴾(١).

المحب الصادق في محبته يسلم إليه نفسه وماله ويترك اختياره فيه وفى غيره لا تتهمه فى تصرفه لا تستعجله .. لا تبخله .. يحلو عنده كل ما يصدر إليه منه لا تكمل لك محبتك إياه حتى يخرج الخلق من قلبك . من العرش إلى الثرى .

هذا القلب .. إذا عرف الله ﷻ أحبه وقرب منه يستوحش من الخلق والكون يستوحش من أكله وشربه ولباسه ونكاحه.. لا يقيده سوى أمر الشرع.. يتقيد بالأمر والنهى .. فإذا غُرست شجرة المحبة في القلب وسُقيت بماء الإخلاص ومتابعة الحبيب ﷺ .. أثمرت أنواع الثمار وآتت أكلها كل حين بإذن ربها ، أصلها ثابت فى قرار القلب وفرعها متصل بسدرة المنتهى (١).

---

١) سورة آل عمران – الآيتان ١٦٩، ١٧٠.

١) انظر كتاب كلمات مضيئة في الدعوة إلى الله بقلم المؤلف .

التضحية من أجل المقصد

أحد الملوك قال لوزيره: أعطيك ثلاثة أسئلة تُجيب عليها، وإلا قتلتك، فسأل الملك أن يعطيه مهلة، فأعطاه، فأخذ يتجول على الناس ويسأل عن إجابة الأسئلة، فلم يجبه أحد، وقارب موعد المهلة على الانتهاء، فمر على فلاح، فوجده الفلاح محزوناً يبكى.. فقال له ما هذا الحزن وهذا البكاء يا أخي ؟ فقص عليه القصة.. فقال له الفلاح ، أقول لك الحل :

الكذب الذي لا يصدق ؟ .. هو الحياة قبل الموت .

والصدق الذي لا يكذب ؟ .. الحياة بعد الموت .

وأغلى شيء في الحياة ؟.. فتوقف الفلاح وقال : هل ترى هذا الكلب الذي يشرب من الإناء ؟ قال نعم .. قال الفلاح: لا أخبرك، حتى تذهب فتشرب ما تبقى في الإناء من الكلب.. فذهب بسرعة وحمل الإناء، فقال له الفلاح: لا تشرب، الآن أجيبك، أغلى شيء في الحياة عند الإنسان هو مقصده.. يعني أنت مقصدك أن تعرف إجابة الأسئلة حتى تعيش، فلذلك ضحيت من أجل مقصدك وحملت الإناء لتشرب الماء الذي تبقى من الكلب !!.. فلو مقصدنا رضاء الله ﷻ فكم نضحي ؟.(١).

---

١) فرضية الدعوة إلى الله من كلام الشيخ عبد الوهاب أمير الدعوة بباكستان صـ.

مهمة العلماء وعموم الأمة

أمثلة : تبين الدور الكبير لقيام العوام مع العلماء بالدعوة إلى الله:

الأول: مهمة كرات الدم الحمراء توصيل الغذاء إلى باقي الجسم، ومهمة كرات الدم البيضاء مهاجمة الأعداء التي تريد الدخول إلى الجسم.

والاثنين في حركة مستمرة مما يعمل على تجديد الدم وكذلك أمة النبي صلى الله عليه وسلم مأمورة بالحركة والدعوة حتى تقوم بإيصال الغذاء الروحي إلى البشرية والعلماء مثل كرات الدم البيضاء للدفاع عن الأمة في حالة الدعوة والاثنين في حركة مستمرة مما يعمل على تجديد الإيمان عند الاثنين(١).

الثاني: **عندما تشب الحرائق فيقوم الأطفال ينادون في الشوارع**: حريق! حريق! فيتنبه لذلك الكبار فيقومون لإطفاء الحريق، فكذلك إذا شب حريق المعاصي في الأمة فيقوم العوام، وينادون: الدين! الدين!، فيتنبه العلماء ويقومون بالدعوة في الأمة لإطفاء الحريق.

الثالث: **وعندما ينتشر مرض وبائي**: **فتقرر وزارة الصحة بتجريع جميع الناس بالمصل المقرر لاستئصال هذا المرض**، فتقوم الممرضات والعمال لتجريع الناس، ولا يتم ذلك إلا في وجود الأطباء، حتى لا يتم إعطاء الجرعة بطريق الخطأ.. فكذلك عندما يستشري مرض المعصية والبعد عن الله، يقوم كل

---

١) كلمات مضيئة في الدعوة إلى الله صـــ.

الناس للدعوة إلى الله، والعلماء بينهم يوجهونهم إلى حكمة الدعوة وإلى منهج النبوة في الدعوة إلى الله.

الرابع: من الواضح أن القوات المسلحة لكل دولة في العالم إنما هي لحماية الحدود والأعراض وكل ما هو في داخل البلد وخارجه .

فهي تحارب العدو على الحدود، فإن دخل البلاد فإنها تحارب في داخلها حسب القواعد العسكرية فتحمي شعبها من كل ضار وسوء.

فهي مسئولة عن الشعب في سواد الليل وبياض النهار، ومستعدة لحمايته بكل وسائل يمكن للبشر استخدامها، والشعب مشغول في مآربه، أو مستريح في جدران البيوت والقصور .....**إلخ** .

ولكنه إذا غزا جيش العدو ودخل البلاد وخاصة في العمران فلم تبق المسئولية مسئولية الجيش فقط، وإنما تقع حينئذ المسئولية على عاتق كل من يقطن هذا البلد أن يحمى نفسه وعرضه ووطنه وأهله.

وإذا قال أحد – في مثل تلك الظروف – أن المسئولية كانت على عاتق الجيش الذى تُصرف عليه معظم أموال الدولة، وجلس مكتوف الأيدي في مقاعد المتفرجين فالهلاك له ولقومه نتيجة حتمية، لا يحول دونه أحد. وكان هذا لحماية الجسم والأشياء المادية مع حماية الأعراض .

أما في مجال المسائل المعنوية وبالتحديد المسائل الإيمانية، فنقول وبالله نستعين: إن العلماء والدعاة هم أول من تقع المسئولية على عاتقهم، ولكن العدو

في كثرة، وأصبحت الخيانة مباحة، ودخلت جيوش العدو في داخل بيوت المسلمين، وتسير أفواج الشياطين كسريان الدم في الشرايين، وعجزت أجهزة الدعوة بسبب ضعفها – من جميع النواحي – عن حماية إيمان شعبها ، ففي تلك الظروف لم ولن تنحصر مسئولية الدعوة إلى الله أو إبلاغ رسالة خاتم الأنبياء والتمسك بالكتاب والسنة على الدعاة والمشايخ وعلماء الإسلام فحسب، بل يجب على كل مسلم ومسلمة أن يساهم في الدفاع عن تلك الهجمات العنيفة التي يقوم بها العدو من الخارج والداخل حيث أصبحت حصوننا مهددة من داخلها، وخارجها، وأشهر العدو جميع أسلحته لتدمير الإسلام وإبادة المسلمين.(١).

تراب الأرض يخاطب تراب الجرة

مثال: زعموا أن تراب الأرض خاطب تراب الجرة، فقال لها: مالك بتنباسي وأنا بنداس، فرد ت عليه لو استحملت ما جرى عليَّ لكنت مثلي: أخذني الفخراني وعجنني وعمل مني جرة ووضعني في التنور، وتحملت ذلك كله فلهذا أنا بنباس وأنت بتنداس.. فنجد من ضحى لهذا الدين وفنى حياته لله تعالى، كم تجد من محبة الله له، وفي الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « إِذَا أَحَبَّ اللهُ تَعَالَى العَبْدَ، نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ الله تَعَالَى

(١) كتاب الأسئلة المهمة في جهد التبليغ والدعوة بقلم المؤلف ١/ ٣٦٧.

يُحِبُّ فُلانًا، فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبريلُ، فَيُنَادِي في أَهْلِ السَّمَاءِ: إنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلانًا، فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ في الأرْضِ». متفق عليه(١).

وفي رواية لمسلم: أَنَّ رَسُولَ اللهِّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إنَّ الله تعالى إذا أحَبَّ عبدًا دَعَا جِبريلَ، فقال: إِنّي أُحِبُّ فُلانًا فأَحببهُ، فيُحبُّهُ جبريلُ، ثمَّ يُنادي في السماءِ، فيقول: إنَّ اللهَ يحبُّ فلانًا فأَحبُّوهُ، فيحبُّهُ أهلُ السماءِ، ثُمَّ يُوضعُ لَهُ القَبولُ في الأرضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ، فَيَقُولُ: إنّي أُبْغِضُ فُلانًا فَأَبْغِضْهُ. فَيُبغِضُهُ جِبريلُ، ثُمَّ يُنَادِي في أَهْلِ السَّمَاءِ: إنَّ الله يُبْغِضُ فُلانًا فَأَبْغِضُوهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ البَغْضَاءُ في الأَرْضِ».

فينال العبد محبة الله ومحبة الخلق، فهذا رسول الله أكثر الخلق تضحية للدين، وأكثر من أوذي في الله تعالى، فقد قال عن نفسه:" لقَدْ أُوذِيتُ في اللهِ ومَا يؤذَى أَحَدٌ وأُخِفْتُ في اللهِ ومَا يُخَافُ أحَدٌ "(١).

فكم كانت محبة أصحابه له بل كم محبة أمته له، بل محبة جميع الخلق له: ففي حجة الوداع تقدم إلى الإبل ليذبحها، فأخذت تتسابق إليه؛ أيتها يُنحر قبلُ!.سبحان الله، حتى النوق العجماوات، تحب الموت وتتسابق عليه، إذا كان من يديه -صلى الله عليه وسلم-.

نعم، إنها المحبة الصادقة التي فطرها الله في القلوب له -صلى الله عليه وسلم-، الجِمَال تحبه، والطيور في السماء تحبه، وأعواد المنبر تحنّ إليه وتبكي

---

١)أخرجه:البخاري ٤/ ١٣٥ (٣٢٠٩)، ومسلم ٨/ ٤٠ (٢٦٣٧) (١٥٧).(١/١٣٩).

١) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة.

لفراقه، كما في الصحيح أنه -عليه الصلاة والسلام-: " ترك منبره الأول لمنبر جديد، فبكى المنبر الأول "(١).

مثال القلب

قال بعض السلف: "مَثَلُ القلب في سرعة تقلبه كريشة ملقاة بأرض فلاة تقلبها الرياح ظهرًا لبطن".

وقيل: القلب مثل الأسفنجة إن وضعته في اللبن يشرب لبنا وإن وضعته في الحبر يشرب حبرا.

وقيل: القلب مثل شريط الكاسيت تسجل عليه ما تشاء، وإذا وضعته في بيئة خليط من الناس وسجلت، يسجل خليط من الأقوال.

وقيل: القلب مثل الإناء، إذا وضعته تحت الحنفية معدولا يمتلئ، ولو أن الحنفية تسقط نقطة بنقطة، وإذا نكسته لا يمتلئ ولو فتحت الحنفية على الآخر.

يقول ابن القيم(رحمه الله) في عرضه لهذه الوصية: قال لي شيخ الإسلام ابن تيمية(رضي الله عنه): لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة، فيتشربها؛ فلا ينضح إلا بها ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة، تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها؛ فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أَشربت قلبك كل شبهة تمر عليها صار مقراً للشبهات(١).

---

١) أخرجه البخاري (٤/١٧٣).

(١)مفتاح دار السعادة (١/ ٤٤٣)..

فالمسلم الحق فيكون كالزجاجة النقية، ينظر من خلالها إلى كل ما حوله ولا يسمح بدخول إلا كل نظيف طاهر، قلبه صلب كصلابة الزجاجة في إيمانه وعلمه وبصيرته، واثقٌ من منهجه، وهو صافٍ كصفاء الزجاجة، يستطيع بصفائه أن يميز بين الغث والسمين، وبين العلم النافع والشبهة، وبين الحق والباطل بما حباه الله من قوة الإيمان ونور البصيرة، يغلق قلبه عن الشبهات فلا تستطيع شبهة أن تكسره أو تدخل إليه أو أن تؤثر فيه، فالقلب صلبٌ مصمتٌ عن الباطل وشُبَهِه، ينكر الشبهات ويردها.

ولكن لا يغرنّك صلابة الزجاج فإنه قابل للكسر إذا تلاحقت عليه الضربات، فلا تسعَ لسماع الشبهات إذا لم تكن من الراسخين في العلم؛ فإن القلب ضعيف والشُبَه خطّافة.

وكان أئمة السلف -مع سعة علمهم- يُعرضون عن سماع الشبهات، أخرج عبد الرزاق في المصنف عن معمر قال: كنت عند ابن طاووس وعنده ابن له إذ أتاه رجل يقال له صالح يتكلم في القدر، فتكلم بشيء فتنبه، فأدخل ابن طاووس إصبعيه في أذنيه وقال لابنه: أدخل أصابعك في أذنيك واشدد، فلا تسمع من قوله شيئاً، فإن القلب ضعيف.

فتجنب سماع من يثير الشبهات، ويبرز الشاذ من الأحكام، ويتكلم في الدين بغريب الكلام، وإذا سمعت شبهة في الدين واحتجت إلى دفعها فاسأل أهل العلم حتى يبينوا لك الدليل، وينيروا لك السبيل، كما قال ابن مسعود رضي الله

عنه: "وإن أحدكم لن يزال بخير ما اتقى الله، وإذا شك في نفسه شيء سأل رجلاً، فشفاه منه" أخرجه البخاري.

قَالَ الإمام ابنُ تَيْمِية -رَحِمَهُ الله-: الْمَقْصُودُ بِالدَّعْوَةِ : وُصُولَ الْعِبَادِ إلَى مَا خُلِقُوا لَهُ مِنْ عِبَادَةِ رَبِّهِمْ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَالْعِبَادَةُ أَصْلُهَا عِبَادَةُ الْقَلْبِ الْمُسْتَتْبِعِ لِلْجَوَارِحِ فَإِنَّ الْقَلْبَ هُوَ الْمَلِكُ وَالْأَعْضَاءُ جُنُودُهُ ، وَهُوَ الْمُضْغَةُ الَّذِي إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِعِلْمِهِ وَحَالِهِ كَانَ هَذَا الْأَصْلُ الَّذِي هُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ : بِمَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ : هُوَ أَصْلُ الدَّعْوَةِ فِي الْقُرْآنِ ؛ فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(١).

البيئة

لو أن الطريق من القاهرة إلى أسوان موجود به كوبرى وفيه عطل، فحتى يمر الناس يتركون الطريق ويأخذون طريق جانبي كله مطبات(غير المعبد) فلما سافر الرئيس مشي من على هذا الطريق المكسر(الغير معبد)، مع عدم وجود الطريق الصحيح يجعل الجميع الكبير والصغير، الحاكم والمحكوم من الطريق غير الصحيح.

فعندما تكون البيئة صالحة، يصلح الحاكم والمحكوم.. الصغير والكبير.. وإذا فسدت البيئة.. فسد الحاكم والمحكوم.. والصغير والكبير(٢) .

---

(١) مجموع الفتاوى (صـ ٦/جـ ٢).

(٢) انظر كتاب كلمات مضيئة في الدعوة إلى الله بقلم المؤلف.

نور البصر ونور البصيرة

خلق الله هذه الدنيا فانية، وللاستفادة من هذه الدنيا، جعل الله نورين، نـور داخلي وهو البصر، وخارجي وهو مثـل الشـمس والقمـر والكهربـاء، فبهـذين النورين يرى الأشياء (أمـه وأبـاه، وحبيبـه وعـدوه، وصـديقه وبنيـه، والأسـد والبقرة، ويميز بين الأشياء)، وإذا فقد أحد هذين النورين فلا يستطيع أن يميـز بين أشياء الدنيا، فلو كـان الإنسـان في وسـط النهـار، ولكـن لـيس عنـده نـور الإبصار (أعمى) فهو لا يميز بين الأشياء.

وإذا كان الإنسان عنده نور الإبصار، ولكن في الليـل الـدامس كـذلك هـو لا يرى ولا يميز بين الأشياء.

لو كان قائد الطائرة في الطريق، ثم ذهب نور بصـره، فهل يستطيع أن يوصـل الطائرة إلى المراد؟ فعلينا أن نشكر الله تعالى على هاتين النعمتـين نـور البصـر:(نور العينـين) والنـور الخـارجي:(الشـمس والقمـر والمصـباح) لأن الله تعـالى أعطانا هذه النعم بدون طلب منا، فهل نحن نشكر الله كل يوم على ذلـك، فعـن عبد الله بن غنام قال: قال رسول الله ﷺ: " مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ

بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ، لَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِه ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته " (١).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:" إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى بَدَا للهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فَأَتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا فَقَالَ أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْإِبِلُ أَوْ قَالَ الْبَقَرُ هُوَ شَكَّ فِي ذَلِكَ إِنَّ الْأَبْرَصَ وَالْأَقْرَعَ قَالَ أَحَدُهُمَا الْإِبِلُ وَقَالَ الْآخَرُ الْبَقَرُ فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ فَقَالَ يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا وَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا قَالَ فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْبَقَرُ قَالَ فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا وَقَالَ يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا وَأَتَى الْأَعْمَى فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ يَرُدُّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ قَالَ فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ قَالَ فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْغَنَمُ فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ غَنَمٍ ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ تَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٣١٨ ، رقم ٥٠٧٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٨٩ ، رقم ٤٣٦٨) والنسائي في الكبرى (٦/ ٥ ، رقم ٩٨٣٥) ..وابن حبان ، والبغوي ، والطبراني، وابن السني ، والبيهقي في شعب الإيمان عن عبد الله بن غنام البياضي).

بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي فَقَالَ لَهُ إِنَّ الْحُقُوقَ كَثِيرَةٌ فَقَالَ لَهُ كَأَنِّي أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ فَقَالَ لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي فَقَالَ قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ بَصَرِي وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي فَخُذْ مَا شِئْتَ فَوَ اللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ للهِ فَقَالَ أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ " متفق عليه(١).

نعمة الأنف والأذن، واليدين والرجلين، والأعضاء، ونعم الفواكه، والأشياء، ونعمة المال، والزوجة، والأولاد، نشكر الله على كل ذلك، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ }(٢).

وأكبر نعمة هي نعمة الإيمان، فبالإيمان بالله وامتثال أوامره يدخل الإنسان الجنة .

---

(١) رياض الصالحين _ باب المراقبة .

(٢) سورة التكاثر _ الآيتان ٨.

الآن نتصرف بالمال كاليهود والنصارى، هم يحبون المال، ونحن نحب المال، لأن يقيننا مثل يقينهم على المال، من المال تأتى البيوت والسيارات والأشياء، (هذا يقين فاسد).

بنور البصر ونور الضوء لا نرى قيمة التسبيح والصلاة وإطعام الطعام للمساكين وإفشاء السلام، لأن هذه الأعمال لا ترى إلا بنور الإيمان.

نور البصر ونور الشمس أعطاه الله للمؤمن، وأعطاه كذلك لليهود والنصارى والكفار.. ولكن حتى نرى الأعمال الصالحة وقيمتها نحتاج إلى نور الإيمان ونور الوحي. . **قال تعالى:** { قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَكِن قُولُوَاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَـئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}(١) .

عبرة وعظة

صحفي سأل الكاتب الكبير عباس العقاد: مين أشهر، أنت أم محمود شكوكو ؟ فالعقاد رد باستغراب : مين شكوكو ؟!

الصحفي نقل لشكوكو كلام العقاد، فقال شكوكو: اذهب للعقاد وقل له ينزل ميدان التحرير ويقف على رصيف وأنا هنزل وأقف على الرصيف المقابل، ونشوف الناس هتتجمع على مين أكثر.

---

(١) سورة الحجرات _ الآيتان ١٤، ١٥.

الصحفي نقل أيضا للعقاد كلام شكوكو، فقال العقاد: روح لشكوكو وقوله ينزل ميدان التحرير ويقف على رصيف ويخلي واحدة رقاصة لابسة بدلة رقص تقف على الرصيف الثاني ويشوف الناس هتتلم على مين أكثر.

رسالة العقاد لها مغزى كبير ومهم أوي في زماننا وواقعنا، أن الناس أصبحت لا تعطي القيم والمُثُل حقَّها، بقوا يلهثوا وراء الاسفاف والابتذال، بقى اجتماع الناس هو مقياس النجاح، لكن العبرة ليست بكثرة المصفقين والمهللين، ولكن العبرة بالقيمة التي تضيفها للمجتمع.

ورحل العقاد وشكوكو وبقي الدرس: (التاريخ يُحاكم الجميع وأثرك هو خير من يُدافع عنك).

من عف أعفه الله تعالى

رجل من البادية نزل بغداد للعلم والتجارة، واستأجر غرفة ليسكن فيها.

بعد صلاة الفجر يخرج للعمل، وبعد صلاة الظهر يذهب إلى دروس العلم والمعرفة.

كان هذا الشاب يقسم أجر عمله إلى ثلاثة أقسام: ثلث لأبيه، وثلث لصاحب الغرفة، وثلث لنفقته.. مرت عليه ثلاثة أشهر لا يستطيع أن يدفع إيجار سكنه، فقال له صاحب الغرفة: أمامك ثلاثة أيام لدفع الإيجار وإلّا سجنتك لأني ما بنيت هذا البيت وقفاً للفقراء ..خرج يبحث عن عمل في اليوم الأول فلم يجد ، ذهب إلى ديوان الخراج يسألهم عن عمل فلم يجد، إلى أن جاء

اليوم الثالث يوم سجنه ، فخرج من بيته حاملاً الدنيا فوق رأسه، يقول: أخذت في المشي إلى أن وجدت نفسي في أطراف بغداد، فوجدت بيتاً متهالكاً فقلت: أستريح، ووضعت يدي على الباب فإذا الباب مفتوح، وإذ بشيخ مسن مضطجع على سرير ، فنادى عليَّ وقال لي: اسمع يا بُنَيَّ: والله ما ساقك إليَّ إلّا الله، وأنا الساعة أموت، وأشتهي عنباً، فقلت له: أبشر، والله لتأكلنَّ اليوم عنبا .. فانطلقت إلى السوق وذهبت إلى بائع يبيع العنب وسألته: بكم هذا العنب؟ فقال: بدرهم، فقلت له: خذ ثوبي هذا رهناً عندك إلى أن آتيك بالمال ، وأخذت العنب وأنا أجري به حتى ألحق الرجل قبل موته، وقدَّمتُ إليه العنب، مع أنِّي في حاجةٍ إليه أكثر منه، وبعد أن أكل العنب قال لي: اسمع يا بُنَيَّ: هذا الركن في هذه الغرفة أحفر تحته وستجد شيئاً، أخذت في الحفر إلى أن وجدت جرة مليئة بالمال والذهب ، وقدَّمتها له ، فسكبها في ملابسي ثم قال لي: هي لك، لكن لهذا المال قصة يا بُنَي، كنت أنا وأخي تاجرين كبيرين نذهب للهند والسند، ونتاجر في الحرير والصوف، وكنا نخاف من اللصوص وقُطَّاع الطرق، وفي يوم من الأيام نزلنا منزلاً فقلت لأخي : هذا المنزل يرتاده قطاع الطرق، وأنا أخشى على مالي ومالك، أعطني مالك كي أخفيه مع مالي في مكان آمن، ثم أرجع إليك، فإن أصبحنا وسلمنا أخذنا مالنا ومشينا.

يقول: وما كِدت أدخل في النوم مع أخي إلّا وجاء اللصوص وقتلوا من قتلوا، ونهبوا ما نهبوا، وما أفقت إلّا من حر الشمس في اليوم التالي ، وأخذت

أبحث عن أخي فلم أجده لا بين الأحياء ولا بين الأموات، فدخلت بغداد وبنيتُ هذا البيت، وأخفيت هذا المال الذي هو مال أخي منذ عشرين عاما،

فإن متُّ فهو حلال لك، ثم نطق الرجل بالشهادتين ومات.

يقول: فأخفيت المال وخرجت على من يعينني على دفن هذا الشيخ، وبعد دفنه عدتُ لآخذ جرة المال، فبعد أن كنت فقيراً مُعدَماً أصبحت من أثرياء بغداد.

يقول: أخذت المال وذهبت إلى بائع الخضار وأعطيته ثمن العنب وأعطاني ثيابي، ثم أردت أن أركب مركباً لأنتقل إلى الناحية الثانية من نهر دجلة والفرات، فوجدت مراكب كثيرة، لكنني وجدت مركباً صاحبه يبدو عليه الفقر والعوز، فركبت معه وقد أحزنني حاله، وقد هممت أن أعطيه من هذا المال الذي معي، فبكى، ثم قال: والله ما كنت فقيراً في يومٍ من الأيام، فقد كنت تاجراً أذهب إلى الهند والسند ، وأتاجر في الحرير والصوف، وكان لي أخ لا بارك الله فيه قد اتفق مع اللصوص كي يقتلونني ويأخذوا مالي ، لكن الله نجَّاني ، إلى أن آل بي المآل إلى بغداد .

يقول: فاسودَّت الدنيا في عيني مرة ثانية، لقد أصبحت الجرَّة من نصيب صاحبها، ولا بُدَّ للمالِ أن يعود إلى صاحبه، تدخَّل الشيطان وقال لي: أعطه بعضه أو نصفه، إلى أن توقفت وقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وقلت له: هذا المال مالك، فلم يُصدِّق الرجل، وحكيت له ما حدث بيني وبين أخيه،

وأنني قد دفنته من ساعة فقط، فأخذ الرجل يبكي ويستغفر ربه لسوء ظنه بأخيه، ثم أراد أن يعطيني شيئاً من هذا المال فأبيت، لكنني طلبت منه أن يعذرني في درهم العنب .

يقول: فرجعتُ إلى بغداد مرة ثانية، فقيراً مُعدَماً كما خرجت منها من قبل،

وبينما أنا أسير إذ بالعسكر الذين يعملون في ديوان الخراج ينادون عليَّ ويقولون ل: نبحث عنك، فقلت: سيسجنونني لعدم دفعي إيجار الغرفة، ثم قالوا لي: لقد مات بالأمس أحد الكُتَّاب بالديوان ونبحث عنك كي تعمل بدلاً منه، فأدخلوني عندهم وأعطوني مُرتَّب شهر، فذهبت إلى صاحب الدار وأعطيته حقه في الإيجار إلى أن أصبحتُ وزيرا .

إنه العالم الفقيه الوزير (ابن هُبَيْرة). المولود سنة ٤٤٩ هجرية ، المتوفى ٥٦٠هجرية.

قال عنه ابن الجوزي رحمه الله : خرج في جنازته ما لم يُرَ في جنازة غيره في عصره وقال تعالى﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَّ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ (١) .

اليقين بالله (عز وجل)

عن وهب بن منبه قال: كان في بني إسرائيل عابد فلبث سبعًا لم يطعم هو وعياله شيئًا. فقالت له امرأته: لو خرجت وطلبت لنا شيئًا. فخرج فوقف مع العمال فاستؤجر العمال وصرف اللهّ عنه الرزق فقال: والله لأعملنّ اليوم مع ربي

---

(١) سورة الطلاق - الآية ٢ .

فجاء إلى ساحل البحر فاغتسل وما زال راكعًا وساجدًا حتى إذا أمسى أتى أهله فقالت له امرأته: ماذا صنعت فقال: قد عملتَ مع أستاذي وقد وعدني أن يعطيني ثم غدا إلى السوق فوقف مع العمال فاستؤجر العمال وصرف الله عنه الرزق ولم يستأجره أحد فقال: والله لأعملن اليوم مع ربي فجاء إلى ساحل البحر فاغتسل وما زال راكعًا وساجدًا حتى إذا أمسى أقبل إلى منزله فقالتَ له امرأته: ماذا صنعت قال: إن أستاذي قد وعدني أن يجمع لي أجري فخاصمته امرأته وبرزت عليه فلبث يتقلب ظهرًا لبطن وبطنًا لظهر وصبيانه يتضاغون جوعًا ثم غدا إلى السوق فاستؤجر العمال وصرف عنه الرزق ولم يستأجره أحد فقال: والله لأعملن مع ربي فجاء إلى ساحل البحر فاغتسل وما زال راكعًا وساجدًا حتى إذا أمسى قال: أين أمضي تركت أقوامًا يتضاغون جوعًا ثم تحمل على جهد منه فلما قرب من داره سمع ضحكًا وسرورًا وشمَّ رائحة قديد ورائحة شواء فأخذ على بصره وقال: أنائم أنا أم يقظان تركت أقوامًا يتضاغون جوعًا وأشم رائحة قديد ورائحة شواء وأسمع ضحكًا وسرورًا دنا من الباب فطرق الباب فخرجت امرأته حاسرة وقد حسرت عن ذراعيها وهي تضحك في وجهه ثم قالت: يا فلان قد جاءنا رسول أستاذك بدنانير ودراهم وكساء وودك ودقيق وقال: إذا جاء فلان فأقرئوه السلام وقولوا له: إن أستاذك يقول لك: رأيت عملك فرضيته فإن أنت زدتني في العمل زدتك في الأجرة (١) .

---

١) المنتظم في التاريخ ـ الجزء الثاني.

النفس

" النفس كالدابة إن ركبتها أوصلتك وإن ركبتك قتلتك "

"والنفس كالطفل إن تتركه شب على الرضاع وإن تفطمه ينفطم ".

عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: الْإِيمَانُ قَائِدٌ، وَالْعَمَلُ سَائِقٌ، وَالنَّفْسُ حَرُونٌ(١)، إِنْ فَتَرَ قَائِدُهَا صَدَّتْ عَنِ الطَّرِيقِ وَلَمْ تَسْتَقِمْ لِسَائِقِهَا، وَإِنْ فَتَرَ سَائِقُهَا حَرَنَتْ وَلَمْ تَتَّبِعْ قَائِدَهَا، فَإِذَا اجْتَمَعَا اسْتَقَامَتْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا وَلَا تَسْتَطِيعُ أَيْدِي إِلَّا بِالطَّوْعِ وَالْكَرْهِ ، إِنْ كَانَ كُلَّمَا كَرِهَ الْإِنْسَانُ شَيْئًا مِنْ دِينِهِ تَرَكَهُ أَوْشَكَ أَنْ لَا يَبْقَى مَعَهُ مِنْ دِينِهِ شَيْءٌ (١) .

والنفس كالرحى.. فالرحى إن أعطيتها ذرة تعطيك دقيق .. وإن أعطيتها حجارة تعطيك تراب.. كذلك النفس .. إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل (٢).

---

١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» من الطبقة الأولى من التابعين» وهب بن منبه» نصيحته في الإخلاص ..

١) حَرُونٌ- الجمع: حُرُنٌ. [حرن]، (صِيغَةُ فَعولٍ لِلْمُبالَغَةِ)، "بَغْلٌ حَرُونٌ": جَمُوحٌ، أيْ يَرْفُضُ الانْقِيَادَ.

٢) كتاب كلمات مضيئة بقلم المؤلف.

الفلاح

قال الله ﷻ ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) . فالمفلح : هو الذى أخذ الصفقة الرابحة والكلمة مأخوذة من فلح الأرض ، فالذي يفلح الأرض ويحرثها ثم يزرعها يجد الثمرة تجيئه في النهاية قد جاء الحق بالمسألة المعنوية من أمر محسوس ، وبعد ذلك يريد أن يعطينا شيئاً آخر فيقول : إياك أن تظن أن المشقة التي تُصيبك حين تفعل الخير من (الدعوة - الأمر بالمعروف - النهى عن المنكر) لا تعود عليك بالراحة أو أن النقص الذى تفعل به الخير لا يعود عليك بالكمال .

فمثلاً الإنسان الذى فلح الأرض وأخرج كيلة من القمح وبذرها فيها هذا الإنسان قد تكون له زوجة حمقاء تقول له : إننا لا نملك إلا أربع كيلات من القمح فكيف تأخذ كيلة لترميها في الأرض ..؟!

إن هذه المرأة لا تعرف أن هذه الكيلة التي أخذها الزوج، سيعطيه الله بدلاً منها كثيرًا من القمح .

فإياك أن تفهم أن الإسلام يأخذ منك شيئاً ولا يعوضك عنها فهو لا يأخذ شيئاً إلا وهو يريد أن يعطيك أشياء ، إن الفلاح الذى يشقى بالحرث والري

---

١) سورة آل عمران - الآية ١٠٤ .

وتراه وقد علا جبهته العرق وتراب الأرض وتغوص أقدامه في الطين والمياه ، إنك تراه يوم الحصاد وهو فرح مسرور بالثمرة التي تحصل عليها.

فالداعي إلى الله ﷻ بإذن الله تعالى سوف يفرح بدعوته وبجهده الذى قدمه من أجل الدعوة إلى الله ﷻ عندما يرى ثواب الله ﷻ يوم القيامة (١).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يكون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذا وجد الدين .. مثال يوضح ذلك : لو العمارة موجودة وحدث خلل بعد إتمام البناء فهو يُصلح الخلل مثلاً يقوم بإصلاح الشباك ، الباب ، السباكة ، الكهرباء .. فيكون إصلاح الخلل بعد إتمام الشئ وحدوث النقص (وهو ما يسمى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) .

ولكن العمارة غير موجودة فتكون الدعوة لإقامة العمارة .. يعنى الدين غير موجود .. فتكون الدعوة أولاً لإيجاد الدين فبعد وجود الدين وحدث خلل فيكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . (١).

رؤيا أزعجت صاحبها

في ذات ليلة من الليالي رأي رجل رؤيا في منامه إن ابنه الوحيد يذبح ، فأصبح مفزوعاً يحكي لزوجته رؤياه ، فقالت له : اذهب إلى الشيخ في المسجد ، واسأله عن رؤياك ، فذهب للشيخ، فقال له الشيخ : الأمر بسيط جداً، اذبح

---

١) تفسير الشيخ الشعراوى .

١) كلمات مضيئة بقلم المؤلف.

كبشا فداءً عن ولدك ، فعندما أخبر زوجته بما قال الشيخ، فقالت: خذ المال واذهب بسرعة إلى السوق واشترِ كبشا لتذبحه.. لماذا فعلت ذلك ؟ لأنها تحبه ، وعلامة الحب تقديم التضحية .

ولكن لو أن زوجها قال لها : إني رأيت في المنام بأني حملت السكين وذبحت " فلان " جاري ماذا يكون الرد ؟ بيني وبينك يستحق الذبح ! لماذا ؟ لأنها لا تحبه مثل ابنها.. ولذلك لا تقول: كبش ولا دجاجة .. فعندما يكون فيه حب ، يكون فيه تضحية ، وحين لا يوجد الحب لا يوجد التضحية . " فعلامة الحب التضحية " .

فالدعوة ليست كلام فقط ! مثل واحد طول النهار مرحبا بالضيوف .. أهلا وسهلا بالضيوف .. ولكن ما في أكل ! طول النهار مرحباً بالدين .. مرحبا بالدعوة ولكن لا يوجد تضحية .. ولذلك يعترض بعض الناس ويقولون : تدعون منذ زمن فما النتيجة ؟ نعم ندعو لكن لا يوجد تضحية .

والنتائج ليست بالكلام فقط .. الصحابة ﷺ أول شيء قدموه بعد ما عرفوا " لا إله إلا الله " أنفسهم وأرواحهم ... الواحد منهم يعرف أنه عندما يقول : لا إله إلا الله ، ممكن يقتل ... لذلك أول شيء قدمه الصحابة ﷺ نحتاج سنين حتى نصل إليه ، كان الأمر جد في حياتهم من أول لحظة .

فخروجنا الآن في سبيل الله ، هو ثمرة جهد الرسول والصحابة ﷺ ، للآن ، الدم الذي دفعه الصحابة ﷺ ما أحد دفعه حتى الآن .. ممكن يدفعه من أجل الـدنيا، فمن أجل دنياه يتغرب كثير ، أما لدينه فلا ـ نسأل الله لنا ولكم السلامة(١) .

الأهبة قبل النكبة

قيل: أنه ترافق عير وبعير، فكان الحمار كثير العثار مع أن عينيه تراقب مواطن رجليه، وكان الجمل مع عظم هامته، وعلو قامته، وبعد عينيه عن مواطن يديه ورجليه، لا تزل له قدم، ولا يصل له ألم.

فقال الحمار للبعير: أيها الرفيق الكبير، ما بالي في السير كثير العثار ، دائم الوقوع والزلل ، دائم العثار والخطل ، لا أخلو من حجر يدمي مني الحافر ، أو عثرة ترميني في حفرة حافر، مع أن عيني تراقب يدي ولا تنظر سواهما إلي شيء، وأنت لا تنظر إلي مواطن أخفافك، ولا تعرف أين تقع رؤوس أطرافك، لا حجر يصيب خفك، ولا شوكه تخرق كفك ، ولا جورة تقع فيها، ولا تختل عن طريق تمشيها، ولا أدري لماذا؟ قال أبو صابر (١): يا أخي نظرك قاصر ، وفكر غيرك ثاقب، لا تراقب من بين يدك، ولا تنظر ما أمامك ، ألك أم عليك ، فإذا دهمك ما دهاك ، عجز عنه نهاك، فلا تشعر ألا قد وقعت، وانخرق ما رقعت، فلا يمنك التدارج والتلاف، ألا وأنت رهين ائتلاف، وأما أنا فأراقب ما يصير

---

١) المنتقى من كلام أهل التبليغ والدعوة صـــ ٤٢٩.

(١) الجمل .

من العواقب، وأنظر الطريق أمامي على بعد ، فأميز المسلوك من قبل ، ومن بعد فلا أصل إلى صعب، إلا وقد أزلته، ولا إلى وعر، إلا وقد سهلته، ولا إلى وهدة إلا وقد عرفت طريقها، ولا إلى عقبة إلا وقد كشفت واسعها ومضيقها، فاستعد للأمر قبل نزوله، وتأهب للخطب قبل حلوله، واحتال لقطعه قبل حلوله، واحتال لقطعه قبل وصول ، وأصله قبل أن يعقد، وأقيمه قبل أن يقعد، وهذه قاعدة للفقهاء، وأصل كبير للحكماء.. فلابد للعبد الاستعداد قبل الذهاب .. وأخذ الأهبة قبل حلول النكبة (١) .

مكتب التموين

مكتب التموين يوزع لكل صاحب أسرة، بطاقة بها اسم الزوجة والأولاد، الذين يستحقون التموين (السكر ... الأرز.. الزيت ...)

ولو نظرت في المكتب ، لا تجد تموين ، ولكن بهذه البطاقة يذهب إلى الدكان يتحصل علي التموين .. الأرز .. والسكر.. والزيت والشاي ولكن لو لاحظ أن رجلا واقفا، وليس معه بطاقة تموين ويريد أن يأخذ فقط ٦٠٠ جرام ، فلو وقف طوال النهار من الصباح إلى المساء لا يعطيه التموين ، فيأخذ الرجل في السب والشتم ، ويقول: أنتم ظالمون لماذا أعطيتم الناس ولم تعطوني ؟!!... فيقول له التاجـــر: يا مسكين اذهب إلى مكتب التموين لتتحصل على البطاقة،

---

(١) من كتاب الفهميات في الأدبيات اللمليجي (الجزء الثاني) .

وبعد ذلك تأتى فنعطيك التموين، كذلك محل الفلاح، والسعادة، والرزق، والطمأنينة ، والبركة ، في المسجد .

فالمشقة التي نراها في التجار، والزراع، والصناع، والموظفين، والمحامين، والمهندسين، والأطباء، والرؤساء، لأنهم لم يحصلوا على البطاقات من بيت الله ﷻ ، قال تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُون *الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ (١) وقال تعالى﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَّ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ (٢) .

كل رجل في شعبة من شعب الحياة، يجتهد لابنه أن لا يحتاج إلى الغير.. هكذا الرسول ﷺ لم يتركنا يتامى، ولم يوكلنا إلى أي حكومة، أو جماعة، بل أعطانا الصلاة ، حتى نتحصل بها على السعادة في الدنيا والآخرة .

قوة الصلاة

الناس يقولون : أنتم تقولون الكلمة الطيبة والصلاة فما الأثر ؟

ليس بمجرد الكلمة والصلاة، باللفظ، والحركات، والصورة.

يتحصل الإنسان على الفلاح، مثل البندقية: لو لم يوجد فيها الرصاص لا نستفيد منها.

---

(١) سورة المؤمنون – الآية ١ .

(٢) سورة الطلاق – الآية ٢ .

أهل الإيمان ليسوا في حاجة للذهاب إلى أحد في حل مشاكلهم، لأن الله أعطاهم في مسجدهم البسيط الذى عريشه مثل عريش موسى(١).

فالمظلوم إذا ظلم ولم يذهب إلى الحاكم ، وذهب إلى المسجد وصلى ، وحكى حاله أمام الله ، فالله ﷻ يكفيه قال تعالى ﴿.... وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ (٢) الله أعطانا الصلاة أكبر قوة من القنابل ، فعندما تقدمون للناس قوة صلاتكم الله يذهب قوة القنبلة ... ويكون ذلك اليوم يوم دخولهم في الإسلام ... ويخرج من قلوبهم الإيمان بالأسلحة ويدخل في قلوبهم الإيمان بالله ﷻ ، فعندما يقولون : عندنا الأسلحة ... نقول: عندنا الصلاة .. عندنا الإيمان بالله ﷻ (١).

أصحاب اليقين الفاسد لا يستطيعون أن يقفوا أمامنا، ويمنعونا من تحقيق مقاصدنا، لأن اليقين الفاسد ليس له أرجل، فثعبان موسى التقط الحيات كلها، وكانت تريد أن تلتقط قصر فرعون عليه اللعنة، فانظر إلى دليل النبوة (معجزة سيدنا موسى عليه السلام) فكيف بشأن موسى عليه السلام وبشأن النبوة.. فإشارة الرسول ﷺ في الصلاة كانت أعظم وأقوى من إشارة الرسول ﷺ إلى القمر لأن

---

(١) ففي مَرَاسِيلِ الزُّهْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ طُولَ جِدَارِهِ بَسْطَةً وَعَمَدَهُ الْجُذُوعَ وَسَقَفَهُ جَرِيدًا. فَقِيلَ لَهُ: أَلَا نَسْقِفُهُ؟ فَقَالَ: " عَرِيشًا كَعَرِيشِ مُوسَى، خَشَبَاتٌ وَثُمَامٌ، الْأَمْرُ أَعْجَلُ مِنْ ذَلِكَ ".

(٢) سورة الطلاق – الآية ٣ .

(١) المنتقى من كلام أهل التبليغ والدعوة صـــ ٣٦٤.

إشارة الرسول ﷺ إلى القمر دليل النبوة (أي معجزة النبوة) وإشارة النبي ﷺ في الصلاة تشريع والأوامر أفضل من دليل النبوة.. لأن دليل النبوة (المعجزة) جاءت لخدمة المقصد النبوة وما جاءت به من أوامر وتشريعات. (١).

ولذا جاء في الحديث: عَنْ نَافِعٍ قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ إِذَا جَلَسَ فِي الصَّلَاةِ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ، وَأَتْبَعَهَا بَصَرَهُ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): لَهِيَ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنَ الْحَدِيدِ(٢) يَعْنِي السَّبَّابَةَ (٣).

طالب جامعي كتب في تويتر

اليوم في القاعة دخل علينا طالب جديد للتو سجل المادة والغريب إنه كان لابس جوتي (بوت) -أكرمكم الله- وفي نص المحاضرة سأل الدكتور سؤال وجاوبه صاحبنا الذي يلبس البوت (١) وكانت إجابته غلط، الدكتور غضب من الإجابة، وقال للطالب: أنا من ساعة ما رأيتك تلبس البوت في عز الصيف وأنا غاسل يدي منك.

---

(١) من كتاب فرضية الدعوة بقلم المؤلف.

(٢) قال الملا علي القاري في مرقاة المفاتيح: "ثُمَّ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَهِيَ ": أَيِ الْإِشَارَةُ إِلَى الْوَحْدَانِيَّةِ «أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنَ الْحَدِيدِ» ") : إِذْ لَا يَتَأَثَّرُ مِنَ الْحَدِيدِ كَمَا يَتَأَثَّرُ مِنَ التَّوْحِيدِ. وقوله:(يَعْنِي السَّبَّابَةَ): هَذَا كَلَامُ الرَّاوِي.

(٣) رواه أحمد، وضعفه النووي، والهيثمي، وشعيب الأرناؤوط، وصححه أحمد شاكر، وحسنه الألباني.

(١) أي الحذاء .

فكل الطلاب ضحكوا على الطالب.. قام الطالب بكل ثقة وقال: الله أنعم بأشياء كثيرة لكن أخذ منكم زينة العقل.

فكف الطلاب عن الضحك، والدكتور زاد عصبية وقبل ما يتخذ الدكتور إجراء بحق الطالب قام الطالب من على الكرسي ورفع ثوبه وإذ برجليه الاثنين بلاستك والبوت هو الجزمة الوحيدة التي تستوعب حجم الرجلين الاصطناعيتين.

الدكتور ظل مبهور لمدة دقيقتين وألغى المحاضرة وعيونه ممتلئة بالدموع.

فلا تستحقر من أمامك مهما كانت الأسباب .. أسوأ ما يحصل منا إننا حين نرى سلبية في أحدهم نُخبر كل من حوله ولا نخبره بها!.

والأفضل أن نقف بين يدي الله ونقول له: اللهم أزل هذا العيب من عبدك فلان.. نحن نجيد التحدث عن بعضنا، لا مع بعضنا.

حقيقة الدنيا

مثل الدنيا وأهلها فِي اشتغالهم بنعيمها عَنْ الآخِرَة وَمَا يعقبهم من الحسرات مثل أَهْل الدُّنْيَا فِي غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بِهِمْ إلى جزيرة فأمرهم الملاح بالخُرُوج لِقَضَاءِ الحاجة وحذرهم الإبطاء، وخوفهم مُرُور السَّفِينَة.

فتفرقوا فِي نواحي الجزيرة، فقضى بَعْضهُمْ حاجته وبادر إلى السَّفِينَة فصادف المكَانَ خَالِيًا، فأخذ أوسع الأماكن وألينها.

ووقف بَعْضهُمْ فِي الجزيرة، ينظر إلى أزهارها وأنوارها العجيبة ويسمَعَ نغمَاتَ طيورها، ويعجبه حسن أحجارها، ثُمَّ حدثته نَفْسهُ بفوات السَّفِينَة، وسرعة مرورها، وخطر ذهابها فَلَمْ يصادف إِلا مَكَانًا ضَيِّقًا فجلس فيه.

وأكب بَعْضهُمْ على تلك الحجارة المستحسنة، والأزهار الفائقة فحمل مَنْهَا حمله فَلَمَّا جَاءَ لم يجد فِي السَّفِينَة إِلا مَكَانًا ضَيِّقًا، وزاده حمله ضيقًا، فصار محموله ثقلاً عَلَيْهِ، ووبالاً ولم يقدر على نبذه بل لم يجد من حمله بدًا ولم يجد لَهُ فِي السَّفِينَة مَوْضِعًا، فحمله على عنقه وندم على أخذه، فَلَمْ تنفعه الندامة، ثُمَّ ذبلت الأزهار، وتغيرت رائحتها وآذاه نتنها.

وتولج بَعْضهُمْ فِي تلك الغياض، ونسي السَّفِينَة، وأبعد فِي نزهته، حَتَّى إن الملاح نادى بِالنَّاسِ، عِنْدَ دفع السَّفِينَة، فَلَمْ يبلغه صوته، لاشتغاله بملاهيه، فهو تَارَّة يتناول من الثمر وتَارَّة يشم تلك الأزهار وتَارَّة يعجب من حسن الأشجار.

وهو على ذَلِكَ خائف من سبع يخَرَجَ عَلَيْهِ، غير منفك من شوك يتشبث فِي ثيابه، ويدخل فِي قدميه أَوْ غصن يجرح بدنه أَوْ عوسج يخرق ثيابه، ويهتك عورته، أَوْ صوت هائل يفزعه.

ثُمَّ من هؤلاء من لحق بالسَّفِينَة، ولم يبق فيها موضع، فمَاتَ على الساحل، وَمِنْهُمْ من شغله لهوه، فافترسته السباع ونهشته الحيات وَمِنْهُمْ من تاه فهام على وجهه حَتَّى هلك، فهَذَا مثال أَهْل الدُّنْيَا فِي اشتغالهم بحظوظهم العاجلة، ونسيانهم موردهم وعاقبة أمرهم، وَمَا أقبح بالعاقل أن تغره أحجار ونبات يصير هَشِيمًا(١).

---

(١)عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم.

عبرة للملوك والرؤساء

كان الملوك يحضرون مجلسهم العام بعد حضور الناس لكي يقوم الناس بجماعتهم لتعظيمهم ولا يقومون لأحد .

وفي يوم من الأيام دخل الخليفة هارون الرشيد .. وكان في الناس بهلول، فلما دخل هارون وقبل جلوسه على كرسيه قام بهلول وجلس على كرسي الملك قبله وبقي هارون واقفا فأخذ الحرس بهلول وبدأو يجلدونه ويضربونه ويركلونه أمام الملك والناس ، فأخذ بهلول بالبكاء بالعويل والصياح العالي والصراخ

وبعد فترة من الضرب والجلد والركل أمر هارون الرشيد بالكف عنه.

وقال له هارون :هل أوجعك الضرب والجلد ؟قال بهلول : لا ..!!.

فقال له هارون: إذن لماذا هذا البكاء والعويل والصياح والصراخ إذا لم يوجعك الضرب ؟.قال بهلول: بكيت عليك وأعولت على حالك ولم أبكِ على نفسي !.

فقال هارون : وكيف والضرب والجلد وقع عليك والبكاء والصراخ صدر منك ؟! فقال بهلول: أنا جلست على هذا الكرسي أقل من دقيقة أنالني من الضرب من الجند والحرس ما قد رأيت لولا أن تأمرهم بالكف عني لما كفوا.. وأنت جالس على هذا الكرسي سنين فكم ستحصل عليه من الضرب والجلد من جند الله وملائكته وحرس جهنم ولا يكف عنك، فلذا شغلني حالك عن حالي وبكيت عليك .

فيقال : استحسنه الحاضرون واعتبر كلام بهلول حكمة علمية وعملية مع ما فيه من موقف طريف ونادر وعجيب ويدل على الذكاء والفطنة في الوعظ ولكن بتصرف يحسب أوله من الجنون والبساطة .

ولما دخل المأمون مصر، قال: قبح الله فرعون إذ قال (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ) فماذا لو رأى العراق ؟!فقال له سعيد بن عفير : لا تقل هذا يا أمير المؤمنين فإن الله تعالى قال: :{ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ }(١).

فما ظنك بشيء دمره الله هذه بقيته ! فقال: ما قصرت يا سعيد، قال سعيد : ثم قلت يا أمير المؤمنين ، لقد بلغنا أنه لم تكن أرض أعظم من مصر ، وجميع الأرض يحتاجون إليها ، وكانت الأنهار بقناطر وجسور بتقدير ، حتى إن الماء يجري تحت منازلهم وأفنيتهم يحبسونه متى شاءوا، ويرسلونه متى شاءوا، وكانت البساتين بحافتي النيل من أوله إلى آخره ما بين أسوان إلى رشيد لا تنقطع ، ولقد كانت المرأة تخرج حاسرة ولا تحتاج خمارا على رأسها لكثرة الشجر الذي يسترها عن العيون.

ولقد كانت المرأة تضع المكتل (الوعاء) على رأسها فيمتلئ مما يسقط فيها من الفاكهة دون أن تمد يدها لجمعه.

فكان فرعون سببا أن تتحول مصر من جنة لا مثيل لها على وجه الأرض إلى صحراء قاحلة إلا قليلا منها وكذلك يفعل الفراعين ! (١).

---

(١) سورة الأعراف _ الآية ١٣٧.

(١) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي.

يحركون الوتد

يقال أن إبليس أراد الرحيل من مكان كان يسكن فيه مع أبنائه، فرأى أحد أولاده خيمة فقال لا أُغادرن حتى أفعلن بهم الأفاعيل، فذهب إلى الخيمة، فوجد بقرة مربوطة بوتد، ووجد امرأة تحلب هذه البقرة، فقام فحرك الوتد، فخافت البقرة وهاجت، فانقلب الحليب على الأرض ودهست ابن المرأة الذى كان يجلس بجوار أمه وهى تحلبها فقتلته دهسا، فغضبت المرأة فدفعت البقرة وضربتها بشدة وطعنتها بالسكين طعنا مميتا فسقطت البقرة وماتت، فجاء زوجها فرأى طفله والبقرة مقتولين فطلق زوجته وضربها، فجاء قومها فضربوه، فجاء قومه فاقتتلوا واشتبكوا، تعجب إبليس فسأل ولده ويحك ما الذي فعلت ؟!قال: لا شيء فقط(حركت الوتد) .

وهكذا يظن الأغلب من الناس أنهم لا يفعلون شيئا، وهم لا يعلمون أن بضع كلمات.. فقط بضع كلمات بالأذن تقلب الحال رأسا على عقب تسبب الخلاف وتشعل المشاكل وتقطع الأرحام وتشحن الأجواء وتخطف الفرحة وتقضي على البهجة وتكسر القلوب

ثم يظن الفاعل أنه لم يفعل شيئا!! ،،،فقط يحركون الوتد،،،

المجنون الحكيم

حضر مجنون إلى مجلس إمام المسجد وكان عنده ضيوف، فأحضر الإمام تمراً، وطلب من المجنون أن يقسمه بين الحضور، فقال المجنون لإمام المسجد: أأقسمه كقسمةِ الناسِ أم كقسمةِ الله ؟!فقال له الإمام : اقسمه كقسمةِ الناسِ.

فأخذ المجنون طبق التمر، وأعطى كل واحدٍ من الحضور ثلاث تمرات، ووضع بقية الطبق أمام الإمام.

عندها قال الإمام: أقسمه كقسمة الله !، فجمع المجنون التمر ، وأعطى الأول تمرة، والثاني حفنة ، والثالث لا شيء، والرابع ملأ حجره!.

فضحك الحاضرون طويلاً .. لقد أراد المجنون أن يقول لهم إن لله حكمة في كل شيء ، وإن أجمل ما في الحياة التفاوت، لو أُعطي الناس كلهم المال لم يعد له قيمة ..ولو أُعطي كلهم الصحة ما كان للصحة قيمة.. ولو أعطي كلهم العلم ما كان للعلم قيمة.

سرّ الحياة أن يُكمل الناس بعضهم بعضا، وأن لله حكمة لا ندركها بعقلنا القاصر، فحين يعطي الله المال له حكمة، وحين يمسكه له حكمة، وأنه ليس علينا أن نشتكي الله كما نشتكي موزع التمر إذا حرمنا !! لأن الله سبحانه وتعالى إذا أعطانا فقد أعطانا ما هو له ، وإذا حرمنا فقد حرمنا مما ليس لنا أساساً !

ولو نظرنا إلى الحياة لوجدناها غير متساوية ، لهذا نعتقد أن فيها إجحافاً، ولكن هنالك مبدأ أسمى من المساواة، هو العدل، والله عادل، لهذا وزع بالعدل

لا بالمساواة، لأن المساواة تحمل في طياتها إجحافاً أحياناً، ومن أُعطي المال نحن لا نعرف ما الذي أُخذ منه في المقابل ، ولنكن على يقين أن الله لو كشف لنا حُجب الغيب ما اخترنا لأنفسنا إلا ما اختاره سبحانه لنا، ولكننا ننظر إلى الدنيا كأنها كل شئ، وأنها المحطة الأخيرة لنيل النصيب والرزق، هناك آخرة، ستأتي لامحالة، وسنرى كيف تتحقق العدالة المطلقة، وأن العطاء الحقيقي هناك ، والحرمان الحقيقي هناك.

المال لم يكن يوماً معياراً لحب الله للعبد، فقد أعطى المال والملك لمن أبغضهم وأحبهم، ولكنه لم يعطِ الهداية إلا لمن أحبّ، ولو كان المال دليلاً على محبة الله للناس لما ملك النمرود الأرض من مشارقها إلى مغاربها ، ولما مضت الأشهر ولا يوقد في بيت النبيّ (صل الله عليه وسلم) نار لطعام !!

من أخلص النية رزقه الله على نيته

لم يتزوج نجم الدين أيوب (أمير تكريت) لفترة طويلة، فسأله أخوه أسد الدين شيراكوه عن سبب عزوفه عن الزواج، فقال له نجم الدين : لا أجد من تصلح لي، فقال له أسد الدين : ألا أخطب لك، قال: ابنة من ؟، قال: ابنة السلطان محمد بن ملك شاه السلطان السلجوقي أو ابنة وزير الملك، فرد عليه نجم الدين: إنهم لا يصلحون لي، فتعجب منه قائلا : ومن يصلح لك ؟، فرد عليه نجم الدين : إنما أريد زوجة صالحة تأخذ بيدي إلي الجنة وأنجب منها ولدا تحسن تربيته حتي يشب ويكون فارسًا ويعيد للمسلمين بيت المقدس، أسد

الدين لم يعجبه كلام أخيه فقال له: ومن أين لك بهذه ؟! فرد عليه نجم الدين: من أخلص لله النية رزقه الله.

وفي يوم من الايام كان نجم الدين يجلس إلى شيخ من الشيوخ في مسجد في تكريت يتحدث معه، فجاءت فتاة تنادي على الشيخ من وراء الستار فاستأذن الشيخ من نجم الدين ليكلم الفتاة، فيسمع نجم الدين الشيخ وهو يقول لها: لماذا رددت الفتى الذي أرسلته إلى بيتكم ليخطبك، فقالت له الفتاة : أيها الشيخ! ونعم الفتى هو من الجمال والمكانة ، ولكنه لا يصلح لي، فقال لها الشيخ: وماذا تريدين؟،فقالت له: سيدي الشيخ، أريد فتىً يأخذ بيدي إلى الجنة وأنجب منه ولدًا يصبح فارسًا يعيد للمسلمين بيت المقدس.

((الله أكبر نفس الكلمات التي قالها نجم الدين لأخيه، فنجم الدين رفض بنت السلطان وبنت الوزير وما لهم من المكانة والجمال، وكذلك الفتاة رفضت الفتى الذي له من المكانة والجمال والمال، كل هذا من أجل ماذا ؟، كلاهما يريد من يأخذ بيديه إلى الجنة وينجبان فارسا يعيد للمسلمين بيت المقدس)).

فقام نجم الدين ونادى على الشيخ: أيها الشيخ أريد أن أتزوج من هذه الفتاة، فقال له الشيخ : إنها من فقراء الحي، فقال له نجم الدين: هذه من أريدها ، فتزوج نجم الدين أيوب من هذه الفتاة.

وبالفعل من أخلص النية رزقه الله على نيته.. فأنجبت لنجم الدين ولدًا أصبح فارسًا أعاد للمسلمين بيت المقدس ألا وهو: (صلاح الدين الأيوبي)

هذا هو تراثنا وهذا هو الذي يجب ان يدرس لأبنائنا.

طاهية تطهي طعامها بذكر الله

يقول أحدهم: دخلت مرة بيت جدي، فوجدت جدتي تطبخ رز بحليب، ولفت نظري أنها كانت تحرك الرز بحليب بيد، وتحمل السبحة بيدها الأخرى. فسألتها: كم يحتاج الرز بحليب من الوقت كي ينتهي؟. فالتفتت إلي وهي تبتسم ابتسامة تفيض نوراً ولطفاً وجمالاً وتذكر الله بسبحتها وقالت: (يحتاج ألف لا إله إلا الله).

إنها إحدى أسرار البركة والطمأنينة والسعادة، أن تأكل طعاماً توقيت طبخه قول: (لا إله إلا الله) ألف مرة فوقه وحوله.

فكيف سيكون حال ذلك الطعام، وكيف سيكون تأثيره على آكله.

وقيل لرجل: كم مسافة بين منزلك ومحل عملك؟ قال سبعمائة تسبيحة.

ابن الملك المسرف على نفسه بالمعاصي

رُوِيَ أنّ غُلاماً كان ابن ملك...فتُوفي أبوه وخلّف لهُ مالاً كثيراً، فأنفق الجميع ، وخرج يبحث عن زانية يقضي ليلته معها، فأتى على قومٍ زرعوا زرعاً حتى إذا استحصد زرعُهم أغرقوهُ بالماء، فعجِب مما رأى وأكملَ طريقه فإذا برجُلٍ يحاول حمل صخرةٍ فثقُلت عليه ولم يقدر على حملها فجاءَ بصخرةٍ ثانية فوضعها فوق الأولى فخفّ عليه حملها فزاد استغرابهُ وتعجبه.

فمضى حتى رأى شاةً قد أمسكَ بها خمسة رجال، رجلٌ راكِبٌ عليها، وهي

راكبة على رجل، وآخر قد أخذ بذنبها، وآخر قد أخذ بقرنيها، وآخر يحلِبُها، فقال ما أعجب ما رأيت.

ثمّ وصل إلى المدينة فإذا بشيخٍ بيدهِ عصا، فقال له يا شيخ رأيتُ في طريقي عجائب..قال : كيـــــف ؟.

قال: رأيتُ قوماً قد زرعوا زرعاً من صفاتهم كذا وكذا يزرعون ثُمّ يغرقون ما زرعوا ،قال الشيخ: هذا مثل، أراد الله تعالى أن يريك قوماً عملوا الصالحات ثم ختموا بالمعاصي، وساءت خاتِمَتُهم فأحبط اللهُ أعمالهم، وأما الذي لا يطيقُ حمل صخرة فيضم إليها ثانية فيحملها فهذا مثل رجلٍ عمل خطيئة فعظمت عنده وكبُرت لديه فلم يقدر على حملها فزيّن لهُ الشيطانُ هذه الخطيئة فإذا عمل خطيئةً أُخرى هانت عليه فإذا عمل ثالثاً تعوّد ذلك واسود قلبه فلم يشعر بالخِتمِ والطبعِ على قلبه.

وأما الشاة فهذا مثلُ الدنيا فالراكبون عليها مُلوكُ الزمان، والراكبة عليهم هم المساكينَ والفُقراء، والذي قد أخذ بذنبها هو الذي قَصُرَ عُمره وأجلُه ولم يبق منه إلاّ القليل وهو لا يدري ، والذي أخذ بقرنيها فالذي لا يصيبُ المعيشة إلاّ بالتعّب والكدّ وأما الحالبون من ضرعها فهم التجار وأصحابِ الأرباح.

قال الغلام: ها قد فهمت فأين منزل الزانية الفلانية ؟.

فقال الشيخ :أُفٍ لك قد وُعِظتَ فلم تتعِظ وزُجرتَ فلم تنزجر، أنا ملكُ الموت فقبض روحه.

صنع طعاما لأهل المسجد

رزق أحد المسلمين بمولود فعق عنه بشاة، ،أخذ بالحديث النبوي: "لا تُصَاحبْ إِلاَّ مُؤْمِناً، وَلاَ يَأْكُلْ طعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ ". رواه أَبُو داود، والترمذي بإِسْنَادٍ لا بأْس بِهِ . (١).

فذهب لصلاة العشاء في المسجد واصطحب معه أحد بنيه، وقرأ الإمام في العشاء بسورتي: التين والزيتون، والكافرون، وما أن انتهت الصلاة، إذ بالرجل يقول لابنه، أنا أذهب إلى البيت لأنتظر الضيوف، وأنت اعزم كل المصلين.

وكان الابن ذكيا فوقف على باب المسجد، وسأل واحدا واحدا كل واحد على انفراد، ماذا قرأ الإمام في صلاة العشاء، فبعضهم يقول: بالتين والزيتون والكافرون، وبعضهم يقول لا أدري، فمن قال: بالتين والزيتون والكافرون، قال له: اذهب إلى بيتنا لتناول العشاء، أبي في انتظارك، ومن قال: لا أدري تركه، فلما ذهب إلى بيته، قال أبوه: أين المصلون؟ قال: هؤلاء الذين أمامك، قال: يا بني! تركتهم في المسجد كثير، قال: نعم! ولكن كثير منهم لم يصلِ.

---

(١) رياض الصالحين _ كتاب المقدّمات _ باب زيارة أهل الخيرومجالستهم وصحبتهم ومحبتهم وطلب زيارتهم والدعاء منهم وزيارة المواضع الفاضلة _ حديث رقم ٣٦٦.

مكلف بالسير لا بالوصول

بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة إلى يثرب، لم يتبق في مكة إلا عدد قليل من المسلمين لم يهاجروا لمرضهم وكبر سنهم.

وكان من بين هؤلاء الصحابة الذين حبسهم المرض وكبر السن الصحابي الجليل:ضمرة بن جندب (رضي الله عنه)لم يستطع أن يتحمل مشقة السفر وحرارة الصحراء فظل في مكة مرغمًا.

ولكنه رضي الله عنه لم يتحمل البقاء بين ظهراني المشركين، كما في أسباب النزول للواحدي: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةِ عَطَاءٍ: كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ يُخْبِرُ أَهْلَ مَكَّةَ بِمَا يَنْزِلُ فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ، فَكَتَبَ الْآيَةَ الَّتِي نَزَلَتْ:{ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ} فَلَمَّا قَرَأَهَا الْمُسْلِمُونَ قَالَ حَبِيبُ بْنُ ضَمْرَةَ اللَّيْثِيُّ لِبَنِيهِ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا: احْمِلُونِي فَإِنِّي لَسْتُ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَإِنِّي لَا أَهْتَدِي إِلَى الطَّرِيقِ. فَحَمَلَهُ بَنُوهُ عَلَى سَرِيرٍ مُتَوَجِّهًا إِلَى المدينة، فلما بلغ «التَّنْعِيمَ» أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ، فَصَفَّقَ يَمِينَهُ عَلَى شِمَالِهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ هَذِهِ لَكَ وَهَذِهِ لِرَسُولِكَ أُبَايِعُكَ عَلَى مَا بَايَعَتْكَ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمَاتَ حَمِيدًا، فَبَلَغَ خَبَرُهُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالُوا: لَوْ وَافَى الْمَدِينَةَ لَكَانَ أَتَمَّ أَجْرًا، فَأَنْزَلَ الله تعالى فيه هَذِهِ الْآيَةَ { وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ

مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا }(١) (٢).

فحاز ضمرة شرفًا لم يحزه غيره بأن نزل فيه قرآن يُتلى، رغم كونه لم يصل إلى المدينة.

فالطريق الى الله طويل، لا يشترط أن تصل إلى آخره، المهم أن تموت وأنت فيه.

العمل مع الله لا يشترط فيه أن تصل للهدف، ولكن يكفيك أن تموت وأنت تعمل وتسير في الطريق إليه ما دامت نيتك لله .

حافظوا على مسيركم إلى الله فالقلوب ضعيفة والفتن خطافة.

القرآن كالبحر ينظف القلوب

كان هناك رجل يقرأ القرآن بكثرة ولكن لا يحفظ منه شيئا، سأله ابنه الصغير ما الفائدة من قرائتك دون أن تحفظ منه شيئا ؟!

فقال له: سأخبرك لاحقا اذا ملأت سلة القش هذه ماءً من البحر، فقال الولد: مستحيل أن املأها، فقال له: جرب، كانت السلة تستخدم لنقل الفحم، فأخذها الصبي وملأها من البحر وذهب بسرعة نحو أبيه، ولكن الماء تسرب منها ؛ فقال لأبيه : لا فائدة، فقال الأب: جرب ثانية !.

---

(١) سورة النساء ــ الآية ١٠٠.

(٢) أسباب النزول للواحدي النيسابوري.

ففعل فلم ينجح بإحضار الماء وجرب ثالثة ورابعة وخامسة دون جدوى ، فاعتراه التعب، وقال لأبيه: لا يمكن أن نملأها بالماء، فقال الأب لابنه : ألم تلاحظ شيئا على السلة؟! هنا تنبه الصبي فقال: نعم يا أبي كانت متسخة من بقايا الفحم والآن أصبحت نظيفة تماما، فقال الاب لابنه : وهذا تماما ما يفعله القرآن بقلبك، فالدنيا وأعمالها قد تملأ قلبك بأوساخها، والقرآن كماء البحر ينظف صدرك حتى لو لم تحفظ منه شيئا !.

إن أول ما نزل من القرآن الكريم على سيدنا محمد رسول الله (ﷺ) هي : كلمة اقرأ .. ولم ينزل الله عليه كلمة احفظ . فلا تجعل عدم قدرتك على حفظ القرآن مدخلا للشيطان إلى نفسك وقلبك ليبعدك عن قراءته .

شيخة قبيلة بين جبال أفريقيا

دعونا نستمع إلى الشيخ محمود زكريا وهو حدثنا من مدينة (تونجي) هذا الحديث الذي يشبه الأساطير، ولعله رسالة لكل مسلم يهمه أمر الدعوة إلى دين الله الحق.

الشيخ محمود فلسطيني من عرب الداخل وبالتحديد من مدينة (اللد) وهذه المدينة يختلط فيها المسلمون واليهود والنصارى وأغلب سكانها من اليهود وتعتبر هذه المدينة أكثر مدن الداخل الفلسطيني نشاطا في التبليغ، وفيها أكبر مركز في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م ففي آخر مؤتمر للجماعة حضر في المركز أكثر من ستمائة من الدعاة، ويخرج الكثير من هذا المركز دعاة إلى الله في كل

الداخل الفلسطيني وكذلك إلى مدينة القدس، وقد جرى تشكيل أكثر من خمسين شابا في آخر خروج للجماعة إلى المسجد الأقصى بل وخرج إمام المسجد الأقصى مع الجماعة أربعة أشهر.

وتخرج الجماعات الدعوية من الداخل الفلسطيني إلى معظم أنحاء العالم تحت غطاء الجواز الذي يحملونه.

وفي هذه القصة العجيبة جدا خرج ستة عشر داعية من (اللد) وأميرهم الشيخ محمود زكريا لمدة سنة، في الأردن وقطر وزامبيا وناميبيا وجنوب أفريقيا، وفي جنوب أفريقيا يوجد رابع أكبر مركز للتبليغ في العالم، فلما وصلوا هذا المركز قال الشيخ زكريا للإخوة في شورى المركز :

نحن لم نخرج من بلادنا للأكل والشرب والنوم والضيافة، بل نريد أن نخرج إلى مكان لم تصله قدم مسلم قبلنا.

فقيل لهم: إذن سنرتبكم إلى منطقة الجبال، وهي منطقة قبلية وثنية بعيدة، لكن لابد أن نرسل إلى تلك القبائل من يستأذن لكم ولابد أن يخرج معكم عدد كبير منا.

فأرسلوا رسولا إلى تلك القبائل فعاد بعد أربعة أيام يحمل معه الموافقة، فتحرك ستون داعية إلى تلك الجبال الوعرة متوكلين على الله الواحد القهار، حتى نزلوا في إحدى تلك القبائل الوثنية البدائية، في بيوت من الحجارة المرصوصة والقش والحطب والأخشاب، وكان معهم مترجم أفريقي أسلم منذ

سنوات على يد جماعة باكستانية، وهذا المترجم ملم بأحوال القبائل وتركيبتهم وطريقة تفكيرهم، وكان الشيخ محمود زكريا يتكلم بالإنجليزية .

فلما نزلوا هناك قيل لهم: لابد أن يكون نزولكم عند (شيخة القبيلة)، قال الشيخ محمود : في الحقيقة أنا تفاجأت أن شيخ هذه القبيلة امرأة، فدخلنا بيتها فوجدناه بيتا صغيرا مبنيا بالحجارة البسيطة ومسقوف بالقش ووجدناها تجلس على كرسي على اعتبار أنه عرش لزعيمة القبيلة، وقبل أن أبدأ الكلام معها قال لي المترجم : هذه المرأة هي المفتاح فأصدق الله معها فلو أسلمت ستسلم القبيلة كلها وإن رفضت الإسلام فلن يسلم أحد، قال : فتذكرت قصة إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير، فبدأت الحديث معها عن الخالق الواحد وعن عظمته وقدرته واستطردت معها في التوحيد وكلمتها عن حاجة البشرية للأنبياء والرسل وعن المعاد وعودة الناس للحياة بعد الموت والجنة والنار والحساب. .إلخ، والمترجم يترجم حتى شعرت أني أرهقت فتوقفت، فوجمت المرأة وطال صمتها ثم قالت :

منذ سنوات مات جد لنا وكان هو شيخ القبيلة ولكنه قبل أن يموت وهو على فراش الموت دعا وجهاء القبيلة وكنت أنا وزوجي الراحل نسمع فقال:

إنكم تعيشون حياة بائسة فليس معكم دين ولا دنيا وأنا الآن في آخر أيام حياتي فإذا جاءكم دين مبارك ترون فيه خيرا لكم فاقبلوه، ثم لم يلبث كثيرا حتى مات، فخلفه زوجي على زعامة القبيلة ثم مات ثم خلفت أنا زوجي على

القبيلة، ومنذ ذلك الحين لم يأتنا أحد يدعونا إلى أي دين، وعلى هذا فأنا أقبل كل ما تفضلتم به من الشرح والبيان.

قال : فهللنا وكبرنا، فشرحنا لها معنى الشهادتين ثم طالبناها أن تنطقها بالعربية فنطقتها وكان مشهدا لا يوصف، ثم قالت : أنتم انتظروا هنا وسوف أرسل إلى قومي ليجتمعوا وأنتم اعرضوا عليهم كل ما تفضلتم بعرضه علي، ثم أرسلت من يدعوهم فتجمعوا حول بيتها فوقف فيهم الشيخ محمود زكريا خطيبا يدعوهم إلى الإسلام والمترجم يترجم فلما أكمل وقفت زعيمتهم فيهم خطيبة فقالت لهم : انظروا إلى حالنا وبؤسنا وحياتنا هل تريدون أن ننتقل من هذا البؤس إلى النار..... وفي آخر كلامها أخبرتهم أنها أسلمت وأنها قبلت كل ما قاله الشيخ العربي، ثم وقف الشيخ محمود في مكان مرتفع يردد الشهادتين وهم يرددون وراءه وكانوا أكثر من ستمائة.

قال الشيخ : شعرت أن الجبال كلها تردد الشهادتين معنا ولم يبق أحد منا إلا وسالت دموعه مدرارا.

ثم تفرق الإخوة في الجموع يشرحون لهم الإسلام وكان معنا من أحباب جنوبي أفريقيا أربعة وأربعون أخا. ثم جلسنا مع الزعيمة فقالت : نحن نحتاج منكم دعاة من أهل بلدنا يقيمون معنا حتى نتعلم الإسلام لأنني رأيتكم تفعلون أشياء تحتاج إلى معلم(تقصد الصلاة) نحن قبلنا هذا الدين المبارك بكل تفاصيله ونريد أن نتعلمه حتى نصبح مثلكم ولو لكم زوجات وأخوات

وبنات مسلمات مثلكم أحضروهن معكم ليعلمن النساء.

قال : فقلنا لها سوف نعود الليلة إلى المركز ونأتيكم غدا ومعنا بعض النساء وما تحتاجون إليه من ثياب ساترة للصلاة.

فعدنا إلى المركز وكان يوما مشهودا. فتحمس الإخوة واصطحبوا زوجاتهم وبناتهم حتى عددت عشرين امرأة وأخذوا معهم الكثير من الثياب النسائية .

وخرج معنا آخرون حتى أصبحنا تسعين داعية، فأسسنا لهم مسجدا ومكثنا فيهم شهرا كاملا ، فتعلموا الصلاة وأركان الإسلام وبعض السور، وقبل أن نغادرهم استدعتني الزعيمة وقالت: إن وراء هذه الجبال الكثير من القبائل مثلنا والذي إن عرضتم عليهم ما عرضتموه علينا فلن يرفضوه فلا يليق بكم أن تتركوا هؤلاء الناس يموتون على الوثنية.

فقلت لها: نحن العرب انتهت الآن مدة خروجنا ولنا ارتباطاتنا ولكن سوف يأتيكم الأحباب من المركز ونرتب من يقيم معكم بشكل دائم، وأعدك أني سأعود إليكم المرة القادمة في عدد كبير من العرب.

فلما بدأنا نتجهز للعودة جاءت فتاة صغيرة سميناها مريم جاءت تجري نحوي حتى وقفت أمامي فقرات سورة الفاتحة باللغة العربية ودموعها تجري على خديها. قال الشيخ: ثم جرى تعيين طالبي علم وهما شابان سنغاليان للإقامة الدائمة مع القبيلة لإقامة الجمعة والجماعة وتعليم الإسلام والدعوة إليه،

وجعل المركز من ضمن برامجه متابعة هذه القبيلة .

فأين أنتم أيها الدعاة العرب؟ العالم ينتظركم؟ فهل من مشمر؟

إياك والعيوب

قال هشام بن عبدالملك للأعمش: اكتب لي مساوئ عثمان بن عفان ومناقب علي فكتب إليه الأعمش: بسم الله الرحمن الرحيم....أمّا بعد:

فلو كان لعثمان مساوئ أهل الأرض ما ضرتك ..ولو كان لعليٍّ مناقب أهل الأرض ما نفعتك ...فعليك بخويصة نفسك فإياك أن يكون شغلك الشاغل عيوب فلان وسقطاته وزلاته فإنك لا تحاسب عليها! وحسنات الناس لأنفسهم لا لك فاشغل نفسك بإصلاح عيوبك والتوبة من سيئاتك وزيادة حسناتك فهي الباقية في كتابك .

فعلامة خسران العبد انشغاله بعيوب الناس .!!!.

قال النووي رحمه الله: بلغنا أن قس بن ساعدة، وأكثم بن صيفي اجتمعا، فقال أحدهما لصاحبه: كم وجدت في ابن آدم من العيوب؟! فقال: هي أكثر من أن تحصى، والذي أحصيته: ثمانية آلاف عيب، فوجدت خصلةً إن استعملتها سترت العيوب كلها، قال: ما هي؟ قال: حفظ اللسان.

رأيت فيك القرآن قبل أن تقرأيه

ذهبت امرأة (مسلمة) لزيارة جارتها (النصرانية) المريضة فوجدتها نائمة في فراشها فقالت لها: دعيني أرقيك بشيء من كتاب الله فنحن نستشفي

بالقرآن.!.

فقالت لها الجارة: ولكن قبل ذلك اعطيني شيئا من الماء لأني أشعر بالعطش فنهضت وجلبت لها الماء وسقتها منه ثم طلبت منها الجارة أن ترفع رأسها عن الوسادة، وأيضا رفعت لها الوسادة ثم قالت الجارة: لم أكل شيئا منذ أيام ولا أجد من يعينني، فهلا جلبتِ لي شيئا من الطعام.!.

فقالت لها المرأة: حالا سأجلب لك شيئا تأكلينه ولم تمضِ دقائق إلا وأتت الجارة بما لذ وطاب من الطعام ....وبعد أن اكملت الجارة الطعام وشبعت.!!

قالت لها المرأة : هل اقرأ لك شيئا من القرآن عندها قالت لها الجارة :ولكني رأيت فيك القرآن قبل أن تقرأيه.!!.

الحكمة من هذه القصة: أن نجعل الناس تعرف من نحن من حسن تصرفنا ومعاملتنا وأخلاقنا... فلنكن قرآنا يمشي على الارض.!!

لا تحدثّني كثيرا عن الدين بلّ دعني أرى الدين في سلوكك وأخلاقك.

من أروع الأمثلة على حضارة الشعوب الإسلامية

الأولى ما روي عنهم من معاني الرحمة أن ترى صحابيا مثل عدي بن حاتم كان يفت الخبز للنمل ويقول " إنهن جارات لنا ولهن علينا حق " .

والأروع أن ترى صحابيا مثل أبي الدرداء يكون له بعير فيقول له عند الموت " يا أيها البعير لا تخاصمني إلى ربك فإني لم أحملك فوق طاقتك " .

وأن إماما كبيرا كأبي إسحاق الشيرازي كان يمشي في طريق ومعه بعض

أصحابه ، فعرض له كلب فزجره صاحبه فنهاه الشيخ وقال له : " أما علمت أن الطريق مشترك بيننا وبينه ؟ " .

مكارم الأخلاق

لما أفضت الخلافة إلى بني العباس اختفت رجال من بني أمية وكان في جملة من اختفى إبراهيم بن سليمان بن عبدالملك، ولم يزل متخفياً إلى أن أخذ داود أماناً من أبي العباس السفاح، وكان إبراهيم رجلاً بليغاً أديبا حسن المحاضرة ، وكان له حظوة عند أمير المؤمنين السفاح فقال له يوماً: لقد مكثت زماناً طويلاً مختفياً فحدثني بأعجب ما رأيت في اختفائك فإنها كانت أيام تكدير ؟.

قال: يا أمير المؤمنين وهل ممتع أعجب من حديثي، لقد كنت مختفياً في منزل أنظر إلى البطحاء فبينما أنا على ذلك إذ أنا بأعلام سود خرجت من الكوفة تريد البصرة فوقع في ذهني أنها تطلبني فخرجت متنكراً، والله ما أعرف أين أتوجه ولا إلى أين أذهب ؟.

فأتيت الكوفة من غير طريق معروفة، وأنا لا أعرف الرحبة ، ووقفت قريبا من الباب ، وإذا رجلٌ حسن الهيئة ، وهو راكبٌ فرساً ومعه جماعة من أصحابه وغلمانه فدخل الرحبة فرآني واقفاً مرتاباً ، قال لي: ألك حاجة ؟.

قلت غريب خائف من القتل واستجار بمنزلك .

قال ادخل ، فدخلت إلى حجرة داره وقال: هذه لك (يقصد الحجرة) .

وهيأ لي ماكنت أحتاج إليه من فرش وآنية في كل ما أحب من مطعم

ومشرب وملبس ، فأقمت عنده مدة طويلة ، والله يا أمير المؤمنين ما سألني قط من أنا ولا ممن أخاف، وكان إذ ذاك يركب في كل يوم ويعود متعباً متأسفاً كأنه يطلب شيئاً لم يجده ، فقلت له يوماً: أراك تركب كل يومٍ وتأتي متعباً متأسفاً كأنك تطلب شيئاً فاتك ؟ .

فقال : إن إبراهيم بن سليمان بن عبدالملك قتل أبي وبلغني أنه متخفٍ ، وأنا أطلبه لعلي أجده فآخذ ثأري منه بسيفي هذا .

فتعجبت والله يا أمير المؤمنين من هربي وشؤم بختي الذي ساقني إلى منزل رجل يريد قتلي، ويطلب ثأره مني، فكرهت والله الحياة يا أمير المؤمنين واستعجلت الموت لما نالني من الشدة ، فسألت الرجل عن اسم أبيه وعن سبب قتله فعرفت الخبر، وهو صحيح فقلت: يا هذا قد وجب علي حقك أن أدلك على قاتل أبيك وأقرب لك الخطوة .

قال: أتعلم أين هو ؟ قلت : نعم .قال : أين أجده ؟ قلت : هو أنا خذ بثأر أبيك .قال: أظنك مضّك الاختفاء وكرهت الحياة. قلت: والله أنا قتلته يوم كذا وكذا بسبب كذا وكذا. فلما علم صدقي تغير لونه واربَدّ وجهه واضطرب كونه واحمرّت عيناه فطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال: أما أبي فسيلقاك غداً يوم القيامة يحاكمك عند من لا تخفى عليه خافية.

وأما أنا فغير مختفر ذمتي ولا مضيع نزيلي وقد أجرت، ولكن اخرج عني فإني لا آمن من نفسي عليك بعد اليوم ، ثم وثب يا أمير المؤمنين إلى صندوق

فأخرج صرة فيها ألف دينار. فقال: خذ هذه واستعن بها على خفائك ، فكرهت أخذها . وخرجت من عنده وهو أكرم رجل رأيته يا أمير المؤمنين . (١).

مثل مشهور: " احنا دافنينه سوا "

وقصته: يحكى أن سادنا (خادماً) لأحد القبور الذي يبعد نحو أربعة فراسخ (وحدة قياس قديمة يعادل ست كيلو مترات) عن البلد كان له تلميذ فقير يعيش معه على النذور التي يقدمها زوار القبور فرأى يوما أن لديه منها أشياء غير ضرورية له وأنه محتاج لغيرها من ضرورياته، وكان عنده حمار فأرسل تلميذه محملا الحوائج على الحمار إلى البلدة لبيعها ويشتري بثمنها ما يريد، فلما سار التلميذ نحو ثلث الطريق نفق الحمار (مات) ، فبقي حائرا إذ لا يمكنه حمل ما كان على ظهر الحمار، ولا يمكنه ترك الحاجات، فجلس جانب الجيفة وأخذ يتلهى بإهالة التراب عليها ، فمر به أمير البلدة مع جيش خارجا لتأديب بعض الخوارج، فلما رأى الغلام أمام كومة من التراب ومعه حوائج سأله ماذا تفعل هنا؟ وما هذه؟ قال: إن تحت هذا المكان قبرا من قبور الأولياء وأنا سادنه. قال: ما له لم يبن عليه قبة؟ قال: انتظر أحد أهل الخير لبنيانها. قال: إن نجحت في سفرتي هذه أبنيه أحسن بناء، فذهب وإذا بالخوارج يبذلون له الطاعة خاضعين فعاد مسرورا ووفى بوعده، ولعله كان معتقدا ان ذلك الولي وبركته ووعده إياه كان السبب في نجاحه ومرت أيام بل أشهر وذلك الشيخ

---

(١)تاريخ دمشق لابن عساكر..

عند مرقده القديم لم يصل إليه شيء من النذور إذ صارت للأقرب وخاصة بعد أن نجح بواسطة الأمير، فاضطر الشيخ للشخوص إلى البلد ليرى السبب، ويسأل عن تلميذه، فرأى في الطريق قبة لم يعهدها من قبل؛ ورأى الزائرين يتهافتون عليها، فلما دخل رأى تلميذه فسأله ما هذا ؟ قال: يا أستاذي إن الأمر كذا وقع، وقص عليه قصته. فقال الشيخ: سبحان الله إنها لذرية طاهرة بعضها من بعض. فقال له التلميذ ماذا ؟ قال ألم تكن تعلم أن دفين قبتي تلك هو والد هذا الدفين؟! واقام مع تلميذه مشاركا إياه فحصل بينهما نزاع فحلف أحدهما بذلك الولي، فأجابه بهذا القول.

فصار مثلا ويضرب: لمن يتجاهل الحقائق.

مظاهرة الذئاب

ساق الراعي أغنامه إلى حظيرتها، وغلّق الأبواب كلّها، فلمّا جاءت الذئاب الجائعة وجدوا الأبواب مغلقة، ويئسوا من الوصول إليها، دبّروا خطة لتحرير الأغنام من الحظيرة.

في تلك الخطة توصلت الذئاب إلى أنّ الطريق هي إقامة مظاهرة أمام بيت الراعي يهتفون فيها بالحرّية للأغنام.

نظّمت الذئاب مظاهرة طويلة طافوا بها حول الحظيرة، فلما سمعت الأغنام أن الذئاب أقامت مظاهرة تدافع فيها عن حرّيتهم وحقوقهم، تأثروا بها، وانضموا إليها، فبدأوا ينطحون جدران الحظيرة والأبواب بأقرانها حتى

انكسرت، وفتحت الأبواب وتحرروا جميعا، فهربوا إلى الصحارى، والذئاب تهرول وراءها، والراعي ينادي ويصرخ مرة، ويلقي عصاه مرة أخرى ليصرفهم، ولم يجد فائدة من النداء ولا من العصا.

وجدت الذئاب الأغنام في بادية مكشوفة بلا راع ولا حارس، فكانت تلك الليلة ليلة سوداء على الأغنام المحررين، وليلة شهية للذئاب المتربصين.

في اليوم التالي لمّا جاء الراعي إلى الصحراء التي وجدتْ الأغنام فيها حرّيتهم لم يجد إلّا أشلاء ممزقة وعظاما ملطخة بالدماء...

أسطورة قد سمعتموها! لكن ما أشبه مظاهرة ذئاب العالم لحرّية النساء بهذه الأسطورة: لمّا شاهد ذئاب العالم أن وصولهم إلى النساء المؤمنات العفيفات مستحيل بسبب ولاية آبائهم وبسبب بقائهن في البيوت، وبسبب الحجاب والنقاب، أقاموا مظاهرات يطالبون بحرّيتهن، والهدف ليست حريتهنّ بل حرية الوصول إليهنّ.

وهذا واقعنا هذه الأيام ونسأل الله أن يصلح الحال .

سمو الخلق

خلال حفل زفاف، شاهد أحد الحضور معلمه الذي كان يدرّسه في المرحلة الابتدائية قبل نحو ٣٥ سنة.

أقبل الطالب بلهفة واشتياق على معلمه بكل تقدير واحترام، ثم قال له بشيء من الخجل والخزي: هل تتذكرني يا أستاذي؟ فقال المعلم الكبير: لا يا

بني.

فقال الطالب بصوت خافت: كيف لا ؟ فأنا ذلك التلميذ الذي سرق ساعة زميله في الصف، وبعد أن بدأ الطفل صاحب الساعة يبكي طلبت منا أن نقف جميعا ليتم تفتيش جيوبنا، أيقنت حينها أن أمري سينفضح أمام التلاميذ والمعلمين وسأبقى موضع سخرية وستتحطم شخصيتي إلى الأبد.

أمرتنا أن نقف صفا وأن نوجه وجوهنا للحائط وأن نغمض أعيننا تماماً.

أخذت تفتش جيوبنا وعندما جاء دوري في التفتيش سحبت الساعة من جيبي وواصلت التفتيش الى أن فتشت آخر طالب.

وبعد أن انتهيت طلبت منا الرجوع إلى مقاعدنا وأنا كنت مرتعبا من أنك ستفضحني أمام الجميع.

ثم أظهرت الساعة وأعطيتها للتلميذ لكنك لم تَذْكر اسم الذي أخرجتها من جيبه!.

وطوال سنوات الدراسة الابتدائية لم تحدثني أو تعاتبني ولم تحدث أحدا عني وعن سرقتي للساعة.

ولذلك يا معلمي قررت منذ ذك الحين ألا أسرق أي شيء مهما كان صغيرا.

فكيف لا تذكرني يا أستاذي وأنا تلميذك وقصتي مؤلمة ولا يمكن أن تنساها أوتنساني؟.

طبطب المعلم على ظهر تلميذه وابتسم قائلا: بالطبع أتذكر تلك الواقعة يا بني! صحيح أنني تعمدت وقتها أن أفتشكم وأنتم مغمضو أعينكم كي لا

ينفضح أمر السارق أمام زملائه.

لكن ما لا تعلمه يا بني هو أنني أنا أيضا فتشتكم وأنا مغمض العينين ليكتمل الستر على من أخذ الساعة ولا يترسب في قلبي شيء ضده.

بين أستاذ وفتاة في إحدى الجامعات

قالت الفتاة: هل في القرآن آية تدل على إلزام المرأة بالحجاب؟ قال لها: عرفيني بنفسك أولا. قالت الفتاة: أنا طالبة في السنة الأخيرة بالجامعة، وحسب معرفتي أن الحجاب لم يأمر الله به، ولهذا أنا غير محجبة ولكني أصلي والحمد لله. قال الأستاذ: طيب دعيني أسألك سؤالا. قالت: تفضل. قال: إذا كررت عليك معنى واحد ولكني عبرت عنه بثلاث كلمات مختلفة فماذا تفهمين؟ قالت: كيف يعني؟ قلت: لو قلت لك أحضري (شهادتك) الجامعية، ثم قلت لك مرة ثانية: أحضري (الورقة) التي تفيد تخرجك من الجامعة، ثم قلت لك مرة ثالثة: أحضري (تقرير) العلامات النهائية من الجامعة، فماذا تفهمين؟. قالت: أفهم أني لا بد أن أحضر شهادتي الجامعية ولا مجال لسوء فهم كلامك لأنك استخدمت أكثر من مصطلح لنفس المعنى(شهادة، ورقة، تقرير).

قال لها: صحيح وهذا ما قصدته بالضبط. قالت: ولكن ما علاقة هذا بالحجاب؟ قال لها: إن الله تعالى استخدم ثلاثة مصطلحات في القرآن يعبر بها عن حجاب المرأة، فنظرت إليه باستغراب وقالت: كيف ذلك؟. قال: لقد وصف الله اللبس الساتر للمرأة بـ(الحجاب، والجلباب، والخمار) فاستخدم

ثلاث كلمات لمعنى واحد فماذا تفهمين من ذلك؟ فسكتت. قال لها: تفهمين أن الموضوع ينبغي أن لا نختلف عليه مثل تحليلك للشهادة الجامعية أليس كذلك؟. قالت: لقد فاجأتني بطريقتك بالنقاش. قال: والأوصاف هي قال تعالى:(وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) (١)، وقال في الثانية:(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ) (٢). وقال في الثالثة:(وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) (٣) ألا يدل هذا على تستر المرأة؟ قالت: لقد صدمتني بهذا الكلام. قال لها: دعيني أشرح لك المعاني الثلاثة باللغة العربية، فالخمار هو ثوب تغطي به المرأة رأسها، والضرب على الجيوب يعني أن ترخيه ليستر الرقبة والصدر، والجلباب هو قميص واسع طويل له أكمام وغطاء للرأس وهو من الملابس الشائعة بالمغرب، أما الحجاب فهو الساتر. قالت: أفهم من هذا أني لا بد أن أتحجب. قال لها: نعم لو كان قلبك عامرا بمحبة الله ورسوله، فاللباس نوعان: الأول: ساتر للجسد وهو فرض أمر الله ورسوله به، والثاني: لباس ساتر للروح والقلب وهو خير من الأول كما قال تعالى(ولباس التقوى ذلك خير)،لأن المرأة قد تكون محجبة جسديا ولكنها فاقدة للباس التقوى، والصواب أن تلبس المرأة اللباسين.

---

(١) سورة النور _ الآية ٣١.

(٢) سورة الأحزاب _ الآية ٥٩.

(٣) سورة الأحزاب _ الآية ٥٣.

الراعي الفقيه واليهودي الماكر

يروى أن أحد اليهود مرّ على قرية مسلمة وأراد أن يلقي "بشبهات" على علمائها ولكنه قبل بلوغ القرية وجد راعي أغنام مسلم فقال اليهودي في نفسه دعني أبدأ بهذا (الراعي الجاهل).

وأشككه في دينه الإسلام ، فأظهر اليهودي للراعي أنه مسلم وعابر طريق وبعد الجلوس معه بعض الوقت قال له اليهودي: ألا ترى أننا كمسلمين نجد في حفظ القرآن مشقة شديدة لأنه يتكون من ثلاثين جزءاً وفيه آيات كثيرة متشابهة فلماذا لا نحذف المتشابه منها ؟ لأنها بلا فائدة وإنما تكرار للكلام فقط، ثم أردف اليهودي قوله وهو يبتسم ابتسامات ماكرة وبعد ذلك الحذف ستقل عدد أجزاء القران وسيسهل علينا حفظه ومراجعته ؟ .

كل هذا الوقت والراعي يستمع بإنصات لليهودي فلما فرغ وانتهى قال الراعي لليهودي : كلامك يا هذا جميل ومقنع .. ! (فسر اليهودي الخبيث وفرح فرحة شديدة لظنه أن الراعي سقط في حباله)ولكن الأعرابي أكمل بقوله: لكن لدي سؤال : أليس في جسدك أنت أشياء متشابهة لا فائدة منها مثل يدين اثنتين / وقدمين / وإذنين / وعينين / ومنخرين ؟ فلماذا لا نقطع هذه الزيادات المتشابهة ليخف وزنك ويستفيد جسمك مما تأكل بدل أن يذهب غذاؤك لأشياء في جسدك متشابهة؟ كما أنك سترتاح من حمل أشياء متشابهة في جسدك لا فائدة من تكرارها ! هنا قام اليهودي فورا وحزم متاعه وهو مسوّد الوجه عائد من طريقه يجر أذيال الحسرة والخيبة وهو يقول: ألجمني رد وفكر راعي أغنامهم فكيف بردّ علمائهم .

الصياد جاب من الآخر

قيل أن رجلا رأى صيادا يصطاد بالسنارة، فقال له لو اشتريت شبكة تصطاد بها، فقال: لماذا؟ قال الرجل: حتى تكثر معك الأموال، قال ثم ماذا؟، قال الرجل: تكثر الأموال، ثم تشتري قاربا، قال الصياد: ثم ماذا ؟، فقال الرجل: فتكثر معك الأموال، ثم تشتري سفينة صيد وتذهب من النهر إلى البحر، فتكثر معك الأموال، فقال الصياد: ثم ماذا؟ قال الرجل: تستريح، فقال الصياد: ولماذا اطلب الراحة بعد هذا العناء؟ بل أنا اليوم مرتاح وسعيد، بل إذا كثرت الأموال كثرت الهموم، وجاء في الحديث: عن عَبْدِ اللهِّ بنِ مسعودٍ، رضي اللهَّ عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهَّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: "لا تَتَّخِذُوا الضَّيْعَةَ فَتَرْغَبُوا في الدُّنْيا ". رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

ابن بطوطة وجزر المالديف

يروي لنا المؤرخ والرحالة المعروف ابن بطوطة رحمه الله بأنه قد زار جزر المالديف أثناء رحلاته الشهيرة وتطرق لها في كُتبه، بل حتى أنه عمل قاضيا فيها لفترة بلغت ١٤ سنة.

يقول ابن بطوطة في حديثه عن المالديف: حدثني الثقات من أهلها؛ كالفقيه عيسى اليمني، والفقيه المعلم علي، والقاضي عبد الله، وجماعة سواهم: أنّ أهل هذه الجزائر كانوا كفارا، وكان يظهر لهم كل شهر عفريت من الجن يأتي من ناحية البحر كأنه مركب مملوء بالقناديل، وكانت عادتهم أنهم إذا رأوه أخذوا

جارية بِكرا فزينوها وأدخلوها إلى بيت الأصنام، وكان مبنيا على ضفة البحر، وله طاق ينظر إليه منها، ويتركونها هنالك ليلة، ثم يأتون عند الصباح فيجدونها مفتضة البكارة ميتة! ولا يزالون كل شهر يقترعون بينهم، فمن أصابته القرعة أعطى بنته.

ثم إنه قدم عليهم مغربي يسمى بأبي البركات البربري، وكان حافظا للقرآن العظيم، فنزل بدار عجوز منهم، فدخل عليها يوما وقد جمعت أهلها وهن يبكين كأنهن في مأتم، فاستفهمهنّ عن شأنهن، فلم يفهمْنَ، فأُتـِيَ بترجمان فأخبره أن قرعة الشهر وقعت على العجوز، وليس لها إلا بنت واحدة يقتلها العفريت، فقال لها أبو البركات: "أنا أتوجَّهُ عوضا من بنتك بالليل"، وكان أمرد الوجه، فاحتملوه تلك الليلة فأدخلوه إلى بيت الأصنام وهو متوضئ، وأقام يتلو القرآن، ثم ظهر له العفريت من النافذة، فاستمر يتلو، فلما اقترب منه وسمع القراءة، غاص في البحر، وأصبح المغربي وهو يتلو على حاله، فجاءت العجوز وأهلها وأهل الجزيرة ليستخرجوا البنت على عادتهم فيحرقوها (ظنا منهم أن العجوز وضعت بنتها هناك)، فوجدوا المغربي يتلو القرآن، فمضوا به إلى مَلِكِهم، وكان يسمى (شنورازة)، وأعلموه بخبره، فعجب منه، وعرض عليه المغربي الإسلام ورغّبه فيه، فقال له الملك: أقم عندنا إلى الشهر الآخر فإن فعلت كذلك ونجوت من العفريت أسلمتُ !.

ثم أقام عندهم وشرح الله صدر الملك للإسلام فأسلم قبل تمام الشهر، وأسلمَ أهله وأولاده وأهل دولته، ثم حُمِل المغربي لما دخل الشهر إلى بيت الأصنام، ولم يأتِ العفريت، وجعل يتلو حتى الصباح.

وجاء السلطان والناس فوجدوه على حاله من التلاوة، فكسروا الأصنام، وهدموا بيتها، وأسلم أهلُ الجزيرة، وبعثوا إلى سائر الجزر، فأسلم أهلها، وأقام المغربي عندهم معظَّما وتمذهبوا بمذهبه؛ مذهب الإمام مالك رحمه الله، وهم إلى هذا العهد يعظمون المغاربة بسببه، وبَنَى مسجدا معروفا باسمه، وقرأتُ على مقصورة الجامع منقوشا في الخشب: أسلَمَ السلطان أحمد شنورازة على يد أبي البركات البربري المغربي. وجعل ذلك السلطان ثلثَ مجابي الجزائر صدقة على أبناء السبيل إذْ كان إسلامه بسببهم.» (١) .

وهكذا كان دخول الإسلام الحنيف إلى جزر المالديف وكان هذا الداعية سبباً في إسلام ملك الجزر الذي كان يُدعى "شَنورازة" وتسمّى باسم محمد بن عبد الله، وأسلم بعده كلّ أهل الجزر، فلم يبق أحدٌ من سكّانها إلا ودخل الإسلام. قام السلطان ببناء مسجد عرف باسمه.

وقد طلب الملك الملديفيُّ من أبي البركات أن ينقش على لوحة تذكارا يُشير فيه إلى تاريخ إسلام الملك على يده، و هي اللوحة التي لازالت محفوظة إلى حد الآن، وتعتبر اقدم خط عربي في منطقة المحيط الهندي، وجعل ثلث ما يجبيه من

---

(١) من رحلة ابن بطوطة ٤/ ٦٢.

سكان الجزر صدقة على أبناء السبيل، لأن إسلامهم كان عن طريقهم. وعاشت تلك الدولة العديد من المراحل الهامة بعد أن أسلم سلطان تلك البلاد على يد أبي البركات رحمهم الله، ولم يكتف السلطان بذلك، بل أمر بإنشاء المساجد والمدارس الإسلامية في جميع أنحاء الدولة ولان الناس على دين ملوكها كما يقال، فقد اعتنق أهل البلاد الإسلام وأصبح هو دينهم الوحيد حتى يومنا هذا(١).

الشيخ الشعراوي والمستشرق

يقول الشيخ الشعراوي: لما كنت في سان فرانسيسكو سألني أحد المستشرقين: هل كل ما في قرآنكم صحيح؟ فأجبت: بالتأكيد نعم، فسألني: لماذا إذاً جعل للكافرين عليكم سبيلا ؟ رغم قوله تعالى:{ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا }(٢).

فأجبته: لأننا مسلمون ولسنا مؤمنين! قال المستشرق: فما الفرق بين المؤمنين والمسلمين ؟.رد الشيخ الشعراوي: المسلمون اليوم يؤدون جميع شعائر الإسلام من صلاة وزكاة وحج وصوم رمضان .. الخ من العبادات

---

(١) كتاب تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار/ إبن بطوطة صـــ ٤٠٩.
(٢) سورة النساء _ الآية ١٤١.

، ولكن هم في شقاءٍ تام !(شقاء علمي واقتصادي واجتماعي وعسكري .. الخ)، فلماذا هذا الشقاء ؟.

سألني: لماذا ؟، فقلت: أوضحه القرآن الكريم ، لأن المسلمين لم يرتقوا إلى مرحلة المؤمنين فلنتدبر مايلي : لو كانوا مؤمنين حقاً لنصرهم الله ، بدليل قوله تعالى :{ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ }(١) لو كانوا مؤمنين لأصبحوا أكثر شأناً بين الأمم والشعوب، بدليل قوله تعالى :{ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ }(٢). ولكنهم بقوا في مرحلة المسلمين ولم يرتقوا إلى مرحلة المؤمنين ، قال تعالى :{ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ }(٣).

فمن هم المؤمنون؟ الجواب من القرآن الكريم هم :{ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}(٤).

نلاحظ أنّ الله تعالى ربط موضوع النصر والغلبة والسيطرة ورقي الحال بالمؤمنين وليس بالمسلمين !.

---

(١) سورة الروم _ الآية ٤٧.
(٢) سورة آل عمران _ الآية ١٣٩.
(٣) سورة الشعراء _ الآية ٦٧.
(٤) سورة التوبة _ الآية ١١٢.

مصيبة تحريك الكيس

يحكى أن مهندساً زراعياً من مصر كان يعمل في إحدى قرى صعيد مصر فأراد الذهاب إلى أهله في القاهرة .

فذهب وركب القطار وجلس بجانب رجل فلاح مسن من القرية وكان بين قدمي الفلاح كيس أو شوال من الكتان .

وبعد أن بدأت رحلة القطار كان الفلاح في كل ربع ساعة يقوم بتقليب الكيس وخلطه.. ثم يثبته بين قدميه ويرتاح، واستمر على هذا الحال طيلة الطريق .. فاستغرب المهندس الزراعي من صنيع الفلاح، فسأله: من أنت يا عم وماذا تعمل؟ وما قصة هذا الكيس؟ قال الفلاح: أنا عمك فلان من قرية كذا، وأنا خبير باصطياد الفئران وأقوم ببيعها وتوريدها إلى المركز القومي للبحوث بالقاهرة ليعملوا عليها التجارب . فقال المهندس : لماذا تقوم بتقليب وهز هذا الكيس كل فترة !.فقال الفلاح: هذا الكيس فيه جرذان وفئران، ولو تركتهم دون تقليب وهز لأكثر من ربع ساعة رح يرتاحوا (الفئران) وكل واحد منهم رح يحفظ مكانه ويستقر فيه ورح ينسى صحابه اللي من حوله، ويبدأ بقضم وخرم الكيس .. وينتج بعدها مصيبة.. لذلك أقوم بخلط الشوال كل ربع ساعة ، لكي يتعاركوا ويتقاتلوا ويختلفوا بين بعض فيغفلوا عن الشوال وأصِل إلى مركز البحوث بسلام.

فأعجب المهندس من صنيع الفلاح ومن هذه النظرية (نظرية شوال الفئران).

هكذا هي سياسة وفلسفة الغرب تجاه الوطن العربيوشعوبهفكلما استراحت شعوبنا من مصائبهم أطلقوا الدسائس والفتن وأكثرها دينية وقاموا بتحريك الكيس، وأطلقوا الشعارات الكاذبة في محاربة الإرهاب، كي يبقوا متحكمين ومسيطرين على الساحة السياسة والاقتصادية.. ونسوا أو تناسوا أنهم هم من صنع الإرهاب وصدره .. فكلما حرك الغرب الكيس نتقاتل ونتعارك فيما بيننا وننسى أننا ضمن كيس واحد .

الصومالية المؤمنة أعطت درسا لا ينسى

امرأة صومالية مسلمة فقيرة تعيش في إنجلترا تتصل بمحطة راديو من أجل الحصول على مساعدة وكان أن أحد الملحدين (العلمانيين) يستمع إلى الراديو .

يطلب رقمها وعنوانها من تلك الإذاعة! لكي يستهزئ بها وبعد أن أخذ رقمها وعنوانها أعطي التعليمات لسكرتيرته الخاصة بأن تجهز مواد غذائية ومساعدات أخرى لهذه المرأة وتوصلها إلى ذاك العنوان .

ويقول للسكرتيرة! إذا سألتك المرأة عن مصدر هذه المساعدات فقولي لها إنها من الشيطان.

ولما وصلت السكرتيرة إلى منزل تلك المرأة فرحت المسكينة بهذه المساعدات.

السكرتيرة سألت المرأة ! ألا تريدين أن تعرفي مصدر هذه المساعدات ومن أرسلها لك!؟ ردت هذه المرأة الأمية (فاطمة) بجواب: جعلت المفكر الدكتور الإنجليزي الملحد (العلماني ... تيموسي فينتر) يعتنق الإسلام ويغير إسمه إلى عبد الحكيم مراد .

فكان ذلك الجواب الرائع هو :لا أريد أن أعرف ولا أهتم بذلك، لأن (الله) إذا أراد شيئا حتى الشياطين تطيعه.

في الصدق نجاة

لما تولى الحَكم بن هشام بن عبدالرحمن الداخل الحُكم في الأندلس مالَ إلى أهلِ الفسق واقترفَ الكبائر والمنكرات، فتحرّك الفقهاء وأرادوا الخروج عليه فحصل ما حصل للفقهاء من قتلٍ وتعذيب، وشاء الله لبعضهم النجاة فهرب منهم من هرب! وكان أحد العلماء "المطلوبين" لسيف السلطان الامام الفقيه" طالوت بن عبدالجبار " تلميذ الإمام مالك ،وَكَانَ طَالُوتُ اخْتَفَى سَنَةً عِنْدَ يَهُودِيٍّ ، ثُمَّ خَرَجَ وَقَصَدَ الْوَزِيرَ أَبَا الْبَسَّامِ لِيَخْتَفِيَ عِنْدَهُ فَأَسْلَمَهُ إِلَى الْحَكَمِ ، فَقَالَ : مَا رَأْيُ الْأَمِيرِ فِي كَبْشٍ سَمِينٍ ، وَقَفَ عَلَى مِذْوَدِهِ عَامًا، فَقَالَ الْحَكَمُ: لَحْمٌ ثَقِيلٌ، مَا الْخَبَرُ ؟ قَالَ: طَالُوتُ عِنْدِي، فَأَمَرَهُ بِإِحْضَارِهِ، فَأُحْضِرَ، فَقَالَ: يَا طَالُوتُ، أَخْبِرْنِي لَوْ أَنَّ أَبَاكَ أَوِ ابْنَكَ مَلَكَ هَذِهِ الدَّارَ، أَكُنْتَ فِيهَا فِي الْإِكْرَامِ وَالْبِرِّ عَلَى مَا كُنْتُ أَفْعَلُ مَعَكَ؟ أَلَمْ أَفْعَلْ كَذَا ؟ أَلَمْ أَمْشِ فِي جِنَازَةِ امْرَأَتِكَ، وَرَجَعْتُ مَعَكَ إِلَى دَارِكَ ؟ أَفَمَا رَضِيتَ إِلَّا بِسَفْكِ دَمِي؟ فَقَالَ الْفَقِيهُ فِي نَفْسِهِ: لَا

أَجِدُ أَنْفَعَ مِنَ الصِّدْقِ. فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ أُبْغِضُكَ للهِ فَلَمْ يَمْنَعْكَ مَا صَنَعْتَ مَعِي لِغَيْرِ اللهِ، وَإِنِّي لَمُعْتَرِفٍ بِذَلِكَ، أَصْلَحَكَ اللهُ. فَوَجَمَ الْخَلِيفَةُ وَقَالَ: اعْلَمْ أَنَّ الَّذِي أَبْغَضْتَنِي لَهُ قَدْ صَرَفَنِي عَنْكَ، فَانْصَرِفْ فِي حِفْظِ اللهِ، وَلَسْتُ بِتَارِكٍ بِرَّكَ، وَلَيْتَ الَّذِي كَانَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنْ أَيْنَ ظَفِرَ بِكَ أَبُو الْبَسَّامِ لَا كَانَ؟ فَقَالَ: أَنَا أَظْفَرْتُهُ بِنَفْسِي، وَقَصَدْتُهُ . قَالَ: فَأَيْنَ كُنْتَ فِي عَامِكَ؟ قَالَ : فِي دَارِ يَهُودِيٍّ، حَفِظَنِي للهِ ، فَأَطْرَقَ الْخَلِيفَةُ مَلِيًّا، وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى أَبِي الْبَسَّامِ وَقَالَ: حَفِظَهُ يَهُودِيٌّ، وَسَتَرَ عَلَيْهِ لِمَكَانِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالدِّينِ، وَغَدَرْتَ بِهِ إِذْ قَصَدَكَ وَخَفَرْتَ ذِمَّتَهُ، لَا أَرَانَا اللهُ فِي الْقِيَامَةِ وَجْهَهُ إِنْ رَأَيْنَا لَكَ وَجْهًا . وَطَرَدَهُ وَكَتَبَ لِلْيَهُودِيِّ كِتَابًا بِالْجِزْيَةِ فِيمَا مَلَكَ، وَزَادَ فِي إِحْسَانِهِ، فَلَمَّا رَأَى الْيَهُودِيُّ ذَلِكَ، أَسْلَمَ مَكَانَهُ(١).

سحر الإيثار

أحد المسلمين الغربيين(٢) سأله المذيع: كيف أسلمت؟.

فأجاب قائلا: كنت وزوجتي في سياحة عام ١٩٩٣ إلى تركيا وتهت في إحدى القرى فسألت أحد المارين هل تعرف هذا العنوان.

فأجاب: لا يوجد هنا فندق تفضل معي إلى البيت.

---

(١) أوردَ هذه القصة الذهبي في السِّيَر، سيرة الحكم بن هشام ٨ / ٢٥٤ والقاضي عياض في ترتيب المدارك، والمراكشي في المعجب، وابن سعيد في علماء المغرب.

(٢) من رومانيا.

قال: فذهبنا معه فأوصلنا إلى بيته فدخلنا غرفة والجو ظلام وجدنا خمسة أطفال وشيخين مسنين.

ثم قدم لنا عشاء بسيطا ومتواضعا فأكلنا ثم قال: نم هنا أنت وزوجتك وأنا وأهلي سننام في الغرفة الأخرى.

فنمنا وفي الصباح الباكر أردت أن أقدم له الشكر فخرجت من الغرفة وإذا بي لا أجد غيرها هي كل البيت فبحثت عن الرجل فإذا به نائم تحت شجرة مع أسرته والبرد شديد. فقلت له: أنت مجنون لماذا فعلت هذا ؟.

قال :لا لست مجنونا بل أنا مسلم والإسلام هو الذي أمرني أن أكرمك بما أملك لأنك ضيف .

قال: فبكت زوجتي من هذا الموقف وقلت لها إذا هذا هو الإسلام وليس الإسلام الذي نسمع عنه.

فقلت لصاحب المنزل أو الغرفة: كيف أعرف الإسلام؟ .

قال: تأخذ ترجمة القرآن والسنة وستعرفه .

قال: فذهبت واشتريت ما قال وجلست شهرين أقرأ ثم أعلنت أن لا إله إلا الله محمد رسول الله .. والحمد لله أخذت على عاتقي أن أبلغ الإسلام وقد أسلم على يدي أكثر من ألف والآن أبني مركزا إسلاميا في رومانيا وأملي أن أنشر الإسلام في العالم.

هل رأيتم ما أسهل أن ننشر الإسلام بأخلاقه فهو أبلغ أثرا من أي وسيلة أخرى .

هكذا كان أطفالنا

انظر كيف كان الطفل فينا قديمًا وكيف صار الشباب حديثًا!.

يحكى أن جاسوسًا دخل بلاد الأندلس يستطلع خبر المسلمين تمهيدًا لغزوهم فوجد طفلًا يبكي! فقال له: ما يبكيك؟ هل ضاعت لعبتك؟. فأجابه متعجبًا: لا! بل أبكي لأنني لم أستطع أن أصيب عصفورين بسهم واحد.

فرد الجاسوس متعجبًا: تستطيع إصابة عصفورين بسهم واحد وأنت في هذا العمر فهذا شيء نادر ومميز جدًا، فمن هو فوق عمرك لا يستطيع إصابته ولو أعطي عشر سهام!.

فقال الغلام: وماذا أصنع إذا دخل الأعداء إلى بلاد الإسلام وكنت ضعيفًا لا أستطيع القتال!.

فرجع الجاسوس بهذا الخبر إلى ملكهم، وقال له: إذا كان هذا حال صغيرهم فكيف بكبيرهم! لا طاقة لنا بهذه الأمة المؤمنة الواعية حتى نغرقهم في الملذات والشهوات فينشغلوا بالدنايا فلا يعدوا لنا عدة ولا عتادًا.

وقد كان.. فظلوا زمانًا يرسلون إليهم الغانيات والمومسات وسقاة الخمر وآلات اللهو، حتى غرق الناس في الشهوات والشبهات، وركنوا إلى الدنيا وزينتها.

وعاد الجاسوس يستطلع الخبر، فرأى الناس منشغلين في اللعب، ووجد شابًا باكيًا! فقال: ما يبكيك؟ فقال: تواعدت مع غانية للقاء فتركتني وذهبت مع غيري!.

فعاد الجاسوس مُهللًا حاملًا البشرى إلى قومه أن قد نجحنا في تغييبهم، فتركوا الجد وانشغلوا باللعب، وقد آن الأوان لغزوهم. وقد كان.

فما أشبه الليلة بالبارحة، لقد تحقق عزلنا عن ميادين الحياة الجادة وفاتتنا الانتصارات الحقيقية، حتى تعلقت القلوب باللعب فيفرحون للنصر في مباراة، ويحزنون ويبكون للهزيمة!.

وصار المُبرزون والوجهاء هم اللاعبين والمشخصين والماجنين، وإليهم يشار بالبنان، أما العلماء والمصلحون والوطنيون فهم يُمنعون ويحاربون حتى لا تتعلق قلوب الناس إلا بما يراد لهم من لعب ولهو. ولله الحكم والأمر.

امضِ قدما ولا تلتفت

تبلغ سرعة الغزالة ٩٠ ك/ الساعة، وسرعة الأسد ٥٨ ك/ الساعة، ورغم ذلك فإن الغزالة تسقط فريسة للأسد، هل تعلم لماذا؟ لأن الغزالة عندما تهرب من الأسد تؤمن بأنه مفترسها، وأنها ضعيفة مقارنة بالأسد، فخوفها يجعلها تكثر الالتفات إلى الخلف لتحديد المسافة وهذه الالتفاتة تؤثر سلبا على سرعة الغزالة وتقلص من الفارق، ولو عرفت الغزالة أن لديها نقطة قوة في سرعتها لنجت منه.

فكم من الوقت التفتنا الى الماضي فافترسنا بإحباطاته وهمومه وعثراته.

وكم من خوف من عدم النجاح جعلنا نقع فريسة لواقعنا.

وكم من إحباط داخلنا جعلنا لا نثق بأننا قادرون على النجاة وتحقيق أهدافنا، وقتل الخوف داخلنا.

حكمة رائعة

سقطتْ شجرة فسمع الكلّ صوتَ سقوطها .. بينما تنمو غابة كاملة ولا يُسمع لها أي ضجيج ! .

النّاس لا يلتفتون لتميّزك بل لسقوطك !.

نظرية سائح

ذهب سائح إلى بعض البلدان التي تقع على شواطئ البحار، فامتدح الصيادين المَحليين في جودة أسماكهم ثُمَّ سألهم: كم تحتاجون من الوقت لاصطيادها ؟ فأجابه الصيادون بصوتٍ واحد : ليس وقتا طويلاً . فسألهم : لماذا لا تقضون وقتاً أطول وتصطادون أكثر؟. فأوضح الصيّادون أن صيدهم القليل يكفي حاجتهم وحاجة عوائلهم!. فسألهم: ولكن ماذا تفعلون في بقية أوقاتكم؟ أجابوا: ننام إلى وقت متأخر، نصطاد قليلاً، نلعب مع أطفالنا، ونأكل مع زوجاتنا، وفي المَساء نزور أصدقاءنا، نلهو ونضحك . قال السائح مقاطعاً: لدي ماجستير في إدارة الأعمال من جامعة هارفارد وبإمكاني مساعدتكم!

عليكم أن تبدأوا في الصيد لفترات طويلة كل يوم.. ومن ثم تبيعون السَّمك الإضافي بعائد أكبر، وتشترون قارب صيد أكبر، سألوه: ثم ماذا ؟ أجاب: مع القارب الكبير والنقود الإضافية تستطيعون شراء قارب ثاني وثالث وهكذا حتّى يصبح لديكم أسطول سفن صيد متكامل، وبدل أن تبيعوا صيدكم لوسيط، ستتفاوضون مباشرة مع المصانع، وربما أيضاً ستفتحون مصنعاً خاصاً بكم، وسيكون بإمكانكم مغادرة هذه القرية وتنتقلون إلى العاصمة ، ومن هناك سيكون بإمكانكم مباشرة مشاريعكم العملاقة. سأل الصَّيادون السّائح: كم من الوقت سنحتاج لتحقيق هذا؟ أجاب: حوالي عشرين أو ربما خمسة وعشرين سنة. فسألوه: وماذا بعد ذلك ؟أجاب مُبتسماً: عندما تكبر تجارتكم سوف تقومون بالمضاربة في الأسهم وتربحون الملايين. سألوه في دهشة: الملايين؟ حقاً ؟ وماذا سنفعل بعد ذلك ؟ أجاب: بعد ذلك يمكنكم أن تتقاعدوا، وتعيشوا بهدوء في قرية على الساحل تنامون إلى وقت متأخر ..تلعبون مع أطفالكم .. وتأكلون مع زوجاتكم .. وتقضون الليالي في الاستمتاع مع الأصدقاء . أجاب الصيادون: مع كامل الاحترام والتقدير ولكن هذا بالضبط ما نفعله الآن، إذاً ما هو المنطق الذي من أجله نضيع خمسة وعشرين سنة نقضيها شقاءً ؟ كثير منا يستنزف طاقته وكل قواه .. ويهمل أهله وعائلته وصحته ..بل يزهد حتى في أمر آخرته التي هي حياة البقاء ..لأجل ترف زائل .. يظن بأن هذا الترف الذي استنزف قواه .. سيمنحه السعادة .. وما عسى أن تبلغ قيمة السعادة التي تأتي

إذا خارت القوى .. وانقضى ربيع العمر .. وخفقت عند رؤوسنا أجنحة الموت..؟ فإلى كل فرد منا .. إلى أين تريدون الوصول في حياتكم؟ الدنيا تصبيره وصور والجنة حقيقة !! اللهم أكرمنا برضاك والجنة!! وصحبة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين في الفردوس الأعلى!!.

الإناء المشروخ

كان عند امرأة صينية مسنة إناءان كبيران تنقل بهما الماء، وتحملهما مربوطين بعمود خشبي على كتفيها.

وكان أحد الإناءين به شرخ والإناء الآخر بحالة تامة ولا ينقص منه شيء من الماء، وفى كل مرة كان الإناء المشروخ يصل إلى نهاية المطاف من النهر إلى المنزل وبه نصف كمية الماء فقط.

ولمدة سنتين كاملتين كان هذا يحدث مع السيدة الصينية، حيث كانت تصل منزلها بإناء واحد مملوء وآخر به نصفه.

وبالطبع، كان الإناء السليم مزهواً بعمله الكامل، والإناء المشروخ محتقراً لنفسه لعدم قدرته وعجزه عن إتمام ما هو متوقع منه .

وفى يوم من الأيام وبعد سنتين من المرارة والإحساس بالفشل تكلم الإناء المشروخ مع السيدة الصينية: أنا خجل جداً من نفسي لأني عاجز ولدي شرخ يسرب الماء على الطريق للمنزل. فابتسمت المرأة الصينية وقالت: ألم تلاحظ الزهور التي على جانب الطريق من ناحيتك وليست على الجانب الآخر؟.

أنا أعلم تماماً عن الماء الذي يُفقد منك ولهذا الغرض غرست البذور على طول الطريق من جهتك حتى ترويها في طريق عودتك للمنزل، ولمدة سنتين متواصلتين قطفت من هذه الزهور الجميلة لأزين بها منزلي، ما لم تكن أنت بها أنت فيه، ما كان لي أن أجد هذا الجمال يزين منزلي.

كلٌ منا لديه ضعفه ولكن شروخنا وضعفنا تصنع حياتنا بطريقة عجيبة ومثيرة !.

يجب علينا جميعاً أن نتقبل بعضنا البعض على ما نحن فيه وللنظر لما هو حسنٌ لدينا.

لكل أحبائي الذين يشعرون بالعجز أو النقص ، أتمنى لكم مستقبلا عظيما ولا حظوا الزهور التي بجانبكم على الطريق (١).

حكيم القرية

كانت هناك قرية صغيرة لم يعرف أهلها التمدن بعد.. وكانوا يسمعون الأعاجيب عن المدينة وعاداتها المختلفة.. وكانوا يريدون أن يعرفوا حقيقة ما يسمعون عنه طوال الوقت..

وفي أحد الأيام سافر منهم رجلان إلى المدينة.. غابا لفترة ثم عاد واحد منهم التفوا حوله و سألوه: كيف وجدت المدينة ؟

كيف هم أهلها ؟ما حقيقة ما كنا نسمع عنه؟

---

(١) فن إدارة المواقف لمحمد بن عبدالله بن محمد الفريح.

أجابهم الرجل بثقة: لقد ذهبت بنفسي و عرفت الحقيقة.. الحقيقة هي أن المدينة هي مرتع الفساد وكل أهلها فاسدون لا يدينون بشيء.. لقد كرهت المدينة.

عرف الناس الإجابة التي انتظروها طويلا، فانفضوا و عاد كل منهم لعمله.

وبعدها بأيام عاد الرجل الثاني لم يهتموا بسؤاله عن رأيه، إلا أنهم التفوا حوله حين وجدوا له رأيا لم يتوقعوه: لقد ذهبت بنفسي و عرفت الحقيقة.. والحقيقة هي أن المدينة مليئة

بدور العبادة وكل أهلها متدينون طيبون.. لقد أحببت المدينة

أصيب الناس بالارتباك.. هل المدينة سيئة أم جيدة؟ هل أهلها طيبون أم أشرار؟ لم يجدوا مجيبا على هذا الأسئلة إلا حكيم القرية، وكان شيخا كبيرا خبر الحياة وعرف الكثير ويثق الجميع في رأيه.. كان هو ملاذهم الوحيد، ذهبوا إليه بالقصة وسألوه: أحدهم قال: أن المدينة فاسدة مليئة بالأشرار.. والآخر قال: أنها فاضلة مدينة بالأطهار.. أي منهم نصدق؟

أجاب الحكيم: كلاهما صادق _ وحين رأى نظرات الحيرة على وجوههم _ استطرد: الأول لا أخلاق له لذا ذهب إلى أقرب حانة حين وصل للمدينة، فوجدها ممتلئة بالناس .. بينما الثاني متدين صالح.. لذا ذهب إلى المسجد حين وصل للمدينة، فوجده ممتلئا بالناس، وأضاف: من يرى الخير فهو لا يرى إلا ما في داخل نفسه.. ومن يرى الشر فهو لا يرى إلا ما في داخل نفسه.

هل عرفت ما أقصد؟

لو دققت النظر ستجد أن من المستحيل أن يجمع الناس على تقبل شخص ما.. أيا كان، لأن الناس لا يرون إلا ما في داخل نفوسهم، لذلك لا تكترث كثيرا برأي من يحاول إحباطك.

الرزق الحلال يساوي وزنه ذهباً

يحكي أنه كان هناك راعي أغنام بسيط يدعي كريم، وكان يرعي اغنام أحد الاغنياء، ويأخذ جزاء عمله أجرته اليومية خمسة دراهم، وذات يوم استدعي الرجل الغني الراعي وأخبره أنه ينوي بيع الاغنام في أقرب وقت لأنه سيسافر خارج البلاد، وأعطي الراعي مبلغا كبيرا من المال نظير خدمته له ورعايته لأغنامه طوال سنوات، إلا أن الراعي كريم رفض أن يأخذ هذا المبلغ قائلاً : أرجوك لا تحرجني يا سيدي، لقد أخذت نظير عملي أجرتي اليومية ولن أخذ غيرها .

تعجب الغني من تصرف الراعي، واعجب كثيراً بأخلاقه ورضاه فدعا له بزياده ماله والبركة فيه، وهكذا سافر الغني تاركاً الراعي المسكين بدون عمل او مال يقتات به حتي يجد عملا جديدا .

بدأ الراعي يبحث عن عمل جديد على الفور حتي وصل إلى قرية وجد بها كثيرا من الناس متجمهرين أمام تاجر كبير يبدو عليه الفخامة والغنى، فاقترب الراعي من الناس وسألهم عن سبب تجمهرهم أمامه، فأجابه أحدهم: هذا

التاجر الغني يعطيه الناس كل ما لديهم من أموال فيسافر ويتاجر بها ويجلب لها المزيد من البضائع والأرباح العظيمة .

فكر الراعي قليلاً، ثم قرر أن يذهب إلى التاجر ويعطيه الخمسة دراهم التي يملكها وكانت هي آخر خمسة دراهم أخذها من عمله، وطلب من التاجر أن يأتيه بأرباح ويشتري له شيئاً ينفعه ويتاجر به، نظر التاجر إلى الراعي وقرأ في عينيه الصدق والوفاء فقال له : لك ما تريد .

سافر التاجر وبدأ يتاجر في أموال الناس ويشتري لهم ما يطلبون ولم يبق معه سوي خمسة دراهم للراعي، فرأي قطاً سميناً أراد صاحبه أن يبيعه لأنه يأكل كثيراً، فاشتراه التاجر وعاد إلي بلاده، وفي الطريق مر علي قرية ورآه سكان القرية وبيده القط، فطلبوا منه أن يبيعهم إياه حتي يخلصهم من الفئران التي تأكل محاصيلهم، وأنهم على استعداد لشرائه بوزنه ذهباً، فوافق التاجر وعاد إلى بلده وأعطى لكل شخص أمانته، ثم أخذ التاجر واستحلفه بالله أن يخبره بسر الخمسة دراهم هذه، فقص عليه الراعي ما حصل معه ودعاء الغني له، فقال له التاجر : عوضك الله خيراً لأنك رضيت برزقك الحلال ولم ترض زيادة على ذلك، وأعطاه الذهب .

إن نابتنا نائبة فزعنا إلى من أخرجك

كان إسحاق بن عباد البصري نائمًا، فرأى في منامه قائلًا يقول له: أغِثِ الملهوف. فاستيقظ فسأل: هل في جيرانه مُحتاج؟. قالوا: ما ندري؟ .ثم نام فأتاه

ثانيًا وثالثًا، فقال له: أتنام ولم تُغِثِ الملهوف ؟.فقام وأخذ معه ثلاثمائة درهم، ورَكِبَ بغلة، فخرج إلى المسجد؛ فإذا رجلٌ يُصَلِّي ، فلما أحسَّ به انصرف فدنا منه ، فقال له: يا عبد الله ، في هذا الوقت ؟ في هذا الموضع؟ ما أخرجك ؟ .قال: أنا رجلٌ كان رأس مالي مائة درهم ، فذهبت من يدي ، ولزمني دينٌ مائتا درهم .فأخرج له الدراهم، وقال: هذه ثلاثمائة درهم خُذها. فأخذها ثُمَّ قال له: أتعرفني ؟ .قال: لا . قال له: أنا إسحاق بن عباد ، فإن نابتك نائبة فأتني ، فإنَّ منزلي في موضع كذا . فقال: رَحِمَكَ الله، إِن نَابَتنَا نَائِبَةٌ ، فَزِعنَا إِلَى مَن أَخرَجَكَ فِي هَذَا الْوَقتِ ، حَتَّى جَاءَ بِكَ إِلَينَا (١).

جرح لا يندمل

أعطى أب لابنه يوماً كيساً مليئاً بالمسامير وقال له: يا بني! كلما أهنت شخصا أو ضربت شخصا أو جرحت شخصا اذهب إلى سور الحديقة واطرق فيه مسماراً .

لم يفهم ذلك الولد لماذا طلب والده منه ذلك ولكنه امتثل لأمر والده وأصبح كلما يظلم أحدا أو يصرخ بوجه أحد أو يجرح أحداً يطرق مسمارا في ذلك السور ومع مرور الأيام أصبح الولد أكثر تحكماً في نفسه وانخفض عدد المسامير التي يطرقها كل يوم في السور إلى أن وصل اليوم الذي لم يطرق فيه ذلك الولد أي مسمار في السور، فطار الولد من شدة الفرح، وذهب إلى والده

---

(١) رسائل ابن رجب (١٢٨/٣) .

وأخبره بذلك، قال له والده: أحسنت يا بني أنت الآن شخص تتحكم في نفسك وفي أعصابك، ولكن مهمتك لم تنته بعد استغرب الولد وقال: وماذا أفعل بعد ذلك يا أبي؟. قال الأب: كل يوم يمضي ولا تزعج أو تجرح أو تظلم فيه أحداً انزع مسماراً من ذلك السور مضت الأيام واستمر الولد في نزع المسامير في كل يوم لا يؤذي فيه أحداً، إلى أن وصل اليوم الذي نزع فيه الولد آخر مسمار في ذلك السور فطار الولد من الفرح وذهب إلى والده ليخبره بذلك وعندما أخبره أخذ الأب ابنه إلى السور وقال أحسنت يا بني فأنت لم تصبح شخصا متحكما في أعصابك فقط ولكنك أصبحت شخصا طيبا ولا تؤذي أحداً.

ولكن انظر إلى الثقوب في السور التي خلفتها تلك المسامير لقد استطعت يا بني أن تنزع المسامير التي طرقتها ولكنك لا تستطيع محو تلك الثقوب التي تركتها المسامير !.

وكذلك هم البشر يا بني عندما تجرح أحدهم فأنت تطرق مسماراً في قلبه قد تستطيع أن تعتذر وتنزع ذلك المسمار ولكنك لن تنزع أثره وسيبقى ذكرى مؤلمة في حياة ذلك الشخص .

لذلك يا بني لا تجرح الآخرين أو تؤذهم بكلماتك فإنك لن تستطيع محو ذلك الجرح إلى الأبد .

ولذلك عليك أن تحفظ لسانك، ويكون لك أثر طيب عند الله وعند الناس .

صدى الصوت

يحكى أن أحد الحكماء خرج مع ابنه خارج المدينة ليعرفه على التضاريس من حوله في جو نقي بعيدا عن صخب المدينة وهمومها .

سلك الاثنان واديا عميقا تحيط به جبال شاهقة، وأثناء سيرهما تعثر الطفل في مشيته فسقط على ركبته، فصرخ الطفل على إثرها بصوت مرتفع تعبيرا عن ألمه آآآآه ، فإذا به يسمع من أقصى الوادي من يشاطره الألم بصوت مماثل آآآآه ..

نسي الطفل الألم وسارع في دهشة سائلا مصدر الصوت: ومن أنت ؟.فإذا الجواب يرد عليه سؤاله : ومن أنت ؟.انزعج الطفل من هذا التحدي بالسؤال فرد عليه مؤكدا: بل أنا أسألك من أنت ؟.ومرة أخرى لا يكون الرد إلا بنفس الجفاء والحدة : بل أنا أسألك من أنت ؟. فقد الطفل صوابه بعد أن استثارته المجابهة في الخطاب فصاح غاضبا " أنت جبان" وبنفس القوة يجيء الرد " أنت جبان ".

أدرك الصغير عندها أنه بحاجة لأن يتعلم فصلا جديدا في الحياة من أبيه الحكيم الذي وقف بجانبه دون أن يتدخل في المشهد ، فقبل أن يتمادى في تقاذف الشتائم تملك الابن أعصابه وترك المجال لأبيه لإدارة الموقف حتى يتفرغ هو لفهم هذا الدرس .

تعامل الأب كعادته بحكمة مع الحدث وطلب من ولده أن ينتبه للجواب هذه المرة وصاح في الوادي:" إني أحترمك " فكان الجواب بنفس نغمة الوقار " إني أحترمك " .

عجب الابن من تغيّر لهجة المجيب ولكن الأب أكمل الحديث قائلا : " كم أنت رائع " فكان الرد عن تلك العبارة الراقية " كم أنت رائع " ..

ذهل الطفل مما سمع ولكن لم يفهم سر التحول في الجواب ولذا صمت بعمق لينتظر تفسيرا من أبيه لهذه التجربة الفيزيائية.

فعلّق الحكيم على الواقعة بهذه الحكمة: أي بني نحن نسمي هذه الظاهرة الطبيعية في عالم الفيزياء صدى الصوت ، لكنها في الواقع هي الحياة بعينها :

١. إن الحياة لا تعطيك إلا بقدر ما تعطيها ولا تحرمك إلا بمقدار ما تحرم نفسك منها .

٢. الحياة مرآة أعمالك وصدى أقوالك .

٣. إذا أردت أن يوقرك أحد فوقر غيرك .

٤. وإذا أردت أن يرحمك أحد فارحم غيرك .

٥. وإذا أردت أن يسترك أحد فاستر غيرك .

٦. وإذا أردت الناس أن يساعدوك فساعد غيرك .

٧. واذا أردت الناس أن يستمعوا إليك ليفهموك فاستمع إليهم لتفهمهم أولا.

٨. لا تتوقع من الناس أن يصبروا عليك إلا إذا صبرت عليهم ابتداء.

أي بني: هذه سنة الله التي تنطبق على شتى مجالات الحياة وهذا ناموس الكون الذي تجده في كافة تضاريس الحياة إنه صدى الحياة ستجد ما قدمت وستحصد ما زرعت.

عامل الناس بما تحب أن يعاملوك

في أحد سجون ألمانيا وفي حقبة الستينيات، كان السجناء يعانون من قسوة حراس السجن والمعاملة السيئة في كل النواحي.

ومن بين السجناء كان سجين يدعى "شميدث" والمحكوم عليه لفترة طويلة، لكن هذا السجين كان يحصل على إمتيازات جيدة ومعاملة شبه محترمة من قبل الحراس، مما جعل بقية نزلاء السجن يعتقدون إنه عميل مزروع وسطهم، وكان يُقسِم لهم إنه سجين مثلهم وليس له علاقة بالأجهزة الأمنية.

لكن لم يكن أحد يصدقه، فقالوا : نريد أن نعرف السبب الذي يجعل حراس السجن يعاملونك بأسلوب مختلف عنا، فقال لهم شميدث: حسناً، أخبروني عن ماذا تكتبون في رسائلكم الأسبوعية لأقاربكم؟.

فقال الجميع : نذكر لهم في رسائلنا قسوة السجن والظلم الذي نتكبده هنا على أيدي هؤلاء الحراس الملعونين.

فرد عليهم باسماً : أمّا أنا في كل أسبوع أكتب رسائلي لزوجتي وفي السطور الأخيرة أذكر محاسن السجن والحراس ومعاملتهم الجيدة هنا، وحتى أنني أحياناً أذكر أسماء بعض الحراس الشخصية في رسائلي وأمتدحهم كذلك.

فرد عليه بعض السجناء: وما دخل هذا كله في الامتيازات التي تحصل عليها وأنت تعلم إن معاملتهم قاسيه جداً؟

فقال: لأن يا أذكياء جميع رسائلنا لا تخرج من السجن إلا بعد قراءتها من قِبل الحراس، ويطّلعون على كل صغيرة وكبيرة فيها، والآن غيروا طريقة كتابة رسائلكم.

تفاجأ السجناء في الأسبوع التالي بأن جميع حراس السجن تغيرت معاملتهم للسجناء للأسوأ، وحتى "شميدث" كان معهم وينال أقسى المعاملات.

وبعد أيام سأل "شميدث" بعض السجناء وقال: ماذا كتبتم في رسائلكم الأسبوعية؟ فقالوا جميعاً : لقد كتبنا أن "شميدث" علّمنا طريقةً جديدة لكي نخدع الحراس الملاعين ونكسب ثقتهم ورضاهم، فلطم شميدث خديه حسرةً، وجلس يسحب شعر رأسه كالمجانين.

(فائدة):

١. لا تكثروا الفضفضة فإنكم لا تدرون متى يخون المنصتون.

٢. ولا تبح بأسرارك للآخرين لكي لا يقوموا باستغلالها ضدك عند اللزوم.

٣. ولا تقل سرك لأحد فالآخرون لا يملكون صدراً كافياً للاحتفاظ بأسرارنا!.

٤. فمن الجميل أن تساعد الآخرين، والأجمل أن تعرف مع من تتكلم، فليس كل مستمع ناصحا وحافظا للسر، فبعض من حولنا قد يسيئون التصرف وفقاً للموقف، وما يتناسب معك قد لا يتناسب مع غيرك.

الدجاجة الحاقدة

يحكى أن دجاجة رأت صديقتها أجمل منها وأفضل منها في جميع الأمور فبث داء الحقد والغيرة في قلبها، فجمعت كل الدجاجات التي في المزرعة وأخذت تغتاب صديقتها حتى يكرهها الجميع، وبدأت تحسن من صورتها أمام الآخرين وفي إحدى الليالي استيقظت الدجاجة فرأت أفعى تقترب منها تريد أن تلدغها، ففزعت وصاحت انجدوني، ولكن دون جدوى فجميع الحيوانات نائمة، فقالت للأفعى: ما أغدرك !! تقتربين مني بهدوء لتبثي السم في جسدي !.فنظرت الأفعى بازدراء إلى الدجاجة وقالت: اصمتي أيتها الدجاجة فأنا ألدغ ولكني لم ألدغ أفعى مثلي يوماً، أما أنت فتلدغين دجاجة مثلك كل يوم .

فإذا كانت الأفعى لا تلدغ أفعى مثلها فالأولى لنا نحن بني آدم ألا نلدغ بعضنا بعضا بغيبة أو نميمة.

وفي المثل المصري الكلب ما بيعضش في ودن (١) اخوه.

القُبَّرةً وابنتها

بينما القبرة(٢) تتنقل بين الحقول هي وابنتها ليتناولا وجبة الفطور من حبات القمح، وهما يتنقلان فوق السنابل، فقالت لها ابنتها: يا أماه ! أين

---

(١) أذن .

(٢) القبرة طائر صغير يشبه العصفور، ونسميه في مصر القنبرة.

حقولنا؟ قالت كل ما تراه عينك من الأرض فهو ملك لنا ؟ فقالت الابنة: وما بال هؤلاء الناس الذين يعملون في تلك الحقول، قالت الأم لابنتها: هؤلاء الفلاحون الذين يشتغلون عندنا.

القُبَّرةً والصياد

قالوا: صادَ رجلٌ قُبَّرةً، فلما صَارت في يدهِ قالت: ما تُريدُ أن تَصنَعَ بي؟ قال: أريد أن أذبَحكِ وآكُلُكِ. قالت: فإني لا أُشفي مِن قَرْم، ولا أُشبعُ مِن جوع، وإن تركتَني عَلّمتُكَ ثلاثُ كلماتٍ هي خيرٌ لكَ مِن أكلي، أما الأولى فأُعلّمكَ وأنا في يدِك، وأما الثانيةُ فأعلمكَ وأنا على الشجرةِ، والثالثةُ إذا صِرتُ على الجبل. فقال: هاتي. فقالت: لا تَندمنّ على ما فاتك. فتَركَها وصارت على الشجرة، ثم قالت: لا تُصدقنّ بما لا يكون، ثم قالت: يا شَقيّ، لو ذَبَحتَني لأخرَجتَ مِن حَوصَلَتي دُرّتَين هُما خَيرٌ لكَ مِن كَنز. فعضّ على شفتيه نَدَماً، ثم قال: علميني الثالثة. فقالت: أنت قد تَركتَ الثنتين، فكيف أعلّمك الثالثة؟ ألم أقل لك: لا تندمنّ على ما فاتك، ولا تُصدقنّ بما لا يكون؟ أنا وريشي ولحمي لا أكون زِنةَ درّتين، فكيف يكونُ في حوصلتي ذاك؟ ثم طارت و ذهبت (١).

---

(١) أذن .

أتدري ما الدرهم؟

قال سَلَمُ بنُ أبي المُعافى: كان أبي شَديدَ البُخلِ. وكان إلى جَنبِ دَارِهِ مَزرَعَةٌ فيها قِثّاء. وقد حَدثَ وأنا صَبيٌّ أنْ جاءَني صِبيانٌ أقرانٌ لي، فَطَلَبتُ مِن أبي أنْ يَهَبَ لي دِرهماً أشتَري لَهم بِهِ قِثّاء. فقالَ لي: أتعرفُ حالَ الدِّرهَم؟ كانَ في حَجَرٍ في جَبَل، فَضُرِبَ بالمعاولِ حتّى استُخرج، ثُمَّ طُحِن، ثم أُدْخِـل القِدْرَ وصُبَّ عليه الماء، وجـُمِعَ بالزِّئبقِ، ثم صُفِّيَ مِن رَقّ، ثم أُدخلَ النار فسُبك، ثم أُخرج فضُرب، وكُتب في أحد شِقَّيه: لا إله إلا الله، وفي الآخر: محمدٌ رسولُ الله. ثم حـُمِلَ إلى أمير المؤمنين، فأَمرَ بإدخاله بيتَ مالِه ووكّل به من يحرُسُه.

وأنت والله أقبحُ مِن قِرد، هَوَّنتَ الدِرهم وهو طابعُ اللهِ في أرضهِ. هوَ، ويحك، عُشرُ العشرةِ، والعشرةُ عُشر المائةِ، والمائةُ عُشر الألفِ، والألفُ عُشر دِيةِ المسلم.. ألا ترى كيف انتهى الدرهمُ الذي هوَّنتَه؟ وهـَل بيوتُ الأموالِ إلا درهمٌ على درهم؟ .

إنه البخل أعاذنا الله وإياكم منه.. يصور الأشياء على غير حقيقتها.

قصَّة الفراشتين

لم تتخيّل الفراشة الصّغيرة أنّها ستبتعد عن منزلها هذه المسافة.. همست لصاحبتها، يجب أن نعود، أمّي نبّهتني ألا نخرج من المزرعة ..

تعالت ضحكات الرّفيقة : جبانة ، أعلمُ أنّكِ جبانة .. هيّا .. تعالي سأريكِ زهرةً عذبةَ العطر.

حاولت ألا تستجيب لنداء رفيقتها لكنّها لا تحبُّ أن يُقال عنها جبانة، انطلقت مع رفيقتها حتّى وصلتا لزهرةٍ تفوحُ منها رائحة طيّبة .. تمايلت الفراشةُ إعجاباً برائحة الزّهرة، وتلك الألوان الجميلة التي تُزيِّنُ صفحاتها، نعم يبدو عسلها طيّب الطّعم .. نظرت الفراشتان لبعضهما وانطلقتا كصاروخٍ مُوجَّه لقلب النّبتة، وانغمستا بين ثناياها تلتهمان قطع العسل المتناثرة بين زوايا حبيبات الطّلع بِنَهَمٍ وشَرَه .. نسيت الفراشة الصّغيرة نصيحة أمها: إيّاكِ الابتعاد عن حدود المنزل، إيّاك الاقتراب ممّا لا تعرفين أصله .. نسيت كلّ شيءٍ إلا طعم حُبيبات العسل .. بينما استغرقتا بالتِهامِ طعامهما المُفضّل، سادت السَّماء ظلمة غريبة .. رفعت الفراشة الصّغيرة رأسها بعد أن أنبأتها قرونُ الاستشعار بخطرٍ قريب، ورأت الكارثة .. أوراق الزّهرة ترتفع بهدوء، هدوء شديد في محاولة لضمّ فراشتين حسناوتين اكتشفتا أنّهما ضحيّة فخٍّ نصبته الزّهرة لهما لتكونا وليمةً دسمةً لمعدةٍ جائعة !.

حاولتا التّملُّصَ لكنّ الأوراق تضيِّقُ الخناقَ عليهما حتى بات الموتُ وشيكاً.

بدأ الاستسلام يدبُّ فيهما إلى أن مُدَّت ورقة صغيرة في قلب الزّهرة تمسَّكَتا بها جيِّداً لتنقلهما لجانب بعيد عن الخطر .. بتعبٍ نظرت الفراشةُ الصَّغيرةُ لمنقِذِها، كانت أمُّها، ابتسمت بتعبٍ شاكرة.

كان آخر ما سمعته من أمها: خبرتني جاراتي الفراشات أنَّكُما ذهبتما باتجاه آكلة الحشرات، فلحقتكما .. باتت تستسلمُ للنّوم ولسانها يُردِّدُ بثقل :آخر مرّة يا أمّي .. آخر مرّة

إياك والتشاؤم

يحكى ان أحد الملوك كان شغوفا بالصيد حتى أن جل ما يصيد يذهب للفقراء والمساكين وكان محبوبا لدى شعبه والكل يبجله ويحترمه، ولكن كان لديه مشكله واحدة ألا وهي مسألة (الفأل والطيرة) حيث يتفاءل ويتشاءم بما يقابله.. فاذا استيقظ يوما من نومه ووجد أمامه طائرا جميلا في حديقته كببغاء تفاءل به وإن رأى مثلا غرابا تشاءم منه.. حتى ارتبط الأمر بكامل حياته وسائر أموره.

المهم: عقد هذا الملك الصالح العزم على أن يصيد في أغلب أيامه لتتوزع على شعبه فيسد حاجتهم ويروي ظمأهم ويعين فقرهم.

وفي أحد الأيام ذهب إلى أحد الغابات القريبة مستعدا بعدة وعتاد، ولكن: صادف عند دخوله الغابة بوجود أحد أفراد شعبه في الغابة يحتطب فناداه، فلما اقترب منه ونظر الى وجهه وعينيه فوجده(أعور) عندها تشاءم الملك من رحلته للصيد وأمر حاشيته بإيداع (الأعور) في السجن إلى حين عودته.

ثم أكمل الملك رحلته للصيد وهو لا يتأمل من رحلته سوى العناء والتعب فقد استقبل يومه بما لا يسر.

كانت المفاجأة بنهاية اليوم وقبل الغروب حيث اصطاد الملك ومن معه صيدا لم يعهدوه من قبل من(أرانب وغزلان وطيور) بما يكفي أياما وأياما.

عندها عاد إلى قصره وأمر بتوزيع ما صاده لشعبه.. وأمر بجلب (الأعور) إليه من سجنه ..واعتذر منه وأخبره بما يعاني منه من مشكلة(الفأل).

عندها نظر (الأعور) إلى الملك وقال: تشاءمت من الأعور فحسن صيدك.. وتفاءلت برؤيه الملك فأودعني السجن.. ضحك الملك ..فتنبه إلى ما لا يجوز.. فأكرم وفادته وأطلق سراحه.

فقال الملك : ما كرهت الفأل في حياتي قط مثل هذه اللحظة وخصوصاً بعد كلمتك الصريحة والجريئة هذه

فكانت كلمة الأعور للملك علاجا له بعد قدرة الله عز وجل من هذه المشكلة.

فنكره التشاؤم ونحب الفأل الحسن فإن رسول الله(ﷺ) كان يحبه، كما في الحديبية عندما جاء سهيل بن عمرو يعقد الصلح مع رسول الله، فقال (ﷺ): "سهل الله أمركم". والمواقف كثيرة.

قصة الجارية

يحكى: أن جارية كانت تطوف بالكعبة وإذا هي تقول: يا كريم عهدك القديم! فسألتها (١) ما خطبك؟ فقالت: كنت في البحر فعصفت بنا ريح وحطمت السفينة وغرق كل من حملته إلا أنا وطفلي ورجل على لوح آخر.

---

(١) الراوي.

فلما أصبح الصباح دخل إلي وهو يسبح واستوى معنا على اللوح، وجعل يراودني عن نفسي، فقلت له: يا عبد الله نحن في بلية لا نرجو السلامة منها بطاعة فكيف بالمعصية ؟.

فقال: دعيني فو الله لا بد من ذلك، ومد يده للطفل ورماه بالبحر، فقلت: يا من يحول بين المرء وقلبه حُل بيني وبين هذا الرجل بحولك وقوتك إنك على كل شيء قدير.

وإذا بدابة من دواب البحر قد فتحت فمها والتقمت الرجل، فبقيت إلى أن أخذت بي الأمواج للبر، فلقيت قوما أنبأتهم بأمري فقالوا: نحن نخبرك بأعجب منكِ: كنا في البحر وقد اعترضتنا دابة وإذا بطفل على ظهرها ومناد ينادي خذوا هذا الطفل وإلا أهلكتكم ، فأخذناه ، فرد طفلها لها بحول الله .

لا تحزن من محنة فقد تكون منحة.. ولا تحزن من بلية فقد تكون عطية.. ولا تشتك من الأيام فليس لها بديل.. ولا تبك على الدنيا مادام آخرها الرحيل .. واجعل ثقتك بالله ليس لها مثيل.. وتوكل على الله حق التوكل فإنه على كل شيء وكيل.

الغلام السخي

خرج عبد الله بن جعفر إلى ضيعة له، فنزل على نخيل قوم، وفيه غلام أسود يعمل فيه، إذ أتى الغلام بقوته فدخل الحائط كلبٌ ودنا مِن الغلام، فرمى إليه الغلام بقرصٍ فأكله، ثمَّ رمى إليه الثَّاني والثَّالث فأكله، وعبد الله ينظر إليه،

فقال: يا غلام، كم قوتك كلَّ يوم؟ قال: ما رأيت. قال: فلِمَ آثرت به هذا الكلب؟!. قال: ما هي بأرض كلاب، إنَّه جاء مِن مسافة بعيدة جائعًا، فكرهت أن أشبع وهو جائع. قال: فما أنت صانع اليوم؟! قال: أطوي يومي هذا. فقال عبد الله بن جعفر: أُلام على السَّخاء! إنَّ هذا الغلام لأسخى منِّي. فاشترى الحائط والغلام وما فيه مِن الآلات، فأعتق الغلام ووهبه له.

لماذا تبكي النساء !!

سأل الولد أمه : لماذا تبكين ؟ أجابته : لأني امرأة، فقال الولد : أنا لا أفهم هذا !!.فاحتضنته أمه وقالت : و لن تفهمه أبداً .ثمّ سأل الولد أباه : لماذا تبكي أمي بلا سبب ؟.أجاب أبوه : جميع النساء يبكين بلا سبب .كبر الولد وأصبح رجلا و لا زال يجهل لماذا تبكي النساء !.

و في النهاية سأل عالما ،حكيما: لماذا تبكي النساء ؟

أجاب الحكيم : عندما خلق الله المرأة جعل لها أكتافا قوية جدا لتحمل عليها أحمال الدنيا .. وجعل لها ذراعين ناعمتين وحنونتين لتعطي الراحة .. وأعطاها قوة داخلية لتحتمل ولادة الأطفال وتحتمل رفضهم لها عندما يكبرون، وأعطاها صلابة لتحتمل أعباء أسرتها وتعتني بهم .. وتبقى صامدة في أصعب الظروف ودون تذمر .. وأعطاها محبة لأطفالها لا تنتهي ولا تتغير حتى لو عادوا إليها وسببوا لها الألم .. أخيرا .. أعطاها الدموع لتذرفها عند

الحاجة، فترمي أحمال هذه المسؤولية الكبيرة .. وتستطيع أن تواصل الرحلة .. و هذه هي نقطة ضعفها الوحيدة.

لذلك احترموا دموع نساء العالم حتى و إن كانت بلا سبب .

قطع حبلك السري لحظة خروجك للدنيا .. وبقي أثره في جسدك ليذكرك دائما بإنسانة عظيمة ، كانت تغذيك من جسدها.

إنها العقيدة

في سنة ١٩٣٠ أقامت فرنسا احتفالات كبيرة بمناسبة مرور مئة عام على احتلال الجزائر وقالت للعالم أجمع ان هذا الحفل هو "جنازة الإسلام" في الجزائر وأن الجزائريين صاروا قابلين للاندماج في المجتمع الفرنسي .. وكدليل على ذلك قام بعض المسؤولين الفرنسيين بإقامة تظاهرة تحييها فتيات جزائريات تكفلت فرنسا بتغريبهن وتجريدهن من هويتهن الاسلامية مستعينة فى ذلك برجل دين مسيحي اسمه "لاكوست" وحضر هذه التظاهرة بعض ممثلي الاستعمار الأوروبي في البلدان العربية لكي يأخذوا فكرة عن الجزائر الجديدة "الفرنسية" ويطبقوها في البلدان العربية الباقية .

اجتمع الحضور في مسرح كبير ورفع الستار وكانت صاعقة مدوية للفرنسيين بل لكل الحاضرين حين رأوا الفتيات الجزائريات يخرجن وهن يلبسن الحجاب ..!!.

فثارت ثائرة الاعلام الفرنسي وتساءل ماذا كانت تصنع فرنسا في الجزائر طيلة قرن من الزمان ؟!.

وعندما سئل "لاكوست" عن ذلك قال مقولته الشهيرة : "وماذا أفعل إذا كان القرآن أقوى من فرنسا".

القارب العجيب

تحدى أحد الملحدين- الذين لا يؤمنون بالله- علماء المسلمين في أحد البلاد، فاختاروا أذكاهم ليرد عليه، وحددوا لذلك موعدا.

وفي الموعد المحدد ترقب الجميع وصول العالم، لكنه تأخر.

فقال الملحد للحاضرين: لقد هرب عالمكم وخاف، لأنه علم أني سأنتصر عليه، وأثبت لكم أن الكون ليس له إله !وأثناء كلامه حضر العالم المسلم واعتذر عن تأخره، ثم قال: وأنا في الطريق إلى هنا، لم أجد قاربا أعبر به النهر، وانتظرت على الشاطئ، وفجأة ظهرت في النهر ألواح من الخشب، وتجمعت مع بعضها بسرعة ونظام حتى أصبحت قاربا، ثم اقترب القارب مني، فركبته وجئت إليكم. فقال الملحد: إن هذا الرجل مجنون، فكيف يتجمع الخشب ويصبح قاربا دون أن يصنعه أحد، وكيف يتحرك بدون وجود من يحركه؟ فتبسم العالم، وقال: فماذا تقول عن نفسك وأنت تقول: إن هذا الكون العظيم الكبير بلا إله؟!.

حكاية الساقي

كان هناك ساق اسمه محمد، يبيع الماء للناس وهو يتجول بجرته الطينية في الأسواق ، وقد أحبه كل الناس لحسن خلقه ولنظافته .

ذات يوم سمع الملك بهذا الساقي فقال لوزيره: اذهب وأحضر لي محمد الساقي.

ذهب الوزير ليبحث عنه في الأسواق إلى أن وجده وأتى به الملك قال الملك لمحمد : من اليوم فصاعدا لا عمل لك خارج هذا القصر ستعمل هنا في قصري تسقي ضيوفي وتجلس بجانبي تحكي لي طرائفك التي اشتهرت بها.

قال محمد: السمع والطاعة، وعاد محمد إلى زوجته يبشرها بالخبر السعيد وبالغنى القادم، وفي الغد لبس أحسن ما عنده وغسل جرته وقصد قصر الملك، دخل الديوان الذي كان مليئا بالضيوف وبدأ بتوزيع الماء عليهم وكان حين ينتهي يجلس بجانب الملك ليحكي له الحكايات والطرائف المضحكة ، وفي نهاية اليوم يقبض ثمن تعبه ويغادر إلى بيته .

بقي الحال على ما هو عليه مدة من الزمن، إلى أن جاء يوم شعر فيه الوزير بالغيرة من محمد، بسبب المكانة التي احتلها بقلب الملك.

وفي الغد حين كان الساقي عائدا إلى بيته تبعه الوزير وقال له: يا محمد إن الملك يشتكي من رائحة فمك الكريهة.

تفاجأ الساقي وسأله : وماذا أفعل حتى لا أؤذيه برائحة فمي؟ فقال الوزير: عليك أن تضع لثاما حول فمك عندما تأتي إلى القصر.

قال محمد: حسنا سأفعل. وعندما أشرق الصباح وضع الساقي لثاما حول فمه وحمل جرته واتجه إلى القصر كعادته.

فاستغرب الملك منه ذلك لكنه لم يعلق عليه، واستمر محمد يلبس اللثام يوما عن يوم إلى أن جاء يوم وسأل الملك وزيره عن سبب وضع محمد للثام، فقال الوزير: أخاف يا سيدي إن أخبرتك قطعت رأسي. فقال الملك: لك مني الأمان فقل ما عندك. قال الوزير : لقد اشتكى محمد الساقي من رائحة فمك الكريهة يا سيدي !.

أرعد الملك وأزبد وذهب عند زوجته فأخبرها بالخبر، قالت: من سولت له نفسه قول هذا غدا يقطع رأسه ويكون عبرة لكل من سولت له نفسه الانتقاص منك. قال لها: ونعم الرأي. وفي الغد استدعى الملك الجلاد وقال له: من رأيته خرج من باب قصري حاملا باقة من الورد فاقطع رأسه.

وحضر الساقي كعادته في الصباح وقام بتوزيع الماء وحين حانت لحظة ذهابه أعطاه الملك باقة من الورد هدية له، وعندما هم بالخروج التقى الساقي بالوزير فقال له الوزير: من أعطاك هذه الورود ؟ قال محمد: الملك. فقال له: أعطني إياه أنا أحق به منك. فأعطاه الساقي الباقة وانصرف، وعندما خرج الوزير رآه الجلاد حاملا لباقة الورد فقطع رأسه.

وفي الغد حضر الساقي كعادته دائما ملثما حاملا جرته وبدأ بتوزيع الماء على الحاضرين، استغرب الملك رؤيته لظنه أنه ميت، فنادى عليه وسأله: ما حكايتك مع هذا اللثام ؟ قال محمد : لقد أخبرني وزيرك يا سيدي أنك تشتكي من رائحة فمي الكريهة وأمرني بوضع لثام على فمي كي لا تتأذى. سأله مرة أخرى: وباقة الورد التي أعطيتك ؟ قال محمد: أخذها الوزير، فقد قال: أنه هو أحق بها مني. فابتسم الملك وقال حقا هو أحق بها منك، وحسن النية مع الضغينة لا تلتقيان.

عندما تكون نقياً من الداخل، يمنحك الله نوراً من حيث لا تعلم، يحبك الناس من حيث لا تعلم، وتأتيك مطالبك من حيث لا تعلم، صاحب النية الطيبة هو من يحب الخير للجميع دون استثناء ،فسعادة الآخرين لن تؤخذ من سعادتك، وغِناهم لن ينقص من رزقك، وصحتهم لن تسلبك عافيتك ،واجتماعاتهم بأحبتهم لن يفقدك أحبابك .

ابن الملك وأصحابه

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف: قد سمعت هذا المثل. فإن كان الرجل لا يصيب الخير إلا بعقله ورأيه وتثبته في الأمور كما يزعمون، فما بال الرجل الجاهل يصيب البلاء والضر؟.

قال بيدبا: كما أن الإنسان لا يبصر إلا بعينيه ولا يسمع إلا بأذنيه، كذلك العمل، إنما هو بالحلم والعقل والتثبت، غير أن القضاء والقدر يغلبان على ذلك.

ومثل ذلك مثل ابن الملك وأصحابه. قال الملك: وكيف كان ذلك؟ قال الفيلسوف: زعموا أن أربعة نفر اصطحبوا في طريق واحدة، أحدهم ابن الملك والثاني ابن تاجر والثالث ابن شريف ذو جمال والرابع ابن أكار.

وكانوا جميعاً محتاجين، وقد أصابهم ضرر وجهد شديد في موضع غربة لا يملكون إلا ما عليهم من الثياب.

فبينما هم يمشون إذ فكروا في أمرهم وكان كل إنسان منهم راجعاً إلى طباعه وما كان يأتيه منه الخير: قال ابن الملك: إنما أمر الدنيا كله بالقضاء والقدر، والذي قدر على الإنسان يأتيه على كل حال، والصبر للقضاء والقدر وانتظارهما أفضل الأمور وقال ابن التاجر: العقل أفضل من كل شيء وقال ابن الشريف: الجمال أفضل مما ذكرتم.

ثم قال ابن الأكار: ليس في الدنيا أفضل من الاجتهاد في العمل فلما قربوا من مدينة يقال لها مطرون، جلسوا في ناحية منها يتشاورون: فقالوا لابن الأكار: انطلق فاكتسب لنا باجتهادك طعاماً ليومنا هذا.

فانطلق ابن الأكار، وسأل عن عمل إذا عمله الإنسان يكتسب فيه طعام أربعة نفر فعرّفوه أنه ليس في تلك المدينة شيء أعز من الحطب، وكان الحطب منها على فرسخ.

فانطلق ابن الأكار فاحتطب طناً من الحطب، وأتى به المدينة فباعه بدرهم واشترى به طعاماً وكتب على باب المدينة: عمل يوم واحد إذا أجهد فيه الرجل بدنه قيمته درهم. ثم انطلق إلى أصحابه بالطعام فأكلوا.

فلما كان من الغد: قالوا ينبغي للذي قال إنه ليس شيء أعز من الجمال أن تكون نوبته.

فانطلق ابن الشريف ليأتي المدينة، ففكر في نفسه وقال: أنا لست أحسن عملاً فما يدخلني المدينة؟ ثم استحيا أن يرجع إلى أصحابه بغير طعام، وهمّ بمفارقتهم، فانطلق حتى أسند ظهره إلى شجرة عظيمة، فغلبه النوم فنام، فمر به رجل من عظماء المدينة فراقه جماله وتوسم فيه الشرف فرقَّ له ومنحه خمسمائة درهم، فكتب على باب المدينة: جمال يوم واحد يساوي خمسمائة درهم، وأتى بالدراهم إلى أصحابه.

فلما أصبحوا في اليوم الثالث، قالوا لابن التاجر: انطلق أنت فاطلب لنا بعقلك وتجارتك ليومنا هذا شيئاً.

فانطلق ابن التاجر فلم يزل حتى بصر بسفينة من سفن البحر كثيرة المتاع قد قدمت إلى الساحل، فخرج إليها جماعة من التجّار يريدون أن يبتاعوا مما فيها من المتاع.

فجلسوا يتشاورون في ناحية من المركب، وقال بعضهم لبعض: ارجعوا يومنا هذا لا نشتري منهم شيئاً حتى يكسد المتاع عليهم فيرخصوا علينا، مع أننا محتاجون إليه، وسيرخص.

فخالف الطريق وجاء إلى أصحاب المركب، فابتاع منهم ما فيه بمائة ألف دينار نسيئة وأظهر أنه يريد أن ينقل متاعه إلى مدينة أخرى.

فلما سمع التجار ذلك خافوا أن يذهب ذلك المتاع من أيديهم، فأربحوه على ما اشتراه مائة ألف درهم، وأحال عليهم أصحاب المركب بالباقي، وحمل ربحه إلى أصحابه وكتب على باب المدينة: عقل يوم واحد ثمنه مائة ألف درهم. فلما كان اليوم الرابع قالوا لابن الملك: انطلق أنت واكتسب لنا بقضائك وقدرك. فانطلق ابن الملك حتى أتى إلى باب لمدينة فجلس على متكأ في باب المدينة، واتفق أن ملك تلك الناحية مات ولم يخلف ولداً ولا أحداً ذا قرابة. فمرّوا عليه بجنازة الملك ولم يحزنه وكلهم يحزنون. فأنكروا حاله وشتمه البواب، وقال له: من أنت يا هذا؟ وما يجلسك على باب المدينة ولا نراك تحزن لموت الملك؟ وطرده البواب عن الباب فلما ذهبوا عاد الغلام فجلس مكانه. فلما دفنوا الملك ورجعوا بصر به البواب فغضب وقال له: ألم أنهك عن الجلوس في هذا

الموضع؟ وأخذه وحبسه. فلما كان الغد اجتمع أهل تلك المدينة يتشاورون فيمن يملكونه عليهم، وكلٌّ منهم يتطاول ينظر صاحبه، ويختلفون بينهم. فقال لهم البواب: إني رأيت أمس غلاماً جالساً على الباب، ولم أره يحزن لحزننا، فكلمته فلم يجبني، فطردته عن الباب. فلما عدت رأيته جالساً فأدخلته السجن مخافة أن يكون عيناً. فبعثت أشراف أهل المدينة إلى الغلام فجاءوا به، وسألوه عن حاله، وما أقدمه إلى مدينتهم. فقال: أنا ابن ملك فويران، وإنه لما مات والدي غلبني أخي على المُلكْ، فهربت من يده حذراً على نفسي حتى انتهيت إلى هذه الغاية. فلما ذكر الغلام ما ذكره من أمره عرفه من كان يغشى أرض أبيه منهم، وأثنوا على أبيه خيراً. ثم إن الأشراف اختاروا الغلام أن يملكوه عليهم ورضوا به. وكان لأهل تلك المدينة سنة إذا ملكوا عليهم ملكاً حملوه على فيل أبيض، وطافوا به حوالي المدينة. فلما فعلوا به ذلك مرّ بباب المدينة فرأى الكتابة على الباب فأمر أن يكتب: إن الاجتهاد والجمال والعقل وما أصاب الرجل في الدنيا من خير أو شر إنما هو بقضاء وقدر من الله عزّ وجل.

وقد ازددت في ذلك اعتباراً بما ساق الله إلي من الكرامة والخير.

ثم انطلق إلى مجلسه فجلس على سرير ملكه وأرسل إلى أصحابه الذين كان معهم فأحضرهم فأشرك صاحب العقل مع الوزراء، وضمّ صاحب الاجتهاد إلى أصحاب الزرع، وأمر لصاحب الجمال بمالٍ كثير ثم نفاه كي لا يفتتن به.

ثم جمع علماء أرضه وذوي الرأي منهم وقال لهم: أما أصحابي فقد تيقنوا أن الذي رزقهم الله سبحانه وتعالى من الخير إنما هو بقضاء الله وقدره، وإنما أحب أن تعلموا ذلك وتستيقنوه، فإن الذي منحني الله وهيأه لي إنما كان بقدر، ولم يكن بجمال ولا عقل ولا اجتهاد. وما كنت أرجو إذ طردني أخي أن يصيبني ما يعيشني من القوت فضلاً عن أن أصيب هذه المنزلة، وما كنت أؤمل أن أكون بها: لأني قد رأيت في هذه الأرض من هو أفضل مني حسناً وجمالاً، وأشد اجتهاداً وأسد رأياً، فساقني القضاء إلى أن اعتززت بقدر من الله، وكان في ذلك الجمع شيخ فنهض حتى استوى قائماً، وقال: إنك قد تكلمت بكلام كامل عقل وحكمة، وإن الذي بلغ بك ذلك وفور عقلك وحسن ظنّك، وقد حققت ظننا فيك ورجاءنا لك. وقد عرفنا ما ذكرت، وصدقناك فيما وصفت. والذي ساق الله إليك من المُلكِ والكرامة كنت أهلاً له، لما قسم الله تعالى لك من العقل والرأي. وإن أسعد الناس في الدنيا والآخرة من رزقه الله رأياً وعقلاً.

وقد أحسن الله إلينا إذ وفق لنا عند موت ملكنا وكرّمنا بك. ثم قام شيخ آخر سائح فحمد الله عزّ وجل وأثنى عليه وقال: إني كنت أخدم وأنا غلام قبل أن أكون سائحاً، رجلاً من أشراف الناس. فلما بدا لي رفض الدنيا فارقت ذلك الرجل، وقد كان أعطاني من أجرتي دينارين، فأردت أن أتصدق بأحدهما، وأستبقي الآخر، فأتيت السوق، فوجدت مع رجل من الصيادين زوج هدهد، فساومت فيهما فأبى الصياد أن يبيعهما إلا بدينارين، فاجتهدت أن يبيعنيهما

بدينار واحد فأبى. فقلت في نفسي: أشتري أحدهما وأترك الآخر. ثم فكرت وقلت لعلهما يكونا زوجين ذكراً وأنثى فأفرق بينهما، فأدركني لهما رحمة فتوكلت على الله وابتعتهما بدينارين وأشفقت إن أرسلتهما في أرض عامرة أن يصادا، ولا يستطيعا أن يطيرا مما لقيا من الجوع والهزال، ولم آمن عليهما الآفات. فانطلقت بهما إلى مكان كثير المرعى والأشجار بعيد عن الناس والعمران، فأرسلتهما، فطارا ووقعا على شجرة مثمرة. فلما صارا في أعلاها شكرا لي، وسمعت أحدهما يقول للآخر: لقد خلصنا هذا السائح من البلاء الذي كنا فيه، واستنقذنا ونجّانا من الهلكة. وإنا لخليقان أن نكافئه بفعله. وإنّ في أصل هذه الشجرة جرة مملوءة دنانير. أفلا ندله عليها فيأخذها؟ فقلت لهما: كيف تدلانني على كنز لم تره العيون وأنتما لم تبصرا الشبكة؟ فقالا: إن القضاء إذا نزل صرف العيون عن موضع الشيء وغشّى البصر وإنما صرف القضاء اعيننا عن الشرك ولم يصرفها عن هذا الكنز. فاحتفرت واستخرجت البرنية وهي مملوءة دنانير، فدعوت لهما بالعافية، وقلت لهما: الحمد لله الذي علّمكما ما لم تعلما، وأنتما تطيران في السماء، وأخبرتما ما تحت الأرض. قالا لي: أيها العاقل، أما تعلم أن القدر غالب على كل شيء، ولا يستطيع أحد أن يتجاوزه. وأنا اخبر الملك بذلك رأيته: فإن أمر الملك أتيته بالمال فأودعته في خزائنه. فقال الملك ذلك لك، وموفّر عليك (١) .

---

(١) كتاب كليلة ودمنة ترجمة ابن المقفع.

الحكمة ضالة المؤمن

يحكى أن رجلا وجد أعرابيا عند الماء، فلاحظ الرجل أن حمل البعير كبير ، فسأل الأعرابي عن محتواه، فقال الأعرابي : كيس يحتوي على المؤونة ، والكيس المقابل يحتوي ترابا ليستقيم الوزن في الجهتين .

فقال الرجل : لم لا تستغني عن كيس التراب وتنصف كيس المؤونة في الجهتين فتكون قد خففت الحمل على البعير .

فقال الأعرابي : صدقت! ففعل ما أشار إليه ثم عاد يسأله : هل أنت شيخ قبيله أم شيخ دين؟ فقال : لا هذا ولا ذاك ،، بل رجل من عامة الناس .فقال الرجل: قبحك الله، لا هذا ولا ذاك ثم تشير علي ثم أعاد حمولة البعير كما كانت !.

هكذا أغلب الناس، لا يهمهم الأفكار وإن كانت صائبة بقدر ما يهمهم الأشخاص والألقاب المصدرة لتلك الأفكار وإن كانت خاطئة.

ينبغي أن نقبل الحكمة من أي وعاء خرجت منه، فـ " الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا".

المروءة لها أهل

يحكى أن رجلاً كان يركب فرساً في الصحراء فوجد بدوياً قد ارتمى على حجر من تعبه، فنزل صاحب الفرس وأركب هذا البدوي، وأخذ بلجام

الفرس يجرها.فقال له: لا يليق بك أن تجرني.. فقال له: أنت رجل مرهق. فقال له : إن كان لا بد، فأنا أمسكُ باللجام حفظاً لكرامتك.

وعندما ناوله اللجام، هرب بها، فنادى صاحب الفرس عليه، وقال له: إن سألوك عنها فقل أنك اشتريتها، ولا تُحدِّثْ أحدًا بما فعلتَ، إني أخاف أن تموت المروءة بين الناس!.

صلاح الدين الأيوبي

وصل نبأ لصلاح الدين الأيوبي أن القائد الأفرنجي أرناط حاكم الكرك في فلسطين قام بقطع الطريق على الحجاج المسلمين، وقتل النساء، والأطفال وكان يقول: قولوا لمحمدكم أن يدافع عنكم !.

وشاء الله تعالى أن يفر رجل بنفسه ويذهب إلى صلاح الدين ويخبره بما حدث ،فماذا كان موقفه ؟

اعتزل صلاح الدين في بيته، وأخذ بالتضرّع والبكاء يومين كاملين، وهو يقول: يا رب هل تسمح لي أن أنوب عن رسولك محمد صل الله عليه وسلم في دفاع عن أمته، وما زال يكررها حتى اليوم الثاني ثم أعد جيشه، وقال فيهم هذه الخطبة الصغيرة:

يا جند محمد عليه الصلاة والسلام إن أرناط حاكم الكرك قد تجبر وعلا وقتل حجاج بيت الله الحرام، وسفك دماء الأطفال والنساء، وهو يقول: قولوا لمحمدكم أن يدافع عنكم.

وأنا قد وهبت نفسي وروحي لأنوب عن محمد (ﷺ) في الدفاع عن أمته، فمن أراد الذهاب معي فليلحقني، فقال جنده جميعاً بصوت واحد: كلنا فداء لرسول الله.

وعندما دارت المعركة، معركة حطين، وانتصر فيها صلاح الدين وأُسر أرناط ،قال صلاح الدين له: أأنت الذي قلت قولوا لمحمدكم أن يدافع عنكم ؟ قال: نعم. فأجاب صلاح الدين: وأنا العبد الفقير الذي تراه أمامك، قد ناب عن رسول الله في الدفاع عن أمته. . وقتله.

ماتت زوجته فترجم لها !

المؤرخ تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي الشافعي الأثري، من أعلام التاريخ.. ماتت زوجته سفرى فترجم لها في كتابه "درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة" حيث قال: سفرى ابنة عمر بن عبد العزيز بن عبد الصمد، وُلِدَت بالقاهرة في صفر سنة سبعين وسبعمائة ، وعقدتُ نكاحها يوم الخميس خامس عَشْرِي شوال سنة اثنتين وثمانين وسبع مائة ، وبنيتُ عليها بعد ذلك، ووُلِدَ لي منها ابني أبو المحاسن محمد في يوم الأحد تاسع عشر شهر ربيع الأول سنة ست وثمانين وسبع مائة ، ثم طلّقتها حادي عشر شهر رمضان من السنة المذكورة، فقدّر الله سبحانه مراجعتها والبناء عليها ثانياً في ليلة الأربعاء ثاني عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وسبع مئة، فرأيتُ تلك الليلة كأن شخصاً على فراشي ينشدني:

أحسنُ ما كنّا تفرقنا وخاننا الدهر وما خُنّا

فليت ذا الدهر لنا مرة عاد لنا يوماً كما كُنّا

فانتبهتُ مذعوراً، وتخيّلت أنها لا تقيم عندي سوى عامين.

ثم وُلِدَ لي منها ابني أبو هاشم علي في يوم الأحد رابع عشري ذي الحجّة سنة تسع وثمانين وسبع مائة.

فلمّا كانت في شهر ربيع الأول سنة تسعين وسبع مائة مرِضَت، فبِتُّ مُنكد الخاطر، فرأيتُ شخصاً ينشدني:

فالعين بعدهم كأن حداقها ..... سُملت بشوك فهي عور تدمع

فاستيقظتُ وقد غلب على ظني أنها تموت من مرضها، فكان كذلك، وماتت عشية الأربعاء من السنة المذكورة رحمها الله.

واتُّفِقَ أني كنتُ أكثر الاستغفار لها بعد موتها، فأُريتُها في بعض الليالي وقد دَخَلت عليَّ بهيئتها التي كفنتها بها، فقلتُ لها – وقد تذكّرتُ أنها ميتة –: يا أم محمد، الذي أُرسِله إليكِ يصل ؟ أعني استغفاري لها.

فقالت: نعم يا سيدي، في كل يوم تصل هديتك إليَّ. ثم بكت وقالت: قد علمت يا سيدي أني عاجزة عن مكافأتك، فقلتُ لها: لا عليكِ، عمّا قليل نلتقي.

وكانت غفر الله لها – مع صغر سنها – مِن خير نساء زمانها عِفّة وصيانة وديانة وثقة وأمانة ورزانة، ما عُوّضتُ بعدها مثلها .

أبكي فراقهم عيني فأرّقـهـــــا إن التفرّق للأحباب بكّـــــاء

ما زال يعدو عليهم صرف دهرهم حتى تفانوا وصرف الدهر عدّاء

جمعنا الله بها في جنته، وعمّنا بعفوه ومغفرته)اهـ .

تأملات مهمة:

ومن تأمل التواريخ التي ذكرها المقريزي الحافظ المؤرخ في ترجمته لزوجته سفرى يلاحظ التالي: أنها أنجبت ابنها الأول "أبو المحاسن محمد" وعمرها ١٦ سنة.

. ثم أنجبت ابنها الثاني "أبو هاشم علي" وعمرها ١٩ سنة.

. ثم إنها توفيت وهي ابنة عشرين عاما فقط.

ولكنها على صغر سنها ملكت قلب زوجها في حياتها وبعد مماتها، فخلد الله ذكرها ببرها لزوجها، وترحم عليها كل من قرأ ترجمتها.. رحمها الله رحمة واسعة.

عمل بدون تنسيق

اشترى ولد سروالا (بنطالا) جاهزا من السوق فوجده طويلا ٤ سم، طلب الابن من أمه أن تقصره ٤ سم ، فقالت إنها مشغولة، ذهب إلى أخته الكبيرة و طلب منها أن تقصر الثوب ٤سم فاعتذرت لأنها تجهز العشاء !.

ذهب إلى محل الخياطة فقصره واستلف من زميله أجرة الخياط، وعاد إلى المنزل ووضعه في دولابه ونام كي يلبسه للمدرسة.

الأم حن قلبها وذهبت إلى غرفة الابن وأخرجت البنطال وقصرته ٤سم وأعادته إلى الدولاب ! .

الأخت الكبيرة بعد أن أكملت تجهيز العشاء رق قلبها وذهبت إلى غرفة أخيها وقصرت البنطال ٤سم ثم أعادته !.

في الصباح استيقظ الولد وهو مبتهج ببنطاله الجديد يريد أن يلبسه ليراه زملاؤه !.

و إذا به يتفاجأ أن بنطاله للركبة.. ولم يستطع أن يلبسه وحزن حزنا كبيرا

النتيجة : "إذا كان الفريق يعمل دون تنسيق مسبق؛ يفشل فشلا ذريعاً، رغم التضحيات الكبيرة والنوايا الطيبة "!!.

ففي عمل الدعوة يتم التنسيق بالشورى مع الأحباب في الجولات والزيارات والخروج، وهكذا.

ثلاثة قصص في الإتقان

الأولى (البناء)

يروى أن هناك رجلا بناء يعمل في إحدى الشركات لسنوات طويلة؛ فبلغ به العمر وأراد أن يقدم استقالته ليتفرغ لعائلته.

فقال له رئيسه: سوف أقبل استقالتك بشرط أن تبني منزلا أخيراً؛ فقبل رجل البناء العرض؛ وأسرع في تخليص المنزل دون تركيز وإتقان ومن ثم سلم مفاتيحه لرئيسه.

فابتسم رئيسه وقال له: هذا المنزل هدية منِّي لك بمناسبة نهاية خدمتك للشركة طول السنوات الماضية؛ فَصُدِمَ رجل البناء؛ وندم بشدة أنه لم يتقن بناء منزل العمر!!

أقول: لماذا تَرضَى للآخرين ما لا ترضاه لنفسك؟!! لماذا تهتم بعملك الخاص ونفعه خاص غير متعدٍّ، ولا تهتم بأعمال الآخرين والوظائف العامة ونفعها يعم الآخرين؟!!

فالله غني عن أعمالك وعبادتك وليس بحاجة إليها، فأنت الذي بحاجة إليها وإلى أجرها العظيم، وكل عمل تقدمه – خيرا أو شرا مُتقَنا أو غير متقنٍ – فهو لك.

الثانية (الوزراء الثلاثة)

في يوم من الأيام استدعى الملك وزراءه الثلاثة، وطلب من كل وزير أن يأخذ كيساً ويذهب إلى بستان القصر ويملأ هذا الكيس له من مختلف طيبات الثمار والزروع، وطلب منهم أن لا يستعينوا بأحدٍ في هذه المهمة وأن لا يسندوها إلى أحد آخر.

فاستغرب الوزراء من طلب الملك وأخذ كل واحد منهم كيسه وانطلق إلى البستان؛ فالوزير الأول حرص على أن يُرضِيَ الملك فجمع من كل الثمرات من أفضل وأجود المحصول وكان يتخيّر الطيّب والجيّد من الثمار حتى ملأ الكيس.

أما الوزير الثاني فقد كان مقتنعاً بأن الملك لا يريد الثمار ولا يحتاجها لنفسه وأنه لن يتفحص الثمار، فقام بجمع الثمار بكسل وإهمال فلم يتحرَّ الطيّب من الفاسد حتى ملأ الكيس بالثمار كيفما اتفق.

أما الوزير الثالث فلم يعتقد أن الملك سوف يهتم بمحتوى الكيس أصلاً، فملأ الكيس بالحشائش والأعشاب وأوراق الأشجار.

وفي اليوم التالي، أمر الملك أن يُؤتى بالوزراء الثلاثة مع الأكياس التي جمعوها، فلما اجتمع الوزراء بالملك أمر الملك الجنود بأن يأخذوا الوزراء الثلاثة ويسجنوهم كل واحد منهم على حده مع الكيس الذي معه لمدة ثلاثة أشهر في سجن بعيد لا يصل إليهم فيه أحد كان، وأن يمنع عنهم الأكل والشراب.

فالوزير الأول بقي يأكل من طيبات الثمار التي جمعها حتى انقضت الأشهر الثلاثة، والوزير الثاني عاش الشهور الثلاثة في ضيق وقلة حيلة معتمداً على ما صلح فقط من الثمار التي جمعها؛ أما الوزير الثالث فمات جوعاً قبل أن ينقضي الشهر الأول.

الثانية (قدر اللبن)

يحكى أنه حدثت مجاعة بقرية ..فطلب الوالي من أهل القرية طلبًا غريبًا كمحاولة منه لمواجهة خطر القحط والجوع ... وأخبرهم بأنه سيضع قِدرًا كبيراً في وسط القرية .

وأن على كل رجل وامرأة أن يضع في القِدر كوبًا من اللبن بشرط أن يضع كل واحد الكوب وحده من غير أن يشاهده أحد.

هرع الناس لتلبية طلب الوالي .. كل منهم تخفى بالليل وسكب ما في الكوب الذي يخصه.

وفي الصباح فتح الوالي القدر ..وماذا شاهد؟ شاهد القدر وقد امتلأ بالماء !!.

أين اللبن؟! ولماذا وضع كل واحد من الرعية الماء بدلاً من اللبن؟ .

الإجابة أن كل واحد من الرعية، قال في نفسه: إن وضعي لكوب واحد من الماء لن يؤثر على كمية اللبن الكبيرة التي سيضعها أهل القرية .. وكل منهم اعتمد على غيره .. وكل منهم فكر بالطريقة نفسها التي فكر بها أخوه، وظن أنه هو الوحيد الذي سكب ماءً بدلاً من اللبن.

فوائد من القصة:

١. نداوم المراقبة لله تعالى.

٢. نعمل العمل بالإخلاص.

٣. نترك الغش والخداع.

افزع إلى الله

كان إسحاق بن عباد البصري نائمًا، فرأى في منامه قائلًا يقول له: أغِثِ الملهوف. فاستيقظ فسأل: هل في جيرانه مُحتاج؟ .قالوا: ما ندري؟ .ثم نام فأتاه ثانيًا وثالثًا ، فقال له: أتنام ولم تُغِثِ الملهوف ؟.

فقام وأخذ معه ثلاثمائة درهم ، ورَكِبَ بغلة ، فخرج إلى المسجد ؛ فإذا رجلٌ يُصَلِّي ، فلما أحسَّ به انصرف فدنا منه ، فقال له: يا عبد الله ، في هذا الوقت ؟ في هذا الموضع ؟ ما أخرجك ؟ .

قال: أنا رجلٌ كان رأس مالي مائة درهم، فذهبت من يدي ، ولزمني دينٌ مائتا درهم . فأخرج له الدراهم ، وقال: هذه ثلاثمائة درهم خُذها .

فأخذها ثُمَّ قال له: أتعرفني ؟ .قال: لا . قال له: أنا إسحاق بن عباد ، فإن نابتك نائبة فأتني ، فإنَّ منزلي في موضع كذا .

فقال: رَحِمَكَ الله، إِن نَابَتنَا نَائِبَةٌ ، فَزِعنَا إِلَى مَن أَخرَجَكَ فِي هَذَا الْوَقتِ ، حَتَّى جَاءَ بِكَ إِلَينَا (١).

الملك الأعرج والرسام

يحـــكى أنه كان يوجد ملك أعـــرج ويرى بعين واحدة وفي أحد الأيام دعا الرسامين ليرسموا له صورة شخصية بشرط: أن لا تظهر عيوبه في هذه الصورة ، فرفض كل الرسامين رسم هذه الصورة !.

فكيف سيرسمون الملك بعينين وهو لايملك سوى عين واحدة ؟.

وكيف يصورونه بقدمين سليمتين وهو أعرج ؟.

ولكن وسط هذا الرفض الجماعي قبل أحد الرسامين رسم الصورة، وبالفعل رسم صوره جميلة وفي غاية الروعة .. كيف ؟.

تصور الملك واقفاً وممسكاً ببندقية الصيد (بالطبع كان يغمض إحدى عينيه، ويحني قدمه العرجاء وهـــكذا رسم صورة الملك بلا عيوب وبكل بساطـة).

---

(١) رسائل ابن رجب (٣/١٢٨) .

العبرة من هذة القصة: ليتنا نحاول أن نرسم صوره جيدة عن الآخرين مهما كانت عيوبهم واضحة وعندما ننقل هذه الصورة للناس نستر الأخطاء فلا يوجد شخص خال من العيوب فلنأخذ الجانب الإيجابي داخل أنفسنا وأنفس الآخرين ونترك السلبي فقط لراحتنا وراحة الآخرين.

الوسواس في الصلاة لماذا؟

قال أحد عباد الأصنام، لرجل من المسلمين، أنتم تقولون: أن الشيطان يأتي يوسوس لكم في صلاتكم ونحن لا نجد ذلك في عبادتنا، فقال له: لو أن رجلان أحدهما يحمل صندوقا من الزبالة، والآخر يحمل صندوقا من الذهب، أيهما يمشي وراءه السراق ليسرقوا صندوقه، قال: صاحب صندوق الذهب، لأنه يحمل الثمين الغالي، فقال له المسلم: ونحن صلاتنا غاليه، فيجتهد الشيطان أن يسرقها منا، أما أنتم فعبادتكم باطلة ورخيصة لا يأبه لها الشيطان.

الشجرة والهوى

قال تعالى: { أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ }(١).

وعن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه و سلم "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ". حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ(١).

---

(١) سورة الجاثية _ الآية ٢٣ .

وحكي أن رجلا كان يجلس في ظل شجرة مثمرة، فسمع صوتا مرتفعا بذكر الله، فنظر يمينا وشمالا ليرى من أين ينبعث هذا الصوت فلم يجد أحدًا، فقال : - في نفسه - يا رب من أين هذا الصوت، من الذي يذكر الله، فإذا بالشجرة تقول له: أنا الذي اذكر ربي، فقال: ما شاء الله!، فقالت: ومني يستفيد الناس يأكلون من ثماري، ويستظلون في ظلي، ويصنعون مني الأبواب والشبابيك التي تستر بيوتهم، ويصنعون مني أثاث المنازل، وأشياء كثيرة، فقال الرجل: ما شاء الله! نعم أنت تفيدين الناس فائدة كبيرة. قالت: ومع ذلك كله في نهاية المطاف ألقى في النار، فقال بحزن: لماذا مع أن منافعك كثيرة ؟ قالت: لأني أميل مع الهوى.

قال الشاطبي : سمى الهوى هوى، لأنه يهوي بصاحبه إلى النار(٢).

قصتان تدلان على أهمية العمل الجماعي

الأولى: ركب أحدهم سيارته هو وأخوه، وركب العمال الذين يعملون عنده في صندوق السيارة، وعندما تحركت السيارة سمع لغط العمال، وضجيجهم يقرع الأسماع، فأوقف السيارة وقال لأخيه انزل واركب معهم وأسكتهم، وبعد كل برهة يجد الأصوات تنخفض شيئا فشيئا، حتى انتهت، فعاد لا يسمع شيئا، وعندما وصل إلى مكان العمل، فلم يجد غير

---

(١) رياض الصالحين، الأربعين النووية للنووي.

(٢)الموافقات (٤/١١٥).

أخيه، فقال: ما الخطب؟ قال: الذي لم يسكت كنت ألقيه من السيارة حتى ألقيتهم عن آخرهم!!، فتعجب أخوه وقال: كيف فعلت ذلك؟ فمن يقوم بالعمل معنا الآن، هلا صبرت عليهم؟.

ففي القيام بالعمل الدعوي لا بد على الجماعة أن يصبر بعضهم على بعض، فالأمير يصبر على المأمورين، والمأمورون يصبرون على الأمير.

فالصبر سنة نبوية ملازمة لرسالة الأنبياء، قال تعالى:{ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ}(١).

الثانية: لو نظرنا إلى سيارة مفككة، العجل في ناحية، والدركسيون في ناحية، والماتور في ناحية، والكراسي في ناحية، وهكذا....إلخ، هل نستطيع أن نطلق عليها سيارة؟ بالطبع لا، لا نطلق عليها اسم سيارة إلا إذا اجتمعت أجزاؤها .

فهكذا الأمة لا يطلق عليها أمة إلا إذا اجتمعت وتوحدت:(فكر واحد، وهم واحد، وعمل واحد، ووجهة واحدة)، فهذه تسمى أمة، ولو كانت أفرادها قليلة.

فالمسلمون اليوم بالملايين ولكن.....!!!.

---

(١) سورة الأحقاف _ الآية ٣٥.

قال تعالى: ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾(١) ، ألا وهي قضية تنسيق الجهود وترتيب الصفوف، قضية العمل الجماعي وآدابه وضوابطه، خاصة في هذه الأوقات الحرجة التي نواجه فيها تحديات كبيرة جدًّا، الأعداء الذين تآخَوْا على حربنا، صراعات عالمية، صِهْيونية عالمية تحاربنا، صليبية عالمية، رافضية عالمية، مواجهة أهل الإلحاد والعلمانيين، وأذناب الغرب.

نريد أن نكون سببًا في نُصرةِ هذا الدين، في رفعةِ شأنه، في الدفاعِ عنه، في الدعوةِ إليه، في عزَّتِه ومجدِه وانتشاره، ولن يكون ذلك إلا بالاجتماع والاتحاد، لن يكون أبدًا بالتنازع والفُرقة؛ لأن تحقيق هذه الأهداف يحتاج إلى قوة، والقوة والبركة في العمل الجماعي، وهذه أول أهمية وفضيلة للعمل الجماعي، فإن : (يدُ الله مع الجماعةِ) (٢)، ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾(٣).

كن كالنحلة ولا تكن كالذباب

النحلة لا تقف إلا على الزهور لتأخذ أحسن ما فيها وهو الرحيق.

أما الذباب فلا يقف إلا على الجروح والأوساخ ليأخذ منها أوسخ ما فيها.

فلا ننظر للعيوب بل ننظر بعين إلى عيوبنا وبالأخرى ننظر إلى محاسن غيرنا.

---

(١) سورة الشورى _ الآية ١٣.

(٢) رواه الترمذي (١٥١١٣).

(٣) سورة المائدة _ الآية ٢.

المرأة والنسر

يحكى أن أحد الملوك ربى في منزله نسرا كبيرا ودربه على الصيد، وفي يوم من الأيام، فتح باب القفص الذي بداخله النسر، وترك مفتوحا، فتاقت نفس النسر للحرية والانطلاق فانطلق محلقا في جو السماء ثم هبط على بيت امرأة عجوز، فأخذته ووضعته في القفص، ونظرت فإذا منقاره منحني ومقوس ففكرت وقالت: كيف يأكل هذا؟ لابد أن أكسر منقاره حتى يأكل بسهولة، فكسرت منقاره ثم نظرت فوجدت مخالبه طويلة، فقالت مسكين هذا الصقر كيف يمشي ومخالبه طويلة فقطعتها، ثم نظرت فإذا له جناحان كبيران ثقيلان فقالت مسكين هذا الصقر كيف يطير وهذان الجناحان ثقيلان؟ فقصت جناحيه، وفى هذه الأثناء بعث الملك رجاله وجنوده ليبحثوا عن الصقر، فوجدوه عند العجوز فجاءوا به وبها، فقال الملك للعجوز عندما نظر إلى الصقر فرآه على هذه الصورة: أيتها العجوز ماذا فعلت؟، فقالت: وجدت منقاره منحني، فقلت في نفسى: مسكين هذا الصقر كيف يأكل بهذا المنقار فكسرت منقاره، ثم نظرت فوجدت مخالبه طويلة فقلت مسكين هذا الصقر كيف يمشي ومخالبه طويلة إنه لا يستطيع أن يمشى بسهولة فقطعت مخالبه، ووجدت جناحيه ثقيلين لا يستطيع أن يطير بهما بسهولة فقصصتهما، ولم أفعل هذا إلا رحمة له

وشفقة عليه، فقال الملك معلقا على فعلها: هذا مثال من لا يعرف قيمة الشيء فرط فيه.

فمثالنا: مثل هذه العجوز أخذنا من الدين الذي يوافق أهواءنا، والذي لا يوافق أهواءنا تركناه، والله يقول: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً}(١).

القارب والمجداف

قالوا: أن شابا ركب في قارب وجلس يجدف بمجداف واحد، فأصبح يدور حول نفسه ولم يتحرك من مكانه.

قالوا هذا الشاب هو معظم أهل الدنيا، يجدفون فيها بمجداف الدنيا، ويتركون مجداف الآخرة.

الشاب والحكيم

رافق شاب رجلا حكيما في رحلة، فرأيا فيها العجب، مرا على رجل مستلقٍ على ظهره وفاتح فاه تحت شجرة تفاح، ورجل واقف عند رأسه يقطف من الشجرة مرة تفاحة ناضجة ومرة تفاحة نيئة ومرة تفاحة حامضة، وفي كل مرة يلقيها في فم الرجل المستلقي، والمستلقي يبلع كل ما يوضع في فمه، فقال الشاب: للحكيم، ما هذا؟ قال انطلق.

---

(١) سورة البقرة _ الآية ٢٠٨.

ثم مرا على نهر وفي وسطه قارب ومن على شاطئي النهر رجال يتجاذبون القارب، كل يجر لجهته، ولا يستطيع أحد منهم جذبه إلى جهته.

ثم مرا برجل يسحب الماء من النهر بطنبور، ثم يرجع الماء إلى النهر مرة ثانية، فقال: الشاب للحكيم: ما هذا؟.

قال الحكيم: هذا مثلنا اليوم _ إلا من رحم ربي _ نأخذ من الدنيا ونضع في الدنيا ونسينا الآخرة.

وأما الرجل المستلقي تحت الشجرة فهو القبر والقائم فوقه ملك الموت والتفاح هو الناس، فملك الموت يأخذ كبير السن فيلقيه في القبر وصغير السن، ومتوسط العمر فيلقي في القبر، والقبر يقبل الجميع ولا يرفض.

وأما القارب الذي في وسط النهر فهو الدنيا والكل يتنافسون عليها، ولا يحصلون عليها.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: أَنَّ المِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ أَخْبَرَهُ: أَنَّ عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ -وَهُوَ حَلِيفٌ لِبَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، كَانَ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ ابْنَ الجَرَّاحِ إِلَى البَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ صَالَحَ أَهْلَ البَحْرَيْنِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمُ العَلاءَ بْنَ الحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ البَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بِقُدُومِهِ، فَوَافَتْهُ صَلاةَ الصُّبْحِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا انْصَرَفَ تَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ رَآهُمْ، وَقَالَ: أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِشَيْءٍ؟ قَالُوا: أَجَلْ يَا

رَسُولَ اللهِّ، قَالَ: فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللهِّ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ.(١).

شابان في الغربة

سافر اثنان من الشباب للعمل في إحدى الدول، أما الأول فعندما تقاضى راتبه فأخذ يرسل المال لوالده في بلده، وبعد فترة قال: يا والدي! اشتري لي قطعة أرض، وبعد فترة قال: يا والدي ابن لي بيتا على الأرض، وبعد فترة، قال: يا والدي! اخطب لي بنت فلان لأتزوجها، ففعل الوالد كل ما يريده ابنه.

أما الشاب الثاني فكان يتقاضى راتبه ثم أنفق ماله على النساء والشرب والشهوات، ولم يرسل لأهله في البلد شيئا.

فأنهت الشركة عقود العمل لكلا الشابين، فكان لزاما عليهما أن يرجعا إلى وطنهما الأصلي.

فمن في طريق عودته يشعر بالسعادة؟ ومن منهما الذي يفرح أهله باستقباله؟ أكيد الذي كان يرسل المال لأهله.

---

(١) صحيح البخاري» كتاب الجزية» باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب(٢٩٨٨).

أما الثاني كم يكون عليه من القلق والكآبة في طريق عودته وكيف حال أهله عند استقباله؟.

هكذا الذي قدم لآخرته(إِذَا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ، فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ قَدِّمُونِي، قَدِّمُونِي)، أما الذي لم يقدم لآخرته ، يقول: (يَا وَيْلَهَا ، أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا) ؟ (١).

نظام ملكي

في إحدى الممالك إذا مات الملك، يقوم أهل المملكة بتولية الملك الجديد بشرط أن يظل في الملك لمدة خمسة أعوام وبعد انتهائها يأخذون الملك إلى مكان في الصحراء فيه كل أنواع السباع والهوام والحشرات فيلقونه هناك فيلقى حتفه في هذا المكان.

فأحجم الناس عن تولي منصب الملك بسبب هذا المصير المشؤوم ، فقام شاب ذكي ، وقال: أنا مستعد لهذا المنصب فتوجوه وألبسوه الثياب التي تليق بالملك ثم أركبوه الفرس وزفوه بالطبول والفرحة.

فأصبح كل شيء في المملكة من مال وعتاد وجيش تحت أمره، فأرسل عدد كبير من الناس إلى الصحراء فأزالوا الأشجار المؤذية وأرسل لهم مواد البناء

---

(١) صحيح البخاري _ كتاب الجنائز _ باب كلام الميت على الجنازة _ حديث رقم : (١٣٢٥).

فبنوا له القصور العوالي، وأمرهم بحفر الآبار لجلب المياه، ثم أمرهم بزرع الأشجار الجميلة المثمرة في المنطقة، فأصبحت الصحراء جنانا وارفة تهفو إليها النفوس.

فأرسل لهذا المكان الجواري الحسان ومن اللباس أجوده ومن الأطعمة ألوان، ثم حمل الجمال بالخزائن المليئة بالجواهر والأموال.

ثم عبد الطريق من المملكة إلى الصحراء.

وعندما انتهت مدة الخمس سنوات قام أهل المملكة بحمل هذا الملك للصحراء فوجدوه مبتسما ومتهللا، فا ستغربوا لذلك، لأنهم عندما ذهبوا بمن كان قبله لهذا المكان كان يصرخ ويولول على المصير المشؤوم الذي ينتظره.

فما أن وصلوا للصحراء فإذا بهم يجدونها جنانا خضراء وارفة الظلال.

فهكذا نحن في الدنيا، كما قال الله تعالى: { وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ }(١) فلأنفسهم يستعدون، ويسوّون المضجع ليسلموا من عقاب ربهم، وينجوا من عذابه، كما قال الشاعر:

امْهِدْ لنفْسِكَ حانَ السُّقْمُ والتَّلَفُ وَلا تُضَيِّعَنَّ نَفْسا مَا لَهَا خَلَفُ(٢).

وفي تفسير القرطبي: أَيْ يُوَطِّئُونَ لِأَنْفُسِهِمْ فِي الْآخِرَةِ فِرَاشًا وَمَسْكَنًا وَقَرَارًا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

---

(١) سورة الروم _ الآية ٤٤.

(٢) تفسير الطبري _ الآية ٤٤.

الفيل والإنسان والبئر

التمست للإنسان مثلاً، فإذا مثله مثل رجلٍ نجا من خوف فيلٍ هائجٍ إلى بئرٍ، فتدلى فيها، وتعلق بغصنين كانا على سمائها، فوقعت رجلاه على شيءٍ في طي البئر، فإذا حياتٌ أربع قد أخرجن رءوسهن من أحجارهن، ثم نظر فإذا في قاع البئر تنين فاتح فاه منتظر له ليقع فيأخذه؛ فرفع بصره إلى الغصنين فإذا في أصلهما جرذان أسود وأبيض، وهما يقرضان الغصنين دائبين لا يفتران، فبينما هو في النظر لأمره والاهتمام لنفسه، إذ أبصر قريباً منه كوارةً فيها عسل نحلٍ؛ فذاق العسل، فشغلته حلاوته وألهته لذته عن الفكرة في شيءٍ من أمره، وأن يلتمس الخلاص لنفسه؛ ولم يذكر أن رجليه على حياتٍ أربعٍ لا يدري متى يقع عليهن؛ ولم يذكر أن الجرذين دائبان في قطع الغصنين؛ ومتى انقطعا وقع على التنين.

فلم يزل لاهياً غافلاً مشغولاً بتلك الحلاوة حتى سقط في فم التنين فهلك.

فشبهت بالبئر الدنيا المملوءة آفاتٍ وشروراً، ومخافاتٍ وعاهاتٍ؛ وشبهت بالحيات الأربع الأخلاط الأربعة التي في البدن: فإنها متى هاجت أو أحدها كانت كحمة الأفاعي والسم المميت؛ وشبهت بالجرذين الأسود والأبيض الليل والنهار اللذين هما دائبان في إفناء الأجل؛ وشبهت بالتنين المصير الذي لا بد منه؛ وشبهت بالعسل هذه الحلاوة القليلة التي ينال منها الإنسان فيطعم ويسمع ويشم ويلمس، ويتشاغل عن نفسه، ويلهو عن شأنه، ويصد عن سبيل قصده. فحينئذٍ صار أمري إلى الرضا بحالي وإصلاح ما استطعت إصلاحه من عملي:

لعلي أصادف باقي أيامي زماناً أصيب فيه دليلاً على هداي، وسلطاناً على نفسي، وقواماً لأمري(١).

تسجيل الوقائع بالصوت والصورة

يقول أحدهم: عندما كنت أعيش في هولندا أتاني خطاب بأنني ارتكبت مخالفة مرور حيث؛ قطعت الإشارة الحمراء بالشارع الفلاني، في الساعة الفلانية، في اليوم الفلاني، .. ويسألونك في الخطاب كم سؤال، وهل تقر بهذه المخالفة أم لا، وهل عندك أي اعتراض؟ .. وكانت قيمة المخالفة حوالي ١٥٠ يورو ..!!.

ولأنني لا أذكر إن كنتُ قد قطعت الإشارة أم لا، ولا أعرف أسماء الشوارع بالضبط في هولندا، كان ردِّي عليهم: نعم عندي اعتراض .. فأنا غير متيقّن أنني سرت في هذا الطريق، أو قطعت تلك الإشارة..

بعدها بأسبوع وصلني خطاب، وبه ثلاث صور لسيارتي .. واحدة قبل أن أقطع الإشارة وهي حمراء، والثانية وأنا في منتصف الإشارة وهي حمراء، والثالثة بعد أن قطعتُ الإشارة بمتر واحد، وهي حمراء أيضا ! يعنى متلبس لا مفرّ والصور هي الدليل القاطع ! فدفعت الـ ١٥٠ يورو بعد إقراري بالمخالفة وسكتُّ.

---

(١) كتاب كليلة ودمنة لبيدبا الفيلسوف ترجمة ابن المقفع.

وفي يوم ما بعد هذه الحادثة وأنا أقرأ في "سورة الجاثية" تذكرتُ هذه الحادثة والمخالفة عندما وصلت إلى قوله تعالى: (هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (١).

أصابني بالذهول والقشعريرة والخوف من الله !!

يا إلهي .. هذه آلة تصوير من صُنع الناس .. ولا تستطيع أن تهرب أو تفر منها..!!

فما بالك بتصوير وتسجيل و استنساخ أعمالنا من رب الناس..!! أين المفر..؟؟

هذا الاستنساخ لأعمالنا في كتاب لا يضل ولا ينسى، ويُحفظ فى مكان مأمون، لا يتلف بفعل عوامل المناخ من أعاصير أو رياح أو أمطار، ولا يُسرق ولا يُقَرصَن..!!

يا إلهي .. كل المعاصي مستنسخة: بتواريخها .. بوقائعها .. بأشخاصها

بمكانها..بزمانها.. بألوانها.. بأهدافها.. بملابساتها .. بخلفياتها.. ببواعثها..كلها مسجلة .. بالصوت والصورة.. وبالنوايا أيضا، فهو سبحانه وتعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، أي: يعلم ما لا

---

(١) سورة الجاثية _ الآية ٢٩.

تستطيع كاميراتُ البشرِ تسجيلَه، وسوف تُعرَض على الإنسان يوم القيامة{وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} (١).

مسجد كأنني كلت

خير الدين كججي أفندي، تركي ورع، كان يعيش في بلدة "فاتح" باسطنبول، وكانت له عادة من سنن الصحابة رضوان الله عليهم التي اقتدوا فيها بالنبي (ﷺ)، وهي أنه كلما اشتهى فاكهة أو لحما أو حلوى، يقول في نفسه "صانكي يدم" أي "كأنني أكلت"، وفي صندوق مخصص، يضع ثمن تلك الأشياء، حتى مضت السنون وهو يزهد شيئًا فشيئًا في كل شهوات الغذاء، ولا يأكل سوى ما يقيم حياته فقط، حتى تكون مبلغ كبير من المال وقرر أن يبني به مسجدًا في بلدته، وكان أهل البلدة يعرفون قصته، فأطلقوا على المسجد اسم جامع "صانكي يدم".

يروي لنا قصة المسجد أورخان محمد علي في كتابه "روائع من التاريخ العثماني"، ناقلًا تعليق سعيد النورسي، وهو أحد أبرز علماء الإصلاح الديني والاجتماعي في تركيا، على سلوك خيرالدين الورع قائلًا: "كلما نادت اللذائذ

---

(١) سورة الكهف _ الآية ٤٩.

ينبغي الإجابة بـ "كأنني أكلت" فالذي جعل هذا دستورًا له، كان بوسعه أن يأكل مسجدًا سمي بـ "كأنني أكلت" فلم يأكل".

يتسع المسجد لـ ٢٠٠ مصل، وبني في القرن الثامن عشر في ظل خلافة الدولة العثمانية، وصمم بدون أسقف في بدايته، لكنه تعرض لأضرار كبيرة في بنائه أثناء الحرب العالمية الأولى، ودمر تمامًا بعدها بعشرين عامًا حيث نشب به حريق أتى عليه، إلا أنه في عام ١٩٥٩م، تم إصلاحه من تبرعات السكان، وذلك حسبما ذكرت صحيفة سبق.

ما فعله خير الدين أفندي كان اقتداءً بالنبي(ﷺ) وأصحابه (رضي الله عنهم)، فعن جابر رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رآه ذات يوم وهو يمسك لحمًا، فقال: ما هذا يا جابر؟ قلت: اشتهيت لحماً فاشتريته. فقال: أو كلما اشتهيتَ اشتريتَ يا جابر! أما تخاف هذه الآية: "أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا".

ونقل الطبري في تفسيره لتلك الآية قول قتادة : ذكر لنا أن عمر - رضي الله عنه - قال: لو شئت كنت أطيبكم طعاما، وألينكم لباسا، ولكني أستبقي طيباتي للآخرة .

ولما قدم عمر الشام صنع له طعام لم ير قط مثله قال: هذا لنا! فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وما شبعوا من خبز الشعير فقال خالد بن الوليد: لهم

الجنة، فاغرورقت عينا عمر بالدموع وقال: لئن كان حظنا من الدنيا هذا الحطام، وذهبوا هم في حظهم بالجنة فلقد باينونا بونا بعيدا.

وفي صحيح مسلم وغيره أن عمر – رضي الله عنه – دخل على النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو في مشربته حين هجر نساءه قال: فالتفت فلم أر شيئا يرد البصر إلا أهبا جلودا معطونة قد سطع ريحها، فقلت: يا رسول الله، أنت رسول الله وخيرته، وهذا كسرى وقيصر في الديباج والحرير؟ قال : فاستوى جالسا وقال: " أفي شك أنت يا ابن الخطاب، أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا"، فقلت : استغفر لي فقال :" اللهم اغفر له".

قصتان في حسن الظن

الأولى: في يوم من الأيام رأى أحد مرتادي المسجد للصلاة الأعراب يأتون على الدواب من بعيد لأداء صلاة الجمعة في المسجد، فقام بدق وتد أمام المسجد، فجاء رجل ووجد هذا الوتد، فقال: لماذا دق هذا الوتد أمام المسجد فيعثر فيه الناس؟، وقام بخلع الوتد .

فهنا كل منهما له نية صالحة، ولو أن كلا منهما ما أحسن الظن بأخيه لتخاصما وتشاجرا وأوقع بينهما الشيطان.

الثانية: دخل إمام المسجد، المسجد ليصلي بالناس صلاة العصر، ثم دخل بيت الخلاء وخرج منه مباشرة إلى إمامة المصلين، ولم يتوضأ، وكان أحد الناس يراقبه أثناء دخول الحمام والخروج منه، فبعد انتهاء الصلاة، قال يا شيخ أنت رجل

مبجل ونحن نحترمك، ولكن لي سؤال محيرني أريدك، أن تجيبني عليه، قال: تفضل. قال: هل تصح الصلاة بدون وضوء، قال: لا، فقال له: أنت فعلت ذلك، دخلت بيت الخلاء، ثم خرجت منه مباشرة إلى الصلاة ولم تتوضأ، فقال له الإمام: صدقت يا عزيزي! فأنا عندما دخلت المسجد أحسست بأن الإزار سوف يسقط من على وسطى فتنكشف عورتي، فدخلت الخلاء وربطت الإزار، ثم خرجت للصلاة. فقال الرجل له: سامحني يا مولانا لقد أسأت بك الظن.

فهكذا نحن نسيء الظن كثيرا ولو دققنا في الأمر لوجدناه على غير ما ظنناه، فعلينا بحسن الظن في الآخرين.

احذروا من إهانة المرأة

ذهب رجل في رحلة وفي طريقه التقى بامرأة عجوز واقفة بجانب بئر فجلس معها وشرب من البئر وبدأ يتحدث معها، فسألها : ما هو كيد النساء ؟.

فوقفت عند البئر وبدأت تبكي بصوت مرتفع حتى يسمعها أبناؤها فيأتون ليقتلوا الرجل ظنا منهم أنه يريد أن يدفعها في البئر .. فقال لها ماذا تفعلين ؟ وحاول إيقافها، وقال: أنا لم أتِ إلى هنا لإيذائك !.

فقامت وأمسكت دلو الماء وسكبته على نفسها .. فتعجب الرجل منها وسألها لماذا فعلتِ هذا فبينما هو يتكلم أتى الأبناء. وقالت: العجوز هذا الرجل أنقذني عندما سقطت في البئر !! فأخذ الأبناء يشكرونه، و فرحوا به كثيرا !.

فسألها ما الحكمة من فعلتك هذه ؟! فقالت: هكذا المرأة إذا أسعدتها أحيتك !.واذا أذيتها قتلتك فاحذروا يا معشر الرجال من إهانة المرأة.

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ، قَالَ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي» رواه الترمذي(١).

نعمة العقل

زعموا أن الأسد خرج يوما من الغابة متنزها، فبعد حتى تجول في حقول الفلاحين، فإذا به يرى بعض الحيوانات مربوطة بعضها في الشجر وبعضها في الوتد، فاقترب منها وسأل الخروف من الذي ربطك، قال: ابن آدم. فتركه وذهب للحمار، وقال له: من الذي ربطك؟ قال: ابن آدم، فتركه وذهب للحصان وقال له: من الذي ربطك؟ قال: ابن آدم، فتركه وذهب للجمل، وقال له: من الذي ربطك؟ قال: ابن آدم. فتعجب الأسد، وقال: أريد أن أرى ابن آدم، فقالت الحيوانات في صوت واحد: هل ترى هذا الرجل الذي يأتي من بعيد على هذا الطريق؟ قال: نعم، قالوا: هذا ابن آدم، فازداد الأسد عجبا لما رأى صغر حجمه، فانتظره حتى جاء، ثم سأله: أنت ابن آدم؟ قال: نعم ، قال: أنت الذي ربطت هذه الحيوانات مع قوتها، قال: نعم، فقال الأسد: هل تستطيع أن تصارعني؟ قال ابن آدم: نعم. قال الأسد: هيا، قال ابن آدم: ولكني نسيت

---

(١) رواه الترمذي (٣٨٩٥)، وابن ماجه (٢٠٥٣)، وصحّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣١٤).

عافيتي في البيت، أمهلني حتى آتيك بها، قال الأسد: اذهب، فقال ابن آدم: ولكنك إذا رأيت عافيتي معي ستهرب، قال الأسد: لا، قال ابن آدم: حتى أضمن عدم هروبك، أربطك في هذه الشجرة حتى أرجع، فوافق الأسد، فربطه ابن آدم وجلس، فقال الأسد: لمَ لا تذهب، قال ابن آدم: بفضل ربي، ثم بقوة عقلي التي تفوق قوة جسدك ربطتك مثل باقي الحيوانات، هنا علم الأسد أين تكمن قوة ابن آدم.

فإنَّ مِنْ أفضل نِعَم الله على عباده، نعْمةَ العقل، فلولا العقل لما عرَف الإنسان دينَ الإسلام والنبوة، والخيرَ والشر، والحقَّ والباطل، والمعروفَ والمنكر، قال - تعالى -: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (١)، فالله - تعالى - فضَّل بني آدم على غيرِهم منَ الجمادات، والحيوانات، والنباتات بهذا العقْل.

قال - تعالى - مادحًا عبادَه أصحاب العقول السليمة: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١)، قال ابن كثير: أي العقول التامة الزكية، التي تُدرك الأشياء بحقائقِها على جلياتها، وليسوا كالصمِّ البكم الذين لا يعقلون، الذين قال الله فيهم: ﴾

---

(١) سورة الإسراء _ الآية ٧٠ .

(١) سورة آل عمران _ الآية ١٩٠ .

وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ * وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ (١).

وقد ذمَّ الله – تعالى – أصحابَ العقول الغافلة عن دينه؛ فقال: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾(٢).

وقال – تعالى –: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾(٣) .

فإذا فَقَدَ الإنسان العقلَ السليم الذي يقوده إلى الخير، ويُبعده عن الشر، فقد أصبح كالبهيمة التي تأكل وتشرب ولا تعقل شيئًا؛ بل إنها خيْرٌ منه.

قال الشاعر:

وَأَفْضَلُ قَسْمِ اللهِ لِلْمَرْءِ عَقْلُهُ ... فَلَيْسَ مِنَ الخَيْرَاتِ شَيْءٌ يُقَارِبُهْ
إِذَا أَكْمَلَ الرَّحْمَنُ لِلْمَرْءِ عَقْلَهُ ... فَقَدْ كَمُلَتْ أَخْـــلاقُهُ وَمَآرِبُهْ

وقال الشاعر:

لَيْسَ الجَمَالُ بِأَثْوَابٍ تُزَيِّنُنَا ... إِنَّ الجَمَالَ جَمَالُ العَقْلِ وَالأَدَبِ

---

(١) سورة يوسف _ الآيتان ١٠٥ ، ١٠٦ .
(٢) سورة الأنفال _ الآية ٢٢ .
(٣) سورة الأعراف _ الآية ١٧٩.

قال ابن حزم: وحدُّ العقل ينطوي فيه فعل الطاعات والفضائل، واجتناب المعاصي والرذائل، وقد نصَّ الله – تعالى – في كتابه على أن مَن عصاه لا يعقل، قال – تعالى –: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (١)، وحد الحُمْق: استعمال المعاصي والرذائل، وهو ضد العقل، ولا واسطة بين الحمق والعقل إلا السخف(٢).

مثلان للتضحية

الأول: ذهب شاب إلى الترزي ومعه قطعة من قماش، وقال له: أريد أن تحيك لي ثوبا، ولكن بشرط ألا تقص من ثوبي شيئا ولا تلقي في الزبالة منه شيئا، فقال الترزي: يا بني حتى يكون الثوب جميلا لا بد أن تضحي منه بشيء، وإلا لا تستطيع الانتفاع به.

الثاني: رجل اشترى دجاجة وأعطاها لزوجته وقال لها: هذه الدجاجة اشتريتها وتزن ٢ كيلو جرام، وبعد الطهي أريد أن تكون بنفس الوزن، فقالت الزوجة لابد من تنظيف الدجاجة من الريش والأمعاء، وبذلك ينقص وزنها، وبنقصان وزنها تطيب الدجاجة.

فلا تطيب الدنيا إلا بنقصانها، وذلك يأتي بالتضحية بالأشياء من أجل الله، فإذا ضحينا بشيء منها طيب الله لنا الباقي وبارك لنا فيه.

---

(١) سورة الملك _ الآية ١٠.

(٢) الأخلاق والسِّيَر في مداواة النفوس" ص ٦٥ – ٦٦ بتصرف.

الثعلب والجمل

سأل الثعلب جملا واقفا على الضفة الأخرى من النهر: لو سمحت يا صديقي الجمل: إلى أين يصل عمق ماء النهر؟ فأجابه الجمل: إلى الركبة. فقفز الثعلب في النهر، فإذا بالماء يغطيه.. فسعى الثعلب جاهدا أن يخرج رأسه من الماء بجهد مضنٍ.. وبمشقة بالغة استطاع أن يقف على صخرة في النهر.. وما أن التقط بعض أنفاسه اللاهثة، حتى صرخ في وجه الجمل: ألم تقل أن الماء يصل إلى الركبة. الجمل: نعم الماء يصل إلى ركبتي.أ.هـ.

حين تستشير أحدا في أمور حياتك: فإنه ربما يجيبك بحسب تجاربه التي نفعته، وكثيرا ما تكون حلوله أحيانا مناسبة له فقط، وقد لا تناسبك أنت. فأمعن النظر أثناء الشورى.

أنا الدنيا

يحكي أن فتى أراد الزواج من فتاه جميلة أعجبته، فقال لأبيه: أريد الزواج من فتاة يعجبني جمالها وسحر عيونها.

فرد عليه بكل سرور يا بني سنذهب معا لأخطبها لك، فلما ذهبا ورأى الأب هذه الفتاه .قال لابنه: هذه الفتاه ليست من مستواك ولا تصلح أنت لها إنها تريد رجلا ذا خبرة في الحياة، رجلا تعتمد عليه مثلي.

اندهش الفتى من كلام أبيه، وقال له: بل سأتزوجها أنا وليس أنت، فتخاصموا وذهبوا إلى شيخ البلد، وعندما قصو ا عليه الحكاية، أمر بأن تحضر الفتاة ليسألها من تريد، الأب أم الابن، فلما رآها انبهر بها، وقال: لا تصلح لكما، بل تصلح لي، فتخاصموا جميعا إلى العمدة، وعندما قصو ا عليه الحكاية، أمر بأن تحضر الفتاة ليسألها من تريد، الأب أم الابن، فلما رآها انبهر بها، وقال: لا تصلح لكما، بل تصلح لي، فتخاصما جميعا إلى ضابط الشرطة، وعندما قصو ا عليه الحكاية، أمر بأن تحضر الفتاة إلي المركز ليسألها من تريد، الأب أم الابن، فلما رآها الضابط وانبهر بجمالها، قال لهما: إنها لا تصلح لكما، بل تصلح لي تصلح لشخص مرموق مثلي.

فتخاصموا بينهم وذهبوا إلى المحافظ فلما رآها المحافظ، قال لا يتزوجها إلا أنا، ثم ظل الأمر هكذا حتى وصل إلى الوزير، ثم رئيس البلاد، والكل يدعي أنها لا تصلح إلا له، ووسط جدالهم، قالت الفتاة: أنا لدي الحل! سوف اركض وأنتم تركضون خلفي ومن يمسك بي أكن من نصيبه وأتزوجه. وفعلا ركضوا جميعا وراءها وفجأة سقطوا جميعا في حفره عميقه . فنظرت لهم الفتاة وقالت: هل عرفتم من أنا؟ أنا الدنيـا التي يجري ورائي الجميع ويتنافسون علي ويلهون عن دينهم ثم يقعون في القبر ولن يفوز أحد بي.

قَالَ الْحَافِظ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : وَاعْلَمْ أَنَّ خَلْقًا كَثِيرًا سَمِعُوا ذَمَّ الدُّنْيَا وَلَمْ يَفْهَمُوا الْمَذْمُومَ، وَظَنُّوا أَنَّ الْإِشَارَةَ إِلَى هَذِهِ الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي خُلِقَتْ

لِلْمَنَافِعِ مِنْ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ فَأَعْرَضُوا عَمَّا يُصْلِحهُمْ مِنْهَا فَتَجَفَّفُوا فَهَلَكُوا . وَلَقَدْ وَضَعَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا فِي الطِّبَاعِ تَوَقَانَ النَّفْسِ إلَى مَا يُصْلِحُهَا ، فَكُلَّمَا تَاقَتْ مَنَعُوهَا ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ هَذَا هُوَ الْمُرَادُ ، وَجَهْلًا بِحُقُوقِ النَّفْسِ، وَعَلَى هَذَا أَكْثَرُ الْمُتَزَهِّدِينَ. كَذَا قَالَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى. ثُمَّ قَالَ: وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَرْضَ خُلِقَتْ مَسْكَنًا وَمَا عَلَيْهَا مَلْبَسٌ وَمَطْعَمٌ وَمَشْرَبٌ وَمُنْكَحٌ .

وَقَدْ جُعِلَتْ الْمَعَادِنُ فِيهَا كَالْخَزَائِنِ فِيهَا مَا يُحْتَاجُ إلَيْهِ ، وَالْآدَمِيُّ مُحْتَاجٌ إلَى ذَلِكَ لِصَلَاحِ بَدَنِهِ الَّذِي هُوَ كَالنَّاقَةِ لِلْمُسَافِرِ، فَمَنْ تَنَاوَلَ مَا يُصْلِحُهُ لَمْ يُذَمَّ، وَمَنْ أَخَذَ فَوْقَ الْحَاجَةِ بِكَفِّ الشَّرَهِ وَقَعَ الذَّمُّ لِفِعْلِهِ وَأُضِيفَ إلَى الدُّنْيَا تَجَوُّزًا، وَلَيْسَ لِلشَّرَهِ وَجْهٌ؛ لِأَنَّهُ يَخْرُجُ إلَى الْأَذَى وَيُشْغَلُ عَنْ طَلَبِ الْأُخْرَى فَيُفَوِّتُ الْمَقْصُودَ وَيُضِرُّ، بِمَثَابَةِ مَنْ أَقْبَلَ يَعْلِفُ النَّاقَةَ وَيُبْرِدُ لَهَا الْمَاءَ ، وَيُغَيِّرُ عَلَيْهَا أَنْوَاعَ الثِّيَابِ، وَيَنْسَى أَنَّ الرُّفْقَةَ قَدْ سَارَتْ فَإِنَّهُ يَبْقَى فِي الْبَادِيَةِ فَرِيسَةَ السِّبَاعِ هُوَ وَنَاقَتُهُ وَلَا وَجْهَ فِي التَّقْصِيرِ فِي تَنَاوُلِ الْحَاجَةِ مِنْ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ النَّاقَةَ لَا تَقْوَى عَلَى السَّيْرِ إلَّا بِتَنَاوُلِ مَا يُصْلِحُهَا .

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَّقَهَا، وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا ، وَمَطْلَبُ نُجْحٍ لِمَنْ سَالَمَ، فِيهَا مَسَاجِدُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَهْبِطُ وَحْيِهِ، وَمُصَلَّى مَلَائِكَتِهِ، وَمَتْجَرُ أَوْلِيَائِهِ، فِيهَا اكْتَسَبُوا الرَّحْمَةَ، وَرَبِحُوا فِيهَا الْعَافِيَةَ ، فَمَنْ ذَا يَذُمُّهَا وَقَدْ آذَنَتْ بِبَيْنِهَا، وَنَعَتْ نَفْسَهَا وَأَهْلَهَا، ذَمَّهَا قَوْمٌ غَدَاةَ النَّدَامَةِ، وَحَمِدَهَا آخَرُونَ ذَكَّرَتْهُمْ فَذُكِّرُوا، وَوَعَظَتْهُمْ فَانْتَهَوْا. فَيَا أَيُّهَا الذَّامُّ الدُّنْيَا الْمُغْتَرُّ بِتَغْرِيرِهَا مَتَى اُسْتُذِمَّتْ إلَيْك، بَلْ مَتَى غَرَّتْك، أَبِمَنَازِلِ آبَائِك فِي الثَّرَى، أَمْ

بِمَضَاجِعِ أُمَّهَاتِك فِي الْبِلَى . كَمْ رَأَيْت مَوْرُوثًا. كَمْ عَلَّلْت بِكَفَّيْك عَلِيلًا. كَمْ مَرَّضْت بِيَدَيْك مَرِيضًا تَبْتَغِي لَهُ الشِّفَاءَ وَتَسْتَوْصِفُ لَهُ الْأَطِبَّاءَ، لَمْ تَنْفَعْهُ بِشَفَاعَتِك ، وَلَمْ تُشْفِهِ بِطِلْبَتِك. مَثَّلَتْ لَك الدُّنْيَا غَدَاةَ مَصْرَعِهِ وَمَضْجَعُهُ مَضْجَعُك. ثُمَّ الْتَفَتَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلَى الْمَقَابِرِ فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْغُرْبَةِ، وَيَا أَهْلَ التُّرْبَةِ ، أَمَّا الدُّورُ فَقَدْ سُكِنَتْ ، وَأَمَّا الْأَمْوَالُ فَقَدْ قُسِمَتْ، وَأَمَّا الْأَزْوَاجُ فَقَدْ نُكِحَتْ، فَهَذَا خَبَرُ مَا عِنْدَنَا ، فَهَاتُوا خَبَرَ مَا عِنْدَكُمْ . ثُمَّ الْتَفَتَ إلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَمَّا لَوْ أُذِنَ لَهُمْ لَأَخْبَرُوكُمْ أَنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى.

وقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَإِذْ قَدْ عَرَفْت الْمَذْمُومَ مِنْ الدُّنْيَا فَكُنْ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا تَأْخُذْ فَوْقَ مَا يُصْلِحُك، وَلَا تَمْنَعْ نَفْسَك حَظَّهَا الَّذِي يُقِيمُهَا .

كَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يَقُولُ: إذَا وَجَدْنَا أَكَلْنَا أَكْلَ الرِّجَالِ، وَإِذَا فَقَدْنَا صَبَرْنَا صَبْرَ الرِّجَالِ .

كَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: لَوْ لَمْ يَكُنْ لَنَا ذُنُوبٌ نَخَافُ عَلَى أَنْفُسِنَا مِنْهَا إلَّا حُبَّ الدُّنْيَا لَخَشِينَا عَلَى أَنْفُسِنَا . وَاَللَّهِ مَا أَحَدٌ مِنْ النَّاسِ بُسِطَ لَهُ دُنْيَا فَلَمْ يَخَفْ أَنْ يَكُونَ قَدْ مُكِرَ بِهِ فِيهَا إلَّا كَانَ قَدْ نَقَصَ عَمَلُهُ وَعَجَزَ رَأْيُهُ . وَاَللَّهِ إنْ كَانَ الرَّجُلُ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَيْبَسُ جِلْدُهُ عَلَى عَظْمِهِ وَمَا بَيْنَهُمَا شَحْمٌ وَلَا لَحْمٌ يُدْعَى إلَى الدُّنْيَا حَلَالًا فَمَا يَقْبَلُ مِنْهَا قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا يَقُولُ أَخَافُ أَنْ تُفْسِدَ عَلَيَّ قَلْبِي . وَاَللَّهِ لَقَدْ أَدْرَكْنَا أَقْوَامًا وَصَحِبْنَا طَوَائِفَ مِنْهُمْ . وَاَللَّهِ لَهُمْ كَانُوا أَزْهَدَ فِي الْحَلَالِ مِنْكُمْ فِي الْحَرَامِ .

وَرَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمُحَارِبِيُّ عَنْ اللَّيْثِ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَأَى الدُّنْيَا فِي صُورَةِ عَجُوزٍ هَتْمَاءَ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ زِينَةٍ ، فَقَالَ لَهَا كَمْ تَزَوَّجْت ؟ قَالَتْ لَا أُحْصِيهِمْ قَالَ : فَكُلُّهُمْ مَاتَ عَنْك أَوْ كُلُّهُمْ طَلَّقَك ؟ قَالَتْ: بَلْ كُلُّهُمْ قَتَلْت، فَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: " بُؤْسًا لِأَزْوَاجِك الْبَاقِينَ ، كَيْفَ لَا يَعْتَبِرُونَ بِالْمَاضِينَ " ؟

وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: يُؤْتَى بِالدُّنْيَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُورَةِ عَجُوزٍ شَمْطَاءَ زَرْقَاءَ أَنْيَابُهَا بَادِيَةٌ مُشَوَّهَةٌ خَلْقُهَا ، فَتُشْرِفُ عَلَى الْخَلَائِقِ ، فَيُقَالُ لَهُمْ أَتَعْرِفُونَ هَذِهِ ؟ فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاَللهِ مِنْ مَعْرِفَةِ هَذِهِ ، فَيُقَالُ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي تَنَاحَرْتُمْ عَلَيْهَا ، بِهَا تَقَاطَعْتُمْ الْأَرْحَامَ ، وَبِهَا تَحَاسَدْتُمْ وَتَبَاغَضْتُمْ وَاغْتَرَرْتُمْ ، ثُمَّ تُقْذَفُ فِي جَهَنَّمَ ، فَتُنَادِي يَا رَبُّ أَيْنَ أَتْبَاعِي وَأَشْيَاعِي؟ فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَلْحِقُوا بِهَا أَتْبَاعَهَا وَأَشْيَاعَهَا . وَاعَجَبًا لِمَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا ثُمَّ مَالَ إِلَيْهَا، وَرَأَى غَدْرَهَا بِأَهْلِهَا ثُمَّ عَوَّلَ عَلَيْهَا .

أكلت يوم أكل الثور الأبيض

يُروى أنَّ ثَلاثَةَ ثيران، أبيض وأسود وأحمر كُنَّ في أَجَمةٍ (غابة)، ومعهن فيها أسد، فكان الأسدُ لا يقدِرُ منهن على شيء لاجتماعهن عليه، فقال الأسد يوما للثورين الأسود والأحمر: لا يُدِلُّ علينا في أَجَمتنا إلا الثورُ الأبيضُ فإن لونَهُ مشهور ولوني على لونكما، فلو تركتماني آكُلُه صفَتْ لنا الأَجمة، فقالا: دونَكَ فكُلْه، فأَكَلَه، ثم قال للأحمر: لوني على لونك، فَدَعْني آكل الأسود لِتصفو لنا

الأجَمة، فقال: دونَكَ فكُلْه، فأكله، ثم قال للأحمر: إني آكِلُكَ لا مَحالَة، فقال: دَعني أُنادي ثلاثا، فقال: افعَل، فنادى ألاَ إني أكِلْتُ يوم أكِلَ الثورُ الأبيض، وذَهَبَت مَثلاً، وأكلَهُ الأسد(١).

ومَغْزى هذا المُثَل بيِّنٌ، فمتى ضَحَّينا بأحدٍ؛ لننالَ مكانه أو ما كان يناله، فقد حَكَمْنا على أنفسنا بنفس مصيره، ووضعْنا أنفسنا بعده في القائمة.

فالفُرقة والاختلاف في الرأْي تُضْعِفُ الأفراد وتَكسِرهم، وتُمَكِّن الأعداء وتحقِّق لهم مآرِبَهم.

كونوا جميعـــا يا بني إذا اعترى خطبٌ ولا تتفرقوا آحـــادا

تَأْبَى الرِّمَاحُ إِذَا اجْتَمَعْنَ تَكَسُّرًا وَإِذَا افْتَرَقْنَ تَكَسَّرَتْ آحَادَا

في يوم من الأيام جمع حكيم أولاده جميعاً ليعلمهم درساً من دروس الحياة، وقال لهم ائتوني بحزمة من الحطب، فلما أتوا بالحطب إليه أعطى كل واحد منهم عوداً من الحطب، وقال لهم اكسروا هذه الأعواد منفردين، فكسروها بسهولة وبيسر، فجمع الأحطاب جميعاً وجعلها في حزمة واحدة وطلب من كل واحد منهم أن يقوم بكسرها مجتمعة لا منفردة، إلا أنهم بذلوا بما يملكون من القوة والجهد فلم يستطيعوا كسرها. قال الأب: أتعلمون لماذا استطعتم أن تكسروا الأخشاب المنفردة ولم تستطيعوا كسرها وهي مجتمعة؟ فأجاب عن ذلك قائلاً: إن في الاتحاد قوة وفي التفرقة ضعف.

---

(١) المرجع السابق.

إنَّ الأمة الإسلاميَّة متى اجْتمعتْ واتَّحدتْ، لَم تستطعْ أُمَّة مَهْمَا كانتْ قوَّتها النَّيْل منها؛ لأن يدَ الله مع الجماعة، ولأنها مع اتِّحادها مَحمية بربِّها، وهذا ما عُرِف على مَرِّ السنين، فما قَوِيَتْ أُمَّة مُتفرقة مُشَتَّتة، وما ضَعُفَتْ أُمَّة اجْتمعتْ وتكاتَفَتْ وارتبطتْ بربِّها، نسألُ الله أن يَجمعَ شَمْلنا وقلوبَنا على طاعته، وألا يجعلَ في قلوبنا غِلاًّ للذين آمنوا.

قصتان في بيان الرضا بقضاء الله وقدره

الأولى: في يوم من الأيام قطع للملك أحد أصابع يده وهو يبري سهام الصيد، وعندما رآه الوزير، قال: خير خير إن شاء الله، وعند ذلك غضب الملك على الوزير وقال أين الخير والدم يجري من إصبعي.. وبعدها أمر الملك بسجن الوزير: وما كان من الوزير إلا أن قال كعادته: خير خير إن شاء الله، وذهب إلى السجن.

وفي العادة: الملك في كل يوم جمعة يذهب إلى النزهة .. وفي آخر نزهته، حط رحله قريبا من غابة كبيرة.. وبعد استراحة قصيرة دخل الملك الغابة، وكانت المُفاجأة أن الغابة بها ناس يعبدون لهم صنم.. وكان ذلك اليوم هو يوم عيد صنمهم، وكانوا يبحثون عن قربان يقدمونه للصنم.

فوجدوا الملك وألقوا القبض عليه لكي يقدمونه قربانا إلى آلهتهم .. وقد رأوا إصبعه مقطوعا وقالوا هذا فيه عيبا ولا يستحسن أن نقدمه قربانا وأطلقوا

سراحه.حينها تذكر الملك قول الوزير عند قطع إصبعه **(خير، خير إن شاء الله)** .

بعد ذلك رجع الملك من الرحلة وأطلق سراح الوزير من السجن وأخبره بالقصة التي حدثت له في الغابة .. وقال له فعلا كان قطع الاصبع فيها خيرا لي.. ولكن اسألك سؤال : وأنت ذاهب إلى السجن سمعتك تقول خير خير إن شاء الله .. وأين الخير وأنت ذاهب إلى السجن؟ .قال الوزير: أنا وزيرك ودائما معك ولو لم أدخل السجن لكنت معك في الغابة، فأخذني عباد الصنم وقدموني قربانا لآلهتهم وأنا لا يوجد بي عيب.. ولذلك دخولي السجن كان خيرا لي.

وفي الحديث: عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ "(١).

الثانية: كان أحد الملوك يحب أحد وزراءه، وكان ملازما له، فأراد يوما أن يمتحن وزيره في محبته، فأمر يوما الطباخ أن يطهي له طعاما ويضع عليه المر، ففعل، وعندما حضر الوزير أمر الملك بإحضار الطعام، وقال للوزير كل، وتعلل الملك عن الأكل حيثُ أنه أكل قبل ذلك، فأخذ الوزير في الأكل بدون أن يشعر الملك بأن الطعام فيه شيء مر، حتى ظن الملك أن

---

(١) صحيح مسلم » كتاب الزهد والرقائق » باب المؤمن أمره كله خير(٢٩٩٩).

طاهي الطعام قد خالف أوامره ولم يضع المر في الطعام، فسأله عن ذلك فقال قد فعلت ما أمرتني به، فسال الوزير: هل وجدت في الطعام شيئا؟ فأخبره: نعم وجدته مراً؟ فقال: لماذا أكلت وبكثرة؟ فقال: أنا لا أنظر إلى الطعام ولكن انظر من أين هذا الطعام؟ فهو طعام الملك فلذا أكلت كثيراً.

الداعي مثل السابح في النهر

فالله ﷻ وجل يقول لنبيه ﷺ: ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً﴾ (١) يعني الداعي مثل السابح في النهر، فالذي يسبح في النهر لا يغفل دقيقة واحدة وكذلك الرسول ﷺ، ما غفل في النهار دقيقة واحدة عن الدعوة إلى الله ﷻ(١).

الخداع

رُئيَ شيخ كبير يمشي وهو يتوكأ على عصاه، فقيل له: يا شيخ، لماذا تتوكأ على العصاة أليست رجلاك قويتين، قال: بلى، أنا أعتمد على رجلاي، ولكن أحمل العصا للزينة، فقام أحدهم، وأخذ منه العصا فوقع الشيخ على الفور، فعُلمَ أنه كان يتوكأ على العصا لا على رجليه.

فكلنا _ إلا من رحم ربي _ لو قلت لأحدنا: أنت تعتمد على الدكان أو غيره مما يملك من أسباب الرزق، لقال: لا ، أنا أعتمد على الله، فالله هو الرزاق.

---

(١) سورة المزمل – الآية ٧.

(١) فرضية الدعوة إلى الله من كلام الشيخ عبد الوهاب بقلم المؤلف.

فإذا ابتلي في أي سبب من أسباب الرزق اعترض وتلفظ بأقوال لا تليق به أو بربه.

فمن هنا علم أنه كان يعتمد على السبب بقلبه في الباطن، وفي الظاهر باللسان على الله تعالى.

فلنحذر هذا الخداع، ولنعلم أن الأسباب كلها بيد مسببها الله تعالى، وقد ولدنا في هذه الحياة وما نملك شيئا، فكل عطاء ونعمة منه سبحانه وتعالى.

اتباع الحبيب

أضرب لذلك مثالين:

الأول: في عام ١٩٨٧م كتب الله(عز وجل) لي أن أخرج في رحلة دعوية في البلد الحبيب إلى قلبي(الأردن)، وكانت الجماعة مكونة من مصريين وعمانيين وقطريين، وتجولنا في بعض القرى التابعة لمدينة المفرق، وفي قرية الدفيانة (١) انطلقنا من المسجد بعد صلاة العصر لزيارات أهل الحي، كالعادة اثنين، اثنين، مع كل اثنين دليل، وكنت أنا وشاب من قطر فأخذنا الدليل إلى بيت في أطراف القرية يبعد عن القرية قليلا ، فمشينا من مدق معبد في الأرض، فإذا بالشاب القطري يقول لي: يا شيخ محمد؟ قلت: نعم، قال: ترى هذا المدق، قلت: بلى، قال: هذا المدق في الصحراء (هو المحجة البيضاء) من حاد عنه هلك، وقد

---

(١) والعجيب أن هذه القرية اسم على مسمى حيث تجد أن جوها يكون دافئا شتاءً على عكس القرى التي حولها.

أخبرنا رسول الله (ﷺ) : ((تَرَكْتُكُمْ عَلَى المَحجّةُ الْبَيْضَاءِ ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لا يَزِيغُ عَنْهَا إِلاَّ هَالِكٌ)).

والمحجة البيضاء وهي جادة الطريق، والطريق الواضح، وهي طريق الرسول (ﷺ) فمن حاد عن طريقه هلك.

الثاني: كان بعض الأحباب في زيارة ، ولكن المزور لم يترك لهم فرصة في الكلام وأخذ يتكلم عن الدين من منظوره، حتى انتهى وقت الزيارة وقد هموا بالانصراف، قال أحدهم للمزور: أريد أن أتكلم كلمتين، قال: تفضل، قال: بينما رجل في بيته، فإذا بالسماء تهطل بالمطر، فخرج الأب من المنزل فوجد الشارع ممتلئا بالوحل والطين، فعمل مدق ليمشي فيه، فلو خرج ابنه، يمشي من المدق الذي سار منه أبوه، أم يمشي في الوحل والطين؟ قال: يمشي في المدق، ولوجاء ابنه الثاني، يمشي في المدق الذي سار فيه أبوه وأخوه، أم يمشي في الوحل والطين؟، قال: بل يمشي في المدق، قال : هكذا النبي(ﷺ) مهد الطريق وترك الأمة على المحجة البيضاء، وجاء الصحابة ومشوا خلفه، ثم جاء التابعون ومشوا خلف الصحابة من نفس الطريق ، فنجوا وأصبحت حياتهم طيبة.. ولكن لما تركنا المشي خلفهم، ومشينا في الوحل والطين، أصبحت حياتنا كما نرى !!!.

القرد وبائع الخمر

أنَّ رجُلًا مِمَّن كانَ قبلَكُم كانَ لَهُ مَركبٌ في البحرِ ، وَكانَ يبيعُ الخَمرَ يشوبُهُ

بالماءِ وَكانَ معَهُ في المركَبِ قِردٌ ينظرُ إلى ما يَفعلُ فلمَّا استَتمَّ ما في المركبِ منَ الخمرِ أخذَ القردُ الكيسَ فصعِدَ الذُّروَةَ فجعلَ يرمي بدينارٍ في البَحرِ ودينارٍ في المركَبِ حتَّى جزَّأَهُ نِصفينِ(١).

إذا مكَرَ الإنسانُ وخادَعَ؛ لِيَأخُذَ أمْوالَ الناسِ، فلا يَظُنُّ أبدًا أنه سيُبارَكُ له في هذا الشَّيءِ، بل سيَنالُ جَزاءَهُ في الدُّنيا والآخِرَةِ.

وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "إنَّ رَجُلًا كان يَبيعُ الخَمْرَ في سَفينَةٍ له، ومعه قِرْدٌ في السَّفينَةِ، وكان يَشوبُ الخَمْرَ بالماءِ"، أي: خَلَطَهُ بالماءِ على سَبيلِ الغِشِّ، وفي رِوايةِ الطَّبَرانيِّ في الأَوسطِ أنَّه كان مِنَ الأُمَمِ قَبْلَنا؛ فرُبَّما كان هذا جائِزًا في مِلَّتِهِم، أو أنَّه مُجرَّدُ حِكايَةٍ مِنَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، لا تدُلُّ على جَوازِ بَيْعِ الخمرِ، وقد جاءَ في رِوايةٍ للبَيهقيِّ أنَّه جَعَلَ في كُلِّ زِقٍّ نِصفًا ماءً ثم باعَه على أنَّه خَمْرٌ خالِصٌ، "فأَخَذَ القِرْدُ الكِيسَ فصَعِدَ الذِّرْوةَ" يعني: أعْلى السَّفينةِ حيث لا يَستطيعُ صاحِبُه الإمْساكَ به، "وفَتَحَ الكِيسَ، فجَعَلَ يأخُذُ دِينارًا فيُلْقيهِ"، أي: يَرْميهِ "في السَّفينَةِ، ودِينارًا في البَحْرِ حتى جَعَلَهُ نِصْفينِ" يعني: ما غَشَّ وخَدَعَ الناسَ فيه رماهُ له في البَحْرِ، وتَرَكَ له باقيَ مالِهِ، فهو لَمَّا خَدَعَ الناسَ بالغِشِّ في البَيعِ، وأخَذَ أمْوالَهم، سلَّط اللهُ القِرْدَ على إتْلافِ مالِهِ؛ جزاءً وفاقًا؛ وفي هذا عِبْرةٌ وعِظَةٌ لكلِّ تاجِرٍ؛ حتى لا يَغُشَّ ولا يَخْدَعَ؛ فإذا أَخَذَ المالَ مِنَ الغِشِّ، فمالُهُ مَحكومٌ عليه بالخُسْرانِ وبالهَلاكِ

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.

موعظة

اشترى رجل من أشراف البصرة جارية جميلة اسمها " حُسْن" وكانت إلى جمالها الخلاب تحسن الرقص والغناء والضرب بالعود.

فلما ركب بها السفينة منحدرا نحو البصرة وجن الليل وهدأت الريح قام فوزع الخمر علي أهل السفينة وقال: أسمعينا يا حسن.. فطفقت تغني وترقص وتضرب بالعود وقد ثمل أهل السفينة وأخذتهم النشوة.

في ناحية السفينة يجلس شاب صالح يقرأ القرآن ويجتنب مجالس العصيان .. فأقبل عليه صاحب الجارية وقال ساخرا: أيها الفتي هل سمعت أفضل من هذا؟!!.

قال الفتي: نعم! قال الرجل: اسكتي يا حسن.. وقال للفتي: هات ما عندك.. أسمعنا.. فقال الفتي بصوت جميل﴿ قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً * أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَذِهِ مِنْ عِندِ اللّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللّهِ فَمَا لِهَؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (١).

فوقعت الآية في قلب الرجل.. وانكسر لها وارتجف.. وسكب كأس الخمر في الماء وقال: أشهد أن هذا أفضل مما كنت أسمع.. أعندك غيرها؟!

فقال الفتي: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا

---

(١) سورة النساء – الآيتان ٧٧ ، ٧٨.

أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (١) .

فارتعد الرجل.. وسكب جميع الخمر في البحر.. وكسر العود.. وقال: يا جارية اذهبي فأنت حرة.. وانزوي في ركن السفينة وأخذ يردد: أستغفر الله.. أستغفر الله.. هذا والله أحسن مما كنت فيه. ثم قال: أيها الفتي.. هل لمثلي من مخرج؟

فلما رآه الفتي قد انكسر.. ورق قلبه.. وخشعت جوارحه.. تلا عليه قوله تعالي: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (١) فأخذ الرجل يرتجف ويقول: أشهد أن الله غفور رحيم ثم شهق شهقة فمات..

يقول راوي القصة: فو الله لقد وصلت السفينة إلي البصرة بعد أيام وما انتفخ جثمان الرجل.. ولا خرجت منه ريح خبيثة.

كيس الجواهر

جلس رجل على شاطئ البحر ليلا قبل الفجر، فوجد كيسًا مملوءًا بالحجارة، فمد يده وأخذ حجرا من هذا الكيس وألقاه في البحر، فأعجبه صوت الحجارة وهي تقذف في البحر، فعاد الكرة مرة أخرى وظل يقذف

---

(١) سورة الكهف – الآية ٢٩.

(١) سورة الزمر – الآية ٥٣.

الحجارة في البحر.

وكان نور الشمس قد اقترب وبدأ يتضح ما في الكيس الذي بجواره، حتى ما بقي في الكيس إلاحجر واحد، وقد أشرقت الشمس، فنظر الرجل إلى هذا الحجر فوجده "جوهرة" !! واكتشف أن كل ما ألقاه في البحر من قبل كانت "جواهر" وليست حجاره ..!!! وظل الرجل يقول بنبرة ندم : يا لغبائي كنت أقذف الجواهر على أنها حجارة لأستمتع بصوتها فقط ! والله! لو كنت أعلم قيمتها ما فرطت فيها هكذا !.

للأسف الشديد كلنا هذا الرجل، و(كيس الجواهر) هو العمر الذي نلقي به ساعة وراء ساعة دون فائدة، و(صوت الماء) هو متاع الدنيا الزائل وشهواتها، و(ظلام الليل) هو الغفلة التي نعيشها، و(ظهور الفجر) هو ظهور الحقيقة، وذلك عند الموت حيث لا رجعة.

وتعاونوا

لا شيء في هذا الوجود يعيش لنفسه !!.

النهر لا يشرب ماءه .. والبحر لا يأكل سمكه .. والأشجار لا تأكل ثمارها.. والشمس لا تشرق لذاتها.. والزهرة لا تعبق لنفسها.. وذات الضرع لا تشرب لبنها .. خلقت الأشياء لتخدم غيرها .. فكن معطاءً :﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾(١).

---

(١) سورة المائدة _ الآية ٢.

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" الْمُؤْمِنُ مَنْفَعَةٌ: إِنْ مَاشَيْتَهُ نَفَعَكَ، وإِنْ شَاوَرْتَهُ نَفَعَكَ، وإِنْ شَارَكْتَهُ نَفَعَكَ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ مَنْفَعَةٌ "(١).

مثل الداعي في صفاته

صبور كالجمل.. عالي كالسماء.. متواضع كالأرض.. راسي كالجبال.. عنده مزاج التاجر.. عنده أمل المزارع. .عنده صبر الصانع.. عنده إلحاح السائل.. عنده فكر الحاكم.. نافع كالشجر المثمر.. طائع كالجندي.. منتظم كالموظف.. منير كالشمس.. نافع كالغيث.

قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ (١).

الدنيا كنهر طالوت

الدنيا كنهر طالوت ولا ينجو منها إلا من لم يشرب ، أو اغترف غرفة بيده ، لا من شرب على قدر عطشه .

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء – وطبقات الأصفياء الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ– حديث رقم : (١١٨٣٧).

(١) سورة الغاشية – الآيات من ١٧ : ٢٢ .

الكلمة

كل كلمة لابد أن يكون وراءها جهد، فمثلاً : إذا وجدت كلمة تاجر، وليس هناك جهد التجارة ، فليس هناك تجارة .. وكلمة زراعة وليس وراءها جهد الزراعة، فليس هناك مزروعات.. وكلمة " لا إله إلا الله " إذا لم يوجد وراءها جهد اليقين، فلا يوجد يقين.

مثل الحق والباطل

دين الباطل دين الميت .. والميت يحمل على أربعة أعناق ، فالباطل ينتشر فى العالم بأربعة أشياء بالملك .. المال .. المنصب .. النساء .. ودين الحق دين الحى .. والحى يمشى على رجلين .. فالدين ينتشر بشيئين :(الدعوة .. والدعاء) ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلا قَلِيلاً ﴾ (٢).

قصة الصبر

تستطيع أن تكون معلما مع عزة نفس، وتستطيع أن تكون مفتيا مع عزة نفس، وتستطيع أن تكون قاضيا مع عزة نفس، ولكن لا تستطيع أن تكون داعية إلا بإذلال نفسك، فرسول الله يوضع على رأسه سلي الجزور في ميدان الدعوة

---

(١) سورة المدثر الآيات ١ : ٣ .

(٢) سورة المزمل – الآيتان ١ ، ٢ .

إلى الله ، ويضرب ويشتم ، ويضرب أصحابه أمامه .

كنا خارجين في سبيل الله في إحدى قرى ميت غمر (أتميدة) بمصر المحروسة، وبعد صلاة العصر تحركنا للزيارات، وكان دليلي الشيخ/ صلاح زايد (رحمه الله)، فمررنا بأحد المزارعين ، وهو يسقي ماشيته(الجاموسة) من حوض الطلمبة، وكان بينه وبين الرجل صلة قرابة، كما أخبرني، فقال له الشيخ/ صلاح: أخونا محمد سيكلمك في كلام الخير والإيمان، فقام الرجل بصفعه على وجهه صفعة كادت تطير رأسه منها، ثم قال: أنت يا ولد! هتعرفني الدين يا جاهل؟، أنا عالم، يا ابن كذا وكذا وانهال عليه بالشتائم التي لا أستطيع أن أتلفظ بها، وما كان من أخي صلاح إلا أن سكت، فأخذته وذهبتُ به إلى داخل حقل من الحقول وجلسنا في قناة هذا الحقل، وأخذتُ أتكلم معه لأطيب خاطره، وأخذت في بيان المواقف التي أوذي فيها النبي (ﷺ) وصبر وتحمل الأذى، فقد ألقي علي رأسه فرث الجزور، وقيل له ساحر ومجنون وكذاب وكاهن، وضرب وشتم، وأنت الآن تحصلت على مقام من مقامات النبوة، وأن طريق الدعوة دائما مفروش بالأشواك لا بالورود، فهنيئا لك فأنت اليوم وقع لك من سنة الإيذاء، فوجدته منشرحا، وكأنه لم يُصبه أي أذى، ثم قمنا وتحركنا، ثم مررنا على الرجل، فو الله! ما استطعت أن أُلقي عليه السلام من شدة إيذائه لأخي، ولكني فُجئت بأخي صلاح يقول بأعلى صوته: السلام عليكم.. هكذا يصفح الداعي عمن أساء إليه.

ولقد أخبرني الشيخ/ رضا الطماوي أن الشيخ صلاح جاء لحضور الشورى يوما، فمال عليَّ الشيخ مسعد خليل وقال: هؤلاء أولياء الله الذين إذا حضروا لم يُعرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا (رحمه الله رحمة واسعة، فقد مات بالحمى).

البيئة

البيئة مهمة جداً في التأثير على الناس، وتأثيرها قوي جداً في الخير والشر، مثل تأثير البرد إذا حل، فالناس كلهم يتأثرون ويلبسون الملابس التي تقيهم منه، وكذلك مثل تأثير الحر إذا حل، فالناس كلهم يتأثرون فيغيرون ملابسهم لتناسب الحر!!!.

والبيئة لها أثر كبير على طباع الناس، فنجد الذين يعيشون في البوادي ليس أمامهم إلا الصحراء الجافة، حيثُ لا زرع ولا ماء، حيث الجبال والصخور والأحجار، فيأخذون من صفات هذه الأشياء، فتجد في طباعهم الجفاء والقوة والغلظة، حتى كان يأتي أحدهم المسجد في عهد النبي ﷺ وينادي رسول الله باسمه فيَقُولْ: يَا مُحَمَّدُ ، يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَنَهَاهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، عَنْ ذَلِكَ، إِعْظَامًا لِنَبِيِّهِ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ قَالَ: فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، يَا نَبِيَّ اللهِ. وَهَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ(١).

---

(١) تفسير القرآن العظيم» تفسير سورة النور» تفسير قوله تعالى " (لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣).

حتى أن رعاة الإبل يأخذون من صفات الإبل تجد عندهم الخيلاء والكبر، حتى في مشيته تجد خفة الإبل، وكذلك رعاة الغنم يأخذون من صفات الغنم تجد عندهم السكينة والوقار والتواضع، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " رَأْسُ الْكُفْرِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ، وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلاءُ فِي أَهْلِ الْخَيْلِ، وَالإِبِلِ، وَالْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ " رواه البخاري(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ:" الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْكُفْرُ قِبَلَ الْمَشْرِقِ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ، وَالْفَخْرُ وَالرِّيَاءُ فِي الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْخَيْلِ وَالْوَبَرِ". رواه مسلم (٢).

وعن أَبِي سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ:" الْفَخْرُ وَالْخُيَلاءُ فِي الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ، وَالإِيمَانُ يَمَانٌ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ " . رواه مسلم (٣)(٤).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلاَّ رَعَى

---

(١) في صحيحه _ باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال رقم٣١٢٥.

(٢) في صحيحه _ باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه _ رقم٥٢.

(٣) المرجع السابق.

(٤) وكثير من الروايات غير روايات البخاري ومسلم فيها: " .... والسكينة والوقار في أهل الغنم" وبعضها يذكر الخيل مع الإبل:... والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل والفدادين أهل الوبر.

الْغَنَمَ ". فَقَالَ أَصْحَابُهُ وَأَنْتَ فَقَالَ: " نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ " (١).

ومخالطة الداعي لبيئة الغنم حتى يتحصل على مزاج الداعي: فمزاج الغنم الانتشار لتحصيل المنافع، وكذلك الداعي مزاجه الانتشار لنشر الهداية.

ومزاج الراعي جمع الغنم على الماء والكلأ، ومزاج الداعي جمع الأمة على الدين والهدى.

ومزاج الراعي الصبر على الغنم، والشفقة عليها، والرفق بها، ورحمتها والعناية بها، وكذلك الداعي مزاجه الصبر على الأذى من الناس، والشفقة عليهم من عذاب الله، ورحمتهم والإحسان إليهم.

والراعي يورد الغنم أماكن الماء والعشب والكلأ، ويجنبها ما يتعبها ويشق عليها، وكذا الداعي مزاجه السير بالأمة في سبل النجاة والهدى، وإبعادها عن مواطن الهلكة والردى.

ومزاج الراعي أنه يعيش جل وقته في خدمة الغنم وحفظها، وبذل المنافع لها، وكذلك الداعي يعيش كل وقته من أجل هداية البشرية إلى

---

(١) صحيح البخاري ـ كتاب الإجارة ـ ـ باب رَعْيِ الْغَنَمِ عَلَى قَرَارِيطَ(٢٣٠٦).

الطريق المستقيم.(١).

والبيئة مؤثرة على من يعيش فيها: فالذي يرعى الإبل تأتي فيه صفة الكبر، والذي يرعى الغنم تأتي فيه صفة التواضع، لذلك الذي يكون في المسجد تأتي فيه صفة الملائكة الذين: { لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } (١)،{يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (٢).

ومزاج الراعي أنه يعيش جل وقته في خدمة الغنم وحفظها، وبذل المنافع لها، وكذلك الداعي يعيش كل وقته من أجل هداية البشرية إلى الصراط المستقيم: { لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } (٣)(٤).

---

(١) فقه القلوب _ الباب العاشر : فقه النبوة والرسالة _ فقه الصفاء والاختيار _ ج ٣ /١٠ الطبعة الثالثة _ دار أصداء المجتمع – المملكة العربية السعودية _ القصيم _ بريدة.

(١) سورة التحريم _ الآية ٦.

(٢) سورة النحل _ الآية ٥٠.

(٣) سورة التوبة _ الآية ١٢٨.

(٤) انظر كتاب التاج الجامع للأصول في جهد الرسول ج١/٣٧٦.

أمثلة تضرب لبيان أهمية البيئة

الأول: الجزرة: لو قسمتها نصفين ووضعت احدى شقيها في السكر صارت مربي، والشق الآخر في الملح صارت مخلل، كل حسب البيئة التي خالطها وعاش فيها.

الثاني: لو نظرنا إلى صيادي السمك في البحار والمحيطات وهم يصطادون السمك نجدهم يضعون الأسماك في الثلاجات داخل السفن، فإذا خرجوا إلي الموانئ أخذها تاجر الجملة ووضعها في ثلاجة السيارة، ثم يضعها في ثلاجة المحل، فيبيعها إلي تاجر التجزئة، وكذلك يضعها تاجر التجزئة في الثلاجة داخل محله، ثم يبيعها للأكال.. فنجد السمك ينقل من بيئة إلي بيئة حتى يصل إلي المستهلك.

الثالث: بيئتان للحفاظة:

البيضة في الثلاجة فهي في بيئة الحفاظة ولكن لا يأتي فيها الروح، ولكن لو وضعنا البيضة تحت أجنحة الدجاجة فهي في الحفاظة ويأتي فيها الروح، فبعد واحد وعشرين يوما، يخرج منها الكتكوت، ومعه صفات الدجاجة، فكذلك عندما نخرج في سبيل الله ونمكث في بيئة المسجد، ونجلس في حلقات التعليم تحت أجنحة الملائكة، كما في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): " إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ

اللهَّ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ قَالَ:" فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ،قَالَ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي قَالُوا يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ قَالَ فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْنِي قَالَ فَيَقُولُونَ لَا وَاللهَّ مَا رَأَوْكَ قَالَ فَيَقُولُ وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا قَالَ يَقُولُ فَمَا يَسْأَلُونِي قَالَ يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَا وَاللهَّ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً قَالَ فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ قَالَ يَقُولُونَ مِنْ النَّارِ قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَا وَاللهَّ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً قَالَ فَيَقُولُ فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ قَالَ يَقُولُ مَلَكٌ مِنْ الْمَلَائِكَةِ فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ قَالَ هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ (١).اللفظ للبخاري.

فلما نصحب الملائكة: كما في رواية مسلم (فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا) ونجلس تحت أجنحتهم كما في جميع روايات الحديث(فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ

---

(١) صحيح البخاري» كتاب الدعوات» باب فضل ذكر الله عز وجل(٦٠٤٥) ، صحيح مسلم» كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار» بَاب فَضْلِ مَجَالِسِ الذِّكْرِ (٤٨٥٤)، سنن الترمذي »كتاب الدعوات » بَاب مَا جَاءَ إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ (٣٦٠٠)، مسند أحمد» باقي مسند المكثرين» مسند أبي هريرة رضي الله عنه (٧٣٧٦)، المستدرك على الصحيحين» كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر» فضيلة مجالس الذكر(١٨٦٤).

إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا): فتدب فينا روح الإيمان ونأخذ من صفات الملائكة (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) (١).

وبعد الرجوع من الخروج نقيم بيئة الإيمان في البيت بإقامة حلقة التعليم، وفي المسجد بإقامة الشورى والجولة المقامية، والجولة الانتقالية، وتفريغ وقت يومي للدعوة، وقراءة القرآن وأذكار الصباح والمساء، ونصرة الجماعات.

الرابع: يبقى الصالح صالحاً حتى يصحب فاسداً، فإذا صاحبه أفسده مثل مياه الأنهار تكون عذبة تخالط ماء البحر، فإذا خالطته ملحت وفسدت.

الخامس: والإنسان في بيئته (**بيئة الدنيا**) مثل الرجل الذي وقف تحت برج مرتفع عالٍ، ثم صوب النظر لأعلى، فيخيل إليه أن هذا البرج سوف يقع عليه، ولكن إذا بَعِدَ عنه ونظر إليه وجده صغيرا.. وهكذا الإنسان في بيئته يَكْبُرُ في عينيه مشاغل الدنيا ومسائلها وأحوالها، ولكن إذا ترك هذه البيئة وتحرك في سبيل الله وجلس في بيئة الإيمان بعيدا عن الماديات والمحسوسات والمشاهدات، وتكلم كثيراً في الدعوة إلى الله، وأكثر من ذكر الغيبيات، فإنه يتجلى أمامه الغيب الجنة والنار والقبر والحشر والحساب والميزان والصراط والحوض وتطاير الصحف، فيصغر أمامه مسائل الدنيا وأحوالها ومشاكلها.

---

(١) سورة التحريم ـ الآية ٦.

السادس: البيئة الإيمانية تزيد الإنسان صلابة في دينه عند الفتن، مثال الحليب لو أخذناه من ثدي الجاموسة أو البقرة، وقبل أن نجعل له بيئة وضعناه في الماء تجده يختلط بالماء، أما إذا أخذناه ووضعناه في آنية لمدة أيام ثم استخرجنا منه الزبد، وأخذنا هذا الزبد ووضعناه في الماء تجده لم يتأثر بالماء ولم يختلط به، بل هو يؤثر في الماء، فتجد بعد الدوائر من السمنة على وجه الماء.

الثامن: البيئة الإيمانية تُشعر الإنسان بالتقصير، ويبدأ في محاسبة نفسه، فعن عَبْدُ اللهِّ بْنُ بَكْرٍ، قَالَ: أَفَضْتُ مَعَ أَبِي مِنْ عَرَفَةَ، فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، لَوْلا أَنِّي فِيهِمْ ، لَرَجَوْتُ أَنْ يُغْفَرَ لَهُمْ "(١).

قال الإمام الذهبي – تعليقا عليها – قلت: كَذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يُزْرِيَ عَلَى نَفْسِهِ وَيَهْضِمَهَا (٢).

وبغير بيئة الإيمان يظن الإنسان أنه مصلح وهو مفسد: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ }(٣)، يشعر بأن الدين سفاهة، وأن أهله سفهاء:{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي» السَّابِعُ وَالْخَمْسُونَ مِنْ شُعَبِ الإِيمَانِ وَهُوَ .. » فَصْلٌ فِي التَّوَاضُعِ وترك الزهو والصلف والخيلاءرقم الحديث: (٧٧٦٨)، والمجالسة وجواهر العلم للدينوري» لولا أني فيهم ، لرجوت أن يغفر لهم.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي الطبقة الثانية» بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ.

(٣) سورة البقرة _ الآيتان ١١، ١٢.

آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ}(١).

وكذلك بغير البيئة الإيمانية يأتي فيه الكبر:{ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ}(٢).

وكذلك بغير البيئة الإيمانية يأتي فيه القارونية (حب المال):{ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَّ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ}(٣).

وكذلك بغير البيئة الإيمانية تأتي فيه الفرعونية:{ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ}(٤).

ولا يمكن إصلاح الشيء في بيئة الاستعمال، فمثلا :

١) لا يمكن إصلاح السيارة في بيئة الاستعمال على الطريق السريع، ولكن ننقلها إلى ورشة الميكانيكا أو ورشة السمكرة.

٢)وكذلك الفلك تستعمل في البحر، ولا تستطيع السير بدون الماء {وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى

---

(١) سورة البقرة _ الآية ١٣.

(٢) سورة الأعراف _ الآية ١٢.

(٣) سورة القصص _ الآية ٧٨.

(٤) سورة الزخرف _ الآية ٥١.

الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }(١)، ولكن إذا عطبت الفلك وبدأت يظهر فيها بعض الثقوب فلا ينفع إصلاحها في مكان استعمالها في البحر، بل يجب إخراجها من البحر والذهاب بها إلى ورشة تصليح السفن، وبعد إصلاحها نقوم بإعادتها إلى مكان الاستعمال في البحر.

٣) وكذلك لو أن إنسانا وقف في وحل وطين، وأراد أن يغسل قدميه، فلا يستطع ذلك إلا إذا خرج من الوحل والطين، لأنه لو غسل إحدى رجليه، وأراد أن يغسل الأخرى فرفعها، فيضع الأولى فتعود إلى ما كانت عليه، وهكذا كلما رفع إحدى رجليه ليغسلها وضع الأخرى، فلا يستطيع أن يغسل رجليه ولو بالماء الكثير، ولكن لو خرج من الطين فقليل من الماء يكفي لغسل رجليه.. فهكذا في بيئة الفساد لا يستطيع الإنسان أن يُصلح نفسه، ولكن بالبعد عن تلك البيئة والمكث في بيئة الإيمان مع صحبة الإيمان لوقت ما فتنصلح نفسه، وقد جربنا ذلك.

وبيئة استعمال الإنسان (البيت، والمتجر والمصنع والشركة والورشة)، لا يستطيع الإنسان أن يُصلح نفسه فيها ولكن عليه أن يخرج منها ويذهب لمدة من الزمن يتحرك من مسجد إلى مسجد(بيئة الإصلاح)، فلما يرجع إلى بيئة الاستعمال يمشي صحيحا وفق الكتاب والسنة(٢).

---

(١) سورة النحل _ الآية ١٤.

(٢) التاج الجامع للأصول في جهد الرسول ج١/٣٩٦.

أهمية الحركة

ضربوا مثلا لأهمية الحركة: بأنه دائما المتحرك يؤثر في الساكن، فمثلا لو ألقيت بقطعة من حجر ولو كانت صغيرة على زجاج لكسرته، مع أن الزجاج أقوى منها، لأن الحجر متحرك والزجاج ساكن.

فالداعي المتحرك يؤثر في غير المتحرك.

الدنيا وخطرها

المثل الأول: الذي يمشي في الماء لا بد أن يبتل، كذلك الذي يمشي في الدنيا لا بد أن يتأثر بها.. فلذا نكون حريصين ألا تدخل الدنيا في قلوبنا.

فالدنيا في اليد ما في مشكلة، في الجيب ما في مشكلة.. أما في القلب فهنا مكمن الخطر.

المثل الثاني: الدنيا مثل العرسة فإنها تظل تمص دم الدجاجة، فإذا فرغت من حاجتها تتركها .. فكذلك الدنيا تظل تمرمط في الإنسان، شغل في الصباح وشغل في المساء، صباح الخير يا ورشة مساء الخير يا فرشة، وهكذا حتى يأتيه الموت فيجد نفسه طريحا بين يدي ربه فقيرا من الأعمال الصالحة، قال تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} (١).

---

(١) سورة المؤمنون _ الآيتان ٩٩ ، ١٠٠.

الدعوة للداعي

الداعي هو أول من يستفيد من دعوته، اهتدى الناس أو لم يهتدوا، فأولا: يأخذ أجر الدلالة على الله كاملا، ثانيا: يتحصل على الهداية:﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾(١). وضربوا لذلك الأمثال:

١. إذا ألقيت بالكرة على الحائط ترجع إليك.

٢. إذا ناديت بأعلى صوتك في وادٍ ستجد صدى صوتك يرجع إليك.

٣. الذي يغسل المنديل، تنظف يداه قبل المنديل.

٤. أذن الداعي وقلبه أقرب إليه من أذن وقلب المدعو.

أهمية الدين

ذكروا بعض الأمثلة لأهمية الدين في حياة الإنسان نذكر منها على سبيل المثال:

١. عندما نذهب للفكهاني لنشتري كيلو جرام من الموز أو البرتقال، سوف نشتريه بقشره ونزنه بقشره وندفع ثمنه وثمن قشرة، فالقشرة غالية مادامت ملتصقة بالموز أو البرتقال، ولكن إذا انفصلت تلقى في صندوق الزبالة، وإذا تركت في طريق المارة تسبب لهم الأذى.

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٦٩.

كذلك الإنسان طالما ملتصق بالدين يصبح له قيمة عند الله، وإذا بعد عن الدين يصبح ليس له قيمة عند الله:﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١).

٢. الصفر لو وضعته وحده ليس له قيمة، حتى لو وضعت مليون صفر بدون الواحد ليس لهم قيمة، ولكن لو وضعت الأصفار بجوار الواحد تُصبح لها قيمة.. ولله المثل الأعلى _ بدون تمثيل ولا تشبيه _ فالإنسان بدون ارتباطه بالواحد جل جلاله ليس له قيمة.

٣. قالوا: السجاد في البيت نمشي عليها بالحذاء، وربما تكون أعلى في سعرها من التي في المسجد، ولكن التي في المسجد لا يمكن أن نمشي عليها بالحذاء، لأن الأولى انتسبت لبيوتنا فقلت قيمتها، والثانية انتسبت لبيت ربنا فأصبح لها قيمة.

وحجارة الكعبة أخذت من الجبال التي في مكة ولما وضعت في بناء الكعبة، أخذت الشرف لانتسابها لبيت الله الحرام، ولما أراد إبرهة الحبشي أن يهدمها سلط الله عليه الطير الأبابيل.

كن في جوار الله تعالى

قالوا: من أراد أن ينجو من السهام فعليه بالوقوف بجوار الرامي، وكذلك من أراد أن ينجو من سهام الأقدار (البلاء والوباء والغلاء والجور) فعليه

(١) سورة النحل _ الآية ٩٧.

بجوار الله تعالى، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "إِنَّ اللهَّ تَعَالَى يُنَادِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ جِيرَانِي؟ أَيْنَ جِيرَانِي؟ فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: رَبَّنَا، وَمَنْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُجَاوِرَكَ؟ فَيَقُولُ: أَيْنَ عُمَّارُ الْمَسَاجِدِ؟(١).

فساد البيئة والعلاج

المثل الأول: كان أحدهم يعمل في مدبغة للجلود فزاره أحد أصدقائه، فشم رائحة كريهة تنبعث من الجلود، فقال له: ما هذه الرائحة يا رجل، وكيف تتحمل العيش فيها؟ قال لا أشم رائحة كريهة ولا شيء، لماذا؟ لأن مع طول الوقت أخذ على هذه الرائحة وأصبحت في أنفه شيء عادي، فقال له: أنا رتبت رحلة لمدة أسبوع لشاطئ البحر حيث الحدائق والمنتزهات، فتعال معيَ، وذهبا سويا، فلما عادا من رحلتهما، ذهب لعمله، فإذا به يقول لزملائه في العمل: إف ما هذه الرائحة الكريهة.

---

(١) ذهب إلى تضعيفه بعض أهل العلم بالحديث من المعاصرين، كما في المجلد الأول من كتاب جامع الأحاديث القدسية: (إن الله لينادي يوم القيامة: أين جيراني؟ فتقول الملائكة: ربنا ومن ينبغي أن يجاورك؟ فيقول: أين عمار المساجد؟). (ضعيف) قال حبيب الرحمن الأعظمي: في سنده فياض بن غزوان، قد لينه البخاري، وباقي رجال الإسناد ثقات.
وقال العراقى في تخريج أحاديث الإحياء: (أخرجه أبو نعيم من حديث أبي سعيد بسند ضعيف «يقول الله عز وجل يوم القيامة: أين جيراني؟ فتقول الملائكة: من هذا الذي ينبغي له أن يجاورك؟ فيقول: أين قراء القرآن، وعمار المساجد». اهـ.
وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة وقال: أخرجه الحارث بن أبي أسامة في" مسنده "... وهذا إسناد جيد. اهـ.

وهذا هو الواقع الذي نعيشه بالضبط، فالبيئات الفاسدة تعودنا عليها، وألفنا المعاصي، فأصبحنا لا نشم رائحة معاصينا من كثرتها، لذا نكون جماعة ونذهب لرحلة إيمانية نلتقي فيها بأهل الإيمان في المساجد، نتكلم كلام الإيمان ونسمع كلام الإيمان ونشاهد أهل الإيمان، فتصب هذه المصبات الثلاث(اللسان الأذن، العين) في القلب فيترسخ الإيمان، فنرجع إلى بيئتنا، وقد شفينا من بعض أمراضنا، فلا نقع فيما كنا فيه، ونجتهد على غيرنا، كالذي اجتهد على عامل المدبغة.

العابد والشجرة

يحكى أنه كان في بني إسرائيل رجل عابد، فجاءه قومه وقالوا له: إن هناك قومًا يعبدون شجرة، ويشركون بالله فغضب العابد غضبًا شديدًا، وأخذ فأسه، وذهب ليقطع الشجرة.

وفي الطريق، قابله إبليس في صورة شيخ كبير، وقال له: إلى أين أنت ذاهب فقال العابد: أريد أن أذهب لأقطع الشجرة التي يعبدها الناس من دون الله.

فقال إبليس: لن أتركك تقطعها.وتشاجر إبليس مع العابد، فغلب العابد إبليس، وأوقعه على الأرض. فقال إبليس: إني أعرض عليك أمرًا

هو خير لك، فأنت فقير لا مال لك، فارجع عن قطع الشجرة وسوف أعطيك عن كل يوم دينارين. فوافق العابد.

وفي اليوم الأول.. أخذ العابد دينارين، وفي اليوم الثاني أخذ دينارين.

ولكن في اليوم الثالث لم يجد الدينارين، فغضب العابد، وأخذ فأسه، وقال: لا بد أن اقطع الشجرة. فقابله إبليس في صورة شيخ كبير، وقال له: إلى أين أنت ذاهب؟ فقال العابد: سوف اقطع الشجرة.فقال إبليس: لن تستطيع، وسأمنعك من ذلك.فتقاتلا، فغلب إبليس العابد في هذه المرة، وألقى به على الأرض. فتعجب العابد من أمره- كيف استطاع أن يهزم هذا الرجل في المرة الأولى بسهولة، وفي هذه المرة يُهزم منه بنفس السهولة.

سأل العابد إبليس: كيف غلبتني هذه المرة؛ وقد غلبتك في المرة السابقة؟ فقال إبليس: لأنك غضبت في المرة الأولى لله تعالى وكان عملك خالصًا له، فأمكنك الله مني، أما في هذه المرة فقد غضبت لنفسك لضياع الدينارين، فهزمتك وغلبتك(١).

هذه القصة تبين كم قوة الداعي والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر إذا كان مخلصا في دعوته لله تعالى.

وإذا شاب عمله الرياء، السمعة، الشهرة، ضعف وهان على الله وعلى الخلق.

---

(١) انظر تلبيس إبليس لابن الجوزي.

مثل من أخر التوبة

قالوا: مثل من يؤخر التوبة كمثل رجل حاول قلع شجرة فوجدها قوية، فقال أؤخرها سنة ثم أعود، فكلما بقيت الشجرة ازدادت رسوخا في الأرض، وكلما طال عمر هذا الرجل ازداد ضعفه.

فبهت الذي كفر

كان أبو بكر الباقلاني (رحمه الله تعالى): من كبار علماء عصره، فاختاره الخليفة وأرسله في عام ٣٧١ هـ لمناظرة النصارى في القسطنطينية .

وعندما سمع ملك الروم بقدوم أبي بكر الباقلاني أمر حاشيته أن يُقَصّروا من طول الباب بحيث يضطر الباقلاني عند الدخول إلى خفض رأسه وجسده كهيئة الركوع فيذلّ أمام ملك الروم وحاشيته !.

لما حضر الباقلاني عرف الحيلة فأدار جسمه إلى الخلف وركع ثم دخل من الباب وهو يمشي للوراء جاعلاً قفاه لملك الروم بدلاً من وجهه !.

هنا علم الملك أنه أمام داهية !

دخل الباقلاني فحياهم ولم يسلم عليهم (لنهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن ابتداء أهل الكتاب بالتسليم) ثم التفت إلى الراهب الأكبر وقال له :كيف حالكم وكيف الأهل والأولاد؟ .

غضب ملك الروم وقال :ألم تعلم بأن رهباننا لا يتزوّجون ولا ينجبون الأطفال؟.

فقال أبو بكر: الله أكبر ! تُنَزّهون رهبانكم عن الزواج والإنجاب ثم تتهمون ربكم بأنه تزوج مريم وأنجب عيسى ؟!.

فزاد غضب الملك، ثم قال الملك -بكل وقاحة-:فما قولك فيما فعلت عائشة ؟.

قال أبو بكر: إن كانت عائشة رضي الله عنها قد اتهمت(اتهمها المنافقون) فإن مريم قد اتهمت أيضا. (اتهمها اليهود)، وكلاهما طاهرة، ولكن عائشة تزوجت ولم تنجب، أمّا مريم فقد أنجبت بلا زواج ! فأيتهما تكون أولى بالتهمة الباطلة وحاشاهما رضي الله عنهما ؟!.

فجن جنون الملك!. قال الملك: هل كان نبيكم يغزو؟!

قال أبو بكر: نعم. قال الملك: فهل كان يقاتل في المقدمة؟!.

قال أبو بكر: نعم. قال الملك: فهل كان ينتصر؟!.قال أبو بكر: نعم. قال الملك: فهل كان يُهزَم؟!. قال أبو بكر: نعم. قال الملك: عجيب! نبيٌّ ويُهزّم ؟!!. فقال أبو بكر: أإله ويُصلَب؟!فَبُهِتَ الذي كفر!! (١).

الطفل والسلحفاة

يحكى أن أحد الأطفال كانت لديه سلحفاةٌ يُطعمها ويلعب معها .. وفي إحدى ليالي الشتاء الباردة جاء الطفل لسلحفاته.. فوجدها قد دخلت في غلافها الصلب طلباً للدفء.. حاول أن يُخرجها فأبتْ.. ضربها بالعصا فلم تأبه به! ..صرخ فيها فازدادت تمنّعاً.. دخل عليه أبوه وهو غاضبٌ حانق.. فسأله :

---

(١) من كتاب " قمم تهوى النجاح " للدكتور حسان شمسي باشا.

ما بك يا بني ؟ فحكى له مشكلته مع السلحفاة.. ابتسم الأبُ وقال: دعْها وتعال معي! ..أشعل الأبُ المدفأةَ.. وجلس بجوارها مع طفله يتحدثان ..ورويداً رويداً ..وإذا بالسلحفاة تقترب منهم طالبةً الدفء !.

ابتسم الأبُ لطفله وقال : يا بنيّ ! الناسُ كالسلحفاة!..إنْ أردتَهم أن ينزلوا عند رأيك.. فأدفئهمْ بعطْفك.. ولا تُكرهْهم بعصاكَ على فعْلِ ما تريد!.

فلن تستطيعَ أنْ تسكنَ في قلوب الآخرين.. إلا بدفءِ مشاعرك .. وصفاءِ قلبك .. ونقاءِ روحك (١).

علو الهمة

عَنْ عبد الرحمن بن أبي الزناد، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: اجْتَمَعَ فِي الْحِجْرِ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ ، وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر ، فَقَالُوا: تَمَنَّوْا، فَقَالَ عبد الله بن الزبير: أَمَّا أَنَا فَأَتَمَنَّى الْخِلَافَةَ، وَقَالَ عروة: أَمَّا أَنَا فَأَتَمَنَّى أَنْ يُؤْخَذَ عَنِّي الْعِلْمُ ، وَقَالَ مصعب: أَمَّا أَنَا فَأَتَمَنَّى إِمْرَةَ الْعِرَاقِ وَالْجَمْعَ بِينَ عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا: أَمَّا أَنَا فَأَتَمَنَّى الْمَغْفِرَةَ، قَالَ: فَنَالُوا كُلُّهُمْ مَا تَمَنَّوْا وَلَعَلَّ ابْنَ عُمَرَ قَدْ غُفِرَ لَهُ (٢).

---

(١) تاريخ بغداد (٥/٣٧٩) للخطيب البغدادي .

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» من الطبقة الأولى من التابعين» عروة بن الزبير.

الداعي مثل الماء

أيها الدعاة إلى الله ! كونوا كالماء، يحمل الأثقال على ظهره، ويحوي الدرر في بطنه، وإذا جرى علي الأرض أحياها وإذا اعترضته صخرة لف حواليها واحتواها.

القدوة مثل الثوب الأبيض

قبل سنوات انتقل إمام إحدى المساجد إلى مدينة لندن – بريطانيا – وكان يركب الباص دائماً من منزله إلى مدينة أخرى.

بعد انتقاله بأسابيع، وخلال تنقله بالباص كان أحياناً كثيرة يستقل نفس الباص بنفس السائق، وذات مرة دفع أجرة الباص وجلس، فاكتشف أن السائق أعاد له ٢٠ بنساً زيادة عن المفترض من الأجرة، فكر الإمام وقال لنفسه أن عليه إرجاع المبلغ الزائد لأنه ليس من حقه.

ثم فكر مرةً أخرى وقال في نفسه انس الأمر فالمبلغ زهيد وقليل، ولن يهتم به أحد كما أن شركة الباصات تحصل على الكثير من المال من أجرة الباصات ولن ينقص عليهم شيء بسبب هذا المبلغ، إذن سأحتفظ بالمال وأعتبره هدية من الله وأسكت.

توقف الباص عند المحطة التي يريدها الإمام ولكنه قبل أن يخرج من الباب توقف لحظة ومد يده وأعطى السائق العشرين بنساً وقال له: تفضل. أعطيتني أكثر مما أستحق من المال.

فأخذها السائق وابتسم وسأله: ألست الإمام الجديد في هذه المنطقة؟ إنني أفكر منذ مدة في الذهاب إلى مسجدكم للتعرف على الإسلام ولقد أعطيتك المبلغ الزائد عمداً لأرى كيف سيكون تصرفك.

وعندما نزل الإمام من الباص شعر بضعف في ساقيه وكاد أن يقع أرضاَ من رهبة الموقف فتمسك بأقرب عمود ليستند عليه، ونظر إلى السماء ودعا باكياً: يا الله! كنت سأبيع الإسلام بعشرين بنساً.

أحبتي الكرام: الهدف من هذه القصة أننا قد لا نرى أبداً ردود فعل البشر تجاه تصرفاتنا فأحياناً ما نكون القرآن الوحيد الذي سيقرؤه الناس أو الإسلام الوحيد الذي سيراه غير المسلمين لذا يجب أن يكون كل منا مثلا وقدوة للآخرين، ولنكن دائماً صادقين أمناء لأننا قد لا ندرك أبداً من يراقب تصرفاتنا، ويحكم علينا كمسلمين وبالتالي يحكم على الإسلام(١).

الداعي مرصود الأقوال والأفعال والحركات، ففي يوم من الأيام كنت أقيم حلقة التعليم من كتاب رياض الصالحين بمسجد التقوى بقريتي، وكان عنوان الباب الذي أقرأ فيه(باب جواز الاستلقاء عَلَى القفا ووضع إحدى الرِّجلين عَلَى الأخرى إِذَا لم يَخف انكشاف العورة وجواز القعود متربعًا ومحتبيًا) وفيه: عنِ الشَّريد بن سُوَيْدٍ (ﷺ) قَالَ: مَرَّ بي رسولُ الله (ﷺ) وَأنا جَالس هكَذَا، وَقَدْ

(١) من مقال:(البريطاني وأمانة الإمام) لأحمد خالد العتيبي بشبكة صيد الفوائد على النت.

وَضَعتُ يَدِي اليُسْرَى خَلْفَ ظَهْرِي وَاتَّكأْتُ عَلَى إليْة يَدِي فَقَالَ: أتقْعُدُ قِعْدةَ المَغضُوبِ عَلَيهْمْ؟!. رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وقمت بالشرح المبسط للباب الذي قرأته وانتهيت من حلقة التعليم، وفي الليلة التالية صلينا العشاء بالمسجد واستمعنا لحلقة التعليم من بعض الأحباب، وصلينا نافلة العشاء والوتر، ثم جلسنا مع بعض، لنتشاور من نزور؟، فإذا بي قد وضعت يدي اليسرى خلف ظهري واتكأت عليها _ وقع ذلك مني سهوا _ فإذا ببعض الشباب الذين يجلسون بالقرب منا، ناداني أحدهم وقال: يا شيخ! ألم تنهنا عن هذه الجلسة بحلقة الأمس؟ قلت: بلى، قد وقعت مني سهوا واعتذرت منه، فقبل.

والمقصود أن الناس عيونهم على الداعي، فنجتهد أن لا يرانا أحد إلا على خير.

احفظ الله يحفظك

عزم قوم من أهل الثراء في بلاد الشام على الحج فأرادوا أن يصحبهم من يقوم على خدمتهم فأشاروا عليهم برجل خدوم طباخ خفيف الظل لم يحجّ، فعرضوا عليه أن يصحبهم ويخدمهم فيصنع طعامهم ويقضي حوائجهم وتكون أجرته الحجّ معهم، فوافق فرحاً بهذا العرض السخيّ، وكان الحج من أمانيه التي حال بينه وبينها الفقر، وكم في المسلمين من نظرائه !!.

عندما وصلوا مكة استأجروا بيتاً وخصصوا فيه حجرة تكون مطبخاً وبدأ الخادم بالعمل جاداً فرحاً، وفوجئ ذات يوم وهو يدق بالهاون (وهي آلة تدق بها الحبوب القاسية) أن الأرض تُطَبْطِبُ وتهتز وتوحي بأنّ شيئاً مدفوناً في قعرها، ودعته نفسه أن يبحث عن المُخبَّأ فلعل رزقاً ينتظره في جوف الأرض، وكانت المفاجأة السعيدة: كيسٌ من الذهب الأحمر في صندوق صغير من الحديد، التفت يمنة ويسرة لئلا يكون أحد قد اطلع على الرزق المستور، وبعد تفكير رأى أن يعيده مكانه حتى يأذن القوم بالرحيل فيأخذه معه، ويخفيه عنهم ، وبدأ مع تلك الساعة سيل الأفكار والأماني، ماذا يصنع بهذا المال وكيف سيودّع أيام الفقر والحاجة، ولكن الإنسان كما وصفه الله:﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾(١).

لما آذنوا بالرحيل جعل الصرّة بين متاعه وحملها على جمله وأحكم إخفاءها وخبرها، وسار القوم وصاحبنا لا يشعر بمشقة السفر ولا بالضيق من بعد الطريق ، والأماني تحوم حول رأسه والخوف الشديد يحاصره شفقة على المال من الزوال.

عندما وصلوا منطقة قرب تبوك نزلوا ليرتاحوا، ونزل صاحبنا وبدأ عمله المعتاد في الخدمة والطبخ، وفجأة

---

(١) سورة العاديات _ الآية ٨.

شرَدَ جمل الخادم بما حمل، فتسارع القوم لردّه وكان أشدّهم في ذلك صاحبه، ولكنّ الجمل فات على الجميع ولم يدركه أحد فعاد الناس بالخيبة، وتأثر الخادم حتى بلغ الأمر حدّ البكاء الذي لا يليق بثبات الرجال.

لما رأى أصحابه منه هذا الجزع طمأنوه ووعدوا أن يضمنوا جمله ويعوضوه خيراً منه وخيراً مما عليه، لكنه أبدى لهم بأنّ عليه أشياء لا يمكنه الاستغناء عنها وهدايا وتحفاً اشتراُها من مكة والمدينة لأهله، وهذا سبب حزنه، لكن القوم لم يلتفتوا لما أصابه وطلبوا الرحيل لمواصلة المسير والتعجّل إلى الأهل، ورَضخ مُكرهاً لطلبهم وسار معهم حتى وصل بلده مغموما من ذهاب الذهب وفقدان الأمل.

في العام الذي يليه رغب آخرون من الأثرياء الحجّ وسألوا عمّن يرافقهم ويقوم بخدمتهم فأوصاهم الأوّلون بصاحبنا ومدحوه لهم، وأثنوا على عمله خيراً، وفي طريقهم للحج نزلوا منزلاً قريباً من المنزل الذي فقد فيه صاحبنا جمله.

ولما ذهب لقضاء حاجته مرّ ببئر مهجورة فأطلّ فيها فوجد في قاعها أثر جمل ميت فنزل والأمل يحدوه أن يكون الجملُ جملَه، فوجده بالفعل ميتا قد بليت عظامه وأما المتاع وكيس الذهب بحاله لم ينقص منهما شيء، أخذ الذهب وأخفاه وعادت إليه أفراحه وأمانيه، وسكن مع أصحابه في البيت نفسه واتخذ

من الحجرة التي خصصت له مطبخاً ورأى أن يعيد المال إلى مكانه ريثما ينتهي الحج فيأخذه مرة أخرى.

في تلك الأيام جاء رجل هِنْدي لعله صاحب البيت وطلب أن يأخذ شيئاً من البيت فأذنوا له، فدخل حجرة صاحبنا وقصد إلى موضع الصندوق فحفر ثم أخرج الصندوق، كان الخادم ينظر إليه وهو في غاية الذهول، فلمّا رآه قد عثر عليه وأخذه استوقفه قائلاً له، ما هذا الذي أخذت؟ قال الهندي: ذهب كنت خبّأته في هذا الموضع من سنين وقد احتجته اليوم وجئت لآخذه.

لم يتمالك صاحبنا نفسه أن قال للهندي: وهل تعلم أن مَالَكَ هذا قد وصل إلى أطراف بلاد الشام ثم عاد إلى هذه البقعة لم ينقص منه شيء.

قال الهندي: والله لو طاف الأرض كلها لعاد إلى مكانه وما ضاع منه شيء لأني أزكيه كل عام لا أترك من زكاته شيئا، واستودعته ربي فمن استودع ربه شيئا حتما انه سيحفظه له والله يحفظه لي.

(فوائد من القصة):

١. إن كان المال وهو جزء منفصل عن صاحبه قد حفظه الله بتزكيته !! فكيف بتزكية النفس! وتزكية اللسان! وتزكية العلم!(اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا)

٢. من حفظ أوامر الله ودينه وحافظ عليها، حفظه الله، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِّ -صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمًا

فَقَالَ: "يَا غُلاَمُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللهَّ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللهَّ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ....." (١).

٣. دائما نستودع الله ديننا ودنياناوأمانتنا وخواتيم أعمالنا.. فهو الحفيظ.

أمثلة جميلة

١. لا توجد شجرة لم يهزها ريح ! ولا يوجد إنسان لم يهزه فشل، لكن توجد أشجار صلبة ، ويوجد أشخاص أقويا فكن منهم !.

٢. لا نملأ الكوب لنهايته حتى لا يتساقط علينا منه شيء فيؤذينا.. وبعض البشر عندما نملأهم بحياتنا، ونعطيهم اهتماماً زائداً (يؤذوننا) فلنهتم بهم، ولكنِ بحدود المعقول؛ فقط تجنباً لِـلأذى.

٣. الحياة مثل السوبرماركت ! تتجول فيه، وتأخذ ما يطيب لك من المعروض، ولكن تذكر بأن الحِساب أمامك وستدفع ثمن كل شيء أخذته !.

٤. الكتاب يحتاج سنين لكتابته، ولكن في حرقه يحتاج لثوان.. فالصاحب كذلك تكتسبه في سنين، فلا تفقده بثوان.

٥. كلما ارتفع المصباح اتـّسع نطاق إضاءته، فارتفع أنت بدينك وأخلاقك

٦. القلق مثل الكرسي الهـزَّاز ! سيجعلك تتحرّك دائماً، لكنّه لن يُوصِلـك إلى أي مكان .

---

(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَحْمَدُ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

٧. مُؤسِفٌ حقاً أن تكون النظارة ماركة، والساعة ماركة، والحذاء ماركة، والشخصيَّة تقليد !.

٨. إن الصواعق لا تضرب سوى قِمم الجبال الشامخة، وأما المنحدرات فلا تذهب إليها إلا المياه الراكدة المحمَّلة بالأوساخ، والـمرءُ يُبتلى على قدر دينه، كما جاء في الحديث عن المعصوم(صلى الله عليه وسلم) .

٩. يظل الإنسان في هذه الحياة مثل قلم الرصاص، تـَبريه العثرات ليكتب بخط أجمل، وهكذا حتى يَـفنى، فلا يبقى له إلا جميل ما كتب !.

١٠. لا تتضايق إذا وجدت في حياتك بعض الـتقلبات.. هذا أمر صِحِّي، لأن حياتك مثل رسم تخطيط القلب، إذا كان على خط واحد فهذا يعني أنك مـيِّت!.

١١. إذا قابلنا الإساءة بالإساءة، فمتى ستنتهي الإساءة ؟! قال تعالى :(فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِّ).

ام الخطأ

ضاع حذاء طفل في البحر ...فكتب الطفل على الشاطئ هذا البحر لص!.

وليس ببعيد منه كان رجل صيادًا، وقد اصطاد الكثير من السمك فكتب على الشاطئ إن هذا البحر كريم !.

وغرق شاب في البحر ..فكتبت أمه على الشاطئ ..إن هذا البحر قاتل!.

ورجل عجوز اصطاد لؤلؤة من البحر ..فكتب على الشاطئ إن هذا البحر سخي !.

ثم جاء الموج العالي فمسح كل ما كتب على الشاطئ ..واستمرت الحياة .

لذلك لا تشغل بالك بكل ما يقوله الناس فالكل يقول ما يصل لذهنه فقط.

امح الخطأ لتستمر الأخوة ...ولا تمسح الأخوة ليستمر الخطأ .

عندما تتعرض لإساءة لا تفكر في أقوى رد، بل في أحسن رد .

عامل الناس بأخلاقك لا بأخلاقهم:﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾(١).

وشتم رجل الوليد بن أبي خيرة، فقال الوليد: هي صحيفتك فأمل فيها ما شئت(٢).

قاطع ذيله

وقع حجر على ذيل ثعلب فقطعه ، فرآه ثعلب آخر فسأله لم قطعت ذيلك؟.

قال له إني أشعر وكأني طائر في الهواء، يا لها من متعة !فأغراه أن يقطع ذيله!.

فلما شعر بألم شديد ولم يجد متعة مثلما زين له، سأله : لم كذبت عليّ ؟

قال : إن أخبرت الثعالب بألمك فلن يقطعوا ذيولهم وسيسخرون منا .

فظلوا يخبرون كل من يجدونه بمتعتهم حتى أصبح غالب الثعالب دون ذيل!. ثم إنهم صاروا كلما رأوا ثعلبا بذيل سخروا منه!.

---

(١) سورة فصلت _ الآية ٣٤.

(٢) كتاب الأمالي للقالي.

فإذا عم الفساد صار الناس يعيرون الصالحين بصلاحهم! وسخروا منهم روي عَنْ شُرَيْحِ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ كَعْبٍ، قَالَ:" لَتُحَبَّبَنَّ إِلَيْكُمُ الدُّنْيَا حَتَّى تَتَعَبَّدُوا لَهَا وَلأَهْلِهَا، وَلَيَأْتِيَنكم زَمَانٌ تُكْرَهُ فِيهِ الْمَوْعِظَةُ، وَحَتَّى يَخْتَفِيَ الْمُؤْمِنُ بِإِيمَانِهِ كَمَا يَخْتَفِي الْفَاجِرُ بِفُجُورِهِ، وَحَتَّى يُعَيَّرَ الْمُؤْمِنُ بِإِيمَانِهِ كَمَا يُعَيَّرُ الْفَاجِرُ بِفُجُورِهِ "(١).

إن المجتمع الفاسد إذا لم يجد للمصلحين تهمة.. عيّرهم بأجمل ما فيهم ألم يقل قوم لوط : :﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ (٢).

نتيجة العجب

البعض اجتهد في محله حتى فهم الناس العمل ثم ركبوا سيارة الدعوة فجاء العجب من الركاب ثم غرزت السيارة فنزلوا ليدفعوا بالسيارة ولكن بعضهم من الأمام والبعض من الخلف فهل تمشي السيارة ؟ ولكن عليهم أن يدفعوا كلهم من الخلف، ولو الكل في الخلف وضع يده على السيارة ولم يدفع، فكذلك لم تتحرك.

وهذا الحال أصبح كثيرا في الدعوة.. قام الأحباب للدعوة مع التواضع وخفض الجناح فانتشرت الدعوة وأقبل عليها الناس، فجاء العجب عند الأحباب، فغرزت عربة الدعوة وتوقفت حركة العربة (الدعوة)، وانقسم

---

(١) الزهد لابن أبي الدنيا.

(٢) سورة النمل _ الآية ٥٦.

الأحباب إلى فريقين: فريق من الخلف وفريق من الأمام، فأصبح التصادم فتوقفت الدعوة، حتى ولو كان كلهم في الوضع الصحيح، فكثير من الأحباب يضعون يدهم على الدعوة، مازال متمسك بلباس السُنة وترك الأعمال الانفرادية، والاجتماعية، إلا بعض الأعمال التي فيها حظوظ النفس وأمام المشايخ والأحباب أنا موجود، أما التي فيها الدفع فهو فقط يضع يده.. فتوقفت عربة الدعوة.. فلا بد للجميع من الاستغفار ويرجعون إلى أنفسهم فيلومونها على تقصيرها، ويطلبون من الله المسامحة، ويتكاتفون خلف الدعوة ويضعون أيديهم، ولا ينظر أحدهم لغيره، ومن الله القبول والتوفيق(١).

الشفقة والرحمة

كان معروف الكرخي (رحمه الله) قاعدا على دجلة ببغداد إذ مر به أحداث في زورق ، يضربون الملاهي ويشربون ؛ فقال له أصحابه: ما ترى هؤلاء -في هذا الماء- يعصون! أدع الله عليهم!. فرفع يديه إلى السماء، ثم قال: إلهي وسيدي!، كما فرحتهم في الدنيا أسألك أن تفرحهم في الآخرة!. فقال له أصحابه: إنما قلنا لك: ادع عليهم! ، فقال: إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم في الدنيا، ولم يضركم شيء(٢).

---

(١) الصفات الست في ضوء الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة صـ ١٤٢٥

(٢) صفة الصفوة _ ذكر المصطفين من التابعين ومن بعدهم على طبقاتهم في بلدانهم معروف بن الفيرزان الكرخي.

مقدمات السعادة والشقاوة

المرأة تشتري طقم التوابل، وكل علبة مكتوب عليها، إحداها عليها : سكر، والثانية: شاي، والثالثة: ملح، وهكذا فالمرأة أمية، فوضعت الملح في علبة السكر ، والسكر في علبة الملح.. وهكذا.. وجاء زوجها من العمل، فأراد أن يشرب كوب شاي، فأخذ العلبة المكتوب عليها سكر، ووضع منها في كوب الشاي فبعد أن أذابه تذوقه فوجده ملح .

فكل الأشياء أواني فارغة فالله ﷻ قادر أن يجعل في الشيء الذي فيه سعادة تعاسة، والشيء الذي فيه تعاسة سعادة .. النار آنية فارغة، يضع فيها نار تحرق، أو يجعل فيها برد وسلام، كما فعل مع إبراهيم عليه السلام .

يضع الله (ﷻ) في البحر الهلاك لفرعون، والنجاة لموسى عليه السلام، فنفس المكان الذي نجا فيه موسى أغرق فيه فرعون وجنوده .. فالبحر إناء يضع فيه النجاة ، ويضع فيه الهلاك .

السكين يذبح ولكن ما ذبح إسماعيل ، وبنفس السكين ذبح كبش الفداء .. فلا السكين ولا الذي يمسكها يذبح، ولكن الذبح بيد الله ﷻ .

الآنية واحدة، يخرج منها شيء لواحد، وشيء آخر لواحد ثاني .

الأواني الإلهية واحد يغرف منها سعادة ، وواحد يغرف منها شقاوة .. هات اثنين أطباء .. أو مهندسين .. الخ واحد يبتسم وهو نائم ، والثاني مذعور ، يري

وحوش وعقارب .. والاثنين في آنية النوم .. الذي فعل معهم وهم نائمون، يفعل معهم وهم مستيقظون.

هات أثنين أطباء .. مهندسين مثلا واحد حياته طيبة، والثاني حياته نكده مع أن المستوى الاجتماعي واحد، والمهنة واحدة، والدخل واحد، ومستوى جمال الزوجة واحد.. لأن السعادة من الله، ما يجعل الله الحياة مرة إلا لمن يستحقها مثل فرعون.

السكين لم يذبح إسماعيل ليس عبط أو عشوائي ... ولكن كل شيء له مقدمات . . إبراهيم ما ذبح أمر الله .. فالله ما ذبح ابنه إسماعيل ..لأن إسماعيل قال : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبُنَيَّ إِنِّيَ أَرَىَ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فانظُرْ مَاذَا تَرَىَ قَالَ يا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤمَرُ سَتَجِدُنِيَ إِن شَآءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ (١) فهل يستحق السكين تمشي فوق رقبته ؟

* مقدمات موسى أمر الله ..فكانت النجاة .

* مقدمات فرعون الكفر ..فكان الهلاك والغرق.

* الذي يكون مع الله ..فكل شيء في الكون يسعده .

* الذي لا يقف في صف الصلاة في المسجد بالسعادة الله يوقفه في طابور الخبز بالتعاسة (معادلات) السعادة كلها في رضا الله سبحانه وتعالي .

---

(١) سورة الصافات – الآية ١٠٢ .

الفهرس

م	الموضوع	الصفحة
١	إهداء.....	٣
	تقديم السادة العلماء للكتاب	
١	تقديم فضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد بن محمد مفلح القضاة أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة	٤
٢	تقديم فضيلة الدكتور/ عبد الغني القاسمي الجزائري دكتوراه في الحديث الشريف وعلومه.....	٧
	تقديم فضيلة الدكتور/ وسام محمود جبر الطيطي - أستاذ أصول الفقه والدراسات الإسلامية ورئيس قسم الفقه وأصوله في جامعة منيسوتا- الولايات المتحدة الأمريكية	٩
مقدمة المؤلف.....		١٤
	الباب الأول **الأمثال لغةً واصطلاحا** صـ ١٤	
١	معنى الأمثال.....	٢٠

٢	فوائد الأمثال.....	٢١
	الباب الثاني **ضرب الأمثال في القرآن** صـ ١٥	
١	الأمثال في القرآن	٢٧
٢	الأول: وصف حال المنافقين.....	٢٨
٣	الثاني : ثواب النفقة.....	٣٠
٤	الثالث: شبه العالم التارك للعمل بعلمه بالكلب.....	٣٢
٥	الرابع: الحياة الدنيا.....	٣٧
٦	الخامس : وصف الكفار.....	٤٠
٧	السادس: حياة القلوب.....	٤١
٨	السابع: مثل الكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة.....	٤٢
٩	الثامن: مثل الكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة.....	٤٦
١٠	التاسع: الدليل القاطع على بطلان الشرك.....	٤٧
١١	العاشر: مثل الكافر كالناعق.....	٤٩
١٢	الحادي عشر: أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ.....	٥٠
١٣	الثاني عشر: إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ.....	٥٦
١٤	الثالث عشر : هشاشة الشرك وأهله.....	٥٧
١٥	الرابع عشر: نفي الشركاء لله(تعالى)	٦٢

١٦	الخامس عشر: مثل من حمل كلام الله ولم يعمل به كالكلب	٦٣
	الباب الثالث **الأمثال في السنة النبوية** **ص ٦٤**	
	الباب الرابع **القصص في القرآن الكريم**	
١	سيد البشرية(محمد رسول الله).....	٩٣
٢	قِصَّةُ يُونُسَ(عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ).....	١٠٢
٣	يوسف (عليه السلام).....	١٠٩
٤	قِصَّةَ بِلْعَامَ بْنِ بَاعُورَاءَ.....	١١٦
٥	قِصَّةُ قوم سَبَأٍ.....	١٢١
٦	قصة النملة مع سليمان.....	١٢٦
٧	قصة الهدهد مع سليمان.....	١٣٠
٨	قصة قوم يس.....	١٤٧
٩	قصة مؤمن آل فرعون.....	١٥٣
١٠	قصة أصحاب السبت.....	١٦٤
١١	برصيصا العابد.....	١٦٨

١٢	قِصَّةُ الرَّجُلَيْنِ (الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ)	١٧٣
١٣	قِصَّةُ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ.....	١٧٨
١٤	ذو الْقَرْنَيْنِ.....	١٨١

الباب الخامس
القصص
في السنة النبوية

١	ثمرة الإخلاص.....	١٨٨
٢	الرجل الذي استلف من أخيه.....	١٩٠
٣	آدم وذريته.....	١٩١
٤	موسى والثوب والحجر.....	١٩٢
٥	موسى (عليه السلام)وملك الموت.....	١٩٣
٦	جريج العابد.....	١٩٣
٧	الذي سقى الكلب.....	١٩٥
٨	الابتـــلاء.....	١٩٦
٩	قصة الأخدود.....	١٩٧
١٠	القاتل التائب.....	٢٠٠
١١	داود يسأل ربه.....	٢٠١
١٢	آمَنْتُ بِاللهِ وَكَذَّبْتُ نَفْسِي.....	٢٠١

١٣	صاحب العقار والجرة.....	٢٠٢
١٤	ففهمناها سليمان.....	٢٠٤
١٥	خَلِّنِي وَرَبِّي.....	٢٠٤
١٦	لَعَلَّ اللهَّ يَتَجَاوَزُ عَنَّا.....	٢٠٥
١٧	الخوف من الله.....	٢٠٥
١٨	الجمل الشراد.....	٢٠٦
١٩	قاتل نفسه.....	٢٠٧
٢٠	فَإِنَّهُ لاَ يُشْبِعُكَ شَيْءٌ.....	٢٠٨
٢١	موسى والخضر (عليهما السلام).....	٢٠٨
٢٢	هجرة إبراهيم وزوجته سارة لمصر.....	٢١٠
٢٣	كلام البقرة والذئب.....	٢١١
٢٤	الرجل والرحى.....	٢١٢
٢٥	نبي الله يوشع بن نون وحرب العمالقة.....	٢١٣
٢٦	قِصَّةُ الْمَلِكَيْنِ التَّائِبَيْنِ.....	٢١٤
٢٧	حاطب بن أبي بلتعة.....	٢١٥

الباب السادس

القصص والأمثال

من أفواه المبلغين، والأئمة المتقدمين

١	أثر الكلمة الطيبة.....	٢١٩
٢	صلي صلاة تليق بمحبوبك.....	٢٢٠
٣	المسلم في ميدانه كالأسد.....	٢٢٠
٤	الحيوان يعرف مقصده.. فهل عرفنا مقصدنا؟.....	٢٢٢
٥	ماذا لو تركنا مقصد الحياة؟.....	٢٢٣
٦	قصة الطفل بائع الحلوى.....	٢٢٤
٧	الإحساس بالمسئولية	٢٢٥
٨	بكاء الخادم.....	٢٢٥
٩	بالمجاهدة تأتي المكاشفة.....	٢٢٦
١٠	الوقت غالي.....	٢٢٦
١١	مع الحيرة تأتي الحيلة.....	٢٢٧
١٢	الدعوة للأعمال مثل القاطرة للقطار.....	٢٢٨
١٣	الدين مثل الشجرة.....	٢٢٨
١٤	الداعي مثل الشمس.....	٢٢٩
١٥	جهد الدين.....	٢٣٢
١٦	ترك الجهد.....	٢٣٣
١٧	الدعوة مثل الأرض والداعي مثل المزارع.....	٢٣٤
١٨	أمثلة للرحمة.....	٢٣٥

١٩	الشيخ الوقور.....	٢٤٦
٢٠	الدعوة والقتال.....	٢٥١
٢١	قصة ابن الملك ذو الأذن الواحدة.....	٢٥٣
٢٢	كن كقطعة السُكَّر.....	٢٥٥
٢٣	اللين كله خير.....	٢٥٦
٢٤	المرأة والملك والمسجد.....	٢٥٧
٢٥	كما تدين تدان.....	٢٥٨
٢٦	لا تنسي الأساس.....	٢٥٩
٢٧	طلب الشيء في غير محله.....	٢٦٠
٢٨	من طلب الأعلى أخذ معه الأدنى.....	٢٦١
٢٩	الأميرة والخادمة.....	٢٦٢
٣٠	مثل الداعية كمثل المروحة.....	٢٦٢
٣١	جاءنا الدين كبيضة مقشرة.....	٢٦٣
٣٢	من صفات الداعي.....	٢٦٤
٣٣	الرخيص.....	٢٦٥
٣٤	الدنيا والآخرة.....	٢٦٥
٣٥	انظر للأمام ولا تلتفت.....	٢٦٥
٣٦	الطالب والامتحان.....	٢٦٦

٣٧	المال والمنصب والجاه والدين.....	٢٦٨
٣٨	الإنسان في الدنيا مثل السفينة في البحر.....	٢٧٠
٣٩	الاعتصام بالسنة نجاة.....	٢٧٠
٤٠	ما فرطنا في الكتاب من شيء.....	٢٧١
٤١	الصعود بدون المفتاح.....	٢٧٢
٤٢	الإنسان والعمارة الشاهقة.....	٢٧٣
٤٣	التمسك بأصول الدعوة.....	٢٧٤
٤٤	العمل الجماعي.....	٢٧٥
٤٥	ألا عيب أهل الباطل.....	٢٧٦
٤٦	السابح والشاطئ.....	٢٧٧
٤٧	البدوي وحنفية المياه.....	٢٧٧
٤٨	العريس والستارة.....	٢٧٨
٤٩	الفرق بين الحقيقة واللفظ.....	٢٧٩
٥٠	يريد أسوان وركب القطار المتجه إلى الإسكندرية ...	٢٨٢
٥١	مثل من لا يتعب على الشيء يفرط فيه	٢٨٢
٥٢	اعرف أين تطرق.....	٢٨٣
٥٣	الإنسان مثل الأرض.....	٢٨٤
٥٤	لمّ الشمل.....	٢٨٥

٥٥	الإيمان.....	٢٨٦
٥٦	الاستغاثة.....	٢٨٦
٥٧	الخليل الصالح مثل النخلة.....	٢٨٧
٥٨	قصة الببغاء.....	٢٨٧
٥٩	الداعي إلى الله مثل الشرطي.....	٢٨٨
٦٠	الضفدعة والسمكة.....	٢٨٩
٦١	إنها طُعمة الصنارة !.....	٢٩٠
٦٢	الصياد والورقة.....	٢٩٢
٦٣	الجرة والشجرة.....	٢٩٣
٦٤	الحكيم والقط.....	٢٩٦
٦٥	الصمت.....	٢٩٧
٦٦	الداعي في الدعوة مثل السمك في الماء.....	٢٩٩
٦٧	نكون في الدعوة مثل الجمل لا الفرس.....	٢٩٩
٦٨	الداعي يذهب للناس.....	٣٠٠
٦٩	تكون دعوتنا مثبتة.....	٣٠٠
٧٠	أخلاق وقيم ومبادئ.....	٣٠٠
٧١	المحبـــة.....	٣٠١
٧٢	التضحية من أجل المقصد.....	٣٠٤

٧٣	مهمة العلماء وعموم الأمة.....	٣٠٥
٧٤	تراب الأرض يخاطب تراب الجرة.....	٣٠٧
٧٥	مثال القلب.....	٣٠٩
٧٦	البيئة.....	٣١١
٧٧	نور البصر ونور البصيرة.....	٣١٢
٧٨	عبرة وعظة.....	٣١٥
٧٩	من عف أعفه الله.....	٣١٦
٨٠	اليقين على الله (عز وجل).....	٣١٩
٨١	النفس.....	٣٢١
٨٢	الفلاح.....	٣٢٢
٨٣	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....	٣٢٣
٨٤	رؤيا أزعجت صاحبها.....	٣٢٣
٨٥	الأهبة قبل النكبة.....	٣٢٥
٨٦	مكتب التموين.....	٣٢٦
٨٧	قوة الصلاة.....	٣٢٧
٨٨	طالب جامعي كتب في تويتر.....	٣٢٩
٨٩	حقيقة الدنيا.....	٣٣٠
٩٠	عبرة للملوك والرؤساء.....	٣٣٢

٩١	يحركون الوتد.....	٣٣٤
٩٢	المجنون الحكيم.....	٣٣٥
٩٣	من أخلص النية رزقه الله على نيته.....	٣٣٦
٩٤	طاهية تطهي طعامها بذكر الله	٣٣٨
٩٥	ابن الملك المسرف على نفسه بالمعاصي.....	٣٣٨
٩٦	صنع طعاما لأهل المسجد.....	٣٤٠
٩٧	مكلف بالسير لا بالوصول.....	٣٤١
٩٨	القرآن كالبحر ينظف القلوب.....	٣٤٣
٩٩	شيخة قبيلة بين جبال أفريقيا.....	٣٤٣
١٠٠	إياك والعيوب.....	٣٤٨
١٠١	رأيت فيك القرآن قبل أن تقرأيه.....	٣٤٨
١٠٢	من أروع الأمثلة على حضارة الشعوب الإسلامية..	٣٤٩
١٠٣	مكارم الأخلاق.....	٣٥٠
١٠٤	مثل مشهور: " احنا دافنينه سوا ".....	٣٥٢
١٠٥	مظاهرة الذئاب.....	٣٥٣
١٠٦	سمو الخلق.....	٣٥٤
١٠٧	بين أستاذ وفتاة في إحدى الجامعات.....	٣٥٦
١٠٨	الراعي الفقيه واليهودي الماكر.....	٣٥٨

١٠٩	الصياد جاب من الآخر.....	٣٥٩
١١٠	ابن بطوطة وجزر المالديف.....	٣٥٩
١١١	الشيخ الشعراوي والمستشرق.....	٣٦٢
١١٢	مصيبة تحريك الكيس.....	٣٦٤
١١٣	الصومالية المؤمنة أعطت درسا لا ينسى.....	٣٦٥
١١٤	في الصدق نجاة.....	٣٦٦
١١٥	سحر الإيثار.....	٣٦٧
١١٦	هكذا كان أطفالنا.....	٣٦٩
١١٧	امضي قدما ولا تلتفت.....	٣٧٠
١١٨	حكمة رائعة.....	٣٧١
١١٩	نظرية سائح.....	٣٧١
١٢٠	الإناء المشروخ.....	٣٧٣
١٢١	حكيم القرية.....	٣٧٤
١٢٢	الرزق الحلال يساوي وزنه ذهباً.....	٣٧٦
١٢٣	إن نابتنا نائبة فزعنا إلى من أخرجك.....	٣٧٧
١٢٤	جرح لا يندمل.....	٣٧٨
١٢٥	صدى الصوت.....	٣٨٠
١٢٦	عامل الناس بما تحب أن يعاملوك.....	٣٨٢

١٢٧	الدجاجة الحاقدة.....	٣٨٤
١٢٨	القبرة وابنتها.....	٣٨٤
١٢٩	القبرة والصياد.....	٣٨٥
١٣٠	أتدري ما الدرهم؟.....	٣٨٦
١٣١	قصَّة الفراشتين.....	٣٨٦
١٣٢	إياك والتشاؤم.....	٣٨٨
١٣٣	قصة الجارية.....	٣٨٩
١٣٤	الغلام السخي.....	٣٩٠
١٣٥	لماذا تبكي النساء؟.....	٣٩١
١٣٦	إنها العقيدة.....	٣٩٢
١٣٧	القارب العجيب.....	٣٩٣
١٣٨	حكاية الساقي.....	٣٩٤
١٣٩	ابن الملك وأصحابه.....	٣٩٦
١٤٠	الحكمة ضالة المؤمن.....	٤٠٣
١٤١	المروءة لها أهل.....	٤٠٣
١٤٢	صلاح الدين الأيوبي.....	٤٠٤
١٤٣	ماتت زوجته فترجم لها !.....	٤٠٥
١٤٤	عمل بدون تنسيق.....	٤٠٧

١٤٥	ثلاثة قصص في الإتقان.....	٤٠٨
١٤٦	افزع إلى الله.....	٤١١
١٤٧	الملك الأعرج والرسام.....	٤١٢
١٤٨	الوسواس في الصلاة لماذا؟.....	٤١٣
١٤٩	الشجرة والهوى.....	٤١٣
١٥٠	قصتان تدلان على أهمية العمل الجماعي.....	٤١٤
١٥١	كن كالنحلة ولا تكن كالذباب.....	٤١٦
١٥٢	المرأة والنسر.....	٤١٧
١٥٣	القارب والمجداف.....	٤١٨
١٥٤	الشاب والحكيم.....	٤١٨
١٥٥	شابان في الغربة.....	٤٢٠
١٥٦	نظام ملكي.....	٤٢١
١٥٧	الفيل والإنسان والبئر.....	٤٢٣
١٥٨	تسجيل الوقائع بالصوت والصورة.....	٤٢٤
١٥٩	مسجد كأنني كلت.....	٤٢٦
١٦٠	قصتان في حسن الظن.....	٤٢٨
١٦١	احذروا من إهانة المرأة.....	٤٢٩
١٦٢	نعمة العقل.....	٤٣٠

١٦٣	مثلان للتضحية.....	٤٣٣
١٦٤	الثعلب والجمل.....	٤٣٤
١٦٥	أنا الدنيا.....	٤٣٤
١٦٦	أكلت يوم أكل الثور الأبيض.....	٤٣٨
١٦٧	قصتان في بيان الرضا بقضاء الله وقدره.....	٤٤٠
١٦٨	الداعي مثل السابح في النهر.....	٤٤٢
١٦٩	الخداع.....	٤٤٢
١٧٠	اتباع الحبيب.....	٤٤٣
١٧١	القرد وبائع الخمر.....	٤٤٤
١٧٢	موعظة.....	٤٤٥
١٧٣	كيس الجواهر.....	٤٤٧
١٧٤	وتعاونوا.....	٤٤٨
١٧٥	مثل الداعي في صفاته.....	٤٤٩
١٧٦	الدنيا كنهر طالوت.....	٤٥٠
١٧٧	الكلمة.....	٤٥٠
١٧٨	مثل الحق والباطل.....	٤٥٠
١٧٩	قصة الصبر.....	٤٥١
١٨٠	البيئة.....	٤٥٢

١٨١	أمثلة تضرب لبيان أهمية البيئة.....	٤٥٦
١٨٢	أهمية الحركة.....	٤٦٢
١٨٣	الدنيا وخطرها.....	٤٦٢
١٨٤	الدعوة للداعي.....	٤٦٣
١٨٥	أهمية الدين.....	٤٦٣
١٨٦	كن في جوار الله تعالى.....	٤٦٤
١٨٧	فساد البيئة والعلاج.....	٤٦٥
١٨٨	العابد والشجرة.....	٤٦٦
١٨٩	مثل من أخر التوبة.....	٤٦٨
١٩٠	فبهت الذي كفر.....	٤٦٨
١٩١	الطفل والسلحفاة.....	٤٦٩
١٩٢	علو الهمة.....	٤٧٠
١٩٣	الداعي مثل الماء.....	٤٧١
١٩٤	القدوة مثل الثوب الأبيض.....	٤٧١
١٩٥	احفظ الله يحفظك.....	٤٧٣
١٩٦	أمثلة جميلة.....	٤٧٧
١٩٧	امح الخطأ.....	٤٧٨
١٩٨	قاطع ذيله.....	٤٧٩

١٩٩	نتيجة العجب.....	٤٨٠
٢٠٠	الشفقة والرحمة.....	٤٨١
٢٠١	مقدمات السعادة والشقاوة	٤٨٢
٢٠٢	الفهرس.....	٤٨٤

تم بحمد الله تعالى